تلبيس إبليس

تأليف

أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧هـ

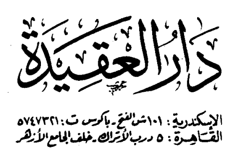
دار العقيدة

٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ

الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٢٠٠٠/٤٨٤٥

I.S.B.N: 977-5458-90-0



بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الرحمن بن الجوزي

٥٠٨ ـــ ٥٩٧ هـ

١١١٤ ـــ ١٢٠١م

أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبقية النسب معروفة القرشى التيمى البكرى البغدادى الفقيه الحنبلى الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ .

كان علامة عصره وإمام وقته فى الحديث وصناعة الوعظ صنف فى فنون عديدة منها زاد المسير فى علم التفسير أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة، وله فى الحديث تصانيف كثيرة، وله المنتظم فى التاريخ وهو كبير، وله الموضوعات فى أربعة أجزاء ذكر فيها كل حديث موضوع وله تلقيح فُهوم الأثر على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة، وله لقط المنافع فى الطب وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون فى ذلك حتى يقولون أنه جمعت الكراريس التى كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس وهذا شيئ عظيم لا يكاد يقبله العقل ويقال أنه جمعت برأيه أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيئ كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته ففُعِل ذلك فَكَفَتْ وفضل منها، وله أشعار لطيفة أنشدنى له بعض الفضلاء يخاطب أهل بغداد :

عـذيرى من فـتـيـة بالعـراق	قلـوبهـم بـالجـفـا قـلب
يرون العـجـيب كـلام الغـريب	وقـول القـريب فـلا يعـجب
مـيـازيبـهـم إن تندت بخـيـر	إلى غـيـر جـيـرانهم تغلب
وعـذرهم عند توبيـخـهـم	مـغنيـة الحى لا تـطرب

وله أشعار كثيرة، وكانت له فى مجالس الوعظ أجوبة نادرة، فمن أحسن مايحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة، فى المفاضلة بين أبى بكر وعلى رضى الله عنهما، فرضى الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسى فى مجلس وعظه فقال أفضلهما من كانت ابنته تحته ونزل فى الحال حتى لايراجع فى ذلك فقال السنية هو أبو بكر، لأن إبنته عائشة رضى الله عنهما تحت رسول الله ﷺ وقالت الشيعة هو على بن أبى طالب رضى الله عنه لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته وهذه من لطائف الأجوبة ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان فى ولادته بطريق التقريب سنة ثمان وقيل عشرة وخمسمائة وتوفى ليلة الجمعة ثانى عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب، وتوفى والده فى سنة أربع عشرة وخمسمائة رحمهما الله تعالى وحمادى بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الألف دال مهملة مفتوحة وياء مفتوحة والجوزى بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها زاى وهذه النسبة لفظه الجوز وهو موضع مشهور .

خطبة الكتاب

الحمد لله الذى سلم ميزان العدل إلى أكف ذوى الألباب، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب، وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب، وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب. (١)

أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب،وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص فى نيته غير مرتاب.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب، فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب، وبين للناس ما أنزل إليهم، وأوضح مشكلات الكتاب، وتركهم على «المحجة البيضاء» (٢) لا سَربَ فيها ولا سَراب، (٣) فصلى اللَّه عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب. وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن أعظم النعم على الإنسان العقل؛ لأنه الآلة فى معرفة الإله سبحانه، والسبب الذى يتوصل به إلى تصديق الرسل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمةً رأت الشمس. ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة، سلم إليهم، واعتمد فيما يخفى عنه عليهم .

ولما أنعم اللَّه على هذا العالم الإنسى بالعقل افتتحه اللَّه بنبوة أبيهم آدم عليه السلام، فكان يعلمهم عن وحى اللَّه عز وجل، فكانوا على الصواب إلى أن انفرد قابيل بهواه

---

(١) عاب: أى شان.

(٢) يشير إلى ما رواه ابن ماجه (٥) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٤٧) عن أبى الدرداء مرفوعاً «الفقر تخافون؟ والذى نفسى بيده لتصبنَّ عليكم الدنيا صباً حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغةً إلا هية،وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء».
وحسنه الألبانى فى «الصحيحة» (٦٨٨) وله شواهد كثيرة انظرها هناك.

(٣) السراب: هو الذى يرى نصف النهار كأنه ماء حتى إذا انتهى إليه لا يوجد شئ.

فقتل أخاه، ثم تشعبت الأهواء بالناس؛ فشردتهم فى بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام، واختلفوا فى العقائد والأفعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم، وميلا إلى عاداتهم، وتقليداً لكبرائهم، فصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين.

حكمـة بعثـة الرسـل

واعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافى،وقابلوا الأمراض بالدواء الشافى،وتوافقوا على منهاج لم يختلف.فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً،وبالدواء سماً،وبالسبيل الواضح جرداً(١)مضلا، ومازال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام فى البيت الحرام،ويحرمون السائبة(٢) والبحيرة(٣) والوصيلة(٤) والحام(٥)، ويرون وأد البنات،ويمنعونهن الميراث، إلى غير ذلك من الضلال الذى سوله لهم إبليس فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداًﷺ، فرفع المقابح، وشرع المصالح،فسار أصحابه معه وبعده فى ضوء نوره، سالمين من العدو وغروره. فلما انسلخ نهار وجودهم، أقبلت أغباش الظلمات(٦)، فعادت الأهواء تنشئ بدعاً، وتضيق سبيلاً مازال متسعاً، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً، ونهض إبليس يلبس ويزخرف، ويفرق ويؤلف، وإنما يصح له التلصص فى ليل الجهل. فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح.فرأيت أن احذر من مكايده، وأدل على مصايده؛ فإن فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه.

ففى الصحيحين من حديث حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول اللهﷺعن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركنى.(٧)

---

(١) الجرد: المكان الذى لا نبات فيه.
(٢) السائبة: هى الناقة كانت تسيب فى الجاهلية لنذر أو لطواغيتهم.
(٣) البحيرة: هى الناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن، فكان آخرها ذكراً، بحروا أذنها (أى شقوها) وأعفو ظهرها من الركوب والحمل والذبح.
(٤) الوصيلة: هى الشاة التى تلد ستة أبطن عناقين عناقين ، وولدت فى السابع عناقاً وجدياً قالوا : وصلت أخاها، فلا يذبحوا أخاها من أجلها وأحلوا لبنها للرجال وحرموه على النساء.
(٥) الحام: الفحل من الأبل يضرب المعدود فإذا أقضاه تركوه للطواغيت وأعفوه من الحمل.
(٦) أغباش: جمع غبش بقية الظلمة ، أو ظلمة آخر الليل يخالطها بياض الفجر.
(٧) أخرجه البخارى (٣٦٠٦، ٧٠٨٤) ومسلم (١٨٤٧) وأبو داود (٤٢٤٤، ٤٢٤٧) وعبدالرزاق (٢٧٠١١) وأحمد (٥ / ٤٠٣).

وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن على البزاز، قال: أخبرنا أحمد بن على الطريثيثى، قال: أخبرنا هبة الله بن حسن الطبرى، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل، قال: ثنا محمد بن أحمد بن الحسن، قال: حدثنا بشر بن موسى، قال: حدثنا عبيد بن يعيش، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن إسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً منى. فقيل: وكيف؟ فقال: والله، إنه ليحدث البدعة فى مشرق أو مغرب، فيحملها الرجل إلىّ، فإذا انتهت إلىّ قمعتها بالسنة، فترد عليه كما أخرجها.[1]

سبب تأليف الكتاب

وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنة، ومخوفاً من محنة، وكاشفاً عن مستوره، وفاضحاً له فى خفى غروره. والله المعين بجوده. كل صادق فى مقصوده. وقد قسمته ثلاثة عشر باباً ينكشف بمجموعها تلبيسه، ويتبين للفطن بفهمها تدليسه، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه إبليسه والله موفقى فيما قصدت، وملهمى للصواب فيما أردت.

(١) إسناده ضعيف، فيه ابن إسحاق وقد عنعنه والحسين بن عبد الله: ضعيف. وقد رواه من طريق ابن إسحاق اللالكائى فى «شرح السنة» (رقم ١٢).

ذكـــر تـراجـم الأبـــواب

(**الباب الأول**) فى الأمر بلزوم السنة والجماعة.

(**الباب الثانى**) فى ذم البدع والمبتدعين.

(**الباب الثالث**) فى التحذير من فتن إبليس ومكايده.

(**الباب الرابع**) فى معنى التلبيس والغرور.

(**الباب الخامس**) فى ذكر تلبيسه فى العقائد والديانات.

(**الباب السادس**) فى ذكر تلبيسه على العلماء فى فنون العلم.

(**الباب السابع**) فى ذكر تلبيسه على الولاة والسلاطين.

(**الباب الثامن**) فى ذكر تلبيسه على العباد فى فنون العبادات.

(**الباب التاسع**) فى ذكر تلبيسه على الزهاد.

(**الباب العاشر**) فى ذكر تلبيسه على الصوفية.

(**الباب الحادى عشر**) فى ذكر تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات.

(**الباب الثانى عشر**) فى ذكر تلبيسه على العوام.

(**الباب الثالث عشر**) فى ذكر تلبيسه على الكل بتطويل الأمل.

❁❁❁❁❁❁

البَـــابُ الأولّ

الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن على التيمى، نا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثنى أبى عن ابن إسحاق، نا ابن المبارك، ثنا محمد بن سوقة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فان الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد» (١)

أحمد، وحدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: خطب عمر الناس بالجابية، فقال: إن رسول الله ﷺ قام فى مثل مقامى هذا، فقال: «من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد». قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. (٢)

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى بن على المدينى، نا أبو محمد الصريفينى، نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان، ثنا أبو محمد بن صاعد، ثنا سعيد بن يحيى الأموى، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبى النجود، عن زر، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فان الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد» (٣)

حدثنا عبد الأول بن عيسى، نا أبو القصار بن يحيى، ثنا أبو الحسن على بن عبد العزيز، أنبأنا أبو عبيد، نا النضر بن إسماعيل، عن محمد بن سوقة، عن عبد الله بن

---

(١) **(صحيح)** - رواه أحمد (١/١٨) وابن أبى عاصم فى السنة (٨٨، ٨٩٧) والقضاعى فى «مسند الشهاب» (٤٠٣، ٤٥١) والحاكم (١/١١٤) والبيهقى (٧ / ٩١) وابن حزم فى الأحكام (١/٥٩٣) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى، وله شاهد من الحديث الآتى .

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٦) والترمذى (٢١٦٥) وابن ماجه (٢٣٦٣) والطحاوى فى «شرح المعانى» (١/١٥٠) وابن أبى عاصم (٩٠٢) والقضاعى (٤٥٢) وابن حبان (٢٢٨٢ ، ٢٢٨٣) موارد ، والخطيب فى الكفاية (ص ٣٥) وفى التاريخ (٢ / ١٨٧ ، ٤ / ٣١٩ ، ٦ / ٥٧) وابن حزم فى «الأحكام» (١ / ٥٩٢ ، ٥٩٣) وشاهد آخر فى الحديث الآتى.

(٣) رواه عبد الرزاق (٢٠٧١٠) وعبد بن حميد فى «المنتخب» (٢٣) وابن أبى عاصم (٨٦، ٨٧، ٨٩٨، ٨٩٩) والحاكم (١/١١٤) والحديث صححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٤٣٠) وفى «السنة».

دينار عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد» (١)

أخبرنا عبد الأول، نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي، نا عبد الرحمن بن أبي شريح، ثنا ابن صاعد، ثنا إبراهيم بن سعد الجوهري، ثنا أبو معاوية، عن يزيد بن مرادنبه، عن زياد بن علاقة، عن عرفجة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يد الله على الجماعة، والشيطان مع من يخالف الجماعة» (٢).

أخبرنا محمد بن عمر الأرموي، والحسين بن على المقرى، نا عبد الصمد بن المأمون، نا على بن عمر الدارقطنى، ثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول، حدثنى أبى، ثنا محمد بن يعلى، ثنا سليمان العامرى، عن الشيبانى، عن زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يد الله على الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم» (٣).

أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثنى أبى، أنبأنا أسود بن عامر، ثنا أبو بكر، عن عاصم، عن أبى وائل، عن عبد الله، قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً». قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوا إليه» ثم قرأ: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ (٤)

---

(١) **(إسناده مرسل)** ـ ورواه المؤلف وغيره موصولاً وراجع الأحاديث الثلاثة السابقة.

(٢) **(صحيح الإسناد)** ـ رواه النسائى (٧ / ٩٢ـ٩٣) والطبرانى فى «الكبير» (١٧ / ١٤٤ـ١٤٥) وابن حبان (٧ / ٥١) والبخارى فى «التاريخ» (٤ / ١ / ٦٤) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٥ / ٢٢١) : رجاله ثقات .

وقال الألبانى فى «صحيح النسائى» (٣٧٥٣) : صحيح الإسناد.

ـ فى أكثر من خمس نسخ مختلفة «محمد بن يعلى» لكن فى «شرح السنة» للالكائى محمد بن معلى.

(٣) **(إسناده ضعيف)** ـ والحديث صحيح، فإن محمد ين يعلى ضعيف وقد رواه اللالكائى (١٤٤) من طريقة ورواه ابن أبى عاصم (٨١) من طريق الأعلى بن أبى يسار وهو متروك وله شاهد من حديث ابن عمر رواه الترمذى (٢١٦٧) وابن أبى عاصم (٨٠) والحاكم (١ / ١١٥، ١١٦) من أوجه كثيرة .

ورواه الترمذى (٢١٦٦) عن ابن عباس نحوه وصححه الألبانى فى «ظلال الجنة» رقم (٨٠).

(٤) **(حسن)** ـ رواه ابن جرير فى «تفسيره» (٨/٦٥) وأحمد (١/٤٣٥، ٤٦٥) والدارمى (٢٠٢) والطيالسى (٢٤٤) واللالكائى (٩٤) وأبو نعيم فى الحلية (٦/٢٦٣) والبزار (٢٤١٠) وابن أبى عاصم (١٧) والحاكم (٢/٣١٨) وابن حبان (٦، ٧) وله شاهد من حديث جابر ورواه أحمد (٣/٣٩٧) وابن ماجه (١١) وابن أبى عاصم (١٦) واللالكائى (٩٥) وحسنه الشيخ الألبانى فى ظلال الجنة رقم (١٦، ١٧).

وبالإسناد قال أحمد: وثنا روح،ثنا سعيد، عن قتادة قال: ثنا العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل رضى الله عن، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية؛ فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة والمسجد».(١)

حدثنا أحمد، ثنا أبو اليمان، ثنا ابن عياش، عن أبى البحترى بن عبيد بن سليمان، عن أبيه، عن أبى ذر، عن النبى ﷺ، أنه قال: «اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة؛ فعليكم بالجماعة؛ فإن الله عز وجل لم يجمع أمتى إلا على الهدى».(٢)

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخى، قال: أخبرنا أبو عامر الأزدى،وأبو بكر العروجى، قالا: أخبرنا الحراجى، قال: أخبرنا المحبوبى، ثنا الترمذى، ثنا محمود بن غيلان، ثنا أبو داود الحفرى، عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقى، عن عبد الله بن يزيد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتى كما أتى على بنى إسرائيل، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان فى أمتى من يصنع ذلك، وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين ملة:كلهم فى النار إلا ملة واحدة». قالوا: من هى يارسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابى» (٣) قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه.

---

(١) **(مرسل ضعيف)**ـرواه أحمد (٢٣٣/٥) واللالكائى (١٥٦) وأبو نعيم (٥٤٧/٢) من طريق العلاء بن زياد وهو لم يسمع من معاذ.قال أبو نعيم: أسند العلاء بن زياد عن جماعة من الصحابة منهم عمران بن حصين وأبى هريرة وأرسل عن معاذ.وقد رواه أحمد (٢٤٣/٥) عن العلاء عن رجل عن معاذ، وهو ضعيف لجهالة الراوى عن معاذ.ورواه عبد بن حميد فى «المنتخب» (١١٤) من طريق شهر بن حوشب عن معاذ به وشهر لم يسمع من معاذ غير أن فيه ضعفاً.وقد ذكره الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (١٤٧٧).

(٢) فى الإسناد **(سقط،وخطأ)** .أما السقط فقوله«حدثنا أحمد، وسقطت «وبالإسناد»كما هى عادة المصنف إذا تكرر الإسناد كما فى الحديث السابق، غير أن المصنف بينه وبين أحمد مفاوز.وأما الخطأ فهو «عن أبى البخترى» وصوابه «البخترى» دون لفظة «أبو» كما فى المسند، وفى «التهذيب» (٦٦/٧) أيضاً فى ترجمة عبيد بن سليمان والده، قال الحافظ: وروى عنه ابنه البخترى، والبخترى متروك كما قال الحافظ فى «التقريب» .والحديث رواه عبد الله بن أحمد فى«زوائد المسند»(١٤٥/٥)من طريقه.فالحديث إسناده ضعيف جداً، بل قال الشيخ الألبانى فى «الضعيفة» (١٧٩٧)وفى «ضعيف الجامع» (١٣٦): موضوع.

(٣) **(إسناده ضعيف جداً)**ـ فإن عبد الرحمن بن زياد ضعيف جداً.وقد رواه من طريقة الترمذى(٢٦٤١) واللالكائى(١٤٧)والحاكم (١٢٩/١)والبغدادى فى «الفرق بين الفرق» (رقم٢). لكن للحديث شواهد كثيرة من حديث أبى هريرة، وأنس وغيرهما، وحسنه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٣٤٨).

وروى أبو داود فى سننه من حديث معاوية بن أبى سفيان، أنه قام فقال: ألا إن رسول اللهﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة، وهى الجماعة، وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبيه» (١)

أخبرنا أبو البركات بن على البزاز، نا أحمد بن على الطريثيثى، نا هبة الله بن الحسين الحافظ، نا محمد بن الحسين الفارسى، نا يوسف بن يعقوب بن إسحاق، ثنا العلاء بن سالم، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة.(٢)

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، نا أحمد بن الحداد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا محمد بن أحمد بن الحسين، ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد، ثنا ابن المبارك، عن الربيع، عن أبى العالية، عن أبى بن كعب، قال: عليكم بالسبيل والسنة؛ فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وإن اقتصاداً فى سبيل وسنة، خير من اجتهاد فى اختلاف.(٣)

أخبرنا سعد الله بن على، نا الطريثيثى، نا هبة الله بن الحسين، نا عبد الواحد بن عبد العزيز، نا محمد بن أحمد الشرقى، ثنا عثمان بن أيوب، نا إسحاق بن إبراهيم المروزى، قال: ثنا أبو إسحاق الأقرع، قال: سمعت الحسن بن أبى جعفر يذكر عن أبى الصهباء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة ـ عبادة.(٤)

---

(١) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (١٠٢/٤) وأبو داود (٤٥٩٧) والدارمى (٢٥٢١) واللالكائى (١٥٠) والآجرى فى «الشريعة» (١٨) وابن أبى عاصم (١، ٢، ٦٥) والحاكم (١٢٨/١) وصححه الشيخ الألبانى فى «ظلال الجنة».

(٢) رواه الطبرانى فى «الكبير» (٨٧٧٠) ووكيع فى «الزهد» (٣١٥) والدارمى (٢١٧) واللالكائى (١٤)، (١٠٤) وأبو خيثمة فى «العلم» (٥٤) وأحمد فى «الزهد» (١٦٢) والحاكم (١٠٣/١) والبيهقى فى «الشعب» (٢٠٢٤) وفى «المدخل» (٢٠٤).

(٣) رواه ابن المبارك فى «الزهد» (٢١/٢ـ٢٢) وابن بطة فى «الإبانة» (٢٧/١) واللالكائى (١٠) وأبو نعيم فى «الحلية» (٢٥٢/١ـ٢٥٣).

(٤) رواه اللالكائى فى «السنة» (١١) من طريق الحسن بن أبى جعفر وهو ضعيف.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، قال: نا أحمد بن أحمد، نا أبو نعيم الأصبهانى، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا بشر بن موسى، ثنا الحميدى، قال: أنبأنا سفيان بن عيينة، قال: سمعت عاصماً الأحول يحدث عن أبى العالية، قال: عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا ـ قال عاصم: فحدثت به الحسن، فقال: قد نصحك والله وصدقك.(١)

أخبرنا محمد بن عبد الباقى، نا أحمد بن أحمد، قال: نا أحمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن، أنبأنا بشر بن موسى، نا معاوية بن عمرو، نا أبو إسحاق الفزارى، قال: قال الأوزاعى: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم.(٢)

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا أحمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا محمد بن عبد الله بن أسلم، أنبأنا محمد بن منصور الهروى، ثنا عبد الله بن عروة، قال: : سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعى، قال: رأيت رب العزة فى المنام، فقال لى يا عبد الرحمن: أنت الذى تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فقلت: بفضلك يا رب، وقلت: يا رب أمتنى على الإسلام، فقال: وعلى السنة.(٣)

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، أنبأنا أحمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا إبراهيم بن أبى عبد الله، ثنا محمد بن إسحاق، سمعت أبا همام السكونى يقول: حدثنى أبى، قال: سمعت سفيان يقول: لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة.(٤)

أخبرنا محمد، نا أحمد أبو نعيم، أنبأنا محمد بن على، ثنا عمرو بن عبدويه، ثنا أحمد بن إسحاق، ثنا عبد الرحمن بن عفان، قال: ثنا يوسف بن أسباط، قال: قال

---

(١) رواه اللالكائى (١٧، ٢١٤) والمروزى فى «السنة» (٨) من طريق حماد بن زيد عن عاصم به مطولاً ورواه عبد الرزاق (٢٠٧٥٨) بدون ذكر الحسن.ورواه ابن بطة (٢١/١) والآجرى (١٣/١ـ١٤).

(٢) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١٤٣/٦ـ١٤٤) من طريق محمد بن أحمد بن الحسن عنه.

(٣) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١٤٢/٦ـ١٤٣) من طريق محمد بن عبد الله بن أسلم عنه.

(٤) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٣٢/٧)واللالكائى (٢٠)عن سعيد بن جبير وذكره الذهبى فى «الميزان» (٩٠/١)عن ابن مسعود، وعقب عليه بقوله: وهذا إنما هو من قول الثورى. قلت: وروى نحوه اللالكائى (١٨)عن الحسن، وأبو نعيم فى «الحلية» (١٤٣/٦ـ١٤٤)عن الأوزاعى.

سفيان: يا يوسف، إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة، فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة، فابعث إليه بالسلام، فقد قل أهل السنة والجماعة.[١]

أخبرنا سعد الله بن على، نا أحمد بن على الطريثيثى، نا هبة الله بن الحسين الطبرى، نا محمد بن عبد الرحمن، نا البغوى، نا محمد بن زياد البلدى، ثنا أبو أسامة، عن حماد بن زيد، قال أيوب: إنى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفقد بعض أعضائى.[٢]وبه قال الطبرى.

وأخبرنا الحسين بن أحمد، ثنا عبد الله اليزدجرى، ثنا عبد الله بن وهب،ثنا إسماعيل بن أبى خالد، قال: ثنا أيوب بن سويد، عن عبد الله بن شوذب،عن أيوب، قال: قال: إن من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة.[٣]

قال الطبرى: وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون، ثنا جعفر بن محمد بن نصير،ثنا أحمد بن محمد بن مسروق، ثنا محمد بن هارون أبو نشيط، ثنا أبو عمير بن النحاس، ثنا ضمرة عن ابن شوذب، قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك ـ أن يؤاخى صاحب سنة يحمله عليها.[٤]

قال الطبرى: وأخبرنا عيسى بن على، ثنا البغوى، ثنا محمد بن هارون، ثنا سعيد بن شبيب، قال: سمعت يوسف بن أسباط، يقول: كان أبى قدرياً، وأخوالى روافض؛ فأنقذنى الله بسفيان.[٥]

---

(١) رواه اللالكائى (٥٠) وأبو نعيم (٧ / ٣٤) من طريق عبد الرحمن بن عفان.
تنبيه: وقع عند اللالكائى عبد الرحمن بن عثمان بدلاً من (عفان) ولعله خطأ مطبعى.

(٢) رواه اللالكائى (٢٩) تنبيه: وقع عند اللالكائى عبد الله بن محمد البغوى بدلاً من محمد بن عبد الرحمن أخبرنا البغوى. ولعله خطأ وقع فيه محقق «شرح السنة» عفا الله عنا وعنه.وقد رواه أبو نعيم (٩/٣) عن أبى أسامة.

(٣) رواه اللالكائى (٣٠) من طريق اليزدجرى.

(٤) إسناده فيه أحمد بن مسروق وهو ليس بالقوى. راجع الميزان (١/١٥٠)وقد رواه من طريقه اللالكائى (٣١) وابن بطة فى «الإبانة» (١ / ٧).

(٥) رواه اللالكائى (٣٢) وفى إسناده عندهما أحمد بن العباس الهاشمى قال الدارقطنى: متروك.

قال الطبرى: وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص، نا عبد الله بن عدى، ثنى أحمد بن العباس الهاشمى، ثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: سمعت معتمر بن سليمان يقول: دخلت على أبى وأنا منكسر فقال لى: مالك؟ قلت: مات صديق لى، فقال: مات على السنة؟ قلت: نعم؟! قال: تحزن عليه؟! (١)

قال الطبرى: وأخبرنا أحمد بن عبد الله، نا محمد بن الحسين، ثنا أحمد بن زهير، ثنا يعقوب بن كعب، ثنا عبدة، ثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثورى، قال: استوصوا بأهل السنة خيراً؛ فانهم غرباء.(٢)

أخبرنا أبو منصور بن حيرون، نا إسماعيل بن أبى الفضل الإسماعيلى، نا حمزة بن يوسف السهمى، نا عبد الله بن على الحافظ، نا أبو عوانة، ثنا جعفر بن عبد الواحد، قال: قال لنا ابن أبى بكر بن عياش: السنة فى الإسلام أعز من الإسلام فى سائر الأديان. (٣)

سمعت أبا عبد الله الحسين بن على المقرى يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندرانى يقول: سمعت أبا منصور محمد الأزدى يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول: سمعت أحمد بن منصور يقول: سمعت الحسن بن محمد الطبرى يقول: سمعت محمد بن المغيرة يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سمعت الشافعى يقول: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث؛ فكأنى رأيت رجلاً من أصحاب النبى ﷺ. (٤)

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا أحمد أبو نعيم، أخبرنى جعفر الخلدى فى كتابه، قال: سمعت الجنيد يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه. (٥)

---

(١) رواه اللالكائى (٦١).
(٢) رواه اللالكائى (٤٩).
(٣) رواه اللالكائى (٥٤) وفيه جعفر بن عبد الواحد عندهما قال الدارقطنى: يضع الحديث.
(٤) رواه الخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (ص ٤٦) من طريق ابن خزيمة عن يونس به.
(٥) رواه أبو نعيم فى الحلية (١٠/٢٥٧).

أخبرنا عمر بن ظفر، نا جعفر بن محمد، نا عبد العزيز بن على الأزجي، نا على بن عبد الله بن جهضم، نا محمد بن حابان، قال: سمعت حامد بن إبراهيم يقول: قال الجنيد بن محمد: الطريق إلى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسنته. كما قال الله عز وجل: ﴿لقد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب:٢١].

❀❀❀❀❀❀

الباب الثاني

في ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني قال: أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب، نا أبو بكر أحمد بن حمدان، نا أبو عبد الله بن حنبل قال: أخبرنى أبى، ثنا يزيد، عن إبراهيم بن سعد، أخبرنى أبى، وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردى، وأبو سعد البغدادى قالا: نا المطهر بن عبد الواحد، نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان، نا محمد بن إبراهيم الحروزى، ثنا لوين، ثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث فى أمرنا ما ليس فيه فهو رد».[1]

أخبرنا موهوب بن أحمد، نا على بن أحمد البسرى، ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، ثنا عبد الله بن محمد البغوى، ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى، وإسحاق بن إبراهيم المروزى قالا: ثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».[2]

قال البغوى: وحدثنا عبد الأعلى بن حماد، ثنا عبد العزيز، عن عبد الواحد بن أبى عون، عن سعد بن إبراهيم، عن القاسم، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد». أخرجاه فى الصحيحين.[3]

أخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن على، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى ثنا هشيم، عن حصين بن عبد الرحمن، ومغيرة الضبى، عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو، عن النبى ﷺ أنه قال: «من رغب عن سنتى فليس منى»[4]

---

(١) ، (٢) ، (٣) أخرجه البخارى (٢٦٩٧) وفى «خلق أفعال العباد» (ص ٤٣) ومسلم (١٧١٨) وأبو عوانة (١٨/٤، ١٩) وأبو داود (٤٦٠٦) وابن ماجه (١٤) والطيالسى (١٤٢٢) وابن أبى عاصم (٥٢_٥٣) واللالكائى (١٩٠ _١٩١) وابن حبان (٢٦_٢٧) والقضاعى (٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١) والدار قطنى (٢٢٤/٤، ٢٢٥، ٢٢٧) والبيهقى (١١٩/١٠) والبغوى (١٠٣) وأحمد (٧٣/٦، ٢٤٠، ٢٧٠).

(٤) رواه البخارى (٥٠٥٢) ومسلم والنسائى (٢٠٩/٤) وابن أبى عاصم (٦٢) وأحمد (١٥٨/٢) والخطيب فى «الفقيه» (١٤٤/١) واللالكائى وابن أبى عاصم فقط. وجاء عن أنس بلفظ «أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبى ﷺ عن عمله ...، وفيه فمن رغب عن سنتى فليس منى» رواه البخارى (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) والنسائى (٦٠/٦) وابن حبان (١٤) واللالكائى (١٣٨) والبيهقى (٧٧/٧) والبغوى (٩٦).

انفرد بإخراجه البخارى. اخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، حدثنى أبى، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا ثور بن يزيد، ثنا خالد بن معدان، حدثنى عبد الرحمن بن عمرو السلمى، وحجر بن حجر، قالا: أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾، فسلمنا وقلنا، أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال عرباض: صلى بنا رسول اللهﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة: ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع؛ فماذا تعهد إلينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتى، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ـ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.(١)

أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا عبد الله بن الوليد، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبى وائل، عن ابن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: «أنا فرّطكم على الحوض، وليختلجن رجال دونى؛ فأقول: يارب، أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك»، أخرجاه فى الصحيحين.(٢)

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا أحمد بن محمد، نا أبو نعيم، ثنا أحمد بن إسحاق، ثنا عبد الله بن سليمان، ثنا محمد بن يحيى، ثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعى، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى، عن عبد الله بن محرز قال: يذهب الدين: سنة، سنة، كما يذهب الحبل: قوة، قوة.(٣)

---

(١) **(صحيح)** ـ رواه الطبرى فى «تفسيره» (٢١٢/١٠) وأحمد (١٢٦/٤ـ ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣، ٤٤) والدارمى (٩٥) والطحاوى فى «المشكل» (٦٩/٢) وابن أبى عاصم (٢٧، ٥٢، ٥٤، ٥٧) والآجرى فى «الشريعة» (ص ٤٦) واللالكائى (٧٩، ٨٠، ٨١) وابن حبان (٥)والحاكم (٩٥/١) وفى «المدخل» (ص٨٠) وابن عبد البر فى «بيان العلم» (ص٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥١) والبيهقى (٥٤١/٦)وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

(٢) رواه البخارى(٦٥٧٥، ٦٥٧٦، ٧٠٤٩)ومسلم(٢٢٩٧)وأحمد(٤٥٣/١ـ٣٨٤ـ٤٠٦ـ٤٢٥ـ ٤٥٥) وابن خزيمة (٦) والبيهقى (٧٨/٤). ورواه البخارى (٧٠٥٠) ومسلم (٢٢٩٠) وأحمد (٣٣٣/٥) عن سهل بن سعيد. ورواه البخارى ومسلم (٢٢٨٩) وأحمد (٣١٣/٤) عن جندب. ورواه البخارى (٢٢٩١) عن أبى سعيد. ومسلم (٢٢٩٥) عن أم سلمة وعن عائشة (٢٢٩٤) وعمرو بن العاص (٢٢٩٢).

(٣) رواه الدارمى (٩٧)واللالكائى (١٢٧) وابن وضاح فى «البدع والنهى عنها» (٦٦).

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، نا عمر بن عبد الله البقال، نا أبو الحسين بن بشران، ثنا عثمان بن أحمد الدقاق، ثنا حنبل قال: حدثنى أبو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، قال: كان طاوس جالساً وعنده ابنه، فجاء رجل من المعتزلة، فتكلم فى شئ، فأدخل طاوس أصبعيه فى أذنيه، وقال: يا بنى، أدخل أصبعيك فى أذنيك؛ حتى لا تسمع من قوله شيئاً؛ فإن هذا القلب ضعيف، ثم قال: أى بنى، أسدد، فما زال يقول: اسدد؛ حتى قام الآخر.[١]

قال حنبل: وحدثنا محمد بن داود، ثنا عيسى بن على الضبى، قال: كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم،فبلغ إبراهيم أنه قد دخل فى الإرجاء؛ فقال له إبراهيم: إذا قمت من عندنا فلا تعد. قال حنبل: وحدثنا محمد بن داود الحدائى، قال: قلت لسفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم فى القدر ـ يعنى إبراهيم بن أبى يحيى ـ فقال سفيان: عّرفوا الناس أمره، وسلوا الله لى العافية، قال حنبل: وحدثنا سعدويه، ثنا صالح المرى، قال: دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد، ففتح بابا من أبواب القدر، فتكلم فيه، فقال ابن سيرين: إما أن تقوم، وإما أن نقوم.[٢]

أخبرنا المحمدان ابن ناصر، وابن عبد الباقى قالا: نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو بكر بن راشد، ثنا إبراهيم بن سعيد بن عامر، عن سلام بن أبى مطيع، قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب: أكلمك بكلمة؟ قال: لا، ولا نصف كلمة.[٣]

قال ابن راشد: وحدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا يحيى بن يمان، عن مخلد بن حسين، عن هشام بن حسان، عن أيوب السختيانى قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله عز وجل بعداً.[٤]

أخبرنا أبو البركات بن على البزاز نا الطريثيثى، نا هبة الله بن الحصين، نا عيسى بن على، نا البغوى، نا أبو سعيد الأشج، نا يحيى بن اليمان، قال: سمعت سفيان الثورى قال: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية: المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.[٥]

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢٠٠٩٩) واللالكائى (٢٤٨) وابن بطه (١ / ٤٠).
(٢) رواه الدارمى (٣٩٧) بنحوه.
(٣) رواه الدارمى (٣٩٨) واللالكائى (٢٩١) والآجرى (٥٧/١) وابن بطة (٤٠/١) وأبو نعيم (٩/٣).
(٤) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٣ / ٩) من طريق ابن راشديه.
(٥) رواه اللالكائى (٢٣٨) وأبو نعيم (٧ / ٢٦) من طريق يحيى بن يمان.

أخبرنا ـن أبى القاسم، نا أحمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا سليمان بن أحمد، ـ الحسين بن على، ثنا محمود بن غيلان، ثنا مؤمل بن إسماعيل، قال: مات عبد العزيز بن أبى داود، وكنت فى جنازته حتى وضع عند باب الصفا، فصف الناس، وجاء الثورى، فقال الناس: جاء الثورى، فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه، فجاوز الجنازة ولم يصل عليه؛ لأنه كان يرمى بالإرجاء.(١)

أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصارى، نا عبد اللّه بن أحمد السمرقندى، نا أحمد بن ثابت، نا أحمد بن روح النهروانى، ثنا طلحة بن أحمد الصوفى، ثنا محمد بن أحمد بن أبى مهزول، قال: سمعت أحمد بن عبد اللّه يقول: سمعت شعيب بن حرب يقول: سمعت سفيان الثورى يقول: من سمع من مبتدع لم ينفعه اللّه بما سمع، ومن صافحه فقد نقض الإسلام: عروة، عروة.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا أحمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد اللّه الأصفهانى، ثنا إسماعيل بن أحمد، نا عبد اللّه بن محمد، ثنا سعيد الكريزى، قال: مرض سليمان التيمى، فبكى فى مرضه بكاء شديداً، فقيل له: ما يبكيك، أتجزع من الموت؟ قال: لا، ولكنى مررت على قدرى، فسلمت عليه؛ فأخاف أن يحاسبنى ربى عليه.(٢)

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا: أخبرنا أبو محمد الصريفينى، نا أبو بكر بن عبدان، نا محمد بن الحسين البائع، ثنى أبى، ثنا محمد بن بكر، قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من جلس إلى صاحب بدعة؛ فاحذروه.(٣)

أخبرنا ابن عبد الباقى، نا أحمد بن أحمد، نا أبو نعيم، ثنا سليمان بن أحمد، ثنا محمد بن النضر، ثنا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من أحب صاحب بدعة أحبط اللّه عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه.(٤)

أخبرنا محمد بن عبد الباقى، نا أحمد بن عبد اللّه الحافظ، ثنا محمد بن على، ثنا عبد الصمد، قال: سمعت الفضيل يقول: إذا رأيت مبتدعاً فى طريق فخذ فى طريق

---

(١) رواه أبو نعيم (٧ / ٢٩) والعقيلى فى «الضعفاء» (٣ / ٦) من طريق محمود بن غيلان.
(٢) رواه أبو نعيم (٣ / ٣٢) من طريق سعيد الكريزى به.
ورواه أيضاً (٧ / ٣٣ ـ ٣٤) من طريق محمد بن عبد النور.
(٣) رواه اللالكائى (٢٦١) وأبو نعيم (٨ / ١٠٣ ـ ١٠٤).
(٤) رواه اللالكائى (٢٦٣) وأبو نعيم (٨ / ١٠٣).

آخر، ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام[١] وسمعت رجلا يقول للفضيل: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها، فقال له الفضيل: من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيئاته[٢] ، قال المصنف: وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعاً.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» [٣] وقال محمد بن النضير الحارثى: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة، ووكل إلى نفسه[٤] . وقال إبراهيم: سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابنى يقول: سمعت على بن عيسى يقول: سمعت محمد بن إسحاق يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال صاحبنا ـ يعنى الليث بن سعد ـ لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته، فقال الشافعى: إنه ما قصر لو رأيته يمشى على الهواء ما قبلته[٥] . وعن بشر بن الحارث أنه قال: جاء موت هذا الذى يقال له المريسى وأنا فى السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكراً، الحمد لله الذى أماته، هكذا قالوا.

قال المصنف: حدثت عن أبى بكر الخلال عن المروزى عن محمد بن سهل البخارى قال: كنا عند القربانى فجعل يذكر أهل البدع، فقال له رجل: لو حدثتنا كان أعجب إلينا، فغضب، وقال: كلامى فى أهل البدع أحب إلىّ من عبادة ستين سنة.

---

(١) رواه اللالكائى (٢٥٩) والآجرى (١ / ٦٤) عن يحيى بن أبى كثير. ورواه اللالكائى (٢٧٢) عن الفضيل مختصراً وكذا أبو نعيم (٨ / ١٠٣).

(٢) رواه أبو نعيم (٨ / ١٠٣).

(٣) **(ضعيف)** ـ رواه ابن عدى فى «الكامل» (٣٢٤/٢) وابن حبان فى «المجروحين» (٢٣٥/١ـ٢٣٦) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٤٥٦/٢٦) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (٢٧٠/١) وأبو نعيم (٢١٨/٥، ٩٧/٦) عن عبد الله بن بسر. ورواه ابن عدى (٦٥/٢) وابن الجوزى (٢٧١) عن ابن عباس. ورواه أبو نعيم (٩٧/٦) وابن عساكر عن معاذ بلفظ: **«من مشى إلى صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»** . ورواه اللالكائى (٢٧٣) عن إبراهيم بن ميسرة موقوفاً. والحديث ضعفه الشيخ الألبانى فى «الضعيفة» (١٨٦٢).

(٤) رواه اللالكائى (٢٥٢) وابن بطه (١ / ٤٢) ورواه أبو نعيم (٧ / ٢٦) عن سفيان.

(٥) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٩ / ١١٦).

ذم البدع والمبتدعين

فإن قال قائل: قد مدحت السنة، وذممت البدعة،فما السنة ، وما البدعة؟ فإنا نرى أن كل مبتدع فى زمننا يزعم أنه من أهل السنة (فالجواب)أن السنة فى اللغة الطريق[١] ولا ريب فى أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثارأصحابة هم أهل السنة؛ لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث: وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺوأصحابه.

والبدعة: عبارة عن فعل لم يكن فابتدع، والأغلب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة، وتوجب التعاطى عليها: بزيادة، أو نقصان[٢].فإن ابتداع شئ لا يخالف الشريعة، ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه، وكانوا ينفرون من كل مبتدع، وإن كان جائزاً؛ حفظاً للأصل وهو الاتباع. وقد قال زيد بن ثابت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، حين قالا له: اجمع القرآن:كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟.

وأخبرنا محمد بن على بن أبى عمر قال: أخبرنا على بن الحسين، نا ابن شاذان نا أبو سهل، نا أحمد البرنى ثنا أبو حذيفة، ثنا سفيان عن ابن عجلان عن عبد الله ابن أبى سلمة، أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول: لبيك ذا المعارج، فقال:ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ.

وأخبرنا محمد بن أبى القاسم بإسناد يرفعه إلى أبى البحترى، قال: أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوماً يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول:كبروا الله كذا وكذا،وسبحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا،قال عبد الله: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك؛فأتنى،فأخبرنى بمجلسهم،فأتاهم،فجلس فلما سمع ما يقولون قام، فأتى ابن مسعود فجاء، وكان رجلا حديداً، فقال: أنا عبد الله بن مسعود،والله الذى لا إله غيره، إما إنكم جئتم ببدعة ظلماً أو لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً. فقال عمرو بن عتبة: استغفر الله، فقال: عليكم بالطريق فالزموه، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لتضلن ضلالا بعيداً.[٣]

---

(١) بالنسبة لتعريف السنة فى اللغة والفقه والحديث راجع رسالتنا «بذل الهمة فى تعريف السنة» فقد فصلنا القول هناك فراجعها غير مأمور.

(٢) تعريف البدعة راجع رسالتنا السابقة الذكر .

(٣) رواه الدارمى (٢٠٤) أطول من هذا، والرجل الذى ذهب إلى ابن مسعود هو أبو موسى الأشعرى، وهذا الآثر فى غاية الجلال فهو غذير الفوائد عظيم النفع فراجعه يرحمك الله.

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، عن أبي محمد الجوهري، عن أبي عمر بن أبي حياة، ثنا أحمد بن معروف، ثنا الحسين بن فهم، ثنا محمد بن سعد، ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى، ثنا ابن عوف، قال: كنا عند إبراهيم النخعى، فجاء رجل، فقال: يا أبا عمران، ادع الله أن يشفيني، فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة؛ حتى عرفنا كراهية ذلك فى وجهه.

وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها، وذكر ما أحدثه الناس فكرهه.

وقال فيه: أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقى، نا أحمد، نا أبو نعيم: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن ريان يقول: سمعت ذا النون، وجاءه أصحاب الحديث، فسألوه عن الخطرات والوساوس، فقال: أنا لا أتكلم فى شئ من هذا فإن هذا محدث، سلونى عن شئ فى الصلاة أو الحديث، ورأى ذو النون على خفاً أحمر، فقال: انزع هذا يا بنى؛ فانه شهرة، ما لبسه رسول الله ﷺ، إنما لبس أسودين ساذجين.[(١)]

لزوم طريق أهل السنة

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: قد بيّنا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة، وإن لم يكن بها بأس، لئلا يحدثوا ما لم يكن، وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة، ولا يتعاطى عليها؛ فلم يروا بفعلها بأساً كما روى أن الناس كانوا يصلون فى رمضان وحدانا، وكان الرجل يصلى، فيصلى بصلاته الجماعة، فجمعهم عمر بن الخطاب على أبى بن كعب رضى الله عنه، فلما خرج فرآهم قال: نعمت البدعة[(٢)] هذه؛ لأن صلاة الجماعة مشروعة، وإنما قال الحسن فى القصص: نعمت البدعة، كم من أخ يستفاد، ودعوة مستجابة. لأن الوعظ مشروع، ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم. فأما إذا كانت البدعة كالمتمم، فقد اعتقد نقص الشريعة. وإن كانت مضادة فهى أعظم.

---

(١) **(صحيح)** ـ رواه برمته أبو نعيم فى « الحلية » (٩ / ٣٩٣).
أما الحديث فقد رواه أبو داود (١٥٥) والترمذى (٢٨٢١) وفى « الشمائل » (٥٨) وابن ماجه (٣٦٢٠) وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ» (ص١٣٣) عن بريدة أن النجاشى أهدى النبى ﷺ خفين أسودين ساذجين، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح أبى داود» (١٤٤) ومختصر الشمائل (٥٨). ومعنى ساذجين: أى خالصين فى السواد.

(٢) حديث « جمع عمر الناس على صلاة التراويح ...».
رواه مالك (ص٤٩٣) والبخارى (٢٠١٠) وابن خزيمة (٢٢٠٧) والبيهقى (٢ / ٤٩٣) عن عائشة رضى الله عنها. ورواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة. وقوله «نعمة البدعة هذه» أى البدعة اللغوية، وليست الشرعية، وإلا فمعاذ الله أن يبتدع عمر فى دين الله وهو من أشد الناس محاربة للبدع، وراجع «فتح البارى» (٤ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون، وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل،ولا مستند له؛ ولهذا استتروا ببدعتهم، ولم يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة، ومذهبهم مشهور، والعاقبة لهم.

أخبرناهبة الله بن محمد، نا الحسن بن على التميمى، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد قال: ثنى أبى، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «لا يزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»فى الصحيحين. (١)

أخبرناهبة الله الحسن بن على، نا ابن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى قال: ثنا يوسف، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن أبى أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك»انفرد به مسلم (٢).

وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺمعاوية، وجابر بن عبد الله، وقرة (٣).

أخبرناالكروخى النورجى، والأزدى قالا: نا الحراجى، ثنا المحبوبى، ثنا الترمذى قال: قال: محمد بن إسماعيل، قال على بن المدينى: هم أصحاب الحديث. (٤)

---

(١)رواه البخارى (٣٦٤٠_٧٣١١_٧٤٥٩) ومسلم (١٩٢١) والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/٩٥٩،٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢) واللالكائى (١٦٧) وأحمد (٤ / ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢).

(٢)رواه مسلم (١٩٢٠) وأبو داود (٤٢٥٢) والترمذى (٢٢٣٠) والقضاعى (٩١٤) والبيهقى فى «الدلائل» (٥٢٧/٦) وأحمد (٥ / ٢٧٨ ، ٢٧٩).

(٣)رواه البخارى (٣٤٦١_٧٣١٢_٧٤٦٠) ومسلم (١٠٣٧) واللالكائى (١٦٦) وأحمد (١٠١/٤) عن معاوية. ورواه مسلم (١٩٢٣) وأبو عوانة (١٠٦/١) وابن منده فى «الإيمان» (٤١٨) وابن الجارود (١٠٣١) والخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (٥١) عن جابر بن عبد الله ورواه مسلم (١٩٢٤)= والقضاعى (٩١٣) والحاكم (٤٤٩/٤) عن عقبة بن عامر.
ورواه مسلم (١٩٢٥) واللالكائى (١٧٠) عن سعد بن أبى وقاص. ورواه مسلم (١٧٤) عن جابر بن سمرة. ورواه أحمد (٤٣٧/٤) وأبو داود (٢٤٨٤) واللالكائى (١٦٩) والحاكم (٤٥٠/٤) والخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (٤٦) عن عمران بن حصين. ورواه أحمد (٣٦٩/٤) وعبد بن حميد (٢٦٨) عن زيد بن أرقم.

(٤)قال البخارى فى صحيحه «كتاب» الاعتصام باب قول النبى ﷺلا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون» قال: هم أصحاب الحديث. وقد رواه الترمذى (٢١٩٢_٢٢٢٩) والخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٧) وأخرج الحاكم فى «علوم الحديث» (ص٣) عن أحمد قال: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم.
وقال الحافظ فى «الفتح» (٢٥٠/١٣): سنده عند الحاكم صحيح. وروى الخطيب فى «شرف الحديث» (ص٢٧) عن على بن المدينى أنه قال: «هم أصحاب الحديث». ورواه الخطيب أيضاً (ص٢٦) عن يزيد بن هارون مثله. عن ابن المبارك وأحمد بن سنان.

انقســـام أهــل البـــدع

أخبرنا عبد الملك الكروخى، نا أبو عامر الأزدى، وأبو بكر النورجى قالا: نا الجراحى، ثنا المحبوبى،ثنا الترمذى، ثنا الحسين بن حريث، ثنا الفضل بن موسى،عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول اللهﷺ: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة**» ـ قال الترمذى: هذا حديث صحيح.[١]

قال المصنف: وقد ذكرنا هذا الحديث فى الباب الذى قبله، وفيه:«**كلهم فى النار إلا ملة واحدة» قالوا: من هى يا رسول الله؟. قال:«ما أنا عليه وأصحابى»**.

أخبرنا ابن الحسين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، قال: ثنى أبى، ثنا حسن، ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن زيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن رسول اللهﷺ قال:«**إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة، وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة، يهلك إحدى وسبعون، وتخلص فرقة**»، قالوا يارسول الله، ما تلك الفرقة؟ قال:«**الجماعة**»[٢].

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: فإن قيل: وهل هذه الفرق معروفة؟

فالجواب: إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق، وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق، وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها وقدظهر لنا من أصول الفرق: الحرورى[٣]، والقدرية[٤]، والجهمية[٥] والمرجئة[٦]، والرافضة[٧]، والجبرية[٨]. وقد قال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الستة، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتى عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة.

---

(١) رواه أحمد (٣٣٢/٢) وأبو داود (٤٥٩٦) والترمذى (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩١) وابن حبان (١٨٣٤) موارد ـ والحاكم (١٢٨/١) والآجرى فى «الشريعة» (١٨) والبغدادى فى «الفرق بين الفرق» (١)وله شاهد من حديث أنس وغيره، وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٢٠٣).

(٢) رواه أحمد(١٤٥/٣)وابن ماجه (٣٩٩٣)وابن أبى عاصم (٦٤)والآجرى (١٦، ١٧)واللالكائى (١٤٨) والبغدادى فى «الفرق بين الفرق» (٣) والخطيب فى «شرف الحديث» (٤٠ـ٤١) وهو صحيح بما قبله.

(٣) الحرورية: نسبة إلى حروراء بلدة على ميلين من الكوفة ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج (حرورى) لأن أول فرقة منهم خرجوا على على بن أبى طالب رضى الله عنه بالبلدة المذكورة، فاشتهروا بالنسبة إليها وهم فرق كثيرة ومن أصولهم المتفق عليها بينهم الأخذ بما دل عليه القرآن ورد ما زاد عليه من الحديث مطلقا.

(٤) القدرية: الذين يثبتون القدر ـ والمعتزلة يطلقون هذا الاسم على الجبرية لأنهم يثبتون القدر لله دون الإنسان ـ والجبرية يطلقون على المعتزلة لأنهم يثبتون القدر للإنسان.

(٥) الجهمية: اتباع جهم بن صفوان ـ وهم القائلون بالجبر المحض.

(٦) المرجئة: القائلون بتأخير العمل عن الإيمان وفصله عنه وبأنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

(٧) الرافضة : أصل الكلمة جاءت من الشيعة الذين طلبوا من زيد بن على أن يتبرأ من الشيخين ـ أبى بكر وعمر ـ فقال: لقد كانا وزيرى جدى فلا أتبرأ منهما فرفضوه وتفرقوا عنه.

(٨) الجبرية: هم عدة فرق إسلامية، يجمعها: نفى أن يكون الإنسان خالقا لأفعاله ويميز بينها: التفاوت فى الموقف الجبرى.

وانقسمت الحرورية اثنتى عشرة فرقة: فأولهم (الأزرقية) [١] قالوا: لا نعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم و(الأباضية) [٢] قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فهو منافق و(الثعلبية) [٣] قالوا: إن الله لم يقض،ولم يقدر، و(الحازمية) [٤] قالوا: ما ندرى ما الإيمان، والخلق كلهم معذورن،و(الخلفية) [٥] زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر، و(المكرمية) [٦] قالوا: ليس لأحد أن يمس أحداً، لأنه لا يعرف الطاهر من النجس، ولا أن يؤاكله، حتى يتوب ويغتسل، و(الكنزية) قالوا: لا ينبغى لأحد أن يعطى ماله أحداً؛ لأنه ربما لم يكن مستحقاً، بل يكنزه فى الأرض حتى يظهر أهل الحق، و(الشمراخية) قالوا: لا بأس بمس النساء الأجانب؛ لأنهن رياحين، و(الأخنسية) [٧] قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خير، ولا شر و(المحكمية) قالوا: إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر، و(المعتزلة) من الحرورية قالوا: اشتبه علينا أمر على ومعاوية؛ فنحن نتبرأ من الفريقين، و(الميمونية) [٨] قالوا: لا إمام إلا برضا أهل محبتنا.

وانقسمت القدرية اثنتى عشرة فرقة: (الأحمرية) وهى التى زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم، ويحول بينهم وبين معاصيهم، و(الثنوية) وهى التى زعمت أن الخير من الله، والشر من إبليس، و(المعتزلة) هم الذين قالوا بخلق القرآن، وجحدوا الرؤية، و(الكيسانية) هم الذين قالوا: لا ندرى هذه الأفعال من الله، أم من

---

(١) الأزرقية: من الخوارج . أتباع أبى راشد نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى، وهم أول انشقاق فى فرقة الخوارج . يتبرؤن من «القعدة» ويكفرون من لم يهاجر إلى مواطنهم ومعسكراتهم. ويرون كل كبيرة كفرا، ودار مخالفيهم دار كفر .

(٢) الإباضية: من فرق الخوارج ينسبون إلى عبد الله بن إباض ومقالاتهم معتدلة إذا ما قيسوا بالخوارج الأزارقة أو الخوارج النجدات.

(٣) الثعلبية أو الثعالبة: من الخوارج العجاردة ـ أتباع أبى ثعلبة ـ قالوا ليس للأطفال عامة ولاية ولا عداوة ولا براءة ، حتى يبلغوا فيدعون إلى الإسلام فيقرون أو ينكرون.

(٤) الحازمية: فرقة من فرق الخوارج، ينسبون إلى حازم بن عاصم.

(٥) لخلقية: فرقة من فرق الخوارج، ينسبون إلى خلف الخارجى.

(٦) المكرمية: فرقة من فرق الخوارج، ينسبون إلى مكرم العجلى. قالوا: تارك الصلاة كافر لجهله بالله وكذا كل كبيرة كفر.

(٧) الأخنسية: من فرق الخوارج العجاردة وهم انشقاق عن الخوارج الثعالبة ـ سموا باسم زعيمهم ـ الأخنس بن فليس ـ يحكمون «بالتوقف» عن جميع أهل دار «التقية» سوى من عرفواإيمانه أو كفره، ويحرمون الإغتيال، والقتل سراً، والبدء بالقتال دون دعوة.

(٨) الميمونة: من فرق الخوارج العجاردة ينسبون إلى ميمون بن عمران ـ يقولون بالقدر ، والاستطاعة قبل الفعل والله يريد الخير دون الشر ولا يريد المعاصى.

العباد ولانعلم أيثاب الناس بعد الموت، أو يعاقبون(١)و(الشيطانية) قالوا: إن الله لم يخلق شيطاناً(٢)، و(الشريكية) قالوا: إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر، و(الوهمية) قالوا : ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ، ولا للحسنة والسيئة ذات، و(الراوندية) قالوا :كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق: ناسخاً كان ، أو منسوخاً(٣)، و(البترية) زعموا أن من عصى، ثم تاب لم تقبل توبته(٤)؛ و(الناكثية) زعموا أن من نكث بيعة رسول الله ﷺ فلا إثم عليه و(القاسطية) فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها، و(النظامية) تبعوا إبراهيم النظام في قوله: من زعم أن الله شئ فهو كافر.(٥)

وانقسمت الجهمية اثنتى عشرة فرقة: (المعطلة) زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر(٦)، و(المريسية)(٧) قالوا: أكثر صفات الله مخلوقة، و(الملتزمة)جعلوا البارى سبحانه وتعالى فى كل مكان، و(الواردية) قالوا: لا يدخل النار من عرف ربه، ومن دخلها لم يخرج منها أبداً. (الزنادقة) قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه رباً؛ لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله، وما لا يدرك لا يثبت، و(الحرقية) زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة، ثم يبقى محترقاً أبداً لا يجد حر النار، و(المخلوقية)زعموا أن القرآن مخلوق، و(الفانية)زعموا أن الجنة والنار تفنيان، ومنهم من قال: إنهما لم تخلقا، و(المغيرية) جحدوا الرسل، فقالوا: إنما هم حكام(٨)،و(الواقفية) قالوا: لا نقول إن القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق(٩)، و(القبرية) ينكرون عذاب القبر والشفاعة، و(اللفظية) قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق.

---

(١) الكيسانية: من فرق الشيعة أتباع كيسان، مولى على بن أبى طالب والإمامة عندهم فى محمد بن الحنفية.

(٢) الشيطانية: من فرق الرافضة أتباع محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطاقه، وكان من زمان جعفر الصادق.

(٣) الروندية: أتباع القاسم بن راوند، وهم من الشيعة العباسية، وهم يجعلون الإمامة – نصاً أو وراثة – فى بنى العباس.

(٤) البترية: من الشيعة الزيدية وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حى، وأصحاب كثير المنوى الملقب بالأبتر. وهم يفضلون على بن أبى طالب، وينكرون الرجعة.

(٥) النظامية: من فرق المعتزلة – ينسبون إلى إبراهيم بن سيار النظام.

(٦) المعطلة: مصطلح يطلقه أهل الإثبات، أى إثبات الصفات للذات الإلهية – بمعنى زيادتها عليها – على الذين ينفونها – بمعنى يوحدونها بها – إذ يرى المثبتون أن فى ذلك تعطيلاً لفعالية الذات الإلهية وفعلها.

(٧) المريسية: من المرجئة – ينسبون إلى بشر المرسى – قالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعاً.

(٨) المغيرية: من فرق الشيعة – بل من غلاة الشيعة – ينتمون إلى المغيرة بن سعيد البجلى، وهم مجسمة، ثاروا بالكوفة ضد بنى أمية سنة ١١٩ هـ فأحرقهم خالد القسرى.

(٩) الواقفية: من الشيعة الإمامية ينسبون إلى المفضل بن جعفر ويقولون إن موسى بن جعفر حى – وإنه هو المهدى.

وانقسمت المرجئة (١) اثنتى عشرة فرقة: (التاركية) قالوا: ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به؛ فمن آمن به، وعرفه فليفعل ما يشاء، والسائبية قالوا: إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاءوا، و(الراجية) قالوا: لا نسمى الطائع طائعاً، ولا العاصى عاصياً؛ لأنا لا ندرى ما له عند الله، و(الشاكية) قالوا: إن الطاعات ليست من الإيمان، و(البيهسية) قالوا: الإيمان علم، ومن لا يعلم الحق من الباطل، والحلال من الحرام فهو كافر (٢)، و(المنقوصية) قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، و(المستثنية) نفوا الاستثناء فى الإيمان و(المشبهة) يقولون: لله بصر كبصرى، ويد كيدى (٣)، و(الحشوية) جعلوا حكم الأحاديث كلها واحداً،فعندهم: إن تارك النفل كتارك الفرض (٤)..و(الظاهرية) وهم الذين نفوا القياس (٥)، و(البدعية) أول من ابتدع الأحداث فى هذه الأمة (٦).

وانقسمت الرافضة اثنتى عشرة فرقة: (العلوية) قالوا: إن الرسالة كانت إلى على، وإن جبريل أخطأ، و(الأمرية) قالوا: إن علياً شريك محمد ﷺ فى أمره، و(الشيعة) قالوا: إن علياً رضى الله عنه وصى رسول الله ﷺ ووليه من بعده، وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره و(الإسحاقية) قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة، وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبى (٧) و(الناووسية) قالوا: إن علياً أفضل الأمة، فمن فضل غيره عليه فقد كفر (٨)، و(الإمامية) قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين، وإن الإمام يعلمه جبرائيل، فإذا مات بدل مكانه مثله (٩) و(اليزيدية) قالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات؛ فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره: برهم، وفاجرهم (١٠)..

---

(١) المرجئة: لقبوا بذلك، لأنهم يرجئون العمل عن النية والاعتقاد أى يؤخرونه أو لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

(٢) البيهسية: من فرق الخرواج ينسبون إلى «أبى بيهس هيصم بن جابر ـ من بنى سعد».

(٣) المشبهة: هم الذين يثبتون لله صفات زائدة على الذات، على نحو ينفى التنزيه والتجريد عن الذات الإلهية، الأمر الذى يؤدى إلى التشبيه والتجسيد للذات الخالقة.

(٤) الحشوية: هم الذين قصرت بهم مداركهم عن مراتب فكر التنزيه والتجريد، بالنسبة للذات الإلهية، وذلك لتمسكهم بالظواهر، ومن ثم كانوا مشبهة مجسمة. والمعتزلة يطلقون هذه التسمية ـ [الحشوية ـ وأهل الحشو] على خصوم فكرهم العقلانى.

(٥) الظاهرية: ينسبون إلى أبى سليمان داود بن على الأصبهانى [٢٧٠هـ ـ ٨٨٣م] وهم يقفون عند ظواهر النصوص، وينكرون التأويل، ويرفضون الرأى والقياس.

(٦) البدعية: من الخوارج . وهم أتباع يحيى بن أصرم.

(٧) الإسحاقية: من غلاة الشيعة الكيسانية، يشركون على بن أبى طالب فى النبوة مع الرسول عليه الصلاة والسلام، ويقولون إن الله قد حل فى على.

(٨) الناووسية: من الشيعة الإمامية ـ ينسبون إلى عجلان بن ناووس ـ [أو عبد الله بن ناووس] من أهل البصرة ـ يقولون: إن جعفر بن محمد حى لم يمت وإنه هو المهدى.

(٩) الإمامية: هم الشيعة الذين قالوا بالنص والوصية على الأئمة من آل البيت ، وبالذات أبناء على من فاطمة.

(١٠) اليزيدية: من الخوارج الإباضية. ينسبون إلى يزيد بن أنيسة.

و(العباسية) زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره، و(المتناسخة) قالوا: إن الأرواح تتناسخ؛ فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه، ومن كان مسيئاً دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه، و(الرجعية) زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا، وينتقمون من أعدائهم، و(اللاعنية) الذين يلعنون عثمان، وطلحة والزبير، ومعاوية، وأبا موسى، وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم، و(المتربصة) تشبهوا بزى النساك، ونصبوا فى كل عصر رجلاً ينسبون الأمر إليه: يزعمون أنه مهدى هذه الأمة، فإذا مات نصبوا رجلاً آخر.

وانقسمت الجبرية اثنتى عشرة فرقة فمنهم: (المضطربة) قالوا: لا فعل للآدمى، بل الله عز وجل يفعل الكل، و(الأفعالية) قالوا: لنا أفعال، ولكن لا استطاعة لنا فيها، وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل، و(المفروغية) قالوا: كل الأشياء قد خلقت، والآن لا يخلق شئ، و(النجارية) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم(١)، و(المتانية) قالوا: عليك بما خطر بقلبك، فافعل ما توسمت به الخير، و(الكسبية) قالوا: لا يكسب العبد ثواباً، ولا عقاباً، و(السابقية) قالوا: من شاء فليفعل، ومن شاء لا يعمل؛ فإن السعيد لا تضره ذنوبه، والشقى لا ينفعه بره، و(الحبية) قالوا: من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان، والقيام بها(٢)، و(الخوفية) قالوا: إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه؛ لأن الحبيب لا يخاف حبيبه، و(الفكرية) قالوا: إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة، و(الخسية) قالوا: الدنيا بين العباد سواء: لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم، و(المعية) قالوا: منا الفعل ولنا الاستطاعة.



(١) النجارية: أصحاب محمد بن الحسين النجار، وافقوا أهل السنة فى الأفعال ،وأن الاستطاعة مع الفعل، والعبد مكتسب، ووافقوا المعتزلة فى نفى الصفات وحدوث الكلام وتفرقوا إلى ثلاث فرق وهم (البرغوثية ـ الزعفرانية ـ المستدركة).

(٢) الحبية: من المشبهة . سموا بذلك لقولهم: إنهم يعبدون الله حباً له ، لا خوفاً ولا طمعاً.
قلت: وعلى ذلك أكثر متصوفة هذه الأيام ولكن على جهل.

البـــابُ الثـــالث

في التحذير من فتن إبليس ومكايده

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه:

اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى، والشهوة؛ ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه الغضب؛ ليدفع به ما يؤذيه، وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام، وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٦٨-١٦٩]، وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[البقرة:٢٦٨]وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾[النساء:٦٠] وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة:٩١]، وقال تعالى: ﴿إنه عدو مضل مبين﴾. وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر:٦]، وقال تعالى: ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[لقمان:٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[يس:٦٠]، وفي القرآن من هذا كثير.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله:

وينبغي أن تعلم أن إبليس شغله التلبيس أول ما التبس عليه الأمر، فأعرض عن النص الصريح على السجود، فأخذ يفاضل بين الأصول فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[الأعراف:١٢]، ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم، فقال: ﴿أرأيت هذا الذي كرمت عليَّ﴾ والمعنى: أخبرني لم كرمته عليَّ، غرر ذلك الاعتراض أن الذي فعلته ليس بحكمة، ثم أتبع ذلك بالكبر فقال: ﴿أنا خير من﴾ ثم امتنع عن السجود، فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة، والعقاب، فمتى سول للإنسان أمراً فينبغي أن يحذر منه أشد الحذر، وليقل له حين أمره إياه بالسوء: إنما تريد بما تأمر به نصحي ببلوغي

شهوتى، وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه، كيف أثق بنصيحة عدو؟ فانصرف فما فيَّ لقولك منفذ، فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس؛ لأنه يحث على هواها، فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته؛ فيهزم عسكر الهوى والنفس.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، نا عاصم بن الحسن، نا أبو عمر بن مهدى، ثنا الحسين بن إسماعيل، ثنا زكريا بن يحيى، ثنا شامة بن سوار، ثنى المغيرة، عن مطرف بن الشخير، عن عياض بن حمار، قال: قال رسول اللهﷺ: «يا أيها الناس، إن الله تعالى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى فى يومى هذا: إن كل مال نحلته عبدى فهو له حلال،وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض؛ فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» (١).

أخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا يحيى بن سعيد ثنا هشام، ثنا قتادة، عن مطرف، عن عياض بن حمار أن النبىﷺ خطب ذات يوم، فقال فى خطبته: «إن ربى..» إلى آخر الحديث المتقدم (٢).

أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة: يجئ أحدهم، فيقول: فعلت كذا، وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجئ أحدهم، فيقول: ما تركته؛ حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، أو قال: فيلتزمه، ويقول: نعم أنت» (٣) وبه قال أحمد.

وحدثنا بو نعيم، ثنا سفيان، عن أبى الزبير، عن جابر رضى الله عنه يرفعه قال: «إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون،ولكن فى التحريش بينهم» (٤). قال المصنف: انفرد به البخارى، والذى قبله مسلم، وفى لفظ حديثه: «قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب».

---

(١) رواه أحمد (٤/١٦٢ـ ٢٦٦) ومسلم (٢٨٦٥).

(٢) رواه أحمد (٤/١٦٢ـ ٢٦٦) ومسلم (٢٨٦٥).

(٣) رواه أحمد (٣/٣١٤) ومسلم (٢٨١٣) وعبد بن حميد (١٠٣٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/٢٩).

(٤) رواه أحمد (٣/٣٦٦، ٣٨٤) ومسلم (٢٨١٢) والترمذى (١٩٣٧) وابن أبى عاصم (٨) والبغوى (٣٥٢٥) وأبونعيم (٨/٢٥٧).
تنبيه: قال المصنف رحمه الله: انفرد به البخارى، وتبعه على ذلك بعض ممن حققوا الكتاب قبلى! ولعل خطأ المؤلف أن حفظه قد خانه أو سبق قلم.

أنبأنا إسماعيل السمرقندى، نا عاصم بن الحسن، نا ابن بشران، نا ابن صفوان، نا أبو بكر القرشى، ثنى الحسين بن البسكن، ثنا المعلى بن أسد، ثنى عدى بن أبى عمارة، ثنا زياد النميرى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه، قال: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم؛ فإن ذكر الله خنس،وإن نسى الله التقم قلبه»[١]

أخبرنا محمد بن أبى منصور، نا عبد القادر،نا الحسن بن على التميمى، نا أبو بكر بن ملك،ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبى عبد الرحمن، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب،عن عمرو بن ميمون،عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال:إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر؛ ليفتنهم، فلم يستطع أن يفرق بينهم،فأتى حلقة يذكرون الدنيا، فأغرى بينهم؛ حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر، فحجزوا بينهم، فتفرقوا.[٢]

قال عبد الله: وحدثنى على بن مسلم، ثنا سيار، ثنا حبان الحريرى، ثنا سويد القناوى، عن قتادة رضى الله عنه قال: إن لإبليس شيطاناً يقال له: قبقب يجمه أربعين سنة، فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له: دونك إنما كنت أجمك، لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه.[٣]

قال سيار: وحدثنا جعفر، ثنا ثابت البنانى رضى الله عنه قال: بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام، فرأى عليه معاليق من كل شئ، فقال يحيى: ياإبليس، ما هذه المعاليق التى أرى عليك، قال: هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم، قال: فهل لى فيها من شئ، قال ربما شبعت، فثقلناك عن الصلاة، وثقلناك عن الذكر، قال: فهل غير ذلك، قال: لا والله قال: لله علىّ أن لا أملأ بطنى من طعام أبداً، قال إبليس: ولله علىّ أن لا أنصح مسلماً أبداً.[٤]

قال عبد الله بن أحمدثنا أبى،ثنا وكيع،ثنا الأعمش، عن حثيمة،عن الحارث بن قيس رضى الله عنه،قال: إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال: إنك ترائى؛فزدها طولا.

---

(١) **(ضعيف)** ـ رواه ابن عدى فى «الكامل» (١٠٤٤/٣) والبيهقى فى «الشعب» (٥٣٦) وأبو نعيم (٢٦٨/٦) ـ وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٤٩/٧): رواه أبو يعلى وفيه عدى بن أبى عمارة وهو ضعيف.وضعفه الشيخ الألبانى فى «الضعيفة» (١٣٦٧) و«ضعيف الجامع» (١٤٨٠).

(٢) **(إسناده ضعيف)**: رواه أحمد فى «الزهد» (ص ١٩٦) من طريق عطاء بن السائب وفيه ضعف .

(٣) رواه أحمد فى «الزهد».

(٤) رواه أحمد فى الزهد (ص ٩٦) من طريق سيار حدثنا جعفر به، وإسناده إلى ثابت حسن.

أنبأ إسماعيل السمرقندى، نا عاصم بن الحسن، نا على بن محمد، نا أبو على بن صفوان، نا أبو بكر بن عبيد، نا عبد الرحمن بن يونس، نا سفيان بن عيينة، قال: سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر، سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبىﷺ يقول: كان راهب فى بنى إسرائيل، فأخذ الشيطان جارية، فخنقها، وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتى بها الراهب، فأبى أن يقبلها، فما زالوا به حتى قبلها، فكانت عنده، فأتاه الشيطان، فسول له إيقاع الفعل بها، فأحبلها، ثم أتاه، فقال له: الآن تفتضح: يأتيك أهلها؛ فاقتلها، فإن أتوك فقل ماتت، فقتلها، ودفنها، فأتى الشيطان أهلها، فوسوس لهم، وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها، ودفنها، فأتاه أهلها يسألونه عنها، فقال: ماتت، فأخذوه فأتاه الشيطان، فقال: أنا الذى ضربتها، وخنقتها، وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها، وأنا الذى أوقعتك فى هذا؛ فأطعنى تنج، اسجد لى سجدتين، فسجد له سجدتين، فهو الذى قال عز وجل: ﴿**كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين**﴾ [(١)]

وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضى اللّه عنه: أن عابداً كان فى بنى إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها، قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل، وكان ثقة فى أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه [(٢)] ، وجواره إلى أن يقفلوا [(٣)] من غزاتهم، فأبى ذلك وتعوذ باللّه عز وجل منهم ومن أختهم قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم، فقال: أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى، قال: فأنزلوها فى ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت فى جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته، فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه، ويصعد إلى صومعته، ثم يأمرها، فتخرج من بيتها، فتأخذ ما وضع لها من

---

(١) **(مرسل إسناده فيه ضعف)**.عبيد بن رفاعة ولد فى عهد رسول الله ﷺ وأرسل عنه كما قال الحافظ فى «الإصابة» (٧٩/٥).وعبد الرحمن بن يوسف فيه ضعف.وقد روى نحوه ابن جرير فى تفسيره (٣٣/٢٨) من عمارة عن عبد الرحمن بن زيد عن ابن مسعود وإسناده ضعيف.وروى نحوه عن ابن عباس وإسناده ضعيف جداً. وروى نحوه عن على بن أبى طالب وإسناده ضعيف.

(٢) كنفه: رعيته.

(٣) يقفلوا: يرجعوا.

الطعام، قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها: فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك، قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها، ووضعه على باب بيتها، ولم يكلمها، قال: فلبث على هذه الحالة زماناً، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه، وقال: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك، قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام، ثم وضعه في بيتها، فلبث على ذلك زماناً، ثم جاءه إبليس، فرغبه في الخير، وحضه عليه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها، فتأنس بحديثك؛ فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، قال: فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع اليها من فوق صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال: لو كنت تنزل إليها، فتقعد على باب صومعتك، وتحدثها، وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته: يحدثها، وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها، قال: فلبثا زماناً يتحدثان، ثم جاءه إبليس، فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال: لو خرجت من باب صومعتك، ثم جلست قريباً من باب بيتها؛ فحدثتها كان آنس لها، فلم يزل به حتى فعل، قال: فلبثا زماناً، ثم جاءه إبليس، فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال له: لو دنوت منها، وجلست عند باب بيتها، فحدثتها، ولم تخرج من بيتها، ففعل فكان ينزل من صومعته، فيقف على باب بيتها، فيحدثها، فلبثا على ذلك حيناً، ثم جاءه إبليس، فقال: لو دخلت البيت معها، فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها، فلم يزل به إبليس يحسنها في عينيه، ويسول له حتى وقع عليها، فأحبلها، فولدت له غلاماً، فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك،كيف تصنع؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك، فاعمد إلى ابنها فاذبحه، وادفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك؛ مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها، ففعل، فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها، وقتلت ابنها، قال: خذها، واذبحها، وادفنها مع ابنها، فلم يزل به حتى ذبحها، وألقاها في الحفرة مع ابنها، وأطبق عليهما صخرة عظيمة، وسوى عليهما، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث؛ حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاءوا فسألوه عنها، فنعاها، وترحم عليها

وبكاها، وقال:كانت خير إمرأة وهذا قبرها فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر، فبكوا أختهم، وترحموا عليها، فأقاموا على قبرها أياماً، ثم انصرفوا إلى أهاليهم، فلما جن عليهم الليل، وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر، فبدأ أكبرهم، فسأله عن أختهم، فأخبره بقول العابد، وموتها وترحمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها، فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم، إنه قد أحبل أختكم، وولدت منه غلاماً، فذبحه، وذبحها معه فزعاً منكم، وألقاها فى حفيرة[1] حتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله، فانطلقوا، فأدخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله، فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً، وأتى الأوسط فى منامه، فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم: لقد رأيت الليلة عجباً؛ فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى، فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشئ فامضوا بنا، ودعوا هذا عنكم، قال أصغرهم: والله لا أمضى حتى آتى إلى هذا المكان فأنظر فيه، قال: فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب، وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم ، فوجدوا أختهم، وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد؛ فصدق قول إبليس فيما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم، فأنزل من صومعته، وقدم ليصلب؛ فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان، فقال له: قد علمت أنى أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة؛ حتى أحبلتها، وذبحتها وابنها؛ فإن أنت أطعتنى اليوم، وكفرت بالله الذى خلقك، وصورك؛ خلصتك مما أنت فيه، قال: فكفر العابد، فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه، قال: ففيه نزلت هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ إلى قوله: ﴿جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[الحشر:١٦] وتقدم ذكرها.[2]

---

(١) تصغير حفرة .

(٢) قلت: القصة لم يذكر لها إسناداً ولم أجدها بسند، وهى من القصص التى يرويها وهب من كتبه أى من «الإسرائيليات» التى يجب أن لا نردها ولا نصدقها غير أنها لا تصدم بشئ من الكتاب أو السنة بل جاء الكتاب المبين ببيان ذلك ويقويه، مثل قوله تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان ...﴾ وقوله: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان ...﴾ وقوله: ﴿ولا تقربوا الزنا ..﴾ الخ - فهى تنفع فى المواعظ والصبر والله أعلم .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا أحمد بن أحمد، نا أبو نعيم، نا أبو بكر الآجرى، ثنا عبد الله بن محمد العطينى، ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنى محمد بن الحسين، ثنا بشر بن محمد بن أبان، ثنى الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشى، عن وهب بن منبه رضى الله عنه، قال: كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام، فأراده إبليس، فلم يقدر عليه، فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه، فأتاه متشبهاً بالمسيح، فناداه: أيها الراهب، أشرف علىَّ أكلمك، قال: انطلق لشأنك، فلست أرد ما مضى من عمرى، فقال: أشرف علىَّ فأنا المسيح، فقال: إن كنت المسيح فما لى إليك حاجة، ألست قد أمرتنا بالعبادة، ووعدتنا القيامة، انطلق لشأنك، فلا حاجة لى فيك؛ فانطلق اللعين عنه، وتركه.(١)

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، نا عاصم بن الحسن، نا على بن محمد بن بشران، نا أبو على البردعى، ثنا أبو بكر القرشى، ثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشى، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا عمرو بن دينار، ثنا سالم بن عبد الله رضى الله عنه، عن أبيه، قال: لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه، فقال له نوح: ما أدخلك، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك؛ فتكون قلوبهم معى، وأبدانهم معك، فقال له نوح عليه السلام: اخرج يا عدو الله، فقال إبليس: خمس أهلك بهن الناس، وسأحدثك منهن بثلاث، ولا أحدثك باثنتين، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لا حاجة لك إلى الثلاث، مره يحدثك بالاثنتين، فقال: بهما أهلك الناس، وهما لايكذبان: الحسد، والحرص: فبالحسد لعنت، وجعلت شيطاناً رجيماً، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها، فأصبت حاجتى منه، فأخرج من الجنة، قال: ولقى إبليس موسى عليه السلام، فقال: ياموسى، أنت الذى اصطفاك الله برسالته، وكلمك تكليماً، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت، وأريد أن أتوب، فأشفع لى إلى ربى عز وجل أن يتوب على، فدعا موسى ربه فقيل: ياموسى، قد قضيت حاجتك، فلقى موسى إبليس، فقال له: قد أمرت أن تسجد لقبر آدم، ويتاب عليك، فاستكبر، وغضب، وقال: لم أسجد له حياً، أأسجد له ميتاً، ثم قال إبليس: ياموسى، إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك، فاذكرنى عند ثلاث لا أهلك فيهن، أذكرنى حين تغضب؛ فأنا وحى فى قلبك، وعينى فى عينك، وأجرى منك مجرى الدم، واذكرنى حين تلقى الزحف؛ فإنى آتى ابن آدم حين

(١) رواه أبو نعيم (٤ / ٤٤) وإسناده فيه مجهول.

يلقى الزحف، فأذكره ولده، وزوجته، وأهله؛ حتى يولى، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم؛ فانى رسولها إليك، ورسولك إليها.(١)

قال القرشي: وحدثنا أبو حفص الصفار، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا شعبة، عن على بن زيد، عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه، قال: ما بعث الله نبياً إلا لم يأمن من إبليس أن يهلكه بالنساء.(٢)

قال القرشي: ثنى القاسم بن هاشم، عن إبراهيم بن الأشعث، عن فضيل بن عياض: قال: حدثنى بعض أشياخنا أن إبليس ـ لعنه الله ـ جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجى ربه تعالى، فقال له الملك: ويلك! ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجى ربه، قال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة.(٣)

قال القرشي، وثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني، ثنا فرج بن فضالة، عن عبد الرحمن بن زياد رضى الله عنه قال: بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه، إذ أقبل عليه إبليس، وعليه برنس له يتلون فيه ألواناً، فلما دنا منه خلع البرنس، فوضعه، ثم أتاه، وقال له: السلام عليك يا موسى: فقال له موسى عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: فلا حياك الله، ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك؛ لمنزلتك عند الله تعالى، ومكانك منه قال: فما الذى رأيته عليك؟ قال: به أختطف قلوب بنى آدم، قال: فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسى ذنوبه، وأحذرك ثلاثاً: لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط؛ فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى؛ حتى أفتنه بها،

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به؛ فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابى؛ حتى أحول بينه وبين الوفاء به،

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها؛ فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى؛ حتى أحول بينه وبين إخراجها، ثم ولى وهو يقول: يا ويله! ثلاثاً

---

(١) (إسناده ضعيف) لضعف محمد بن موسى.

(٢) (إسناده ضعيف) مع وقفه .وروى نحوه أبو نعيم فى «الحلية» (١٦٦/٢) من طريق على بن زيد وهو ضعيف عن سعيد قال: ما أيس الشيطان من شئ إلا أتاه من قبل النساء.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى «مكائد الشيطان» (٤٢ ـ ٤٤ ـ ٤٨) .

علم موسى ما يحذر به بنى آدم.[١]

قال القرشي: وحدثني محمد بن إدريس، ثنا أحمد بن يونس، ثنا حسن بن صالح، قال: سمعت أن الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندى، وأنت سهمى الذى أرمى به، فلا أخطىء، وأنت موضع سرى، وأنت رسولى فى حاجتى.

قال القرشي: وحدثنا إسحق بن إبراهيم، ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل بن أخى وهب بن منبه، قال: سمعت وهباً يقول: قال راهب للشيطان وقد بدا له: أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم، قال: الحدة، إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.[٢]

قال القرشي: وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت رضى الله عنه، قال: لما بعث النبىﷺ جعل إبليس ـ لعنه الله ـ يرسل شياطينه إلى أصحاب النبىﷺ فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شئ، فيقول لهم: ما لكم لا تصيبون منهم شيئاً، فقالوا: ما صحبنا قوماً مثل هؤلاء، فقال رويداً بهم، فعسى أن تفتح لهم الدنيا، هنالك تصيبون حاجتكم منهم.[٣]

قال القرشي: وأخبرنا أحمد بن جميل المروزى، نا ابن المبارك، نا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن أبى موسى، قال: إذا اصبح إبليس بث جنوده فى الأرض، فيقول: من أضل مسلماً ألبسته التاج، فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال: يوشك أن يتزوج، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى عق، قال يوشك أن يبر، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى زنى، قال: أنت، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى شرب الخمر، قال: أنت، قال: ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت أنت.[٤]

---

(١) (إسناده ضعيف جداً)ـ فرج بن فضالة وعبد الرحمن بن زياد ضعيفان ورواه ابن أبى الدنيا فى «مكائد الشيطان» (٤٧).

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى «مكائد الشيطان» (٣٧ ـ ٣٨) وفيه انقطاع.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا (٣٩) وهو مرسل.

(٤) (إسناده صحيح)، ورواه ابن حبان فى «صحيحه» (٦٥) وابن أبى الدنيا (٣٦) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٢٨٠).

قال القرشي: وسمعت سعيد بن سليمان يحدث، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: كانت شجرة تعبد من دون الله، فجاء إليها رجل، فقال لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضباً لله، فلقيه إبليس فى صورة إنسان، فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله، قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟ قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك: لا تقطعها؛ ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك، قال: فمن أين لى ذلك؟ قال: أنا لك، فرجع، فأصبح، فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً، فقام غضباً ليقطعها، فتمثل له الشيطان فى صورته، وقال له: ما تريد؟ قال: أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى، قال: كذبت مالك إلى ذلك سبيل، فذهب ليقطعها، فضرب به الأرض، وخنقه حتى كاد يقتله، قال: أتدرى من أنا: أنا الشيطان، جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك»[١]

قال القرشي: وحدثنا بشر بن الوليد الكندى، ثنا محمد بن طلحة، عن زيد بن مجاهد قال: لإبليس خمسة من ولده، قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره، ثم سماهم: فذكر ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزكنبور: فأما ثبر، فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور[٢] وشق الجيوب، ولطم الخدود، ودعوى الجاهلية. وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه. وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع، فيلقى الرجل، فيخبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم، فيقول لهم: قد رأيت رجلاً أعرف وجهه، ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا. وأما داسم، فهو الذى يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم، ويغضبه عليهم. وأما زكنبور، فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق. [٣]

أخبرنا محمد بن القاسم، نا أحمد بن أحمد، نا أبو نعيم، ثنا إبراهيم بن عبد الله، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا إسماعيل بن أبى الحارث، ثنا سنيد، عن مخلد بن الحسين، قال: ما ندب الله العباد إلى شئ إلا اعترض فيه إبليس بأمرين، ما يبالى بأيهما ظفر: إما غلو فيه،

---

(١) موقوف إسناده ضعيف، فيه المبارك بن فضالة وهو ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى «المكائد» (٦٥).
(٢) الثبور: الهلاك.
(٣) رواه ابن أبى الدنيا (٣٥).

وإما تقصير عنه[١] . وبالإسناد قال محمد بن إسحاق: وثنا قتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة، عن أبى قبيل، سمعت حياة بن شراحيل، يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: إن إبليس موثق فى الأرض السفلى، فإذا هو تحرك كان كل شرقى الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه.[٢]

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: قلت: وفتن الشيطان، ومكايده كثيرة فى غضون هذا الكتاب، منها ما يليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى، ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة، فإن من يدع إلى ما يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة، فيا سرعة انحدارها، ولما ركب الهوى فى هاروت، وماروت لم يستمسكا، فاذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته.

وأخبرنا محمد بن أبى منصور، نا جعفر بن أحمد، نا الحسن بن على التميمى، ثنا أبو بكر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى ابن سريج[٣] قال: ثنا عتبة بن عبد الواحد[٤]، عن مالك بن مغول عن عبد العزيز بن رفيع قال: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة: سبحان الله الذى نجى هذا العبد من الشيطان، ياويحه كيف نجا.

ذكـر الإعـلام بأن مـع كل إنسـان شيطانـاً

أخبرنا أبو الحصين الشيبانى، نا أبو على المذهب، نا أبو بكر بن حمدان، ثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل، ثنى أبى ثنا هارون ثنا عبد الله بن وهب، أخبرنى أبو صخر، عن ابن قسيط أنه حدثه، أن عروة بن الزبير حدثه، أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «مالك يا عائشة أغرت؟» فقلت: ومالى لا يغار مثلى على مثلك؟ فقال: أو قد جاءك شيطانك»؟ قالت: يا رسول الله، أو معى شيطان قال: «نعم»؛ قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم» قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نعم»، ولكن ربى عز وجل أعاننى عليه حتى أسلم: انفرد به مسلم، ويجئ بلفظ آخر: «أعاننى عليه فأسلم ».[٥]

---

(١) **(إسناده ضعيف)** لضعف سنيد بن داود، وقد رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٨/٢٦٦).
(٢) **(إسناده ضعيف)**.
(٣) فى بعض النسخ «سريج» وبعضها «ابن سُريج» وصوابه «ابن أبى سريج» وهو أحمد بن الصباح.
(٤) فى بعض النسخ «عيينة» وبعضها «عتبة» بالموحدة ولم أعثر على ترجمه له.
(٥) رواه أحمد (٦/١١٥) ومسلم (٢٨١٥) والبيهقى «سنن» (٧/٤٢) وفى «الدلائل» (٧/١٠٢).

قال الخطابي: عامة الرواة يقولون: فأسلم على مذهب الفعل الماضي إلا سفيان بن عيينة، فإنه يقول فأسلم من شره، وكان يقول: الشيطان لا يسلم.

قال الشيخ: قول ابن عيينة حسن، وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا يحيى، عن سفيان، ثنى منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبيه، عن ابن مسعود يرفعه: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» **قالوا: وإياك يا رسول الله،** قال: «وإياى، ولكن الله عز وجل أعاننى عليه؛ فلا يأمرنى إلا بحق» وفى رواية: «فلا يأمرنى إلا بخير»[1]

قال الشيخ: تفرد به مسلم، واسم أبى الجعد رافع، وظاهره إسلام الشياطين، ويحتمل القول الآخر.

بيان أن الشيطان
يجرى من ابن آدم مجرى الدم

أخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن على، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، ثنا أبى ثنى عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزهرى، عن على بن الحسين، عن صفية بنت حيى زوج النبى، قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معى ليقْلِبَنى، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال النبى ﷺ «على رسلكما أنها صفية بنت حيى»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً» أو قال: «شيئاً» الحديث فى الصحيحين[2]. قال الخطابى: وفى هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون، ويخطر بالقلوب، وأن يطلب

---

(١) رواه أحمد (١/٣٨٥ ـ ٣٩٧ ـ ٤٠١) ومسلم (٢٨١٤) وابن حبان (٨/١١٠) والبيهقى فى «الدلائل» (٧/١٠٠ ـ ١٠١) والبغوى (٤٢١١).

(٢) رواه البخارى (٢٠٣٥ ، ٢٠٣٩ ، ٣٢٨١) ومسلم (٢١٧٥) وأبو داود (٢٤٧٠) وابن ماجه (١٧٧٩) والدارمى (١٧٨٠) وعبد الرزاق (٨٠٦٥) وأحمد (٦/٣٣٧).

السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب، ويحكى فى هذا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال: خاف النبىﷺ أن يقع فى قلوبهما شئ من أمر فيكفرا، وإنما قاله شفقة منه عليهما لا على نفسه.

ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل:٩٨] وعند السحر، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] إلى آخر السورة: فإذا أمر بالتحرز من شره فى هذين الأمرين، فكيف فى غيرهما.

أخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن على، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، ثنا أبى، ثنا سيار، ثنا جعفر، ثنا أبو التياح، قال: قلت لعبد الرحمن بن خنبش[1]: أدركت النبىﷺ؟ قال: نعم، قلت: كيف صنع رسول اللهﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فقال: إن الشياطين تحدرت[2] تلك الليلة على رسول اللهﷺ من الأودية، والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول اللهﷺ، فهبط إليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، قل، قال: «ما أقول»؟ قال: قل: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن» قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تعالى.[3]

أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى، نا عاصم بن الحسن، نا أبو الحسين بن بشران، نا ابن صفوان، ثنا أبو بكر القرشى، حدثنى أبو سلمة المخرومى، ثنا ابن أبى فديك، عن الضحاك بن عثمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله

---

(١) فى الأصل «حنيش» بمهملة ثم نون وياء وهو خطأ وصوابه ما أثبتناه كما فى «الإصابة» (١٥٧/٤) والبخارى فى «التاريخ» (٢٤٨/١/٣). وقد جزم الحافظ ابن حجر بصحبته.

(٢) تحدرت: تنزلت بسرعة.

(٣) (**صحيح**) عزاه الحافظ فى «الإصابة» لابن منده وابن أبى شيبة والبزار والحسن بن سفيان وقد أخرجه أحمد (٤١٩/٣) وابن السنى (٦٣١) وأبو نعيم فى «الدلائل» (١٣٧) والبيهقى فى «الدلائل» (٩٥/٧) والبخارى فى «التاريخ» (٢٤٨/١/٣) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٨٤٠).

عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله تبارك وتعالى، فيقول: فمن خلق الله، فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله؛ فإن ذلك يذهب عنه»(١).

قال القرشي: ثنا هناد بن السري، ثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه، قال: إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة: فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق؛ فمن وجد من ذلك شيئاً، فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى؛ فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾(٢) الآية.

قال الشيخ رحمه الله: وقد رواه جرير، عن عطاء، فوقفه على ابن مسعود.

أخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن علي، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا عبد الرزاق، نا سفيان، عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» ثم يقول: «هكذا كان أبي إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ إسماعيل وإسحاق» أخرجاه في الصحيحين(٣). قال أبو بكر بن الأنباري: الهامة واحد الهوام،

---

(١) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٦/٢٥٧ـ٢٥٨) وابن أبي عاصم (٦٤٨) والبزار وابن حبان (١٥٠) وابن السني (٢٠١) وسنده صحيح. وله شاهد من حديث أبي هريرة.
ورواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤) وأبو عوانة (١/٨١ـ٨٢) وأبو داود (٤٧٢١) وابن أبي عاصم (٦٥١) وأحمد (٢/٣٣١). ومن حديث أنس.
ورواه أبو عوانة (١/٨٢) وابن أبي عاصم (٦٤٧ـ٦٥٢). ومن حديث خذيمة بن ثابت.
ورواه أحمد (٥/٢١٤) وابن أبي عاصم (٦٥٠).
تنبيه: وقع في كتاب السنة لابن أبي عاصم ـ عمارة بن غزية بن ثابت وهو خطأ.
والصواب: عمارة بن خزيمة بن ثابت.

(٢) رواه الترمذي (٢٩٨٨) والطبري في «تفسيره» (٣/٨٨) وابن حبان (٩٩٧) من طريق عطاء بن السائب وقد اختلط وله طرق أخرى عند الطبري (٣/٨٨) من طريق عبد الرزاق عن عمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود وهذا إسناد صحيح، وهو وإن كان موقوفاً لكن له حكم الرفعلأنه لا يقال من قبل الرأي فهو شاهد قوي للحديث السابق وبه يتقوى إن شاء الله وقد ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٩٦٣) لمة: خطرة من خواطر النفس.

(٣) رواه البخاري (٣٣٧١) وفي «أفعال العباد» (٩١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٠) وابن ماجه (٣٥٢٥) وعبد الرزاق (٧٩٨٨)وابن حبان (٢/١٧٧ ـ ١٧٨) والحاكم (٣/١٦٧) وأبو نعيم (٥/٤٥) والبغوي (١٤١٧) وأحمد (١/٢٣٦ـ٢٧٠).

ويقال: هى كل نسمة تهم بسوء، واللامة الملمة، وإنما قال: لامة، ليوافق لفظ هامة؛ فيكون ذلك أخف على اللسان.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا المبارك بن عبد الجبار، نا إبراهيم بن عمر البرمكى، نا أبو الحسن عبد الله بن إبراهيم الزينبى، ثنا محمد بن خلف، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا فضيل بن عبد الوهاب، ثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت قال: قال مطرف: نظرت فإذا ابن آدم ملقى بين يدى الله عز وجل، وبين إبليس، فمن شاء أن يعصمه عصمه، وإن تركه ذهب به إبليس.(١)

وحكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: هذا يطول، أرأيت إن مررت بغنم، فنبحك كلبها، أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده، وأرده جهدى، قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك.

قال الشيخ رحمه الله: واعلم أن مثل إبليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام، فمر به كلب فقال له: اخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام، ولحم فكلما أحساه لم يبرح، فالأول ـ مثل المتقى يمر به الشيطان، فيكفيه فى طرده الذكر، والثانى ـ مثل المخلط لايفارقه الشيطان لمكان تخليطه، نعوذ بالله من الشيطان.

❊❊❊❊❊❊

(١) إسناده رجاله ثقات ـ وقد رواه أحمد فى «الزهد» (ص٢٩٦) وابن المبارك فى «الزهد» (٢٩٨) وأبو نعيم (٢٠١/٢) وابن أبى الدنيا (٢٥).

البَــابُ الرابُــع

في معـنى التلبـيـس والغــرور

قال المصنف: التلبيس إظهار الباطل فى صورة الحق، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً، والردئ جيداً وسببه: وجود شبهة أوجبت ذلك، وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم، وغفلتهم، وجهلهم وعلمهم، واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثُلَم،[١] وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه رَبَض[٢] فيه الهوى، والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس، والعبور من بعض الثلم.

فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه، وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة؛ فإن العدو ما يفتر.

قال رجل للحسن البصرى: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة. وهذا الحصن مستنير بالذكر، مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض - إكثار الدخان، فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، وكمال الفكر يرد الدخان، وصقل الذكر يجلو المرآة، وللعدو حملات: فتارة يحمل فيدخل الحصن؛ فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث، وربما أقام لغفلة الحارس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان، فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، فيمر الشيطان، ولا يدرى به، وربما جرح الحارس لغفلته، وأسر واستخدم، وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه فى الشر.

قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لى: قد كنت ألقى الناس، فأعلمهم، فصرت ألقاهم، فأتعلم منهم. وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها، فيستأسره، وأقوى القيد الذى يوثق به

---

(١) ثلم: كسور.
(٢) ربض: يعنى ما يؤوى إليه .

الأسرى الجهل، وأوسطه في القوة الهوى، وأضعفه الغفلة، وما دام درع الإيمان على المؤمن، فإن نبل العدو لا يقع في مقتل.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، نا أحمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، نا أبو محمد بن حيان، ثنا أحمد بن محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن يوسف الجوهري، ثنا أبو غسان النهدي، قال: سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشر.(١)

أنبأنا علي بن عبد الله، نا محمد بن محمد النديم، نا عمي عبد الواحد بن أحمد، ثني أبي أحمد بن الحسين العدل، ثنا أبو جعفر محمد بن صالح، ثنا حيان بن الفلس الجماني، ثنا حماد بن شعيب، عن الأعمش قال: حدثنا رجل كان يكلم الجن، قالوا: ليس علينا أشد ممن يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء، فإنا نلعب بهم لعباً.

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٣١/٧).

البَابُ الخامسّ

في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات

ذكر تلبيسه على السوفسطائية

قال الشيخ: هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له: سوفسطا، زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها، وأن ما يستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده .

وقد رد العلماء عليهم، بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة أم لا؟ فإن قلتم: لا حقيقة لها، وجوزتم عليها البطلان، فكيف يجوز أن تدعوا إلى ما لا حقيقة له؟ فكأنكم تقرون بهذا القول أنه لا يحل قبول قولكم، وإن قلتم: لها حقيقة، فقد تركتم مذهبكم.

وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى فى كتاب «الآراء والديانات»، فقال: رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا فى أمر هؤلاء غلطاً بيناً، لأنهم ناظروهم، وجادلوهم، وراموا بالحجاج، والمناظرة الرد عليهم، وهم لم يثبتوا حقيقة، ولا أقروا بمشاهدة، فكيف تكلم من يقول: لا أدرى أيكلمنى أم لا؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لا يدرى أموجود هو أم معدوم؟! وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت فى الإبانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد؟ قال: ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر، فيجعل ما يقر سبباً إلى تصحيح ما يجحده، فأما من لا يقر بذلك، فمجادلته مطروحة. قال الشيخ: وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال: إن أقواماً قالوا: كيف نكلم هؤلاء، وغاية ما يمكن المجادلة أن يقرب المعقول إلى المحسوس، ويستشهد بالشاهد، فيستدل به على الغائب، وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون؟ قال: وهذا كلام ضيق العطن[1]، ولا ينبغى أن يوئيس[2] من معالجة هؤلاء؛ فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس، ولا ينبغى أن يضيق عطننا عن معالجتهم؛ فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج، وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً احول، فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين، حتى إنه لم يشك أن فى السماء قمرين فقال له أبوه: القمر واحد، وإنما السوء فى عينيك، غض عينك الحولاء وانظر، فلما فعل قال: أرى قمراً واحداً، لأنى عصبت

---

(١) العطن: الفاسد.

(٢) يوئيس: من اليأس وهو القنوط.

إحدى عيني، فغاب أحدهما، فجاء من هذا القول شبهة ثانية، فقال له أبوه: إن كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة؛ ففعل فرأى قمرين، فعلم صحة ما قال أبوه.

أنبأنا محمد بن ناصر، نا الحسن بن أحمد بن البنا، ثنا دودان، نا أبو عبد الله المرزباني، ثنى أبو عبد الله الحكيمي، ثنى يموت بن المزرع، ثنى محمد بن عيسى النظام قال: مات ابن لصالح بن عبد القدوس، فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له، فرآه منحرفاً، فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال له صالح يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليه؛ لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، فقال له أبو الهذيل: وما كتاب «الشكوك»، قال هو كتاب وضعته، من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان، فقال له النظام: فشك أنت فى موت ابنك، واعمل على أنه لم يمت، وإن كان قد مات؛ فشك أيضاً فى أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه.

وحكى أبو القاسم البلخى أن رجلاً من السوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين، فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته، فلما خرج لم يرها، فرجع فقال سرقت دابتى، فقال: ويحك! لعلك لم تأت راكباً، قال: بلى، قال: فكر، قال: هذا أمر أتيقنه، فجعل يقول: له تذكر، فقال:

ويحك، ويحك! ما هذا موضع تذكر، أنا لا أشك أننى جئت راكباً، قال: فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشئ، وإن حال اليقظان كحال النائم؟ فوجم السوفسطائى، ورجع عن مذهبه.

ذكر تلبيس إبليس على فرق الفلاسفة

قال النوبختى: قد زعمت فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة فى نفسها، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها، فان العسل يجده صاحب المرة الصفراء مراً، ويجده غيره حلواً، قالوا: وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه، محدث عند من اعتقد حدوثه، واللون جسم عند من اعتقده جسماً، وعرض عند من اعتقده عرضاً، قالوا: فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد، وهؤلاء من جنس السوفسطائية، فيقال لهم: أقولكم صحيح؟ فسيقولون: هو صحيح عندنا، باطل عند خصمنا. قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم

ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه، ومما يقال لهم: أتثبتون للمشاهدة حقيقة؟ فان قالوا لا، لحقوا بالأولين، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين.

قال النوبختى: ومن هؤلاء من قال: إن العالم فى ذوب وسيلان قالوا ولا يمكن الإنسان أن يتفكر فى الشئ الواحد مرتين. لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم: كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم، وربما كان أحدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه.

ذكر تلبيسه على الدهرية

قال المصنف: قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع. وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه. وهل يشك ذو عقل فى وجود صانع فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لا بد له من بان بناه، فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدل على صانع ، وما أحسن ما قال بعض العرب: إن البعرة تدل على البعير ، فهيكل علوى بهذه اللطافة، ومركز سفلى بهذه الكثافة، أما يدلان على اللطيف الخبير، ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلا ، ولشفت غليلا ، فإن فى هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره فى كتاب، ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع، وتقريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلب الممضوغ، وتسليط الكبد على الطعام ينضجه، ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء، و هذه الأصابع التى هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح، فيمكن العمل بها، ولم تجوّف لكثرة عملها، إذ لو جوّفت لصدمها الشئ القوى فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت، وأخفى فى البدن ما فيه قوامه، وهى النفس التى إذا ذهبت فسد العقل الذى يرشد إلى المصالح، وكل شئ من هذه الأشياء ينادى: أفى اللّه شك؟ وإنما يخبط الجاحد؛ لأنه طلبه من حيث الحس، ومن الناس من جحده؛ لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة؛ لم يدركه من حيث التفصيل، فجحد أصل الوجود، ولو أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا تدرك إلا جملة: كالنفس، والعقل. ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما، وهل الغاية إلا إثبات الخلق جملة، وكيف يقال كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولا ماهية. ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلومن الحوادث، وكل مالا ينفك عن الحوادث حادث ولا بد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه.

وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا: لابد للصنعة من صانع، فيقولون: إنما تعلقتم فى هذا بالشاهد، وإليه نقاضيكم، فنقول: كما أنه لابد للصنعة من صانع، فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها: كالخشب لصورة الباب، والحديد لصورة الفأس. قالوا: فدليلكم الذى تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم.

فالجواب: أنه لاحاجة بنا إلى مادة، بل نقول: إن الصانع اخترع الأشياء اختراعاً، فإنا نعلم أن الصور، والأشكال المتجددة فى الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة، وقد اخترعها، ولا بد لها من مصور، فقد أريناكم صورة، وهى شئ جاءت لا من شئ، ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لامن صانع.

ذكر تلبيسه على الطبائعيين

قال المصنف: لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لابد للمصنوع من صانع؛ حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة، وقال: ما من شئ يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه؛ فدل على أنها الفاعلة، وجواب هذا، نقول: اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها، ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها، وذلك يخالف طبيعتها؛ فدل على أنها مقهورة. وقد سلموا أنها ليست بحية، ولا عالمة، ولا قادرة، ومعلوم أن الفعل المنسق المنتظم لايكون إلا من عالم حكيم، فكيف يفعل من ليس عالماً، وليس قادراً، فإن قالوا: ولو كان الفاعل حكيماً لم يقع فى بنائه خلل، ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة، فعلم أنه بالطبع.

قلنا: ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التى لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع، فأما الخلل المشار إليه، فيمكن أن يكون للابتلاء، والردع، والعقوبة، أو فى طيه منافع لانعلمها، ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع فى نيسان(*) على أنواع من الحبوب؛ فترطب الحصرم(١) والخلالة، وتنشف البرة، وتيبسها، ولو فعلت طبعاً لأيبست الكل، أو رطبته؛ فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة فى يبس هذه للادخار، والنضج فى هذه للتناول، والعجب أن الذى أوصل إليها اليبس فى أكنة(٢) لايلقى جرمها،

(*) من الشهور الشمسية .
(١) الحصرم: العنب قبل أن ينضج.
(٢) الأكنة: الأغطية.

والذى رطبها يلقى جرمها، ثم إنها تبيض ورد الخشخاش، وتحمر الشقائق، وتحمض الرمان، وتحلى العنب، والماء واحد، وقد أشار المولى إلى هذا بقوله: ﴿ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ ﴾ [الرعد:٤] .

ذكر تلبيسه على الثنوية

وهم قوم قالوا: صانع العالم اثنان: ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان لم يزالا، ولن يزالا قويين حساسين، سميعين بصيرين، وهما مختلفان فى النفس والصورة، متضادان فى الفعل والتدبير، فجوهر النور: فاضل، حسن، نير، صاف، نقى، طيب الريح، حسن المنظر، ونفسه: نفس خيرة، كريمة، حكيمة، نفاعة منها: الخير، واللذة والسرور والصلاح، وليس فيها شئ من الضرر، ولا من الشر، وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر، والنقص، ونتن الريح، وقبح المنظر، ونفسه: نفس شريرة، بخيلة، سفيهة، منتنة، ضرارة. منها: الشر، والفساد . كذا حكاه النوبختى عنهم، قال: وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة.

وقال بعضهم: بل كل واحد إلى جانب الآخر. وقال أكثرهم: النور لم يزل مرتفعاً فى ناحية الشمال، والظلمة منحطة فى ناحية الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مبايناً لصاحبه. قال النوبختى: وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة: أربعة منها أبدان، وخامس هو الروح، وأبدان النور أربعة: النار والريح، والتراب، والماء، وروحه الشبح.

ولم تزل تتحرك فى هذه الأبدان، وأبدان الظلمة أربعة: الحريق، والظلمة، والسموم، والضباب، وروحها الدخان، وسموا أبدان النور ملائكة، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت. وبعضهم يقول: الظلمة تتوالد شياطين، والنور يتوالد ملائكة، وأن النور لايقدر على الشر، ولا يجوز منه، والظلمة لاتقدر على الخير، ولا تجوز منه. وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة، ومذاهب سخيفة، فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون إلا قوت يوم، وقال بعضهم: على الإنسان صوم سبع العمر، وترك الكذب، والبخل، والسحر، وعبادة الأوثان، والزنى، والسرقة، وأن لايؤذى ذا روح، فى مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة. وذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة، وكانت تحاكى جسم البارى الذى

هو النور زماناً، فتأذى بها، فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه، فتوحل فيها، واختلط بها؛ فتركب منها هذا العالم النورى والظلمى، فما كان من جهة الصلاح فمن النور، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة، وهؤلاء يغتالون الناس، ويخنقونهم، ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة؛ مذاهب سخيفة.

والذى حملهم على هذا أنهم رأوا فى العالم شراً واختلافاً، فقالوا: لا يكون من أصل واحد شيئان مختلفان،كما لايكون من النار التبريد، والتسخين، وقد رد العلماء عليهم فى قولهم: إن الصانع اثنان، فقالوا: لوكان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما قادر، والثانى عاجز؛ لايجوز أن يكونا عاجزين؛ لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية، ولايجوز أن يكون أحدهما عاجزاً، فبقى أن يقال هما قادران، فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه، ومن المحال وجود ما يريدانه، فإن تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر، وردوا عليهم فى قولهم: إن النور يفعل الخير، والظلمة تفعل الشر فإنه لو هرب مظلوم، فاستتر بالظلمة؛ فهذا خير قد صدر من شر، ولاينبغى مد النفس فى الكلام مع هؤلاء؛ فان مذهبهم خرافات.

ذكــر تلبيــسه على الفلاســفة وتابعيهــم

إنما تمكن إبليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم، وعقولهم، وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء: فمنهم من قال بقول الدهرية: أن لاصانع للعالم، حكاه النوبختى، وغيره عنهم . وحكى النهاوندى أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب فى جوف هذا الفلك، وأن فى كل كوكب عوالم كما فى الأرض، وأنهاراً، وأشجاراً، وأنكروا الصانع، وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم، ثم قال بقدم العالم، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى، ومعلولا له، ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان: مساواة المعلول للعلة، والنور للشمس بالذات، والرتبة لابالزمان، فيقال لهم: لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده فى الوقت الذى وجد فيه؟ فإن قالوا: فهذا يوجب أن يكون بين وجود البارى وبين المخلوقات زمان. قلنا: الزمان مخلوق، وليس قبل الزمان زمان، ثم يقال لهم: كان الحق سبحانه وتعالى قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع، أو أقل مما هو بذراع. فان قالوا: لايمكن فهو تعجيز، ولأن مالا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ماهو عليه واجب لاممكن، والواجب

يستغنى عن علة، وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا: الله عز وجل صانع العالم، وهذا تجوز عندهم لاحقيقة؛ لأن الفاعل مريد لما يفعله، وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله، ومن مذاهبهم أن العالم باق أبداً: كما لا بداية لوجوده، فلا نهاية، قالوا: لأنه معلول علة قديمة، وكان المعلول مع العلة.

ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديماً ولا معلولاً. وقد قال جالينوس: لو كانت الشمس مثلاً تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول فى هذه المدة الطويلة. فيقال له: قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول، ثم من أين له أنها لا تذبل؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك، فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس، ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد، وقد يبقيان سنين، ولايحس نقصانهما، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر، والقادر لايتغير فى نفسه، ولا تحدث له صفة، وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة.

وحكى النوبختى فى كتاب (الآراء والديانات) أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة: علة فاعلة، والعنصر، والصورة. قال: والله تعالى هو الفعال، والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد، والصورة جوهر للجسم. وقال آخر منهم: الله هو العلة الفاعلة، والعنصر المنفعل. وقال آخر منهم: العقل رتب الأشياء هذا الترتيب. وقال آخر منهم: بل الطبيعة فعلته.

وحكى يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى أن قوماً من الفلاسفة قالوا: لما شاهدنا العالم: مجتمعاً. ومتفرقاً، ومتحركاً وساكناً؛ علمنا أنه محدث، ولا بد له من محدث، ثم رأينا أن الإنسان يقع فى الماء، ولا يحسن السباحة؛ فيستغيث بذلك الصانع المدبر؛ فلا يغيثه، أو فى النار، فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم. قال واختلف هؤلاء فى عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق:

فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه، فخشى أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد، فأهلك نفسه وخلا منه العالم، وبقيت الأحكام تجرى بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق.

وقالت الفرقة الثانية: بل ظهر فى ذات البارى تولول، فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور فى ذلك التولول وهو العالم، وساء نور البارى وكان الباقى منه نور. وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم، فشاع الجور.

وقالت الفرقة الثالثة: بل البارى لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه، فكل قوته فى العالم فهى من جوهراللاهوتية. قال الشيخ رحمه الله: هذا الذى ذكره النهاوندى نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة؛ ولولا أنه قد قيل، ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل إبليس فى تلبيسه، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيماً لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا، ولكن قد بينا وجه الفائدة فى ذكره.

فصـــــــل

وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً، وإنما يعلم نفسه، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه ، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق.

قال المصنف: وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه، فانظر إلى ما زينه إبليس لهؤلاء الحمقاء مع ادعائهم كمال العقل، وقد خالفهم أبو على بن سيناء فى هذا فقال: بل يعلم نفسه، ويعلم الأشياء الكلية، ولا يعلم الجزئيات، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة، وكأنهم استكثروا المعلومات، فالحمد لله الذى جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص، ونؤمن بقوله: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾[الملك:١٤].

وقوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾[الأنعام:٥٩] وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته، فراراً من أن يثبتوا قديمين، وجوابهم أن يقال: إنما هو قديم موجود واحد، موصوف بصفات الكمال.

فصـــــــل

قال المصنف: وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد، ورد الأرواح إلى الأبدان، ووجود جنة ونار: جسمانيين، وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس؛ ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً أبداً: إما فى لذة لا توصف، وهى الأنفس الكاملة، أو ألم لا يوصف، وهى النفوس المتلوثة، وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس، وقد ينمحى عن بعضها الألم ويزول، فيقال لهم: نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت؛ ولذلك سمى عودها إعادة، ولا أن لها نعيماً وشقاء، ولكن ما المانع من حشر الأجسام؟ ولم ننكر اللذات، والآلام الجسمانية فى الجنة والنار، وقد جاء الشرع بذلك؛ فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين، وبين الشقاوتين: الروحانية، والجسمانية، وأما الحقائق فى مقام الأمثال، فتحكم بلا دليل، فإن قالوا: الأبدان تنحل، وتؤكل، وتستحيل.

قلنا القدرة لا يقف بين يديها شئ، على أن الإنسان إنسان بنفسه، فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه؛ لم يخرج عن كونه هو هو، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر، وبالهزال والسمن، فإن قالوا: لم يكن البدن بدناً حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحماً وعروقاً. قلنا: قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد، ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت فى القبور قبل البعث.

وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزار، نا أبو محمد الجوهرى، نا عمر بن محمد بن الزيات، ثنا قاسم بن زكريا المطرز، ثنا أبو كريب، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت. قال: «ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل» قال: «وليس من الإنسان شئ إلا يبلى إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب: منه خلق، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» أخرجاه فى الصحيحين (١).

مذاهب الفلاسفة

(فصل)

وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا، فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم، وفطنتهم؛ فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة؛ لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال، وأقوال، دلت على نهاية الذكاء، وكمال الفطنة، كما ينقل من حكمة سقراط، وأبقراط، وأفلاطون، وأرسطاطاليس، وجالينوس، وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية، ومنطقية وطبيعية، و استخرجوا بفطنهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا فى الإلهيات خلطوا؛ ولذلك اختلفوا فيها، ولم يختلفوا فى الحسيات، والهندسيات، وقد ذكرنا جنس تخليطهم فى معتقداتهم.

وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملة والرجوع فيها الى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين فى أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع، ويدفعون الشرائع، ويعتقدونها نواميس وحيلاً؛ فصدقوا فيما حكى لهم عنهم، ورفضوا شعار الدين،

---

(١) رواه البخارى (٤٩٣٥، ٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥) وابن ماجه (٤٢٦٦) وابن جرير فى «تفسيره» (٣١/٢٤) والبيهقى فى «الشعب» (٢٤٨) والبغوى (٤٣٠٠).

وأهملوا الصلوات، ولابسوا المحذورات، واستهانوا بحدود الشرع، وخلعوا ربقة الإسلام؛ فاليهود، والنصارى أعذر منهم؛ لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات، والمبتدعة فى الدين أعذر منهم لأنهم يدعون النظر فى الأدلة، وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء، أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة.

(وما قد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال؛ فإن أكثر القوم يثبتون الصانع، ولا ينكرون النبوات، وإنما أهملوا النظر فيها، وشذ منهم قليل؛ فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة، وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير، فلا هم يعملون بمقتضاه، ولا بمقتضى الإسلام، بل فيهم من يصوم رمضان، ويصلي، ثم يأخذ فى الاعتراض على الخالق، وعلى النبوات، ويتكلم فى انكار بعث الأجساد، ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر؛ فأضر به فهو عامة زمانه فى تسخط على الأقدار، والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم: أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك، وكان يقول أشعاراً كثيرة فى هذا المعنى: فمنها قوله فى صفة الدنيا قال:

أتراها صنعة من غير صانعْ
أم تراها رمية من رامْ

وقوله:

واحيرتا من وجود ما تقدمه
منا اختيار ولا علم فيقتبس

كأنه فى عماء ما يخلصنا
منه ذكاء ولا عقل ولا شرس

ونحن فى ظلمة ما إن لها قمر
فيها يضئ ولا شمس ولا قبس

مدلهين حيارى قد تكنفنا
جهل يجهمنا فى وجهه عبس

فالفعل فيه بلا ريب ولا عمل
والقول فيه كلام كله هوس

ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مدّ بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه، وبعضهم مدّ يده إلى التمسك بهذه؛ فترى كثيراً من الحمقى إذا نظروا فى باب الاعتقاد تفلسفوا، واذا نظروا فى باب التزهد ترهبنوا؛ فنسأل الله ثباتاً على ملتنا، وسلامة من عدونا؛ إنه ولى الإجابة.

ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل

وهم قوم يقولون: إن لكل روحانى من الروحانيات العلوية هيكلاً: أعنى جرماً من الاجرام السماوية هو هيكله ونسبته إلى الروحانى المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا، فيكون هو مدبره، والمتصرف فيه؛ فمن جملة الهياكل العلوية: السيارات، والثوابت، قالوا: ولا سبيل لها إلى الروحانى بعينه، فيتقرب إلى هيكله بكل عبادة، وقربان . (وقال آخرون منهم): لكل هيكل سماوى شخص من الأشخاص السفلية على صورته، وجوهره؛ فعمل هؤلاء الصور، ونحتوا الأصنام، وبنوا لها بيوتاً.

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوماً قالوا: الكواكب السبعة، وهى: زحل، والمشترى، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر: هى المدبرات لهذا العالم، وهى تصدر عن أمر الملأ الأعلى. ونصبوا لها الأصنام على صورتها، وقربوا لكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان.

فجعلوا لزحل جسماً عظيماً من الآنك أعمى يقرب إليه بثور حسن، يؤتى به إلى بيت تحته محفور، وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة، فيضرب الثور حتى يدخل البيت، ويمشى على ذلك الدرابزين من الحديد؛ فتغوص رجلاه، ويداه هنالك، ثم توقد تحته النار حتى يحترق، ويقول له المقربون: مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع[1] على الشر الذى لا يفعل خيراً؛ قربنا لك ما يشبهك؛ فتقبل منا؛ واكفنا شرك، وشر أرواحك الخبيثة.

ويقربون للمشترى صبياً طفلاً، وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنة[2] للأصنام السبعة؛ فتحمل، وتترك حتى تضع، ويأتون بها والصبى على يدها: ابن ثمانية أيام؛ فينخسونه بالمسل، والإبر وهو يبكى على يد أمه، فيقولون له: أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر؛ قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة؛ فتقبل قرباننا؛ وارزقنا خيرك، وخير أرواحك الخيرة.

---

(١) المطبوع على الشر: المجبول عليه المفطور.
(٢) السدنة: الخدام.

ويقربون للمريخ رجلاً أشقر أنمش[١] أبيض الرأس من الشقرة، يأتون به؛ فيدخلون فى حوض عظيم، ويشدون قيوده إلى أوتاد فى قعر الحوض، ويملأون الحوض زيتاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه الى حلقه، ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية للعصب، والمعفنة للحم حتى إذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد، قبضوا على رأسه؛ فملخوا عصبه من جلده، ولفوه تحت رأسه، وأتوا به إلى صنمهم الذى هو على صورة المريخ؛ فقالوا: أيها الإله الشرير: ذو الفتن، والجوائح، قربنا إليك ما يشبهك، فتقبل قرباننا، واكفنا شرك، وشر أرواحك الخبيثة الشريرة.

ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام، وتكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة: من خير، وشر، ويقربون للشمس تلك المرأة التى قتلوا ولدها للمشترى، ويطوفون بصورة الشمس، ويقولون: مسبحة، مهللة، أنت أيتها الآلهة النورانية؛ قربنا إليك ما يشبهك، فتقبلى قرباننا، وارزقينا من خيرك وأعيذينا من شرك.

ويقربون للزهرة عجوزاً شمطاء، ماجنة، يقدمونها بين يديها، وينادون حولها: أيتها الآلهة الماجنة، أتيناك بقربان، بياضه كبياضك، ومجانته كمجانتك، وظرفه كظرفك، فتقبليها منا. ثم يأتون بالحطب، فيجعلونه حول العجوز، ويضرمون[٢] فيه النار الى أن تحترق؛ فيحثون رمادها فى وجه الصنم.

ويقربون لعطارد شاباً أسمر، حاسباً، كاتباً، متأدباً يأتون به بحيلة، وكذلك يفعلون بالكل: يخدعونهم، ويبنجونهم، ويسقونهم أدوية تزيل العقل، وتخرس الألسنة؛ فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد، ويقولون: أيها الرب الظريف، أتيناك بشخص ظريف، وبطبعك اهتدينا؛ فتقبل منا، ثم ينشر الشاب نصفين، ويربع، ويجعل على أربع خشبات حوله، ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق، ويحترق الربع معها، ويحثون رماده فى وجهه. ويقربون للقمر رجلاً آدم، كبير الوجه، ويقولون له: يا بريد الآلهة، وخفيف الأجرام العلوية.

---

(١) النمش: النقط فى العين من سواد وبياض.
(٢) يضرمون: يشعلون.

ذكر تلبيسه على عبّاد الأصنام

قال المصنف: كل محنة لبس بها إبليس على الناس؛ فسببها الميل إلى الحس والإعراض عن مقتضى العقل، ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا إبليس لعنه الله! خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور، وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة: فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها، ومنهم من وجد فيه قليل فطنة؛ فعلم أنه لا يوافقه على هذا؛ فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق؛ فقالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

ذكر بداية تلبيسه على عبّاد الأصنام

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو جعفر بن أحمد بن السلم، نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزناتى، نا أبو بكر أحمد بن محمد ابن عبد الله الجوهرى، ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزى، ثنا أبو الحسن على بن الصباح بن الفرات، قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلب(١)، قال: أخبرنى أبى، قال: أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام ـ لما مات جعله بنوشيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند، ويقال للجبل: بوذ، وهو أخصب جبل فى الأرض.

قال هشام: فأخبرنى أبى عن أبى الصالح، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: فكان بنوشيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة؛ فيعظمونه، ويترحمون عليه، فقال رجل من بنى قابيل: يا بنى قابيل، إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله، ويعظمونه، وليس لكم شئ، فنحت لهم صنماً، فكان أول من عملها، قال: وأخبرنى أبى أنه كان ود وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر قوماً صالحين، فماتوا فى شهر؛ فجزع عليهم أقاربهم؛ فقال رجل من بنى قابيل: يا قوم، هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أننى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً، فقالوا: نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم، ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه، وعمه، وابن عمه، فيعظمه، ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول. وعملت على عهد يزذ بن

---

(١) تصحيف والصواب محمد بن السائب الكلبى وهو النسابة المفسر المعروف وهو كذاب ـ ولم أجد فى بقية النسخ التى بين يدى من نبه عليه.

مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، ثم جاء قرن آخر؛ فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول، ثم جاء من بعدهم القرن الثالث، فقالوا: ما عظم الأولون هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل، فعبدوهم، وعظموا أمرهم، واشتد كفرهم، فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام؛ فدعاهم فكذبوه؛ فرفعه الله مكاناً علياً، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً، وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة، فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة؛ فعصوه وكذبوه؛ فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك؛ فعملها، وفرغ منها، وركبها وهو ابن ستمائة سنة، وغرق من غرق، ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة؛ فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض؛ حتى قذفها إلى أرض جدة فلما نضبت الماء بقيت على الشط؛ فسفت الريح عليها حتى وارتها. (١)

قال الكلبي: وكان عمرو بن لحى كاهناً، وكان يكنى أبا ثمامة ـ له رئى من الجن، فقال له: عجّل المسير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت (صفا جده) (٢)، تجد فيها أصناماً معدة (فأوردها) (٣) تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب. (فأتى نهر جدة فاستثارها، ثم حملها حتى ورد بها تهامة) (٤)، وحضر الحج؛ فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة؛ فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات، فدفع إليه وداً فحمله، فكان بوادى القرى بدومة الجندل، وسمى ابنه عبد ود؛ فهو أول من سمى به، وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له، فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالإسلام. (٥)

---

(١) هو من طريق الكلبى فإسناده موضوع.
لكن روى البخارى (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:
صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد، أما ودٌّ كانت لكلب بدومة الجندل ..... الحديث.

(٢) فى « الفتح » (سيف جده) بدلاً من « صفا جده ».

(٣) فى « الفتح » ثم أوردها تهامة.

(٤) فى « الفتح » قال: فأتى عمرو ساحل جدة فوحد بها وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا وهى الأصنام التى عبدت على عهد نوح وإدريس.

(٥) قال الحافظ فى « الفتح » (٥٤٢/٨): أخرج الفاكهى فى كتاب « أخبار مكة » من طريق الكلبى قال: كانت لعمرو بن ربيعة رئى من الجن ...
وقوله: دومة الجندل ـ بفتح الجيم وسكون النون ـ مدينة بالشام مما يلى العراق.

قال الكلبي: حدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً، قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه، ويقول اسق إلهك فأَشْرِبه. قال: ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره، فجعله جذاذاً، وكان رسول الله ﷺ بعثه من غزوة تبوك لهدمه، فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود، وبنو عامر؛ فقاتلهم فقتلهم، وهدمه، وكسره، وقتل يومئذ رجلا من بني عبد ود يقال له: قطن ابن سريح، فأقبلت أمه (وهو مقتول) وهي تقول:

ألا تـلـك المـودة لا تـدوم ... ولا يـبقى على الدهـر النعيـم
ولا يبقى على الحدثانِ عـفـر ... لـه أم بـشـاهـقـه رؤوم

ثم قالت:

يا جـامعاً جمع الأحشاء والكبد ... يا ليت أمك لم تولد ولـم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت، وماتت.

قال الكلبي: فقلت لمالك بن حارثة: صف لي وداً حتى كأني أنظر إليه. قال: كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دير أي نفس، عليه حلتان: متزر بحلة، مرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلده، وتنكب قوساً، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة فيها نبل يعني جعبتها. قال: وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار؛ فدفع إلى رجل من هذيل يقال له: الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر (سواعاً) وكان بأرض يقال لها: رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر(١) فقال رجل من العرب:

تراهـمْ حـول قبْلتهـمْ عكوفـا ... كما عكـفت هذيلُ على سواع
يظـن حياتـه صرعـى لديـه ... غنائـمُ مـن ذخائـر كل راعـى

---

(١) قال ابن عباس كما في «الحديث» السابق الذي رواه البخاري ـ وأما سواع فكانت لهزيل ـ زاد أبو عبيدة ابن مدركة بن إلياس بن مضر وكانوا بقرب مكة.
وقال ابن إسحق : كان سواع بمكان لهم يقال له: رُهاط بضم الراء وتخفيف الهاء من أرض الحجاز من جهة الساحل . الفتح (٥٤٨/٨).
وذكر ابن سعد في «الطبقات» (١١١/٢) وابن جرير في «التاريخ» (٦٦/٣) أن رسول الله بعث حين فتح مكة عمرو بن العاص إلى سواع صنم هذيل ليهدمه.

وأجابته مذحج؛ فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى «يغوث» وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج، ومن والاها.[١]

وأجابته همدان؛ فدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم «يعوق» وكان بقرية يقال لها: جوان تعبده همدان، ومن والاها من اليمن.[٢]

وأجابته حمير؛فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له: معدى كرب «نسراً»وكان بموضع من أرض سبأ يقال له: بلخع تعبده حمير، ومن والاها. فلم يزالوا يعبدونه حتى هو دهم ذو نواس، ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله محمداً ﷺ،فأمر بهدمها.[٣]

قال ابن هشام:وحدثنا (الكلبى)عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رفعت لى النار، فرأيت عمرو بن لحى: قصيراً، أحمر، أزرق، يجر قصبه فى النار، قلت: من هذا. قيل: هذا عمرو بن لحى أول من بحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وسيب السائبة، وحمى الحام، وغير دين إسماعيل، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان».[٤]

---

(١) فى حديث ابن عباس: «وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى عبد الله بن ناجية بن مراد. وروى الفاكهى من طريق ابن إسحق قال: كانت أنعم من طيئ وجرش بن مدجح اتخذوا يغوث لجرش» راجع الفتح (٥٤٣/٨).

(٢) قال الحافظ فى «الفتح» (٥٤٣/٨): روى الفاكهى فى كتاب «أخبار مكة» من طريق ابن إسحاق قال: كانت «ضوان» بطن من همدان اتخذوا «يعوق» بارضهم.
تنبيه: وقع فى جميع النسخ «جوان» بالجيم بعدها واو ..وفى الفتح «حنوان» بالحاء بعدها نون ـ ولم أقف على أى الاسمين هو الصحيح.

(٣) قال فى «الفتح» (٥٤٣/٨): وفى مرسل قتادة ـ لذى الكلاع من حمير ـ زاد الفاكهى ـ من طريق ابن إسحاق ـ اتخذوه بأرض حمير.

(٤) إسناده موضوع والحديث صحيح ـ ففى إسناده الكلبى وهو كذاب.وقد روى البخارى (٣٥٢١ ـ٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦) وابن جرير (٧ / ٥٦) وأحمد (٢٧٥/٢ـ٣٦٦) عن أبى هريرة مرفوعاً «رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعى يجر قصبه فى النار وكان أول من سيب السوائب وروى البخارى (٤٦٢٤) عن عائشة مرفوعاً «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه فى النار وهو أول من سيب السوائب. وروى أحمد (٤٤٦/١) وعبد بن حميد عن ابن مسعود مرفوعاً « إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإنى رأيته يجر أمعاءه فى النار». وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير (٥٦/٧) والحاكم (٥/٤ـ٦) عن أبى هريرة مرفوعاً: «عرضت علىّ النار فرأيت فيها عمرو بن لحى قمعة بن خندق يجر قصبه فى النار..». وروى أحمد والحاكم (٤/٤ـ ٦) عن أبى بن كعب ـفى ذلك مطولاً.وابن جرير (٥٦/٧) عن زيد بن أسلم.

قال هشام: وحدثنى أبى وغيره أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة، ولد له فيها أولاد، فكثروا حتى ملؤا مكة، ونفوا من كان بها من العماليق، ضاقت عليهم مكة، ووقعت بينهم الحروب والعداوات؛ فأخرج بعضهم بعضاً؛ فتفسحوا فى البلاد، والتمسوا المعاش، فكان الذى حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم؛ تعظيماً للحرم، وصيانة لمكة؛ فحيث ماحلو، وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة؛ تيمناً منهم بها، وصيانة للحرم، وحباً له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على أثر إبراهيم وإسماعيل، ثم عبدوا ما استحسنوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم، واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة، والمزدلفة، وإهداء البدن، والإهلال بالحج والعمرة، وكانت نزار تقول إذا ما أهلت : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك ، إلاشريكا هو لك : تملكه وما ملك)(١)

وكان أول من غير دين إسماعيل، ونصب الأوثان، وثيب السائبة، ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة، وهو أبو خزاعة، وكانت أم عمرو بن لحى فهيرة بنت عامر . ابن الحارث وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة، فلما بلغا عمرو بن لحى نازعه فى الولاية، وقاتل جرهم بن إسماعيل؛ فظفر بهم، وأجلاهم عن الكعبة، ونفاهم من بلاد مكة، وتولى حجابة البيت من بعدهم، ثم إنه مرض مرضاً شديداً، فقيل له: إن بالبلقاء من أرض الشام حمة، إن أتيتها برئت. فأتاها فاستحم بها؛ فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال ما هذه؟ فقالوا: نستسقى بها المطر، ونستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها؛ ففعلوا، فقدم بها مكة، ونصبها حول الكعبة، واتخذت العرب الأصنام.

وكان أقدمها مناة، وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديد بين مكة والمدينة، وكانت العرب جميعاً تعظمه، والأوس والخزرج، ومن نزل المدينة ومكة، وما والاها ويذبحون له ويهدون له(٢)

---

(١) قال فى «الفتح» (٤٢٨/٦) وذكر ابن إسحاق أن سبب عبادة عمرو بن لحى الأصنام أنه خرج إلى الشام... فذكر نحوه .

(٢) ذكر ابن سعد فى «الطبقات» (١١١/٢ـ ١١٢) والطبرى «تاريخ» (٦٦/٣) أن رسول اللهﷺ أرسل سرية بقيادة سعد بن زيد الأشهلى إلى «مناة» فى شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول اللهﷺ وكان «مناة» بالمشَلّلِ للأوس والخزرج وغسان فلما كان يوم الفتح بعث رسول اللهﷺ سعد يهدمها فى عشرين فارساً.

قال هشام: وحدثنا رجل من قريش، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عامر بن يسار قال: كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون،فيقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رؤسهم، فإذا نفروا أتوه؛فحلقوا عنده رؤسهم، وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا ذلك، كانت مناة لهذيل وخزاعة؛ فبعث رسول الله ﷺ علياً رضى الله عنه؛ فهدمها عام الفتح.

ثم اتخذوا «اللات» بالطائف، وهى أحدث من مناة، وكانت صخرة مرتفعة، وكانت سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وكانت العرب تسمى زيد اللات، وتيم اللات، وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم؛ فلم يزالوا كذلك حتىٰ أسلمت ثقيف؛ فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها، وحرقها بالنار.(١)

ثم اتخذوا «العزى» وهى أحدث من «اللات» اتخذه ظالم بن أسعد، وكانت بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق، وبنوا عليها بيتاً، وكانوا يسمعون منه الصوت.(٢)

قال هشام: وحدثنى أبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت «العزى» شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد، فقال: **«ائت بطن نخلة؛ فإنك تجد ثلاث سمرات، فاعتضد الأولى»** فأتاها فعضدها، فلما جاء إليه قال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا. قال: «فعضد الثانية» فأتاها فعضدها، ثم أتى النبى ﷺ فقال: «هل رأيت شيئاً» قال: لا. قال: «فاعضد الثالثة» فأتاها، فإذا هو بجنية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها، تصر بأنيابها، وخلفها دبية السلمى، وكان سادنها، فقال خالد:

---

(١) رواه الفاكهى من طريق مقسم عن ابن عباس.

(٢) روى البخارى (٤٨٥٩) وابن جرير (٣٥/٢٧) عن ابن عباس فى قوله «اللات والعزى» كان اللات رجلاً تلدُّ سويق الحاج».

وروى البخارى (٤٤٩٥، ٤٨٦١) عن عروة عن عائشة قالت:

إنما كان من أهلّ «لمناة» الطاغية التى بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ فطاف رسول الله ﷺ والمسلمون، قال سفيان: «مناة» بالمشلل من قديد ــ وقال عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب قال عروة قالت عائشة ــ نزلت فى الانصار كانوا وهم وغسّان يهلون «لمناة» مثله ــ وقال معمر عن الزهرى عن عروة عائشة: كان رجال من الأنصار ممن كان يهل «لمناة» و«مناة» صنم بين مكة والمدينة ــ قالوا: يانبى الله كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة ــ نحوه.

والقديد: مكان معروف بين مكة والمدينة.

يا عز كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هى حُمَمَة، ثم عضد الشجرة، وقتل دبية السادن، ثم أتى النبى ﷺ فأخبره، فقال: تلك العزى، ولا عزى بعدها للعرب.[١]

قال هشام: وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة، وحولها وأعظمها عندهم هبل. وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش كذلك، فجعلوا له يداً من ذهب، وكان أول من نصبه خذيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكان فى جوف الكعبة، وكان قدامه سبعة أقدح مكتوب فى أحدها: (صريح) وفى الآخر: (ملصق) فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية، ثم ضربوا بالقدح، فإن خرج (صريح) ألحقوه، وإن خرج ملصقاً فدفعوه. وكانوا إذا اختصموا فى أمر، أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده، وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد: اعل هبل أى علا دينك. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (ألا تجيبونه) فقالوا: وما نقول. قال: (قولوا: الله أعلى وأجل) [٢] وكان لهم «أساف» و«نائلة» قال هشام: فحدث الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس أن أساف رجل من جرهم يقال له: أساف بن يعلى، ونائلة بنت زيد من جرهم، وكان يتعشقها فى أرض اليمن، فأقبلا حجاجاً، فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس، وخلوة من البيت؛ ففجر بها فى البيت؛ فمسخا، فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين؛ فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما؛ فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب. قال هشام: لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليتعظ الناس بهما، فلما طال مكثهما، وعبدت الأصنام عبدا معها. وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة، والآخر فى موضع زمزم؛ فنقلت قريش الذى

---

(١) أخرجه النسائى «تفسيره» (٥٦٧) وأبو يعلى (٩٠٢) وأبو نعيم فى «الدلائل» (رقم ٤٦٣) من طريق محمد بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبى الطفيل به. وقال الهيثمى (مجمع) (١٧٦/٦) وعزاه للطبرانى وقال: وفيه يحيى بن المنذر وهو ضعيف.
وعن أبى عبد الرحمن السلمى أن خالد بن الوليد مر على اللات فقال: نحو ما ذكر المؤلف..قال الهيثمى (١٧٦/٦) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح إلا أنه مرسل.
وأما يحيى بن المنذر فقد ضعفه الدار قطنى فقط، وقال العقيلى: فى حديثه نظر. ولا يعنى هذا أنه ضعيف عنده. فالحديث حسن بشاهده إن شاء الله.
وقد ذكره ابن سعد (١١٠/٢ـ ١١١) والطبرى «تاريخ» (٦٥/٣) وابن هشام (٢٨٦/٢) وقد ذكره الألبانى فى «الجامع» (٣٠٥٨) وضعفه ـ ولكن الذى ضعفه طريق قتادة المرسل الذى رواه ابن عساكر وقد علل سبب الضعف فى المقدمة ص ٢١ ـ ٢٢.
(٢) رواه البخارى (٣٠٣٩ ـ ٤٠٤٣) وأبو نعيم (٣٩/١) وأحمد (٢٩٣/٤).

كان ملصقاً بالكعبة إلى الآخر، فكانوا ينحرون، ويذبحون عندهما.(١)

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة، وكان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج، وكانت بتبالة بين مكة والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة، وكانت تعظمها، وتهدى لها خثعم وبجيلة، فقال رسول اللّه ﷺ لجرير رضى اللّه عنه: **«ألا تكفنى ذا الخلصة»** فوجهه إليه فسار بأحمس، فقابلته خثعم وباهله، فظفر بهم وهدم بنيان ذى الخلصة، وأضرم فيه النار، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة.(٢)

وكان لدوس صنم يقال له: (ذو الكفين)، فلما أسلموا بعث رسول اللّه ﷺ الطفيل بن عمرو فحرقه.(٣)

وكان لبنى الحارث بن يشكر صنم يقال له: (ذو الثرى).

وكان لقضاعة، ولخم، وجذام، وعاملة، وغطفان صنم فى مشارف الشام يقال له: (الأقيصر).

وكان لمزينة صنم يقال له: (فهم) وبه كانت تسمى عبد فهم.

وكانت لعنزة صنم يقال له: (سعير).

---

(١) عن زيد بن حارثة قال: كان صنم من نحاس يقال له «أساف» و «نائلة» يتمسح به المشركون إذا طافوا فطاف رسول الله ﷺ فطفت معه فلما مررت مسحت به فقال رسول الله ﷺ: لا تمسحه! فقال زيد: فطفت فقلت فى نفسى لأمسنّه حتى أنظر ما يكون فمسحته فقال رسول الله ﷺ ألم تنه؟ رواه البيهقى فى «الدلائل» (٣٤/٢) وذكره ابن كثير فى «البداية» (٢٨٧/٢). وروى البيهقى فى «الدلائل» (٦٤/٢) والفاكهى فى «أخبار مكة» (٤٤/١) عن عائشة أنها قالت: ما زلنا نسمع أن «أساف ونائلة» رجل وامرأة من جرهم زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين.

(٢) رواه البخارى (٣٠٢٠، ٣٠٣٦، ٣٠٧٦، ٣٨٢٣، ٤٣٥٥، ٤٣٥٦، ٤٣٥٧، ٦٠٨٩، ٦٣٣٣) ومسلم (٢٤٧٦) وأبو داود (٢٧٧٢) وأحمد (٣٦٠/٤ ـ ٣٦٢ ـ ٣٦٥) واالبيهقى فى «الدلائل» (٣٤٨/٥) والبغوى (٢٧٠١). «وذى الخلصة» بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة وحكى ابن دريد فتح أوله واسكان ثانيه وحكى ابن هشام ضمها، وقيل بفتح أوله وضم ثانيه والأول أشهر، والخلصة نبات له حب أحمر كخرز العقيق ـ وذو الخلصة ـ اسم للبيت الذى كان فيه الصنم، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة راجع «الفتح» (٥٧/٨) وروى البخارى (٧١١٦، ٧١١٧) ومسلم (٢٩٠٦) عن أبى هريرة مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس، حول ذى الخلصة، وكانت صنماً تعبدها دوس فى الجاهلية.

(٣) قال ابن سعد فى «الطبقات» (١١٩/٢) ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوس إلى «ذى الكفين» صنم عمرو بن حممة الدوس فى شوال سنة ثمان من الهجرة.

وكان لطيئ صنم يقال له: (الفلس)[١] وكان لأهل كل واد من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به. ومنهم من اتخذ بيتاً، ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحسن به، ثم طاف به، وسموها الأنصاب.

وكان الرجل إذا سافر، فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً، وجعله ثالثة الأثافي لقدره، فاذا ارتحل تركه. فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك، ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المسجد، والأصنام منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعن بسية قوسه في عيونها ووجوهها، ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» ثم أمر بها فكفئت على وجوهها، ثم أخرجت من المسجد فحرقت، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: في زمان يزد برد عبدت الأصنام، ورجع من رجع عن الإسلام.[٢]

أخبرنا إسماعيل بن أحمد،نا عمر بن عبيد الله،نا أبو الحسين بن بشران،نا عثمان بن أحمد الدقاق، ثنا جميل، ثنا حسن بن الربيع، ثنا مهدى بن ميمون. قال: سمعت أبا رجاء العطاردى يقول: لما بعث رسول الله ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب، ولحقنا بالنار، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية، فاذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذاك ونأخذه، وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه، ثم طفنا به.[٣]

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد، نا أحمد بن أحمد الحداد، نا أبو نعيم أحمد ابن عبد الله، ثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا أبو عباس السراج، ثنا أحمد بن الحسن بن خراش، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا عمارة المعولى، قال: سمعت أبا رجاء العطاردى يقول: كنا نعمد الى الرمل؛ فنجمعه فنحلب عليه؛ فنعبده، وكنا نعمد الى الحجر الأبيض؛ فنعبده زماناً، ثم نلقيه.[٤]

---

(١) قال إبن سعد في «الطبقات» (١٢٤/٢): ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوس إلى «ذى الكفين» صنم عمرو بن حممه الدوس في شوال سنة ثمان من الهجرة.

(٢) رواه البخارى (٢٤٧٨ ـ ٤٢٨٧ ـ ٤٧٢٠) ومسلم (١٧٨١) عن ابن مسعود قال:
دخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد» وفي رواية لمسلم عن أبى هريرة «يطعن في عينيه بسية القوس» وللفاكهى والطبراني عن ابن عباس «فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابته بالأرض قد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص».
وعند ابن حبان والفاكهى عن ابن عمر «فيسقط الصنم ولا يمسه».

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢ / ٣٠٥ ، ٣٠٦).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢ / ٣٠٦) من طريق أبى العباس السراج به.

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر بن ثابت، نا عبد العزيز بن على الوراق، نا أحمد ابن ابراهيم، ثنا يوسف بن يعقوب النيسابورى نا أبو بكر بن أبى شيبة، ثنا يزيد بن هرون، نا الحجاج بن أبى زينب، قال: سمعت أبا عثمان النهدى قال: كنا فى الجاهلية نعبد حجراً، فسمعنا منادياً ينادى يأهل الرحال، إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره. قال: فخرجنا على كل صعب وذلول، فبينما نحن كذلك نطلب، إذا نحن بمناد ينادى: إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال: فجئنا فإذا حجر، فنحرنا عليه الجزر.(١)

أنبأنا محمد بن أبى طاهر، نا أبو إسحاق البرمكى، نا أبو عمر بن حيوية، نا أحمد بن معروف، نا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد، نا محمد بن عمرو، ثنى الحجاج بن صفوان، عن ابن أبى حسين، عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن عنبسة قال: كنت أمرءاً ممن يعبد الحجارة، فينزل الحى ليس معهم آلهة، فيخرج الحى منهم، فيأتى بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة لقدره، ويجعل أحسنها إلهاً يعبد . ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل؛ فيتركه، ويأخذ غيره. (٢)

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو الحسن العتيقى، نا عثمان بن عمرو بن الميثاب، نا أبو محمد عبد الله بن سليمان الفامى، ثنى أبو الفضل محمد بن أبى هارون الوراق، ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروى، عن شيخ من ساكنى مكة قال: سئل سفيان بن عيينة:كيف عبدت العرب الحجارة والأصنام؟ فقال: أصل عبادتهم الحجارة أنهم قالوا: البيت حجر، فحيث ما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت. وقال أبو معشر: كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية، ويقرون بأن لله تعالى ملائكة إلا انهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور، وأن الملائكة أجسام حسان،وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء، فاتخذوا أصناماً على صورة الله سبحانه عندهم، وعلى صور الملائكة؛ فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم. وقيل لبعضهم: إن الملائكة، والكواكب، والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق؛ فعظموها، وقربوا لها، ثم عملوا الأصنام.

---

(١) رواه الخطيب فى «التاريخ» (١٠ / ٢٠٤).
(٢) فيه انقطاع بين شهر بن حوشب وعمرو بن عبسه.
تنبيه: وقع فى بعض النسخ عمرو بن عبسة وبعضها عمرو بن عنبسة وهو خطأ والصواب هو الأول.

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للأصنام: فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان، كانت فيه أصنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس، وجعله بيت نار. والبيت الثانى، والثالث فى أرض الهند. والرابع بمدينة بلخ؛ بناه ينو شهر، فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ. والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة، فخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه. والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة، فخربه المعتصم.

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى، ووضع لهم أصناماً، وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالميلتان. (وهى مدينة من مداين السند). وجعل فيه صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهيولى الأكبر. وهذه المدينة فتحت فى أيام الحجاج، وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم: إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال.

فأمر عبد الملك بن مروان بتركه، فالهند تحج إليه من ألفى فرسخ، ولا بد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف، لايكون أقل من هذا ولا أكثر، ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقيه فى صندوق عظيم هناك، ويطوفون بالصنم . فإذا ذهبوا قسم ذلك المال: فثلثه للمسلمين، وثلثه لعمارة المدينة وحصونها، وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء، وذهب بعقولهم؛ فنحتوا بأيديهم ماعبدوه، وما أحسن ماعاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[الأعراف:١٩٥] وكانت الإشارة إلى العباد أى: أنتم تمشون، وتبطشون، وتبصرون، وتسمعون، والأصنام عاجزة عن ذلك، وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص؟ ولو تفكروا لعلموا أن الإله يصنع الأشياء ولا يصنع، ويجمع وليس بمجموع، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها، وإنما ينبغى للإنسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه . وما خيل إليهم أن الأصنام تشفع؛ فخيال ليس فيه شبهة يتعلق بها.

ذكـر تلبيـسه على
عابـدى النـار والشمـس والقمـر

قال المصنف: قد لبسّ إبليس على جماعة، فحسن لهم عبادة النار وقالوا: هى الجوهر الذى لايستغنى عنه، ومن ههنا زين عبادة الشمس.

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى أنه لما قتل قابيل هابيل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس، فقال له: إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار؛ لأنه كان يخدم النار ويعبدها؛ فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك. فبنى بيت نار؛ فهو أول من نصب النار وعبدها، قال الجاحظ: وجاء زرادشت من بلخ، وهو صاحب المجوس، فادعى أن الوحى ينزل إليه على جبل سيلان، فدعى أهل تلك النواحى الباردة الذين لايعرفون إلا البرد، وجعل الوعيد بتضاعف البرد، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط. وشرع لأصحابه التوضؤ بالأبوال، وغشيان الأمهات، وتعظيم النيران، مع أمور سمجة. قال: ومن قول زرادشت: كان الله وحده، فلما طالت وحدته فكر؛ فتولد من فكرته إبليس. فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه، فلما رأى امتناعه ودعه إلى مدة.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة. فأول من رسم لها بيتاً أفريدون، فاتخذ لها بيتا بطرطوس وآخر ببخارى. واتخذ لها بهمن بيتاً بسجستان. واتخذ لها أبو قباذ بيتاً بناحية بخارى. وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها. وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم. وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فى حطب، وطرح عليه الكبريت، فلما استوت الشمس فى كبد السماء قابلت كوة قد جعلها فى ذلك البيت، فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة، فانعكس على الحطب، فوقعت فيه النار. فقال لا تطفؤا هذه النار.

فصـــــل

قال المصنف: وقد حسّن إبليس لعنه الله لأقوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم. قال ابن قتيبة، وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها. وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون إليه رسول الله ﷺ أول من عبدها. وقال: قطعت السماء عرضاً ولم يقطع السماء عرضاً غيرها، وعبدها وخالف قريشاً، فلما بعث رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله، وترك الأوثان، قالوا: هذا ابن أبى كبشة. أى شبهه ومثله فى الخلاف. كما قالت بنو إسرائيل لمريم: ياأخت هارون. أى: ياشبيهة هارون فى الصلاح، وهما شعريان: إحداهما هذه، والشعرى الأخرى هى الغميصاء، وهى تقابلها، وبينها المجرة ـ والغميصاء من الذراع المبسوط فى جبهة الأسد، وتلك فى الجوزاء.

وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا: هى بنات الله تعالى. تعالى الله عن ذلك وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر. وكان السامرى من قوم يعبدون البقر؛ فلهذا صاغ عجلاً. وجاء فى التعبير أن فرعون كان يعبد تيساً، وليس فى هؤلاء من أعمل فكره، ولا استعمل عقله فى تدبير ما يفعل، نسأل الله السلامة: فى الدنيا والآخرة.

ذكـر تلبيـسه على الجاهليـة

قال المصنف: ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الأصنام. ومن أقبح تلبيسه عليهم فى ذلك تقليد الآباء من غير نظر فى دليل كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] المعنى: أتتبعونهم أيضاً.

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية، وأنكروا الخالق، وجحدوا البعث، الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] وعلى آخرين منهم: فأقروا بالخالق، لكنهم جحدوا الرسل والبعث. وعلى آخرين منهم: فزعموا أن الملائكة بنات الله. وأمال مذهب آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس، وكان فى بنى تميم منهم زرارة بن جديس التميمى وابنه حاجب.

وممن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبدالمطلب بن هاشم[١]، وزيد بن عمرو بن نفيل[٢]، وقس بن ساعدة، وعامر بن الظرب. وكان عبد المطلب إذا رأى ظالماً لم تصبه عقوبة، قال: تالله إن وراء هذا الدار لداراً: يجزى فيها المحسن، والمسئ، ومنهم زهير بن أبى سلمى وهو القائل:

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم، ومنهم زيد الفوارس بن حصن، ومنهم القلمس بن أمية الكنانى. كان يخطب بفناء الكعبة، وكانت العرب لاتصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها، فقال يوماً: يامعشر العرب، أطيعونى ترشدوا قالوا: وما ذاك. قال: إنكم تفردتم بآلهة شتى إنى لأعلم ما الله بكل هذا راض، وإن الله رب هذه الآلهة، وإنه ليحب أن يعبد وحده. فتفرقت عنه العرب لذلك؛ ولم يسمعوا مواعظه. وكان فيهم قوم يقولون: من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها، ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً. وممن قاله عمرو بن زيد الكلبى.

قال المصنف: وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك، وإنما تمسك منهم بالتوحيد، ورفض الأصنام القليل: كقس بن ساعدة، وزيد، ومازالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة.

فمنها النسئ: وهو تحريم الشهر الحرام، وتحليل الشهر الحرام؛ وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة، فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه إلى صفر، ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة. وإذا حجوا قالوا: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك ومنها: توريث الذكر دون الأنثى. ومنها أن أحدهم كان إذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس إليه.

---

(١) هو جد الرسول ﷺ، وليس كما قال المؤلف أنه كان مقراً بالخالق وحده، نعم أقر ولكن لم يعبده ولم يترك عبادة الاصنام، ومات على عبادة الاصنام وقال البيهقى فى «الدلائل» (١ / ١٩٢):
«كيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة فى الآخرة ـ يعنى فى النار ـ وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا ولم يدينوا بدين عيسى بن مريم عليه السلام، وأمرهم لا يقدح فى نسب النبى ﷺ».

(٢) وأمر زيد راجع قصته فى «الفتح» (٧ / ١١٢) و «الدلائل» للبيهقى (٢ / ١٢٢ ـ ١٢٣) والبداية والنهاية (٢ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) ـ وقد مات على ملة إبراهيم عليه السلام وكذلك ورقة بن نوفل ـ فقد أخرج الحاكم (٢ / ٦٠٩) عن عائشه مرفوعاً:
«لا تسبوا ورقة فإنى رأيت له جنة أو جنتين» وصححه الشيخ للألبانى فى «الصحيحة» (٤٠٥/٦٩٠/١) وراجع إن شئت الدلائل (٢ / ١٢٢ ـ ١٢٣).

ومنها **البحيرة**، وهي: الناقة تلد خمسة أبطن فإن كان الخامس أنثى شقوا أذنها، وحرمت على النساء. **والسائبة** من الأنعام كانوا يسيبونها، ولا يركبون لها ظهراً، ولا يحلبون لها لبناً. **والوصيلة** الشاة تلد سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا: وصلت أخاها، فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء.

والحام: الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسيبونه لأصنامهم، ولا يحمل عليه، ثم يقولون: إن الله عز وجل أمرنا بهذا، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[المائدة:١٠٣].

ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وفيما أحلوه بقولهم: ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾[الأنعام:١٣٩] قال الله تعالى: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾[الأنعام:١٤٣] المعنى: إن كان الله تعالى حرم الذكرين؛ فكل الذكور حرام، وإن كان حرم الأنثيين؛ فكل الإناث حرام، وإن كان حرم مااشتملت عليه أرحام الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور والإناث؛ فيكون كل جنين حراماً. وزين لهم إبليس قتل أولادهم، فالإنسان منهم يقتل ابنته، ويغذو كلبه.

ومن جملة مالبس عليهم إبليس أنهم قالوا: لو شاء الله ما أشركنا. أي لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه؛ فتعلقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشيئة الله تعم الكائنات، وأمره لا يعم مراداته؛ فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر، ومذاهبهم السخيفة التي ابتدعوها كثيراً لايصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هي مما يحتاج إلى تكلف في ردها .

ذكر تلبيس إبليس
على جاحدي النبوات

قال المصنف: قد لبسّ إبليس على البراهمة، والهندوس، وغيرهم؛ فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق مايصل من الإله. وقد اختلف أهل الهند: فمنهم دهرية، ومنهم ثنوية، ومنهم على مذاهب البراهمة، ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط، وقد حكى أبو محمد النوبختي في كتاب (الآراء والديانات) أن قوماً من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق، والرسل، والجنة، والنار، وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب له:

أربعة أيد، وإثنتا عشر رأساً، من ذلك رأس إنسان، ورأس أسد، ورأس فرس، ورأس فيل، ورأس خنزير، وغير ذلك من رؤوس الحيوانات، وأنه أمرهم بتعظيم النار، ونهاهم عن القتل، والذبائح إلا ما كان للنار، ونهاهم عن الكذب، وشرب الخمر، وأباح لهم الزنا، وأمرهم أن يعبدوا البقر، ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه، ولحيته، وحاجبيه، وأشفار عينيه، ثم يذهب فيسجد للبقر ،فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها.

قال المصنف: وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات.

الشبهة الأولى: استبعاد اطلاع بعضهم على ماخفى عن بعض فقالوا: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ والمعنى: وكيف أطلع على ماخفى عنكم. وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها جنسه، فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحى؛ إذ ليس كل أحد يصلح لذلك.

وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة، وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدنى، فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا، وللبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً من خلقه بالحكمة البالغة، والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد فى العالم بسوء الأخلاق، والأفعال، ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة؛ ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة، فكيف ينكرون إمداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل، ومصالح، ووصايا: يصلح بها العالم، ويطيب أخلاقهم، ويقيم بها سياستهم؟ وقد أشار عز وجل إلى ذلك فى قوله عز وجل: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس:٢]

الشبهة الثانية: قالوا: هلا أرسل ملكاً، فإن الملائكة إليه أقرب، ومن الشك فيهم أبعد، والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم، فيوقع هذا شكا، وجواب هذا من ثلاثة أوجه:

أحدهما – أن فى قوى الملائكة قلب الجبال، والصخور، فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم؛ لأن المعجزة ماخرقت العادة وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف؛ ليكون دليلاً على صدقه.

والثانى – أن الجنس إلى الجنس أميل، فصح أن يرسل إليهم من جنسهم؛ لئلا ينفروا، وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه.

والثالث _ أنه ليس فى قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ،ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾[الأنعام:٩] أى: لينظروا إليه، ويأنسوا به، ويفهموا عنه ثم قال: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[الأنعام:٩] أى: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا، فلا يدرون أملك هو أم آدمى.

الشبهة الثالثة: قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات، وما يلقى إليهم من الوحى يظهر جنسه على الكهنة والسحرة، فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاسد. والجواب أن نقول: أن الله تبارك وتعالى بين الحجج، ثم بث الشبهة، وكلف العقول الفرق، فلا يقدر ساحر أن يحيى ميتاً، ولا أن يخرج من عصا حيَّة، وأما الكاهن فقد يصيب ويخطىء بخلاف النبوة التى لا خطأ فيها بوجه.

الشبهة الرابعة: قالوا لايخلوا إما أن تجئ الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه: فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل، وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغنى عنه. والجواب أن نقول: قد ثبت أن كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم كالحكماء والسلاطين، فكيف بالأمور الإلهية، والأخروية؟

الشبهة الخامسة: قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل، فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك إيلام الحيوان؟. والجواب أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض، فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض، وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى، وأنه لا خلل فيها، ولا نقص، فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفى عنه، ومتى اشتبه علينا أمر فى فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان، ثم قد ظهرت حكمة ذلك، فإنا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد، ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتى من الفهم، والفطنة، والقوى النظرية، والعملية، وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه، ولا يقوم فى إبقاء القوى مقام اللحم شئ، ولا يستطرف تناول القوى الضعيف، وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته. وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم، فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات، فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته، فلم يكن لايجاده فائدة.

وأما ألم الذبح فإنه يستر، وقد قيل: إنه لايوجد أصلا، لأن الحساس للألم أغشية الدماغ؛ لأن فيه الأعضاء الحساسة، ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بألم، فإذا قطعت الأوداج سريعاً لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته» (١)

الشبهة السادسة: قالوا: ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب. والجواب أن هذا الكلام ينبغى أن يستحى من إيراده، فإنه لم يبق شئ من العقاقير والأحجار إلا وقد وضحت خواصها، وبان سترها، فلو ظفر واحد منهم بشئ، وأظهر خاصيته، لوقع الإنكار من العلماء بتلك الخواص، وقالوا: ليس هذا منك، إنما هذه خاصية فى هذا. ثم إن المعجزات ليست نوعاً واحداً، بل هى بين صخرة خرجت منها ناقة، وعصا انقلبت حية، وحجر تفجر عيوناً، وهذا القرآن الذى له منذ نزل دون الستمائة سنة، فالأسماع تدركه، والأفكار تتدبره، والتحدى به على الدوام، ولم يقدر أحد على مداناة منه، فأين هذا والخاصة، والسحر، والشعبذة؟.

قال أبو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه: صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق، وثبوت الشرائع بين الخلق، والإمتثال لأوامرها كابن الراوندى، ومن شاكله كأبى العلاء. ثم مع ذلك لايرون لمقالتهم نباهة، ولا أثراً بل الجوامع تتدفق زحاماً والأذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبى ﷺ والإقرار بما جاء به، وإنفاق الأموال والأنفس فى الحج مع ركوب الأخطار، ومعاناة الأسفار، ومفارقة الأهل والأولاد. فجعل بعضهم يندس فى أهل النقل فيضع المفاسد على الأسانيد، ويضع السير والأخبار، وبعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكر خواص فى أحجار، وخوارق العادات فى بعض البلاد، وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين، ويبالغ فى تقرير ذلك حتى قالوا إن سطيحاً قال فى الخبئ الذى خبئ له: حبة بر، فى إحليل مهر.

والأسود(*) كان يعظ، ويقول الشئ قبل كونه، وههنا اليوم معزمون يكلمون الجنى الذى فى باطن المجنون، فيكلمهم بما كان ويكون، وما شاكل ذلك من الخرافات،

---

(١) رواه مسلم (١٩٥٥) وأبو داود (٢٨١٥) والترمذى (١٤٠٩) والنسائى (٧ / ٢٢٧) وابن ماجه (٣١٧٠) والدارمى (١٩٧٠) والطيالسى (١١١٩) وابن الجارود (٢٧٨٣) والطبرانى فى «الكبير» (٧١١٤ _ ٧١١٥ _ ٧١١٦ _ ٧١١٧ _ ٧١١٨ _ ٧١١٩ _ ٧١٢٠ _ ٧١٢١ _ ٧١٢٢ _ ٧١٢٣) والبيهقى (٨ / ٦٠، ٩ / ٦٨) وأحمد (٤ / ١٢٣ _ ١٢٤ _ ١٢٥) والبغوى (٢٧٨٣) عن شداد بن أوس بلفظ : «إنّ الله كتب الإحسان على كل شئ.....».

(*) الأسود العنس – الذى ادعى النبوه .

فمن رأى مثل هذا قال بقلّة عقله، وقلّة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة، وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب هذا، وليس قول الكاهن: حبة بر فى إحليل مهر. وقد أخفيت كل الإخفاء بأكثر من قوله: ﴿وأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ ومَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران:٤٩] وهل بقى لهذا وقع فى القلوب، وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تلمح هذا إلا النبى، والله ما قصدوا بذلك إلا قصداً ظاهراً، ولحوا إلا لحاً جلياً، فقالوا: تعالوا نكثر الجولان فى البلاد، والأشخاص، والنجوم، والخواص، فلا يخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه فيصدق بها الكل، ويبطل أن يكون ماجاء به الأنبياء خرقاً للعادات. ثم دس قوم من الصوفية أن فلاناً أهوى بإنائه إلى دجلة فامتلأ ذهباً، فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين، وبطريق العادات فى حق المنجمين. وبطريق الخواص فى حق الطباعين وبطريق الكهانة فى حق المعزمين، والعرافين فأى حكم بقى لقول عيسى عليه السلام. ﴿وأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ ومَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وأى خرق بقى للعادات، وهل العادات إلا استمرار الوجود، وكثرة الحصول. فإذا نبههم العاقل المتدين على مافى هذا من الفساد قال الصوفى: أتنكر كرامات الأولياء. وقال أهل الخواص: أتنكر المغناطيس الذى يجذب الحديد، والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان. فويل للمحق معهم هذا! والباطنية من جانب، والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب، لايحلون ولا يعقدون إلا بقولهم، فسبحان من يحفظ هذه الملة، ويعلى كلمتها حتى أن كل الطوائف تحت قهرها إقبالاً من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعاً لأهل المحال.

الكلام على جاحدى النبوات

ومن الهند البراهمة: قوم قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم، فيحفر للإنسان منهم أخدوداً وتجتمع الناس، فيجيء مضمخاً بالخلوق والطيب، وتضرب المعازف والطبول والصنوج، ويقولون: طوبى لهذه النفس التى تعلق إلى الجنة، ويقول هو: ليكن هذا القربان مقبولا ويكون ثواب الجنة. ثم يلقى نفسه فى الأخدود، فيحترق فإن هرب نابذوه، ونفوه، وتبرأوا منه، حتى يعود.

ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يثقب جوفه، ويخرج معاه فيموت. ومنهم من يقف قريباً من النار إلى أن يسيل ودكه فيسقط. ومنهم من

يقطع من ساقه وفخذه قطعاً، ويلقيها إلى النار، والناس يزكونه ويمدحونه، ويسألون مثل مرتبته حتى يموت. ومنهم من يقف فى اخثاء البقر إلى ساقه ويشعل النار فيحترق.

ومنهم من يعبد الماء ويقول: هو حياة كل شئ فيسجد له. ومنهم من يجهز له أخدود قريب من الماء، فيقع فى الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس فى الماء، ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت، فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا: حرم الجنة. وإن مات فى أحدهما شهدوا له بالجنة.

ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولا عن المشى ثم عن الجلوس، ثم ينقطع كلامه، ثم تبطل حواسه، ثم تبطل حركته ثم يخمد.

ومنهم من يهيم فى الأرض حتى يموت. ومنهم من يغرق نفسه فى النهر. ومنهم من لا يأتى النساء ولا يوارى إلى العورة، ولهم جبل شاهق تحته شجرة، وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل، وبعج بطنه، وأخرج أمعاءه بيده.

ومنهم من يأخذ الصخور، فيرض بها جسده حتى يموت، والناس يقولون: طوبى لك. وعندهم نهران، فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال، فيأخذون ماعلى العباد من الثياب، ويبطحونهم، فيقطعونهم نصفين، ثم يلقون أحد النصفين فى نهر، والنصف الآخر فى نهر، ويزعمون أنهما يجريان إلى الجنة.

ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له، ويهنئونه بنيته، فإذا أضجر جلس، وجمع له سباع الطير من كل جهة، فيتجرد من ثيابه، ثم يمتد والناس ينظرون إليه، فتبتدره الطير فتأكله، فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه، وأحرقوها، وتبركوا بها، فى أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختى يضيع الزمان فى كتابتها، والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم، ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة، وتلهم دقائق الأعمال، فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقاد،، قال: وفيهم من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة، وأن مكث أهل الجنة فى أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة، وثلاثة وثلاثون ألف سنة، وستمائة وعشرون سنة، وكل مرتبة أضعاف مادونها. وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشر مرتبة، فيها الزمهرير، وصنوف عذابه، وست عشرة مرتبة فيها الحريق، وصنوف عذابه.

ذكـر تلبيـسه على اليهـود

قال المصنف: وأما تلبيسه على اليهود فإنه قد لبس عليهم فى أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك.

فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق، ولو كان تشبيههم حقاً لجاز عليه مايجوز عليهم، وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا. أن اليهود تزعم أن الإله المعبود رجل من نور، على كرسى من نور، على رأسه تاج من نور، وله أعضاء كما للآدميين ومن ذلك قولهم: عزير بن الله، ولو فهموا أن حقيقة البنوة لاتكون إلا بالتبعيض، والخالق ليس بذى أبعاض، لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوه. ثم إن الولد فى معنى الوالد، وقد كان عزير لا يقوم إلا بالطعام، والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها، والذى دعاهم إلى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت، وقرأ التوراة من حفظه، فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة، ويدل على أن القوم كانوا فى بعد من الذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة فى فرق البحر لهم، ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾[الأعراف:١٣٨] فلما زجرهم موسى عن ذلك بقى فى نفوسهم، فظهر المستور بعبادتهم العجل، والذى حملهم على هذا شيئان:

(أحدهما) جهلهم بالخالق

(والثاني) أنهم أرادوا ما يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم، وبعد العقل عنهم، ولولا جهلهم بالمعبود مااجترأوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾[آل عمران:١٨١] وقولهم: ﴿يد الله مغلولة﴾[المائدة:٨٠] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا: لايجوز نسخ الشرائع. وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات، وذوات المحارم، والعمل فى يوم السبت، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا إذا أمر الله عز وجل بشئ كان حكمه فلا يجوز تغييره. قلت: قد يكون التغيير فى بعض الأوقات حكمة، فإن تقلب الآدمى من صحة إلى مرض، ومن مرض إلى موت: كله حكمة، وقد حظر عليكم العمل يوم السبت، وأطلق لكم العمل يوم الأحد، وهذا من جنس ما أنكرتم، وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك.

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[البقرة:٨٠] وهي الأيام التي عبد فيها العجل، وفضائحهم كثيرة، ثم حملهم إبليس على العناد المحض، فجحدوا ما كان في كتابهم من صفة نبيناﷺ وغيروا ذلك، وقد أمروا أن يؤمنوا به، ورضوا بعذاب الآخرة، فعلماؤهم عاندوا، وجهالهم قلدوا، ثم العجب أنهم غيروا ما أُمروا به، وحرفوا ودانوا بما يريدون، فأين العبودية ممن يترك الأمر، ويعمل بالهوى، ثم إنهم كانوا يخالفون موسى، ويعيبونه حتى قالوا: إنه آدر(١)واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا.(٢)

---

(١) روى البخاري (٣٤٠٤) عن أبي هريرة مرفوعاً «إنّ موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يُرى من جلده شئ استِحياءً منه. فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برَصَ وإما أُدرة، وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر..» ورواه الترمذي(٣٢٢١)والنسائي في «تفسيره» (٤٤٤).والآدر: انتفاخ الخصية وهو عيب في الرجولة.

(٢) أخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» وابن جرير في «تفسيره» (٩٧/٢٣) وابن أبي حاتم بسند ضعيف جداً عن أنس سمعت رسول اللهﷺ يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل وأوصى صاحب الجيش فقال: إذا حضر العدو تضرب فلاناً بين يدى التابوت...الحديث وفيه ابن لهيعة ويزيد الرقاشي وهما ضعيفان.

ورواه ابن جرير (٩٣/٢٣) عن ابن عباس نحوه وإسناده مسلسل بالضعفاء قال ابن كثير «تفسير» (٣١/٤) قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لانه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالاولى أن يقتصر على مجرد تلاوة القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما يتضمنه فهو حق آيضاً.

وراجع أيضاً كتاب «الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث» للذهبي المعاصر (ص١٨٧) وروى الطبري نحوه (٢٣ / ١٤٩) عن وهب بسند فيه جهالة. وروى عن الحسن (٢٣ / ١٤٨) موقوفاً وفيه مطر الوراق وهو ضعيف. قال القاضي عياض في كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢ / ١٦٣) «وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين قال: ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد في حديث صحيح.

وقال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم. وقال الخازن في «تفسيره» اعلم أن من خصه الله بنبوته وأكرمه برسالته وشرّفه على كثير من خلقه ، وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه ولا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الانبياء والصفوة الأمناء» ولولا مخافة إملال القارئ الكريم لذكرت كل أقوال السلف في ذلك حتى يعلم خطيب مساكننا الأزهري ـ زعم ـ أن القصة باطله لا يصح التشدق بها على المنابر، فما أكثر ما فضح الانبياء ونسب إليهم الباطل بجهله وكان آخرها بالأمس الجمعة الثانية من شوال لعام ألف وأربعمائة وسبعه عشره من الهجرة حيث قال!

إن رسول اللهﷺلقن ابنه إبراهيم الشهادة بعد موته...وهذا غير صحيح، هذا بجوار سوء القراءة واللغة ومازال العوام يستمعون إليه ومازال ممكناً من المنبر !! ـ وإلى الله نشكوا تمكين الجهلاء.

أخبرنا محمد بن عبد الباقى البزار نا الحسن بن على الجوهرى، نا أبو عمر بن حياة، نا بن معروف، نا الحارث بن أبى أسامة، ثنا محمد بن سعد، نا على بن محمد، عن على بن مجاهد، عن محمد بن إسحاق، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى رسول اللهﷺ بيت المدارس فقال: «أخرجوا إلىّ أعلمكم» فخرج إليه عبد الله بن صوريا، فخلا به فناشده الله بدينه، وبما أنعم الله عليهم، وأطعمهم من المنّ والسلوى، وظللهم به من الغمام: «**أتعلمون أنى رسول الله**»؟. قال: اللهم نعم . وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبين فى التوراة، ولكنهم حسدوك. قال: «**فما يمنعك أنت**»؟. قال: أكره خلاف قومى، وعسى أن يتبعوك ويسلموا، فأسلم.(١)

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا الحسن بن على، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنى أبى، قال: ثنا يعقوب، قال: ثنا أبى، عن ابن إسحاق، قال: حدثنى صالح بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد، عن سلمة بن سلامة بن وقش. قال: كان لنا جار من اليهود فى بنى عبد الأشهل، فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبىﷺ حتى وقف على مجلس بنى عبد الأشهل قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيهم سناً، علىّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلى، فذكر البعث، والقيامة، والحساب، والميزان، والجنة، والنار، فقال: ذلك لقوم أهل شرك، وأصحاب أوثان، لايرون بعثاً كائناً بعد الموت. فقال له: ويحك. يافلان، أترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار: يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذى يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور فى الدار يحمونه، ثم يدخلونه إياه، فيطبقونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً. قال له: ويحك! وما آية ذلك؟ قال: نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إلىّ وأنا من أحدثهم سناً أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله، ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله

(١) رواه ابن سعد فى «الطبقات» (١ / ١٣٠) من طريق على بن محمد عن على بن مجاهد عن محمد بن إسحاق به.
وعلى بن مجاهد متهم بالكذب . راجع «الميزان» (٣ / ١٥٢).

رسوله ﷺ وهو حى بين أظهرنا، فآمنا به وكفربه: بغياً، وحسداً، فقلنا له: ويلك يافلان! ألست الذى قلت لنا فيه ماقلت. قال: بلى، ولكن ليس به.[١]

ذكـر تلبيســه على النصـــارى

قال المصنف: تلبيسه عليهم كثير: فمن ذلك أن إبليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر، فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب، والملكية أهل دين الملك، والنسطورية أصحاب نسطورس: إن الله جوهر واحد، أقانيم ثلاثة، فهو: واحد فى الجوهرية ثلاثة فى الأقنومية فأحد الأقانيم عندهم الأب، والآخر الإبن، والآخر روح القدس، فبعضهم يقول: الأقانيم خواص. وبعضهم يقول: صفات. وبعضهم يقول: أشخاص. وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان، والتحرك، والسكون، والأوان، ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله.

قال أبو محمد النوبختى: زعمت الملكية، واليعقوبية أن الذى ولدته مريم هو الإله، وسوّل الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله، وقال بعضهم: المسيح جوهران أحدهما قديم، والآخر محدث، ومع قولهم هذا فى المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام، ولا يختلفون فى هذا، وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه، ويقولون: إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت مافيه من اللاهوت؟! ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد ﷺ حتى جحدوه بعد ذكره فى الانجيل، ومن الكتابيين من يقول عن نبينا: إنه نبى إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة، وهذا تلبيس من إبليس استغفلهم فيه؛ لأنه متى ثبت أنه نبى فالنبى لا يكذب، وقد قال: «بعثت إلى الناس كافة»[٢] وقد كتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم.[٣]

---

(١) **(إسناده حسن)** ـ رواه أحمد (٣ / ٤٦٧) والبخارى فى «التاريخ» (٢ / ٢ / ٦٨ ـ ٦٩) والطبرانى فى «الكبير» (٦٣٢٧) وأبو نعيم فى «الدلائل» (١٩١) والحاكم (٣ / ٤١٧ ـ ٤١٨) والبيهقى فى «الدلائل» (٢ / ٧٨) كلهم عن طريق محمد بن إسحاق به. وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم ووافقه الذهبى ـ وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨ / ٢٣٠) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث.

(٢) هذا الجزء جاء فى حديث متواتر.
وهذه إحدى طرقه ـ روى البخارى (٤٣٨) ومسلم وأبو عوانة والنسائى والدارمى والبيهقى (٢١٢/١) وغيرهم عن جابر مرفوعاً: «اعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى...وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة».

(٣) الخطاب الذى أرسله النبى ﷺ إلى هرقل ـ رواه البخارى (٥١٠٧ ـ٢٦٨١ ـ٢٨٠٤ ـ٢٩٤١ ـ٢٩٧٨ ـ٣١٧٤ ـ ٤٥٥٣) ومسلم وغيرهما.

ومـن تلبيـس إبليـس على اليـهود والنصـارى

أنهم قالوا: لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا: فمنا الأولياء، والأنبياء، فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّه وأَحِبَّاؤُهُ ﴾[المائدة:١٨] . أى منا ابنه عزير، وعيسى. وكشف هذا التلبيس إن كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه ذو قرابته، ولو تعدت المحبة شخصاً إلى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض.

وقد قال نبينا ﷺ لابنته فاطمة: «لاأغنى عنك من الله شيئاً»(١) وإنما فضل المحبوب بالتقوى، فمن عدمها عدم المحبة، ثم إن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً إذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل.

ذكـر تلبيـسه على الصابـئين

قال المصنف: أصل هذه الكلمة أعنى الصابئين من قولهم: صبأت، إذا خرجت من شئ إلى شئ، وصبأت النجوم: إذا ظهرت وصبأ به، إذا خرج والصابئون: الخارجون من دين إلى دين، وللعلماء فى مذاهبهم عشرة أقوال:

أحدها: إنهم قوم بين النصارى، والمجوس. رواه سالم عن سعيد بن جبير، وليث عن مجاهد.(٢)

والثانى: إنهم بين اليهود والمجوس، رواه ابن أبى نجيح عن مجاهد.(٣)

والثالث: إنهم بين اليهود والنصارى. رواه القاسم بن أبى بزة عن مجاهد.(٤)

والرابع: إنهم صنف من النصارى ألين قولا منهم. رواه أبو صالح عن ابن عباس.(٥)

(١) رواه البخارى (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٦) وأحمد (٢/٣٣٣ـ ٢٦٠) والبغوى (٣٧٤٤) عن أبى هريرة مرفوعاً «يامعشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا انفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً. يافاطمة بنت محمد سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئاً» وروى مسلم (٢٠٥) وأحمد (٦/٢٣٦ـ ١٨٧) والبغوى (٣٧٤٣) عن عائشة نحوه.

(٢) رواه وكيع وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم ـ كما قال السيوطى فى « الدر »

(٣) رواه ابن جرير (١١٠٥) شاكر.

(٤) رواه ابن جرير (١١٠١) شاكر، وإسناده ضعيف. (١ / ١٤٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق كما قال السيوطى فى «الدر» (١ / ١٤٥).

والخامس: إنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم. رواه القاسم أيضاً عن مجاهد.

والسادس: إنهم كالمجوس، قاله الحسن.

والسابع: إنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. قاله أبوالعالية.(١)

والثامن: إنهم قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور. قاله قتادة، ومقاتل.(٢)

والتاسع: إنهم طائفة من أهل الكتاب. قاله السدى.(٣)

والعاشر: إنهم كانوا يقولون: لا إله إلا اللّه، وليس لهم عمل، ولا كتاب، ولا نبى إلا قول لا إله إلا اللّه. قاله ابن زيد.(٤)

قال المصنف: هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس، والقاسم، والحسن، وغيرهم، فأما المتكلمون فقالوا: مذهب الصابئين مختلف فيه، فمنهم من يقول: إن هناك هيولى، كان لم يزل، ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى، وقال أكثرهم: العالم ليس بمحدث، وسموا الكواكب ملائكة، وسماها قوم منهم: آلهة، وعبدوها، وبنوا لها بيوت عبادات، وهم يدعون أن بيت اللّه الحرام واحد منها، وهو بيت زحل، وزعم بعضهم أنه لايوصف اللّه عز وجل إلا بالنفى دون الإثبات، ويقال ليس بمحدث، ولا موات، ولا جاهل، ولا عاجز. قالوا: لئلا يقع تشبيه، ولهم تعبدات فى شرائع: منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات فى كل يوم، أولها. ثمان ركعات، وثلاث سجدات، فى كل ركعة، وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس. والثانية ـ خمس ركعات. والثالثة ـ كذلك، وعليهم صيام شهر: أوله الثمان ليال يمضين من آذار، وسبعة أيام أولها التسع يبقين من كانون الأول، وسبعة أيام: أولها الثمان ليال يمضين من شباط، ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح، وحرموا لحم الجزور فى خرافات يضيع الزمان بذكرها، وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة، وإلى الضياء، وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين، وإلى الظلمة.

---

(١) رواه ابن جرير (١١١٠) وابن أبى حاتم ـ كما قال السيوطى فى «الدر» (١ / ١٤٦).
(٢) رواه ابن جرير (١١٠٩) وعبد الرزاق.
(٣) رواه وكيع كما قال السيوطى (١ / ١٤٦).
(٤) أخرجه ابن جرير (١١٠٧).

وبعضهم يقول: هذا العالم لا يفنى، وأن الثواب والعقاب فى التناسخ، ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف فى ردها إذ هى دعاوٍ بلا دليل، وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات، وقوانين، ودعوات، واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا: لابد من متوسط بين الله وبين خلقه فى تعريف المعارف، والإرشاد للمصالح، إلا أن ذلك المتوسط ينبغى أن يكون روحانياً لا جسمانياً، قالوا: نحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه، فيكون ذلك وسيلة لنا إليه، وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد.

ذكر تلبيس إبليس على المجوس

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى: كان أول ملوك المجوس (كومرث) فجاءهم بدينهم، ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها (زرادشت) وكانوا يقولون: إن الله (تعالى عن ذلك) شخص روحانى ظهر، فظهرت معه الأشياء: روحانية تامة، فقال: لا يتهيأ لغيرى أن يتدع مثل هذه التى ابتدعتها؛ فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره، فقامت الظلمة تغالبه. وكان مما سنه زرادشت عبادة النار، والصلاة إلى الشمس، يتأولون فيها أنها ملكة العالم، وهى التى تأتى بالنهار، وتذهب بالليل، وتحيى النبات والحيوانات، وترد الحرارات إلى أجسادها.

وكانوا لا يدفنون موتاهم فى الأرض تعظيماً لها ويقولون أنها نشوء الحيوانات فلا نقذرها وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيماً له، وقالوا: لأن به حياة كل شئ إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه، ولا يبزقون فيه، ولا يرون قتل الحيوانات، ولا ذبحها، وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر: تبركاً به، وإذا كان عتيقاً كان أكثر بركة، ويستحلون فروج الأمهات، قالوا: الابن أحرى بتسكين شهوة أمه. وإذا مات الزوج فإبنه أولى بالمرأة، فإن لم يكن له ابن اكترى رجلاً من مال الميت، ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة وألف، وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ، ويحملها إلى بيت النار، ويقيمها على أربع، وينظفها بسبابته، وأظهر هذا الأمر (مزدك) فى أيام (قباذ) وأباح النساء لكل من شاء، ونكح نساء (قباذ) لتقتدى به العامة، فيفعلون فى النساء مثله، فلما بلغ إلى أم (أنو شروان) قال لقباذ: أخرجها إلىّ؛ فإنك إن منعتنى شهوتى لم يتم إيمانك، فهم بإخراجها، فجعل أنوشروان يبكى بين يدى (مزدك) ويقبل رجله بين

يدى أبيه قباذ، ويسأله أن يهب له أمه، فقال قباذ لمزدك: ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته. قال: بلى. قال: فلم ترد أنوشروان عن شهوته؟ قال: قد وهبتها له، ثم اطلق الناس فى أكل الميتة، فلما ولى أنوشروان أفنى المزدكية هو. ومن أقوال المجوس إن الأرض لا نهاية لها من أسفلها، وإن السماء جلد من جلود الشياطين، والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الأفلاك المأسورة فى حرب، والجبال من عظامهم، والبحر من أبوالهم، ودمائهم، (ونبغ للمجوس) رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية إلى بنى العباس، واستغوى خلقاً، وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها، فهو آخر من ظهر للمجوس، وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها، وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم.

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم: أنهم رأوا فى الأفعال خيراً، وشراً، فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر؛ فأثبتوا إلهين، وقالوا: أحدهما نور حكيم لايفعل إلا الخير، والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية.

قال المصنف: وقد سبق ذكر شبههم وجوابها، وقال بعضهم: البارى قديم، فلا يكون منه إلا الخير، والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر، فيقال لهم: إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان، فقد خلق رأس الشر. وزعم بعضهم أن الخالق هو النور، ففكر فكرة رديئة، فقال: أخاف أن يحدث فى ملكى من يضادنى، وكانت فكرته رديئة؛ فحدث منها إبليس، فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك، وحكى النوبختى أن بعضهم قال: إن الخالق شك فى شئ؛ فكان الشيطان من ذلك الشك. قال: وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان: كان بينهما فضاء، وكانت الدنيا سليمة من آفة، والشيطان بمعزل عنها؛ فاحتال إبليس حتى خرق السماء بجنوده، فهرب الرب عز وجل من فعلتهم، (وتقدس عن قولهم) فاتبعه إبليس حتى حاصره، وحاربه ثلاثة آلاف سنة، لا هو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه، ثم يصالحه على أن يكون إبليس وجنوده فى الدنيا سبعة آلاف سنة، ورأى الرب أن الصلاح فى احتمال مكروه إبليس إلى أن ينقضى الشرط، فالناس فى بلايا إلى انقضائه، ثم يعودون إلى النعيم، وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة، فوضعها فى هذا العالم، وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين، ودفعا سيفيهما إلى العدلين وقالا: من نكث فاقتلاه فى هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها؛ فتتنكبناها لذلك، ونذكر ما انتهى تلبيس إبليس

إليه ما آثرنا ذكر شئ من هذا التخليط (والعجب) أنهم يجعلون الخالق خيراً، ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة، فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة إبليس ملك، ثم يقال لهم: أيجوز أن يفى الشيطان بما ضمن؟ فإن قالوا: لا. قيل لهم: فلا يليق بالحكمة استبقاؤه. وإن قالوا: نعم. فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير، وكيف أطاع الشيطان العدلين، وقد عصى ربه، وكيف يجوز الافتيات على الإله؟ وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة، ولا معنى.

ذكر تلبيس إبليس
على المنجمين وأصحاب الفلك

قال أبو محمد النوبختى: ذهب قوم إلى أن الفلك قديم لا صانع له. وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا: زحل وحده قديم. وزعم قوم أن الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة، ولا برودة، ولا رطوبة، ولا يبوسة، وليس بخفيف، ولا ثقيل. وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى، وأنه اختطف من الأرض بقوة دورانه. وقال بعضهم: الكواكب من جسم تشابه الحجارة. وقال بعضهم: هى من غيم تطفأ كل يوم، وتستنير بالليل مثل الفحم: يشتعل، وينطفئ. وقال بعضهم: جسم القمر مركب من نار وهوى. وقال آخرون: الفلك من الماء، والريح، والنار، وأنه بمنزلة الكرة، وأنه يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق، قالوا: وزحل يدور الفلك فى نحو من ثلاثين سنة، والمشترى فى نحو من اثنتى عشرة سنة، والمريخ فى نحو من سنتين، والشمس، والزهرة، وعطارد فى سنة، والقمر فى ثلاثين يوماً، وقال بعضهم: أفلاك الكواكب سبعة: فالذى يلينا فلك القمر، ثم فلك عطارد، ثم فلك الزهرة، ثم فلك الشمس، ثم فلك المريخ، ثم فلك المشترى، ثم فلك زحل، ثم فلك الكواكب الثابتة. واختلفوا فى مقادير أجرام الكواكب، فقال أكثر الفلاسفة: أعظمها جرماً الشمس، وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الأرض . والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربعة وتسعين مرة مثل الأرض.

والمشترى نحو من اثنتين وثمانين مرة مثل الأرض، والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض. قالوا: ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف فرسخ، وألف فرسخ، وأربعة وستون فرسخاً.

وقال بعضهم: الفلك حى، والسماء حيوان، وفى كل كوكب نفس، قال قدماء الفلاسفة: النجوم تفعل الخير، والشر، وتعطى، وتمنع على حسب طبائعها من السعود، والنحوس، وتؤثر فى النفوس، وأنها حية فعالة.

ذكر تلبيس إبليس على جاحدى البعث

قال المصنف: قد لبس على خلق كثير، فجحدوا البعث، واستهولوا الإعادة بعد البلاء، وأقام لهم شبهتين: إحداهما إنه أراهم ضعف المادة. والثانية - اختلاط الأجزاء المتفرقة فى أعماق الأرض. قالوا: وقد يأكل الحيوان الحيوان، فكيف يتهيأ إعادته؟ وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى فى الأولى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[المؤمنون:٣٦]

وقال فى الثانية: ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[السجدة:١٠]

وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية، قال قائلهم:

يخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف، حياة أصداء وهام

وقال آخر: (هو أبو العلاء المعرى):

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب) عن شبهتهم الأولى: إن ضعف المادة فى الثانى وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة، ومضغة، وعلقة. ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً إلا من مادة سخيفة. فإنه أخرج هذا الآدمى من نطفة، والطاووس من البيضة المدرة، والطرفة الخضراء من الحبة العفنة.

فالنظر ينبغى أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته لا إلى ضعف المواد . وبالنظر إلى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية، ثم قد أرانا كالأنموذج فى جمع التمزق، فإن سحالة الذهب المتفرقة فى التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده،

فكيف بالقدرة الإلهية التى من تأثيرها خلق كل شئ لا من شئ، على أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب مااستحالت إليه الأبدان لم يصر بنفسه؛ لأن الآدمى بنفسه لا ببدنه، فإنه ينحل، ويسمن، ويهزل، ويتغير من صغر إلى كبر، وهو هو . ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدى أنبيائه ما هو أعظم من البعث، وهو قلب العصا حية حيواناً، وأخرج ناقة من صخرة، وأظهر حقيقة البعث على يدى عيسى صلوات الله وسلامه عليه. قال المصنف: وقد زدنا هذا شرحاً فى الرد على الفلاسفة.

مبدأ عبادة الأصنام

وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى، ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما، فترددوا فى البعث، فقال قائلهم: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[الكهف:٣٦]

وقال العاص بن وائل: ﴿ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾[مريم:٧٧] وإنما قالوا هذا لموضع شكهم، وقد لبس إبليس عليهم فى ذلك. فقالوا: إن كان بعث فنحن على خير؛ لأن من أنعم علينا فى الدنيا بالمال لا يمنعناه فى الآخرة.

قال المصنف: وهذا غلط منهم؛ لأنه لم لايجوز أن يكون الإعطاء استدراجاً أو عقوبة، والإنسان قد يحمى ولده، ويطلق فى الشهوات عبده.

ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ

قال المصنف: وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت فى أبدان خيرة؛ فاستراحت، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل فى أبدان شريرة، فيتحمل عليها المشاق. وهذا المذهب ظهر فى زمان فرعون موسى.

وذكر أبو القاسم البلخى أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال، والسباع، والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها، أو ليتعوض أولا لمعنى أكثر من أنها مملوكة، فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال.

وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى أن الهند يقولون الطبائع أربع: هيولى مركبة، ونفس، وعقل، وهيولى مرسلة.

فالمركبة هى الرب الأصغر، والنفس هى الهيولى الأصغر، والعقل الرب الأكبر، والهيولى هو أيضاً أكبر، وأن النفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر، وهو الهيولى المركبة، فإن كانت محسنة صافية قبلها فى طبعه، فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر، وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر، فيتخلصه إلى الهيولى المركب الأكبر. فإن كان محسناً تام الإحسان أقام عنده فى العالم البسيط، وإن كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر، ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر، ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى الرب الأصغر، فيخرجه مازجاً لشعاع الشمس حتى ينتهى إلى بقلة خسيسة يأكلها الإنسان، فيتحول إنساناً، ويولد ثانية فى العالم، وهكذا تكون حاله فى كل موتة يموتها.

(**وأما المسيئون**) فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم، فتصير الروح فى بهيمة، ثم تنسخ من بهيمة فى أخرى عند موت تلك البهيمة، فلا يزال منسوخاً متردداً فى العلل. ويعود كل ألف سنة إلى صورة الإنس، فإن أحسن فى صورة الإنس لحق بالمحسنين.

قال المصنف:قلت: فانظر إلى هذه التلبيسات التى رتبها لهم إبليس على ما عنّ له لا يستند إلى شئ. أنبأنا محمد بن أبى طاهر البزار، قال: أنبأنا على بن المحسن، عن أبيه، قال: حدثنى أبو الحسن على بن نظيف المتكلم، قال: كان يحضر معنا ببغداد شيخ الإمامية يعرف بأبى بكر بن الفلاس، فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع، ثم صار يقول بمذهب التناسخ، قال: فوجدته بين يديه (*) سنور أسود، وهو يمسحها، ويحك بين عينيها، ورأيتها وعينها تدمع، كما جرت عادة السنانير بذلك، وهو يبكى بكاءاً شديداً، فقلت له: لم تبك؟ فقال: ويحك! أما ترى هذه السنور تبكى. كلما مسحتها هذه أمى لا شك، وإنما تبكى من رؤيتها إلىّ حسرة. قال: وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه، وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً، فقلت له: فهى تفهم عنك ما تخاطبها به؟ فقال: نعم. فقلت: أتفهم أنت صياحها؟ قال: لا. قلت: فأنت المنسوخ، وهى الإنسان.

(*) قط أسود .

ذكر تلبيس إبليس
على أمتنا فى العقائد والديانات

قال المصنف: دخل إبليس على هذه الأمة فى عقائدها من طريقين:

أحدهما: التقليد للأباء والأسلاف .

والثانى: الخوض فيما لا يدرك غوره، ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه، فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط.

فأما الطريق الأول: فان إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه، والصواب قد يخفى، والتقليد سليم. وقد ضل فى هذا الطريق خلق كثير، وبه هلاك عامة الناس، فإن اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم، فضلوا وكذلك أهل الجاهلية، واعلم أن العلة التى مدحوا التقليد بها يذم، لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه، والصواب يخفى، وجب هجر التقليد، لئلا يوقع فى ضلال.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم، فقال عز وجل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف:٢٣]. المعنى: أتتبعونهم، وقد قال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات:٧٠].

قال المصنف: اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه، وفى التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه، إنما خُلق للتأمل والتدبر . وقبيح بمن أعطى شمعة يستضئ بها أن يطفئها، ويمشى فى الظلمة. واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص، فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال. وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغى أن يكون إلى القول لا إلى القائل، كما قال على رضى الله عنه للحرث بن حوط وقد قال له: أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل. فقال له: ياحارث، إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال: اعرف الحق تعرف أهله. وكان أحمد بن حنبل يقول: من ضيق علم الرجل أن يقلد فى اعتقاده رجلا، ولهذا أخذ أحمد بن حنبل بقول: زيد فى الجد وترك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

«فإن قال قائل»: فالعوام لا يعرفون الدليل، فكيف لا يقلدون؟

فالجواب: إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه فى ذكر الدهرية، ومثل ذلك لا يخفى على عاقل، وأما الفروع، فإنها لما كثرت حوادثها، واعتاص على العامى عرفانها، وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامى التقليد فيها لمن قد سبر ونظر، إلا أن اجتهاد العامى فى اختيار من يقلده.

قال المصنف: وأما الطريق الثاني، فإن إبليس لما تمكن من الأغبياء، فورطهم فى التقليد، وساقهم سوق البهائم، ثم رأى خلقاً فيهم نوع ذكاء وفطنة، فاستغواهم على قدر تمكنه منهم، فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد، وأمره بالنظر، ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن، فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز. فساقهم إلى مذهب الفلاسفة، ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الإسلام، وقد سبق ذكرهم فى الرد على الفلاسفة. ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه. فيقال لهؤلاء بالحواس: علمتم صحة قولكم، فإن قالوا: نعم كابروا، لأن حواسنا لم تدرك ما قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف، وإن قالوا بغير الحواس، ناقضوا قولهم. ومنهم من نفره إبليس عن التقليد، وحسن له الخوض فى علم الكلام، والنظر فى أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام. وقد تنوعت أحوال المتكلمين، وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك، وببعضهم إلى الإلحاد.

ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً، ولكنهم رأوا أنه لا يشفى غليلاً، ثم يرد الصحيح عليلاً، فأمسكوا عنه، ونهوا عن الخوض فيه. حتى قال الشافعى رحمه الله: لأن يبتلى العبد بكل مانهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام(١). قال: وإذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له. قال: وحكمى فى علماء الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم فى العشائر، والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ فى الكلام.(٢) وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة.

---

(١) رواه اللالكائى (١/١٤٦/١٠٠) وابن أبى حاتم فى «أداب الشافعى» (ص ١٨٧) وابن بطه فى «الابانة» (١/٥٠).

(٢) رواه الخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (ص ٧٨).

قال المصنف: قلت: وكيف لا يذم الكلام، وقد أفضى بالمعتزلة إلى أنهم قالوا: إن اللّه عز وجل يعلم جمل الأشياء، ولا يعلم تفاصيلها. وقال جهم بن صفوان: علْم اللّه وقُدرته وحَياته مُحدثَة. وقال أبو محمد النوبختي عن جهم(١) أنه قال: إن اللّه عز وجلَ ليس بشيء.

وقال أبو على الجبائى، وأبو هاشم، ومن تابعهما من البصريين: المعدوم شيء، وذات ونفس، وجوهر، وبياض، وصفرة، وحمرة، وإن البارى سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً، ولا العرض عرضاً، ولا الجوهر جوهراً، وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود. وحكى القاضى أبو يعلى فى كتاب المقتبس قال: قال لى العلاف المعتزلى: لنعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه، ولا تصح الرغبة حينئذ إليه، ولا الرهبة منه، لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير، ولا شر، ولا نفع، ولا ضرر. قال: ويبقى أهل الجنة جموداً سكوتاً: لا يفضون بكلمة، ولا يتحركون، ولا يقدرون هم، ولا ربهم على فعل شيء من ذلك. لأن الحوادث كلها لا بد لها من آخر تنتهى إليه، لا يكون بعده شيء. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال المصنف: قلت: وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخى فى كتاب (المقالات): إن أبا الهذيل اسمه محمد بن الهذيل العلاف، وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم، وانفرد بأن قال: أهل الجنة تنقضى حركاتهم، فيصيرون إلى سكون دائم، وأن لم يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل وإن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره، وكان يقول إن علْم الله هو الله، وإن قدرة الله هى الله.

وقال أبو هاشم: من تاب عن كل شيء إلا أنه شرب جرعة من خمر، فإنه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً. وقال النظام: إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر، وإن إبليس يقدر على الخير والشر. وقال هشام القوطى: إن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل، وقال بعض المعتزلة: يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه. وقالت الجبرية لا قدر لآدمى، بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل. وقالت المرجئة: إن من أقر بالشهادتين، وأتى بكل المعاصى لم يدخل النار(٢) أصلا، وخالفوا الأحاديث

---

(١) هو جهم بن صفوان المشهود صاحب بدعة الجهمية .

(٢) هناك أحاديث كثيرة فى استخراج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان من النار.

الصحاح فى إخراج الموحدين من النار. قال ابن عقيل: ما أشبه أن يكون واضع الأرجاء زنديقاً، فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد، واعتقاد الجزاء، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس، ومخافة العقل أسقطوا فائدة الإثبات، وهى الخشية والمراقبة، وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الإسلام.

قال المصنف: قلت وتبع أبو عبد الله بن كرام فاختار من المذاهب أردأها، ومن الأحاديث أضعفها، ومال إلى التشبيه، وأجاز حلول الحوادث فى ذات البارى سبحانه وتعالى. وقال إن الله لا يقدر على إعادة الأجسام، والجواهر: إنما يقدر على ابتدائها. قالت السالمية: إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شئ فى معناه، فيراه الآدمى آدمياً، والجنى جنياً. وقالوا: الله سر، لو أظهره لبطل التدبير.

قال المصنف: قلت: أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة، وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة ما رتبوه، وهؤلاء على خطأ، لأن رسول الله ﷺ أمر بالإيمان، ولم يأمر ببحث المتكلمين، ودرج الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك. وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا إليه. وقد نقل إلينا إقلاع منطقى المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله.

فأخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، نا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز[1] البزار، ثنا صالح الوفلق بن أحمد بن محمد الحافظ، ثنا أحمد بن عبيد بن إبراهيم، ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: سمعت أحمد بن سنان قال: كان الوليد بن أبان الكرابيسى خالى، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام منى؟ قالوا: لا. قال: فتتهموننى؟ قالوا: لا. قال: فإنى أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث، فإنى رأيت الحق معهم.

وكان أبو المعالى الجوينى يقول: لقد جلت أهل الإسلام جولة، وعلومهم، ركبت البحر الأعظم، وغصت فى الذى نهوا عنه: كل ذلك فى طلب الحق، وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركنى الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الإخلاص، فالويل لابن الجوينى! وكان يقول لأصحابه: ياأصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ما تشاغلت به.

---

(١) سقطت من بعض النسخ ومنها النسخة التى عولت عليها التحقيق.

وقال أبو الوفاء بن عقيل لبعض أصحابه: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت قال: وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك، وكثير منهم إلى الإلحاد: تشم روائح الالحاد من فلتات كلام المتكلمين، وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع، وطلبوا الحقائق، وليس فى قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التى انفرد بها، ولا أخرج البارى من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور، قال: وقد بالغت فى الأول طول عمرى، ثم عدت القهقرى إلى مذهب الكتب، وإنما قالوا إن مذهب العجائز أسلم؛ لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق فى النظر لم يشهدوا ما ينفى العقل من التعليلات والتأويلات؛ فوقفوا مع مراسم الشرع، وجنحوا عن القول بالتعليل، وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم.(١)

وبيان هذا أن نقول: من أحب أن يعرف أراد أن يُذكر، فيقول قائل: [من](٢) شغف باتصال النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان؟ومعلوم أن للداعى عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهى إليه محتاجة فإذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعى وذلك الحاصل يسمى غنى، والقديم لم يزل موصوفاً بالغنى منعوتاً بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض، ثم إذا نظرنا فى إنعامه رأيناه مشحوناً بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فإذا رام العقل أن يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله. وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فإذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى: وإنما دخل الفساد من أن الخالق(٣) اقتضاؤه الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرته: ولو مزجوا فى ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا فى بحبوحة التفويض بلا اعتراض

---

(١) هذه الأخبار قد ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (٤ / ٧٢ ـ ٧٣) وأيد اتصالها بأصحابها، وفى الجزء المذكور فوائد جليلة على طالب العلم مراجعته.

(٢) فى الأصل « هل » ولكن هذا مخالفه لمسايرة المعنى.

(٣) فى الأصل المحققه « الخلق » وكذا بقية النسخ.

تلبيس إبليس على أمتنا فى العقائد

وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس، فقال بعضهم: إن الله جسم، تعالى الله عن ذلك. وهذا مذهب هشام بن الحكم، وعلى بن منصور، ومحمد بن الخليل ويونس بن عبد الرحمن.

ثم اختلفوا فقال بعضهم: جسم كالأجسام. ومنهم من قال: لا كالأجسام. ثم اختلفوا فمنهم من قال: هو نور ومنهم من قال: هو على هيئة السبيكة البيضاء. هكذا كان يقول هشام بن الحكم، وكان يقول: إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه بالمرئى. قلت: ما أعجب إلا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالآدميين، والآدمى طوله سبعة أشبار بشبر نفسه. وذكر أبو محمد النوبختى عن الجاحظ، عن النظام أن هشام بن عبد الحكم قال فى التشبيه فى سنة واحدة خمسة أقاويل قطع فى آخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار. فإن قوماً قالوا: إنه على هيئة السبيكة. وإن قوماً قالوا: هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التى من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة. وقال هشام: هو متناهى الذات حتى قال: إن الجبل أكبر منه، قال: وله ماهية يعلمها هو.

قال المصنف: وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً، وذلك ينقض القول بالتوحيد، وقد استقرأه الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر، فيحتاج أن يفرد منها ويبان عنها، والحق سبحانه ليس بذى جنس، ولا مثل له، ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته وإرادته ومتناهية لا على معنى أنه ذاهب فى الجهات بلا نهاية، إنما المراد أنه ليس بجسم، ولا جوهر فتلزمه النهاية. قال النوبختى: وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان، ونعيم بن حماد، وداود الحوارى يقولون: إن لله صورة وأعضاء.

قال المصنف: أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين، ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض، أو تلف. ثم يقال لكل من ادعى التجسيم: بأى دليل أثبت حدث الأجسام، فيدلك بذلك على أن الإله هو الذى اعتقدته جسماً محدثاً غير قديم. ومن قول المجسمة: ان الله عز وجل يجوز أن يمس، ويلمس. فيقال له: فيجوز على قولكم أن يمس، ويلمس، ويعانق. وقال بعضهم: إنه جسم هو فضاء، والأجسام كلها فيه. وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله، وأنه على صورة

رجل، وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه. فقتله خالد بن عبد الله، وكان المغيرة بن سعد العجلى يزعم أن معبوده رجل من نور، على رأسه تاج من نور، وله أعضاء، وقلب: تنبع منه الحكمة، وأعضاؤه على صوره حروف الهجاء.

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن، وكان زرارة ابن أعين يقول: لم يكن البارى قادراً، حياً، عالماً فى الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات، تعالى الله عن ذلك. وقال داود الحوارى: هو جسم، لحم، ودم، وله جوارح، وأعضاء، وهو أجوف من فمه إلى صدره، ومصمت ما سوى ذلك. ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا: هو على العرش بذاته على وجه المماسة، فإذا نزل انتقل، وتحرك، وجعلوا لذاته نهاية، وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار، واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبى ﷺ: «ينزل الله إلى سماء الدنيا»[1] قالوا: ولا ينزل إلا من هو فوق.

وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسى الذى يوصف به الأجسام[2] وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا

---

(١) حديث النزول متواتر وقد جاء عن أكثر من عشرين صحابياً.
فعن أبى هريرة: رواه مالك (١/٢١٤/٣٠) والبخارى (١٤١٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨) وأبو داود (١٣١٥) والترمذى (٤٤٦) والنسائى (عمل اليوم) (٤٨٠) وابن خزيمة فى «التوحيد» (ص١٢٧) وابن أبى عاصم (٤٩٢) واللالكائى (٧٤٣ ـ٧٤٤ ـ٧٤٥) والبيهقى فى الاسماء (ص٤٤٩) والبغوى (٩٤٦) وأحمد (٢/٤٨٧).
وعن أبى سعيد الخدرى: رواه مسلم (٧٥٨) وأبو داود (١٣١٥ ـ٤٧٣٣) والترمذى (٣٤٩٨)وابن ماجه (١٣٦٦) والطيالسى (٢٢٣٢) وابن حبان (٩٢١) واللالكائى (٧٤٦) والبيهقى «أسماء» (ص ـ٤٥) والبغوى (٩٤٧).
وعن على بن أبى طالب: رواه الدارمى (٢٨٦ـ٢٨٧) وابن ماجه (١٣٨٨) واللالكائى (٧٤٨ـ٧٤٩) وأحمد (١ / ١٢٠).
وعن أبى بكر: رواه اللالكائى (٧٥٠) وابن خزيمة « توحيد » (٩٠) وابن أبى عاصم (٥٠٩) .
وعن جابر: رواه اللالكائى (٧٥١) وابن خزيمة (٨٤).
وعن رفاعة الجهنى ـ رواه الدارمى (١٤٩٠) وابن ماجه (١٣٦٧) واللالكائى (٧٥٤ ـ٧٥٥) وأحمد (٤/١٦) وابن خزيمة (٨٧) والآجرى (ص٣١٠) . وعن جبير بن مطعم: رواه الدارمى (١٤٨٨) وابن أبى عاصم (٥٠٧) وابن خزيمة (٨٨ ـ ٨٩) والآجرى (ص ٣١٢) والبيهقى فى «الأسماء » (ص٤٥١) وأحمد (٤ / ٨١).
وعن عمرو بن عنبة: رواه اللالكائى (٧٦١) وأحمد (٤/٣٨٥) والترمذى (٣٥٧٩) وابن ماجه (١٣٦٤).
وعن أبى الدرداء وابن مسعود وأبى ثعلبة وعقبة بن عامر وأبى موسى وعائشة ومعاذ وغيرهم

(٢) معلوم أن النزول عند أهل السنة والجماعة هو نزول حقيقى لكنه نزول يليق بجلاله من غير تشبيه أو تعطيل، ينزل من سماء إلى سماء ولا يخلو منه سماء.

المسمى (بمنهاج الوصول إلى علم الأصول). وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما يراه فى الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن، فتراه يتنفس من الشقوق إليه، ويمثل الزيادة فيزداد توقه ويتصور رفع الحجاب فيقلق، ويتذكر الرؤية، فيغشى عليه. ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المؤمن إليه، فيخايل القرب الذاتى، كما يجالس الجنس، وهذا كله جهل بالموصوف. ومن الناس من يقول: لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته، لقوله عز وجل: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ وله يد، وله أصبع لقول رسول الله ﷺ: «يضع السموات على إصبع»[1] وله قدم[2] إلى غير ذلك بما تضمنته الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس، وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها، وما يؤمن من هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة، وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا: ويبقى ربك وقالوا فى قوله ﴿يريدون وجهه﴾ يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله: ﴿قلوب العباد بين إصبعين﴾[3] أن الإصبع لما كانت هى المقبلة للشئ وأن ما بين الإصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك، لا أن ثم صفة زائدة.

قال المصنف: والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثَمَّ ذات تقبل التجزئ والانقسام، ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية إن الميت يأكل فى القبر، ويشرب وينكح، لأنهم سمعوا بنعيم، ولم يعرفوا

---

(١) رواه البخارى (٣٨١١، ٧٤١٤، ٧٤٥١، ٧٥١٣) ومسلم والبيهقى «أسماء» (ص٤٢١، ٤٢٢) وأبو عوانة وغيرهم عن ابن مسعود قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: ياأبا القاسم: أبلغك أن الله عز وجل يحمل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع والثرى على إصبع والخلائق على إصبع؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وأنزل الله: ﴿وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ وأهل السنة يثبتون الأصابع لله تعالى ولا يشبهونها باصابع المخلوقين ولا يعطلونها.

(٢) وكذلك يثبتون القدم من غير تشبيه ولا تعطيل ومن أدلتهم: ما رواه البخارى ومسلم والبيهقى فى «الأسماء» (ص ٤٤٢) عن أنس «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط. وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض...».
وجاء نحوه عن أبى هريرة بلفظ: «تحاجت الجنة والنار...فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجاه فتقول: قط قط، فهنا لك تمتلذ ويزوى بعضها إلى بعض...» الحديث.وراجع كتاب «الاسماء والصفات» للبيهقى ـ والعقيدة الطحاوية ـ ولوامع الانوار.

(٣) رواه أحمد (١٦٨/٢٢) ومسلم (٢٦٥٤) وابن أبى عاصم (٢١٩) والبيهقى فى «الأسماء» (ص٤٢٨) عن ابن عمرو.

من النعيم إلا هذا، ولو قنعوا بما ورد فى الآثار من «أن أرواح المؤمنين وتجعل فى حواصل طير تأكل من شجر الجنة» [(١)] لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد.

قال ابن عقيل: ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهلية، وما كانوا يقولونه فى الهام والصدا، والمكالمة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراة لاستشعارهم، لا على وجه المناظرة؛ فإن المقاومة تفسدهم. وإنما لبس إبليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل. فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً، كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار.

قال المصنف: فإن قال قائل: قد عبد طريق المقلدين فى الأصول، وطريق المتكلمين، فما الطريق السليم من تلبيس إبليس؟ فالجواب أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعيهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه، وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار: من غير تفسير، ولا بحث عما ليس فى قوة البشر إدراكه، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق. قال على كرم الله وجهه: والله ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن وإنه المسموع قوله عز وجل: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ وإنه فى المصاحف لقوله عز وجل: ﴿في رق منشور﴾ ولا نتعدى مضمون الآيات، ولا نتكلم فى ذلك برأينا. ولقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل: لفظى بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق، لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث. [(٢)]

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الإمام، ثم يتكلم فى المسائل المحدثة.

أخبرنا سعد الله بن على البزار، نا أبو بكر الطريثيثى، نا هبة الله بن الحسن الطبرى، نا أبو حامد أحمد بن أبى طاهر الفقيه، نا عمر بن أحمد الواعظ، ثنا محمد بن هرون الحضرمى، ثنا القاسم بن العباس الشيبانى، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال:

(١) رواه مالك (٢٤٠/١/ ٤٩) وأحمد (٤٥٥/٣) والترمذى والنسائى (١٠٨/٤) وابن ماجه (٤٢٧١) وأبو نعيم (١٥٦/٩) عن كعب بن مالك وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٩٩٥).

(٢) أخرج البيهقى فى «الأسماء» (ص ٣٣٩) عن عبد الله بن أحمد قال: «سمعت أبى يقول: من قال لفظى القرآن مخلوق يريد به القرآن فهو كافر».
ورواه اللالكائى (٤٤٨ ـ ٤٤٩) عن إسحاق بن إبراهيم.

أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر[(١)]

وقال مالك بن أنس: من قال القرآن مخلوق فيستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.[(٢)]

أخبرنا أبو البركات بن على البزار، نا أحمد بن على الطريثيثى، ناهبة الله الطبرى، ثنا محمد بن أحمد القاسم، ثنا أحمد بن عثمان، ثنا محمد بن ماهان، ثنا عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل: وسأله عن الأهواء، فقال عليك بدين الصبى فى الكتاب والأعرابى والْه عما سواهما.[(٣)]

قال ابن مهدى: وثنا عبد الله بن المبارك، عن الأوزاعى قال: قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيت قوماً يتناجون فى دينهم بشئ دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة.[(٤)]

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا أحمد بنْ أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا بشر بن موسى، ثنا خلاد بن يحيى، عن سفيان الثورى،قال بلغنى عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله: (أوصيك بتقوى الله عز وجل. واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته، واعلم أن من سن السنن قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق، فان السابقين الماضين عن علم توقفوا، وتبصر ناقد قد كفوا) . وفى رواية أخرى عن عمر: وإنهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، لقد قصر دونهم أقوام، فخفوه وطمح عنهم آخرون فعلوه.[(٥)]

---

(١) رواه البيهقى فى «الأسماء» (ص ٣١٥) وفى «الشعب» (١٦٧) راللالكائى (٣٨١) من طريق سفيان عنه أنه قال:
«أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله ليس بمخلوق» ورواه بلفظ المؤلف اللالكائى (٣٨٠ ـ ٣٨٣) من طريق أحمد بن أبى طاهر الفقيه والدارمى (الرد على المريسى) (ص ١١٦ ـ ١١٧) بلفظ: أدركت أصحاب النبى ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود» . ورواه البيهقى فى الأسماء (ص ٣١٥) واللالكائى (٣٨٦) عن سفيان ابن عيينه يقولون: «أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله ليس بمخلوق» . ورواه البخارى فى «خلق أفعال العباد» (ص٧) عن الحكم بن محمد.

(٢) رواه اللالكائى (٤١٠ ـ٤١١ ـ٤١٢) والبيهقى فى «الأسماء» (ص ٣١٨).

(٣) رواه اللالكائى (٢٥٠) والدارمى (٣٠٦) والبيهقى فى «الشعب» (٨٣) ورجاله ثقات.

(٤) رواه اللالكائى (٢٥١) والدارمى (٣٠٧) وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» (ص ٤١٢).

(٥) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٥ / ٣٨٨).

أخبرنا محمد بن أبي القاسم، نا أحمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا سليمان بن أحمد، ثنا بشر بن موسى، ثنا عبد الصمد بن حسان، قال: سمعت سفيان الثورى يقول: عليكم بما عليه الحمالون، والنساء فى البيوت، والصبيان فى الكتاب: من الإقراء، والعمل.[١]

قال المصنف: فإن قال قائل هذا مقام حجر لا مقام الرجال، فقد أسلفنا جواب هذا. وقلنا: إن الوقوف على العمل ضرورة؛ لأن بلوغ ما يشفى العقل من التعليل لم يدركه من غاص من المتكلمين فى البحار؛ فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم.

ذكر تلبيس إبليس على الخوارج

قال المصنف: أول الخوارج وأقبحهم حالة (ذو الخويصرة) أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا محمد بن فضيل، ثنا عمارة بن القعقاع، عن ابن أبى يعمر، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بعث على رضى الله عنه من اليمن إلى رسول الله ﷺ بذهيبة فى أديم مقروظ[٢] لم تخلص من ترابها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة: بين زيد الخيل، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وعلقمة بن علاثة، أو عامر بن الطفيل ـ شك عمارة ـ فوجد من ذلك بعض أصحابه، والأنصار وغيرهم، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء: يأتينى خبر السماء: صباحاً ومساءاً» ثم أتاه رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبهة، كث اللحية، مشمر الإزار محلوق الرأس، فقال: اتق الله يارسول الله. فرفع رأسه إليه فقال: «ويحك أليس أحق الناس أن يتقى الله أنا» ثم أدبر فقال خالد: يارسول الله، ألا أضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: «فلعله يكون يصلى» فقال: إنه ربّ مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فقال رسول الله ﷺ: «إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» ثم نظر إليه النبى ﷺ وهو مقف فقال: «إنه سيخرج من ضئضئ[٣] هذا قوم يقرءون القرآن: لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة».[٤]

---

(١) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٧ / ٣٠).
(٢) مقروظ: مدبوغ.
(٣) ضئضئ: من أصله أو صلبه.
(٤) رواه البخارى (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤) وعبد الرزاق (١٨٦٤٩) وابن حبان (٨ / ٢٦١) والبغوى (٢٥٥٢) وأحمد (٣ / ٤).

قال المصنف: هذا الرجل يقال له: (ذو الخويصرة التميمي) وفي لفظ أنه قال له: اعدل فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل»[(١)] فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وذلك أنه لما طالت الحرب بين معاوية وعلي رضي الله عنهما، رفع أصحاب معاوية المصاحف، ودعوا أصحاب علي إلى ما فيها وقال: تبعثون منكم رجلاً، ونبعث منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله عز وجل. فقال أناس: قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص، فقال أصحاب علي ابعث أبا موسى. فقال علي لا أرى أن أولي أبا موسى، هذا ابن عباس. قالوا: لا نريد رجلا منك. فبعث أبا موسى وأخر القضاء إلى رمضان، فقال عروة بن أذينة: تحكمون في أمر الله الرجال، لا حكم إلا لله. ورجع علي من صفين، فدخل الكوفة، ولم تدخل معه الخوارج، فأتوا حروراء[(٢)]، فنزل بها منهم إثنا عشر ألفاً، وقالوا: لا حكم إلا لله. وكان ذلك أول ظهورهم، ونادى مناديهم إن أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكري. وكانت الخوارج تتعبد إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهذا مرض صعب.[(٣)]

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، نا محمد بن هبة الله الطبري، نا محمد بن الحسين بن الفضل، نا عبد الله بن جعفر بن درستويه، نا يعقوب بن سفيان، ثنى موسى بن مسعود، ثنا عكرمة بن عمار، عن سماك بن رميل قال: قال: قال عبد الله بن عباس: أنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً، وهم ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب، فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: ياأمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك فيقول دعوهم فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر، فقلت له: يأمير المؤمنين، أبرد بالصلاة، لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم. فقال إني أخاف عليك. فقلت: كلا. وكنت رجلاً حسن الخلق، لا أؤذي أحداً، فأذن لي، فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت، فدخلت عليهم نصف النهار، فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهما اجتهاداً: جباههم قرحة من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠ـ٣١٣٨ـ٦١٦٣ـ٦٩٣٣) ومسلم(١٠٦٣).
(٢) حروراء: بلدة على بعد ميلين من الكوفة.
(٣) راجع كتاب «البداية والنهاية» (٢٩٨/٧) والعواصم من القواصم (ص١٧٥) وما بعدها ففيه تفصيل مهم

السجود، وأياديهم كأنها ثفن(١) الإبل. وعليهم قمص مرحضة مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحباً بابن عباس ما جاء بك؟ فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم. فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله عز وجل يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف:١٨] فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه. فقلت هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين، والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله. قالوا ثلاثاً. قلت هاتوا. قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله. وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[الأنعام:٥٧] فما شأن الرجال، والحكم بعد قول الله عز وجل. فقلت: هذه واحدة وماذا؟ قالوا: وأما الثانية. فإنه قاتل وقتل، ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا مؤمنين، فلم حل لنا قتالهم وقتلهم، ولم يحل لنا سبيهم، قلت: وأما الثالثة. قالوا: فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين، فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين. قلت: هل عندكم غير هذا. قالوا كفانا هذا. قلت لهم: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله. أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا؟ فإذا نقض قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب وتلا هذه الآية: ﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[المائدة:٩٥] إلى آخر الآية وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾[النساء:٣٥] إلى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وفي حقن دمائهم أفضل، أم حكمهم في أرنب، وبضع امرأة، فأيهما ترون أفضل؟ قالوا بل هذه. قلت: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب، ولم يغنم، فتسبون أمكم عائشة رضى الله تعالى عنها؟ فوالله، لئن قلتم: ليست بأمنا، لقد خرجتم من الإسلام، ووالله، لئن قلتم: لنسبينها، ونستحل منها ما نستحل من غيرها، لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين، لأن الله عز وجل قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦] أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا

(١) ثفن: ركبه البعير.

سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، فقال لعلى رضى الله عنه: «**اكتب لهم كتاباً**» فكتب لهم على: (هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله) فقال المشركون: والله، ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قتلناك. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «**اللهم إنك تعلم أنى رسول الله، امح ياعلى، اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله**» فوالله، لرسول الله خير من على، وقد محا نفسه[١] قال: فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا.[٢]

أخبرنا ابو منصور القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، نا ولاد بن على الكوفى، نا محمد بن على بن دحيم الشيبانى، ثنا أحمد بن حازم، ثنا أحمد بن عبد الرحمن ـ يعنى ابن ابى ليلى ـ ثنا سعيد بن جثيم، عن القعقاع بن عمارة، عن أبى الخليل، عن أبى الشائعة عن جندب الأزدى. قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على ابن أبى طالب كرم الله وجهه قال: فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن.[٣]

قال المصنف: وفى رواية أخرى أن علياً رضى الله عنه لما حكم أتاه من الخوارج زرعة بن البرج الطائى، وحرقوص بن زهير السعدى، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلا لله. فقال على لا حكم إلا لله. فقال له حرقوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتنا واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، ولئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله. واجتمعت الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسى، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن، وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التى إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والقول بالحق، فاخرجوا بنا.

---

(١) أخرجه البخارى (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢) ومسلم (١٧٨٣) وأحمد (٣٤٢/١) (٨٧/٤ـ٣٢٣ ـ٣٢٦) والبيهقى فى «الدلائل» (١٤٥/٤ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧) والبغوى (٢٧٤٩).

(٢) رواه أحمد عن عبد الله بن شداد مطولاً، وذكره ابن كثير فى «التاريخ» (٧ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧) وقال: رواه يعقوب بن سفيان من طريق موسى بن مسعود. وراجع كتاب «الفرق بين الفرق» (ص٦٨).

(٣) رواه الخطيب فى « تاريخه» (٢٤٩/٧).

فكتب إليهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه: (أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله، واتبعا أهواءهما ونحن على الأمر الأول). فكتبوا إليه: (إنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك. وإلا فقد نابذناك على سواء والسلام) ولقى الخوارج فى طريقهم عبد الله بن خباب، فقالوا: هل سمعت من أبيك حديثاً تحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه. قال: نعم، سمعت أبى يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خيرمن الساعى، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول(١). قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال: نعم. فقدموه إلى شفير النهر فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه من شراء من شراك نعل. وبقروا بطن أم ولده عما فى بطنها وكانت حبلى، ونزلوا تحت نخل مواقير بنهروان، فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها فى فيه. فقال أحدهم : أخذتها بغير حدها، وبغير ثمنها. فلفظها من فيه، واخترط أحدهم سيفه فأخذ يهزه، فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه به يجربه فيه، فقالوا: هذا فساد فى الأرض. فلقى صاحب الخنزير فأرضاه فى ثمنه. قال: فبعث إليهم على رضى الله عنه: أخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب. فقالوا كلنا قتلة فناداهم ثلاثاً كل ذلك يقولون هذا القول.فقال على رضى الله عنه لأصحابه دونكم القوم. فما لبثوا أن قتلوهم وكان وقت القتال يقول بعضهم لبعضٍ. تهيأ للقاء الرب: الرواح، الرواح إلى الجنة، وخرج على علىّ رضى الله عنه بعدهم جماعة منهم، فبعث إليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبد الرحمن بن ملجم بأصحابه، وذكروا أهل النهروان، فترحموا عليهم، وقالوا: والله ما قنعنا بالبقاء فى الدنيا شئ بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم، فلوا أنا شرينا أنفسنا لله، والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال، فثأرنا بهم إخواننا، وأرحنا منهم العباد.(٢)

---

(١)أخرجه أحمد (١١٠/٥) والآجرى فى «الشريعة» (ص٤٢،٤٣) والطبرانى فى «الكبير» (١/١٨٨/١) وفيه رجل لم يسم ـ لكن يشهد له حديث جندب بن سفيان رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢/٨٦/١) وقال الشيخ الألبانى فى حديث فى «الإرواء» (١٠٤/٨) وإسناده جيد بما قبله.

(٢)راجع البداية (٣٠٨/٧) وما بعدها فقد جمع ابن كثير رحمه الله كل الروايات مسندة.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار، نا أبو محمد الجوهرى، نا ابن حياة، نا أبو الحسن بن معروف، نا الحسين بن الفهم، نا محمد بن سعد عن أشياخ له، فقالوا: انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو ابن بكر التميمى، فاجتمعوا بمكة، وتعاهدوا وتعاقدوا لنقتلن هؤلاء الثلاثة: علياً، ومعاوية، وعمرو بن العاص، ونريح العباد منهم. فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلى. وقال البرك: أنا لكم بمعاوية. وقال عمر: وأنا لكم بعمرو. فتواثقوا ألا ينقض رجل منهم رجلاً عن صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة، فلما كانت الليلة التى عزم على قتل علىّ رضى الله عنه فيها، خرج علىّ رضى الله عنه لصلاة الصبح، فضربه فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل إلى دماغه. فقال على رضى الله عنه: لا يفوتنكم الرجل. فأخذ، فقالت أم كلثوم: ياعدو الله، قتلت أمير المؤمنين بأس ما فعلت. قال: فلم تبكين إذن. ثم قال: والله، لقد سمعته يعنى فإن أخلفنى فأبعده الله وأسحقه.

فلما مات على رضى الله عنه أُخرج ابن ملجم لِيُقتل، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم. فكحل عينيه بمسمار محمى فلم يجزع، وجعل يقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه فجزع. فقيل له: لم تجزع. فقال أكره أن أكون فى الدنيا مواتاً لا أذكر الله وكان رجلاً أسمر فى جبهته أثر السجود، لعنة الله عليه.(١)

قال المصنف: قلت، ولما أراد الحسن رضى الله عنه أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان. وقال: أشركت كما أشرك أبوك، ثم طعنه فى أصل فخذه. وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة. وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون: نحن مشركون ما دمنا فى دار الشرك، فإذا خرجنا فنحن مسلمون. قالوا: ومخالفونا فى المذهب مشركون. ومرتكبوا الكبائر مشركون، والقاعدون عن موافقتنا فى القتال كفرة، وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين، وحكموا عليهم بالشرك، وكان نجدة بن عامر الثقفى من القوم، فخالف نافع بن الأزرق وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم. وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون فى غير نار جهنم، وأن جهنم لا يعذب بها إلا مخالفوه فى مذهبه. وقال إبراهيم: الخوارج قوم كفار، وتحل لنا

---

(١) رواه ابن سعد فى « الطبقات » (٣ / ٢٥) من طريق جرير عن مغيره عن قُثم مولى ابن عباس .

مناكحتهم،وموارثتهم كما كان الناس فى بدء الإسلام. وكان بعضهم يقول: لو أن رجلاً أكل من مال يتيم (فلسين) وجبت له النار؛ لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار.

قال المصنف: ولهم قصص تطول، ومذاهب عجيبة لهم لم أر التطويل بذكرها، وإنما المقصود النظر فى حيل إبليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم، واعتقدوا أن علياً بن أبى طالب كرم الله وجهه على الخطأ، ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ، وأنهم على الصواب. واستحلوا دماء الأطفال، ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها، وتعبوا فى العبادات، وسهروا، وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر، واستحل قتل علىّ كرّم الله وجهه، ثم شهروا السيوف على المسلمين،ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من على رضى الله عنه، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ: اعدل فما عدلت. وما كان إبليس ليهتدى إلى هذه المخازى، نعوذ بالله من الخذلان.

أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أبو بكر بن ملك، ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل، ثنى أبى قال: قرأت على عبد الرحمن بن ملك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم[١] (عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى سعيد الخدرى قال): سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم فيكم: تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم،يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»[٢] أخرجاه فى الصحيحين.

سعد الله بن على، نا أبو بكر الطريثيثى، ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى، نا أحمد بن عبيد، ثنا على بن عبد الله بن مبشر، ثنا أحمد بن سنان، ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن الأعمش، عن عبد الله بن أبى أوفى، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخوارج كلاب أهل النار».[٣]

---

(١) سقط ما بين القوسين،وكذلك جميع النسخ إلا نسخة السيد العربى طبْعة دار الإيمان بالمنصورة فقط.

(٢) رواه مالك (١/٢٠٤/١٠) والبخارى (٥٠٥٨) ومسلم (١٠٦٤) وأبو داود (٤٧٦٤) وابن ماجه (١٦٩) وعبد الرزاق (١٨٦٤٩) والبخارى فى «خلق أفعال العباد» (ص ٣٣) وابن حبان (٨/٣٦٠) والبغوى (٢٥٥٣). ورواه البخارى ومسلم وأبو داود (٤٧٦٧) والنسائى وأحمد (١ / ٨١ ـ١١٣ـ١٣١) والبيهقى (٨ / ١٧٠) عن على بن أبى طالب.

(٣) واه أحمد (٣٥٥/٤) وابن ماجه (١٧٣) وابن أبى عاصم (٩٠٤) وأبو نعيم فى «الحلية» (٥٦/٥) عن إسحاق الأزرق عن الأعمش عن ابن أبى أوفى ورجاله ثقات إلا أنه منقطع. ورواه أبو نعيم (٥ / ٥٦) عن الثورى عن الأعمش به. وله شاهد ـ رواه أحمد (٤ / ٣٨٢) والطيالسى (٨٢٢) وابن أبى عاصم (٩٠٥) والحاكم (٣ / ٥٧١) من طريق حشرج بن نباته أنبأنا سعيد بن جمهان وهذا إسناده حسن لأن حشرج وشيخه صدوقان، وقد تابع حشرج عفان وبهز عند أحمد (٤ / ٣٨٢) وشاهد آخر عن أبى أمامة، فالحديث صحيح إن شاء الله وقد صححه الشيخ الألبانى فى « السنة » رقم (٩٠٤ ـ ٩٠٥).

رأى الخـوارج

قال المصنف: ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الإمامة بشخص إلا أن يجتمع فيه العلم والزهد، فإذا اجتمعا كان إماماً نبطياً، ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقبيح إلى العقل، وأن العدل ما يقتضيه، ثم حدث القدرية فى زمن الصحابة، وصار معبد الجهنى، وغيلان الدمشقى، والجعد بن درهم إلى القول بالقدر، ونسج على منوال معبد الجهنى واصل بن عطاء، وانضم إليه عمرو بن عبيد. وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

ثم طالعت المعتزلة مثل أبى الهذيل العلاف، والنظام، ومعمر، والجاحظ كتب الفلاسفة فى زمان المأمون، واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل: لفظ الجوهر، والعرض، والزمان، والمكان، والكون. وأول مسألة أظهروها: القول بخلق القرآن وحينئذ سمى هذا الفصل فصل علم الكلام. وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل: العلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر. فقال قوم: هى معانى زائدة على الذات، ونفتها المعتزلة، وقالوا: عالم لذاته، قادر لذاته. وكان أبو الحسن الأشعرى على مذهب الجبائى، ثم انفرد عنه إلى مثبتى الصفات. ثم أخذ بعض مثبتى الصفات فى اعتقاد التشبيه، وإثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء.

ذكـر تلبيـسه على الرافضـة

قال المصنف: وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على بن أبى طالب، حمل آخرين على الغلو فى حبه. فزادوه على الحد: فمنهم من كان يقول: هو الإله. ومنهم من يقول: هو خير من الأنبياء. ومنهم من حمله على سب أبى بكر، وعمر حتى إن بعضهم كفر أبا بكر وعمر إلى غير ذلك من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها. و إنما نشير إلى بعضها.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، قال: حدث أبو يعقوب إسحاق بن محمد النخعى، عن عبيد الله بن محمد بن عائشة، وأبى عثمان المازنى وغيرهما، وسمعت عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى يقول: إسحاق بن محمد النخعى الأحمر كان يقول: إن علياً هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وبالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالإسحاقية ينسبون إليه.

قال الخطيب: ووقع إلىّ كتاب لأبى محمد الحسن بن يحيى النوبختى من تصنيفه فى الرد على الغلاة. وكان النوبختى هذا من متكلمى الشيعة الإمامية. فذكر أصناف مقالات الغلاة إلى أن قال: وقد كان ممن جرد الجنون فى الغلو فى عصرنا إسحاق بن محمد المعروف بالأحمر كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل، وأنه يظهر فى كل وقت فهو الحسن فى وقت، وكذلك هو الحسين، وهو الذى بعث محمداً ﷺ. (١)

قال المصنف: قلت: وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين. وقال بعضهم: ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ ، ومنهم من يقول بالتبرئ من غير على. وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن على بالتبرئ ممن خالف علياً فى إمامته، فامتنع من ذلك، فرفضوه فسموا الرافضة، ومنهم أقوام قالوا الإمامة فى موسى بن جعفر ثم فى ابنه إلى محمد بن على ثم إلى على بن محمد ثم إلى الحسن بن محمد العسكرى ثم إلى ابنه محمد وهو الإمام الثانى عشر الإمام المنتظر الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً. وكان أبو منصور العجلى يقول بانتظار محمد ابن على الباقر ويدعى أنه خليفة. وأنه عرج به إلى السماء فمسح الرب بيده على رأسه. وزعم أنه الكسف الساقط من السماء. وكانت طائفة من الرافضة يقال لها: (الجناحية) وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين يقولون: إن روح الإله دارت فى أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله وأنه لم يمت، وهو المنتظر، ومنهم طائفة يقال لها (الغرابية) يثبتون شركة على فى النبوة. وطائفة يقال لها: (المفوضة) يقولون: إن الله عز وجل خلق محمداً، ثم فوض خلق العالم إليه.

وطائفة يقال لها: (الذمامية) يذمون جبريل، ويقولون: كان مأموراً بالنزول على على فنزل على محمد، ومنهم من يقول: إن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها. وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوماً، فقام رجل من آل على رضى الله عنه، قال أنا من أولاد على رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين، أعنى على من ظلمنى قال، ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد على رضى الله عنه، والذى ظلمنى أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة. قال: ودام على ظلمكم؟ قال نعم . قال ومن قال بعده قال عمر رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال: نعم. ومن قام بعده؟ قال: عثمان رضى الله عنه. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا: ينظر مكاناً يهرب إليه.

---

(١) رواه الخطيب فى « التاريخ » (٦ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠) من طريق إسحاق بن محمد النخعى .

قال ابن عقيل: الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن فى أصل الدين والنبوة، وذلك أن الذى جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا، وإنما نثق فى ذلك بنقل السلف، وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم. فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله، فإذا قال قائل: أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة، وابنته فى إرثها، وما هذا إلا لسوء اعتقاد فى المتوفى. فإن الاعتقادات الصحيحة سيما فى الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما فى أهليهم وذريتهم . فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا فى الشرع، لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم، والثقة بهم. فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا فى المنقول. وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول. ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه، فراعوه مدة الحياة، وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة، ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله. فطاحت الاعتقادات. وضعفت النفوس عن قبول الروايات فى الأصل، وهو المعجزات، فهذا من أعظم المحن على الشريعة.

قال المصنف: وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها: تشينه، وتؤذيه. وقد ذكرت منها جملة فى كتاب الموضوعات[1] منها أن الشمس غابت ففاتت علياً صلاة العصر، فردت له الشمس[2]وهذا من حيث النقل موضوع، لم يروه ثقة. ومن حيث المعنى، فإن الوقت قد فات، وعودها طلوع متجدد، فلا يرد الوقت. وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت، ثم ماتت، وأوصت أن تكتفى بذلك الغسل. وهذا من حيث النقل كذب. ومن حيث المعنى قلة فهم، لأن الغسل عن حدث الموت، فكيف يصح قبله؟ ثم لهم خرافات لا يسندونها إلى مستند، ولهم مذاهب فى الفقه ابتدعوها، وخرافات تخالف الإجماع.

فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل. قال: نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الإمامية: منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض، ولا من نبات الأرض. فأما الصوف، والجلود، والوبر، فلا. و أن الاستجمار لا يجزئ فى البول، بل فى الغائط خاصة ولا يجزئ مسح الرأس إلا بباقى البلل الذى فى اليد، فإن استأنف للرأس بللا

(١) راجع كتاب « الموضوعات » للمؤلف (٣٥٥/١) والآلى (٣٣٦/١ ـ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

(٢) رواه المصنف فى «الموضوعات» (٣٥٥/١) عن أسماء بنت عميس، وهو حديث مسلسل بالوضاعين والمتهمين ـ قال الجوزقانى حديث منكر مضطرب وقال السيوطى فى «الآلى» (١ / ٣٣٦) : موضوع، غير أن الشمس لم تحبس إلا على يوشع بن نون فقط.

مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة.

وانفردوا بتحريم من زنى بها وهى تحت زوج أبداً، فلو طلقها زوجها لم تحل للزانى بها بنكاح أبداً. وحرموا الكتابيات، وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع، وإن وجد شرطه. وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين. وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضاء، وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط. وأن المرأة إذا جزت شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ. وأن من شق ثوبه فى موت ابن له، أو زوجة فعليه كفارة يمين. وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم.

وأن شارب الخمر إذا حُدَّ ثانيةً قُتلَ فى الثالثة (١). ويُحَدُّ شارب الفقاع كشارب الخمر، وأن قطع السارق من أصول الأصابع، ويبقى له الكف، فإن سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى. فإن سرق الثالثة خلِّد فى الحبس إلى أن يموت (٢)، وحرموا السمك الجرى (كذا) وذبائح أهل الكتاب، واشترطوا فى الذبح استقبال القبلة (٣).. فى مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع،وسول لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه إلى أثر، ولا قياس. بل إلى الواقعات ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم فى الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً، وابتلوا بسب الصحابة

وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم و لا نصيفه» (٤).

وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك، ويحيى بن على قالا: أخبرنا محمد بن أحمد بن المسلمة، نا أبو طاهر المخلص، ثنا البغوى، ثنا محمد بن عباد المكى، ثنا محمد بن طلحة

---

(١) جاء الحديث صريح فى أن شارب الخمر يقتل فى الرابعة لكن للفقهاء بعد التحقيق تعليق على هذا ثم أرجأوا الأمر للحاكم، إذا رأى فى قتله مصلحه أم لا؟.

(٢) هذا الكلام معارض بالادلة الصحيحة، وأن القطع المختلف فيه بين الفقهاء هو ما بين الرسغ إلى المرفق وليس الأصابع!

(٣) هذه شروط غير معتبرة، والرجاء من طالب العلم مراجعة كتب الفقه.

(٤) رواه البخارى (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠) وأبو داود (٤٦٥٨) والترمذى (٣٨٦٠) وعبد بن حميد (٩١٨) وابن حبان (٩ / ١٨٨) والبيهقى (١٠ / ٢٠٩) والبغوى (٣٥٨٩) وأحمد (٣/١١ـ٥٤ـ٥٥ـ ٦٣).

المدينى، عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة، عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله اختارنى، واختار لى أصحاباً فجعل لى منهم وزراء، وأنصاراً، وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً، ولا عدلاً».(١)

قال المصنف: والمراد بالعدل: الفريضة، والصرف: النافلة.

أخبرنا أبو البركات بن على البزار، نا أبو بكر الطريثيثى، نا هبة الله بن الحسن الطبرى، نا عبيد الله بن محمد بن أحمد، نا على بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحى، ثنا أبى، ثنا الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو عن سويد بن غفلة قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، وينتقصونهما فدخلت على على بن أبى طالب، فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بغير الذى هما له أهل، ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك.

قال على: أعوذ بالله، أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذى ائتمننى النبىﷺ عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحَسَنَ الجميل: أخوا رسول الله، وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما، ثم نهض دامع العينين: يبكى قابضاً على يدى حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته، وهو ينظر فيها وهى بيضاء حتى اجتمع لنا الناس، ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة. ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدا قريش وأبوى المسلمون بما أنا عنه متنزه، ومما قالوه برئ. وعلى ما قالوا معاقب، أما والذى فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقى، ولا يبغضهما إلا فاجر شقى صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء: يأمران، وينهيان، ويبغضان، ويعاقبان، فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما. ولا يحب كحبهما أحداً، مضى رسول الله ﷺ وهو راض عنهما. ومضيا والمؤمنون عنهما راضون. أمره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين، فصلى بهم تسعة أيام فى حياة رسول الله ﷺ،

(١) رواه الطبرانى فى «الكبير» (١٧ / ١٤٠ / ٣٤٩) وابن أبى عاصم (١٠٠٠) والحاكم (٣ / ٦٣٢) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وهو غير ما قالا! ففى الإسناد أكثر من علة تستوجب ضعفه، وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠ / ١٧) فيه من لم أعرفه، وضعفه الشيخ الألبانى فى «السنة» (١٠٠٠) و«ضعيف الجامع» (١٥٣٦).

فلما قبض الله نبيه، واختار له ما عنده. ولاه المؤمنون ذلك. وفوضوا إليه الزكاة، ثم أعطوه البيعة: طائعين، غير مكرهين.

وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب، وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك. وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة وأسنه ورعاً، وأقدمه سناً واسلاماً، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل: رأفة، ورحمة، وبإبراهيم: عفواً، ووقاراً، فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه. ثم ولى الأمر بعده عمر رضى الله عنه، وكنت فيمن رضى. فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه. يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله رفيقاً رحيماً بالضعفاء، ناصراً للمظلومين على الظالمين، لا يأخذه فى الله لومة لائم، وضرب الله الحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى إن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواماً وألقى له فى قلوب المنافقين الرهبة، وفى قلوب المؤمنين المحبة، شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل: فظا غليظاً على الأعداء. فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما، ورزقنا المضى فى سبيلهما فمن أحبنى فليحبهما،ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه برئ. ولو كنت تقدمت إليكم فى أمرهما، لعاقبت فى هذا أشد العقوبة ألا فمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفترى . ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله أعلم بالخير أين هو . أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.(١)

أخبرنا سعد الله بن على، نا الطريثيثى، نا هبة الله الطبرى، نا محمد بن عبد الرحمن، نا البغوى، ثنا سويد بن سعيد، ثنا محمد بن حازم، عن أبى خباب الكلبى، عن أبى سليمان الهمدانى، عن على كرم الله وجهه قال: يخرج فى آخر الزمان قوم لهم نبز، يقال لهم: (الرافضة) ينتحلون شيعتنا، وليسوا من شيعتنا، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل، فإنهم مشركون.(٢)

---

(١) رواه ابن جرير فى « التاريخ » وفيه الحسن بن عمارة وهو متروك .
(٢) رواه ابن جرير فى « التاريخ » وفيه سويد بن سعيد وهو ضعيف .

ذكر تلبيس إبليس على الباطنية

قال المصنف: الباطنية قوم تستروا بالإسلام، ومالوا إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة، فمحصول قولهم تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم. بل يزعمون أن اللّه حق، وأن محمداً رسول اللّه، والدين صحيح، لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس، فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة، ولهم ثمانية أسماء .

الاسم الأول (الباطنية): سموا بذلك، لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورتها توهم الجهال صوراً جلية، وهى عند العقلاء رموز، وإشارات إلى حقائق خفية، وإن من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا، والأسرار، والبواطن، والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغوار التى هى تكليفات الشرع. ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف، واستراح من أعبائه، قالوا وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[الأعراف:١٥٧] مرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على إبطال الشرائع.

الاسم الثانى (الاسماعيلية): نسبوا إلى زعيم لهم يقال له: محمد بن إسماعيل بن جعفر، ويزعمون أن دور الإمامة انتهى إليه، لأنه سابع، واحتجوا بأن السموات سبع، والأرضين سبع، وأيام الأسبوع سبعة. فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة. وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه عبد اللّه، ثم ابنه على، ثم ابنه محمد بن على، ثم إبراهيم، ثم السفاح، ثم المنصور. وذكر أبو جعفر الطبرى فى تاريخه قال: قال على بن محمد عن أبيه أن رجلا من الراوندية كان يقال له (الأبلق) وكان أبرص، فبكى بالعلو، ودعا الراوندية إليه، وزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت إلى على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه، ثم فى الأئمة واحداً بعد واحد، إلى أن صارت إلى إبراهيم بن محمد. واستحلوا الحرمات: فكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله، فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته. فبلغ ذلك أسد بن عبداللّه فقتلهم وصلبهم.

فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم، وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضراء، وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون، فلا يبلغون الأرض إلا وقد هلكوا، وخرج جماعتهم على الناس فى السلاح و أقبلوا يصيحون: يا أبا جعفر، أنت أنت.

الاسم الثالث (السبعية): لقبوا بذلك لأمرين، **أحدهما** ـ اعتقادهم أن دور الإمامة سبعة سبعة على ما بينا، وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الأدوار، وهو المراد بالقيامة، وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر له، **والثانى** ـ لقولهم أن تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعة: زحل، ثم المشترى، ثم المريخ، ثم الزهرة، ثم الشمس، ثم عطارد، ثم القمر.

الاسم الرابع (البابكية): قال المصنف: و هو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له: بابك الخرمى، وكان من الباطنية، وأصله أنه ولد زنى، فظهر فى بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة إحدى ومائتين، وتبعه خلق كثير، واستفحل أمرهم، واستباح المحظورات، وكان إذا علم أن عند أحد بنتاً جميلة، أو أختاً جميلة طلبها فإن بعثها إليه وإلا قتله، وأخذها، ومكث على هذا عشرين سنة، فقتل ثمانين ألفاً، وقيل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان، وحاربه السلطان، وهزم خلقاً من الجيوش حتى بعث المعتصم (أفسين) فحاربه فجاء ببابك وأخيه فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين، فلما دخلا قال له أخوه: يابابك، قد عملت ما لم يعمله أحداً، فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحداً فقال سترى صبرى فأمر المعتصم بقطع يديه، ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه، فقال المعتصم: أنت فى الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم، أجزعاً من الموت؟ فقال: لا. ولكنى لما قطعت أطرافى نزف الدم، فخفت أن يقال عنى: إنه اصفر وجهه جزعاً من الموت. قال: فيظن ذلك بى، فسترت وجهى بالدم كيلا يرى ذلك منى. ثم بعد ذلك ضربت عنقه، وأضرمت عليه النار، وفعل مثل ذلك بأخيه، فما فيهما من صاح، ولا تأوه، ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقى من البابكية جماعة يقال: إن لهم ليلة فى السنة تجتمع فيها رجالهم، ونساؤهم، ويطفئون السرج، ثم يتناهضون للنساء، فيثب كل رجل منهم إلى امرأة، ويزعمون أن من احتوى على امرأة يستحلها بالاصطياد، لأن الصيد مباح.

الاسم الخامس (المحمرة): قال المصنف: سموا بذلك، لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة فى أيام بابك، ولبسوها.

الاسم السادس (القرامطة): قال المصنف: وللمؤرخين فى سبب تسميتهم بهذا قولان:

أحدهما: أن رجلا من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة، فأظهر الزهد، ودعا إلى إمام من أهل بيت الرسولﷺ ونزل على رجل يقال له: (كرميتة) لقب بهذا لحمرة عينية، وهو بالنبطية حاد العين، فأخذه أمير تلك الناحية، فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه، ونام فرقت له جارية، فأخذت المفتاح، ففتحت البيت، وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه. فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به، فخرج إلى الشام فسمى (كرميتة) باسم الذى كان نازلاً عليه. خفف فقيل (قرمط) ثم توارث مكانه أهله، وأولاده.

والثانى: أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له: (حمدان قَرمط) كان أحد دعاتهم فى الابتداء، فاستجاب له جماعة فسموا (قرامطة) (وقرمطية) وكان هذا الرجل من أهل الكوفة، وكان يميل إلى الزهد، فصادفه أحد دعاة الباطنية فى طريق قرية وهو متوجه إلى قرية، وبين يديه بقر يسوقها. فقال حمدان لذلك الراعى وهو يعرفه: أين مقصدك؟ فذكر قرية حمدان. فقال له: اركب بقرة من هذه لئلا تتعب. فقال له: إنى لم أؤمر بذلك. فقال: وكأنك لا تعمل إلا بأمر؟ قال: نعم. قال: وبأمر من تعمل؟ قال: بأمر مالكى، ومالكك، ومالك الدنيا والآخرة. فقال: ذلك إذن هو الله رب العالمين. فقال: صدقت. قال له: فما غرضك فى هذه القرية التى تقصدها، قال: أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة.

وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر، وأملكهم ما يستغنون به عن الكد. فقال له حمدان: أنقذنى أنقذك الله، وأفض علىَّ من العلم ما تحيينى به فما أشد احتياجى إلى مثل هذا؟ فقال: ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه. فقال: اذكر عهدك، فإنى ملتزم به. فقال له: أن تجعل لى وللإمام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الإمام الذى ألقيه إليك، ولا تفش سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده، ثم اندفع الداعى فى تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له، ثم انتدب للدعاء وصار أصلاً من أصول هذه البدعة، فسمى أتباعه (القرامطة) (والقرمطية).

ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجل يقال له: (أبو سعيد) ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل ما لا يحصى من المسلمين، وخرب

المساجد، وأحرق المصاحف. وفتك بالحاج، وسنّ لأهله وأصحابه سننا وأخبرهم بمحالات، وكان إذا قاتل يقول: وعدت بالنصر فى هذه الساعة. فلما مات بنوا على قبره قبة، وجعلوا على رأسها طائراً من جص. وقالوا: إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره. وجعلوا عند القبر فرساً، وخلعة ثياب، وسلاحاً، وقد سول إبليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكباً، وإن لم يكن له فرس حشر ماشياً.

وكان أصحاب أبى سعيد يصلون عليه إذا ذكروه، ولا يصلون على رسول اللهﷺ فإذا سمعوا من يصلى على رسول اللهﷺ يقولون: أتأكل رزق أبى سعيد، وتصلى على أبى القاسم. وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله، وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر، وقلع الحجر الأسود، فحمله إلى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل.

الاسم السابع (الخرمية): وخرم لفظ أعجمى ينبى عن الشئ المستلذ المستطاب الذى يرتاح الإنسان له. ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على أتباع اللذات، وطلب الشهوات كيف كانت، وطى بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن العباد، وقد كان هذا الاسم لقباً للمزدكية: وهم أهل الإباحة من المجوس الذين تبعوا فى أيام قباذ، وأباحوا النساء المحرمات، وأحلوا كل محظور، فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم أياهم فى نهاية هذا المذهب، وإن خالفوهم فى مقدماته.

الاسم الثامن (التعليمية): لقبوا بذلك، لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأى وإفساد تصرف العقول، ودعاء الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم.

نقـد مذهـــب الباطنيـــة

فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة، قال المصنف: اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين، فشاوروا جماعة من المجوس، والمزدكية، والثنوية، وملحدة الفلاسفة فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع، وتكذيب الرسل، وجحد البعث، وزعمهم أن الأنبياء ممخرقون(١) ومنمسون(٢) ورأوا أمر محمدﷺ قد استطار فى

(١) ممخرقون : أى مكذبون .
(٢) منمسون : ملبسون بالباطل على الناس .

الأقطار، وأنهم قد عجزوا عن مقاومته، فقالوا: سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم: أزكاهم عقلا، وأسخفهم رأيا، وأقبلهم للمحالات، والتصديق بالأكاذيب، وهم الروافض، فنتحصن بالانتساب إليهم، ونتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة، فإذا هان أولئك عندهم لن يلتفتوا إلى ما نقلوا، فأمكن استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين، فإن بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار ومواطن، وأن المنخدع بظواهرها أحمق وإنما الفطنة فى اعتقاد بواطنها، ثم نبث إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم، فإذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق، ثم قالوا: وطريقنا أن نختار رجلاً ممن يساعد على المذهب، ويزعم أنه من أهل البيت، وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعته، ويتعين عليهم طاعته، لكونه خليفة رسول الله ﷺ. والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل، ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسمناه بالعصمة، فإن قرب الدار يهتك الأستار.

وإذا بَعُدَتْ الشُقَة، وطالت المسافة، فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الأمام أو يطلع على حقيقة أمره. وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس والانتقال منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم، ونهب أموالهم قديماً، فهذا غاية مقصودهم، ومبدأ أمرهم.

فصـــــل

قال المصنف: وللقوم حيل فى استذلال الناس، فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه. فإذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه، فإن كان مائلا إلى الزهد دعوة إلى الأمانة، والصدق وترك الشهوات. وإن كان مائلا إلى الخلاعة قرروا فى نفسه أن العبادة بله. وأن الورع حماقة، وإنما الفطنة فى اتباع اللذات فى هذه الدنيا الفانية. ويثبتون عند كل ذى مذهب ما يليق بمذهبه، ثم يشككونه فيما يعتقدوه، فيستجيب لهم: إما رجل أبله، أو رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام. أو رجل يميل إلى الاستيلاء، ولا يساعده الزمان، فيعدونه بنيل آماله. أو شخص يحب الترفع عن مقامات العوام، ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق، أو رافضى يتدين بسب الصحابة رضى الله عنهم، أو ملحد من الفلاسفة، والثنوية، والمتحيرين فى الدين، أو من قد غلبت عليه حب الذات، وثقل عليه التكليف.

فصـــــل

فى ذكـر نبـذة مـن مذاهبـــهم

قـال أبو حـامـد الطوسى: البـاطنيـة قـوم يَدَّعـون الإسـلام، ويميلون إلى الرفض، وعقـائدهم وأعـمـالهم تبـاين الإسـلام. فـمن مـذهبـهم القـول بإلهين قـديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى. قالوا: والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم، ولا هو موجود ولا هو معدوم،ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف، وحدث عن السابق الثانى وهو أول مبدع. ثم حديث النفس الكلية. وعندهم أن النبىﷺ عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية. وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص. واتفقوا على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه فى تأويل الظواهر مساو للنبى عليه السلام فى العصمة.

وأنكروا المعاد، وقالوا: معنى المعاد عود الشئ إلى أصله، وتعود النفس إلى أصلها. وأما التكليف ـ فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة، واستبـاحة المحظورات، وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم، وإنما يقرون بأنه لابد للإنسان من التكليف. فإذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف. ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهـما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفى المحض لقتلوا، فقـالوا: معنى الجنابة مبادرة المستجيب بإفشاء السر. ومعنى الغسل: تجديد العهد على من فعل ذلك. ومعنى الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد. والصيام الإمساك عن كشف السر. والكعبة: هى النبى. والباب على. والطوفان: طوفان العلم، أغرق به المتمسكون بالشبهة، والسفينة: الحرز الذى يحصن به من استجاب لدعوته. ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة، وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه. وعصى موسى: حجته، ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر، وذكر غيره أنهم يقولون: إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه، فأول من عرفه سلمان الفارسى، والمقداد، وأبو ذر، وأول المنكرين الذى يسمى إبليس: عمر بن الخطاب. فى خرافات ينبغى أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها: ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة، فتكون معهم مناظرة، وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا، فإن اتفقت

مناظرة لأحدهم فليقل له: أعرفتم هذه الأشياء التى تذكرونها عن ضرورة. أو عن نظر. أو عن نقل عن الإمام المعصوم. فإن قلتم: ضرورة. فكيف خالفكم ذوو العقول السليمة؟ ولو ساغ للإنسان أن يهذى بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة فى نقض ما ادعاه. وإن قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل. لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها، وإن قلتم: عن إمام معصوم. قلنا: فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة، وترك قول محمد ﷺ مع المعجزات، ثم ما يؤمنكم أن تكون ما سمع من الإمام المعصوم له باطن غير ظاهر. ثم يقال لهم: هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها، أم إظهارها فإن قالوا يجب إظهارها قلنا: فلم كتمها محمد ﷺ؟ وإن قالوا يجب إخفاؤها. قلنا: ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه؟ .

قال ابن عقيل: هلك الإسلام بين طائفتين: بين الباطنية، والظاهرية. فأما أهل البواطن – فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شئ إلا وقد وضعوا وراءه معنى، حتى أسقطوا إيجاب الواجب، والنهى عن المنهى. وأما أهل الظاهر – فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله، فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه، والحق بين المنزلتين، وهو أن تأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل. ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع.

قال المصنف: ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكاً معه طريق العلم، بل التوبيخ والإزدراء على عقله وعقول أتباعه، بأن أقول أن للآمال طرقاً تسلك، ووجوهاً توصل. ووضع الأمل فى وجه اليأس حمق، ومعلوم أن هذه الملل التى قد طبقت الأرض أقربها شريعة الإسلام التى تتظاهرون بها. وتطمعون فى إفسادها قد تمكنت تمكناً يكون الطمع فى تمحيقها فضلاً عن إزالتها حمقاً. فلها مجمع كل سنة بعرفة، ومجمع كل أسبوع فى الجوامع ومجمع كل يوم فى المساجد فمتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر الظاهر فى الآفاق، يؤذن كل يوم على ما بين ألوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وغاية ما أنتم عليه حديث فى خلوة، أو متقدم فى قلعة: إن نَبس بكلمة يرمى رأسه، وقتل قتل الكلاب، فمتى يحدث العاقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلى الذى طبق البلاد، فما أعرف أحمق منكم إلى أن يجئ إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية.

قال المصنف: والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة، فقتل السلطان جلال الدولة (برقيارق) خلقاً منهم لما تحقق مذهبهم، فبلغت عدة القتلى ثلاثمائة ونيفاً، وتتبعت أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من اللآلئ المحفور، وكتب بذلك كتاب إلى الخليفة، فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب، ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب، وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا. وصار كل من فى نفسه شئ من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه وينتهب ماله. وأول ما عرف من أحوال الباطنية فى أيام الملك شاه جلال الدولة أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة . ففطن بهم الشحنة فأخذهم، وحبسهم، ثم أطلقهم، ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل، فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه، فبلغ الخبر إلى نظام الملك، فتقدم بأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم، وكان نجاراً، وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك، وكانوا يقولون: قتلتم منا نجاراً فقتلنا به نظام الملك.

واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملك شاه وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان، ويقتلونه ويلقونه فى البئر. وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه. وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لا تبرح فوق حصير. فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا، فقتلوا المرأة، وأحرقوا الدار والمحلة، وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار، فإذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فإذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه، فجد المسلمون فى طلبهم بأصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها: (الروزباد) من نواحى الديلم، وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملك شاه وكان يستحفظها متهما بمذهب القوم. فأخذ ألفاً ومائتى دينار وسلم إليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملك شاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح، وأصله من مرو، وكان كاتباً للرئيس عبد الرازق بن بهرام، إذ كان صبياً، ثم إلى مصر، وتلقى من دعاتهم المذاهب، وعاد داعية القوم ورأسا فيهم، وحصلت له هذه القلعة، وكانت سيرته فى دعاته ألا يدعو إلا غبياً لا يفرق بين يمينه وشماله مثلا، ومن لا يعرف أمور الدنيا، ويطعمه الجوز، والعسل، والشونيز[1] حتى ينبسط دماغه، ثم يذكر له حينئذ ما تم على

---

(١) الشونيز: هو الحبة السوداء وقد روى البخارى ومسلم فى التداوى بها جملة من الأحاديث .

أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه، ثم يقول: إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم فى قتال بنى أمية، فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة إمامك، فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف، وكان ملك شاه قد أرسل إلى ابن الصباح يدعوه إلى الطاعة، ويتهدده إن خالفه، ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء، فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر: الجواب ما تراه، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه: أريد أن أنفذكم إلى مولاكم فى حاجة، فمن ينهض لها؟ فاشرأب كل منهم لذلك، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم، فأومأ إلى شاب منهم فقال له: اقتل نفسك فجذب سكينة، وضرب بها غلصمته[1] فخر ميتاً. وقال لآخر: ارم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال: أخبره أن عندى من هؤلاء عشرين ألفاً: هذا حد طاعتهم لى، وهذا هو الجواب، فعاد الرسول إلى السلطان ملك شاه فأخبره بما رأى، فعجب من ذلك وترك كلامهم، وصارت بأيديهم قلاع كثيرة، ثم قتلوا جماعة من الأمراء والوزراء. قال المصنف: وقد ذكرنا من صفة القوم فى التاريخ أحوالاعجيبة، فلم نر التطويل بها هنا.

فصل

وكم من زنديق فى قلبه حقد على الإسلام خرج فبالغ واجتهد، فزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه، وكان غور مقصده فى الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين. وفى العمل نيل الملذات، واستباحة المحظورات. فمنهم (بابك الخرّمى) حصل له مقصوده من اللذات، ولكن بعد أن قتل الناس، وبالغ فى الأذى، ثم القرامطة، وصاحب الزنج الذى خرج فاستغوى المماليك السودان، ووعدهم الملك؛ فنهب، وفتك، وقتل، وبالغ، وكانت عواقبهم فى الدنيا أقبح العواقب، فما وفى ما نالوا بما نيل منهم، ومنهم من لم يبرح على تعثيره ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندى، والمعرى.

أنبأنا محمد بن أبى طاهر، عن أبى القاسم على بن المحسن التنوخى، عن أبيه قال: كان ابن الراوندى ملازم الرافضة، وأهل الإلحاد، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف مذاهبهم، ثم كاشف، وناظر.

---

(١) الغلصمة: رأس الحلقوم ، وجمعها غلاصم .

قال المصنف: من تأمل حال ابن الراوندى وجده من كبار الملاحدة، وصنف كتاباً سماه (الدامغ) زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة، فسبحان من دمغه، فأخذه وهو فى شرخ الشباب، وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض، وعدم الفصاحة، وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه، فكيف بالألكن؟ وأما أبو العلاء المعرى فأشعاره ظاهرة الإلحاد، وكان يبالغ فى عداوة الأنبياء، ولم يزل متخبطاً فى تعثيره، خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه. وما خلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله. فليس إلا باطنى مستتر، ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسأهم قدراً. وأردأهم عيشاً، وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين فى التاريخ فلم نر التطويل بذلك، والله الموفق.

❁❁❁❁❁❁

البـــاب الســـادسْ
في ذكـر تلبيـس إبليـس علي العلمـاء
في فنـون العـلم

قال المصنف: اعلم أن إبليس يدخل على الناس فى التلبيس من طرق، منها ظاهر الأمر، ولكن يغلب الإنسان فى إيثار هواه، فيغمض على علم يذلله. ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء. ونحن نشير إلى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مغفلها؛ إذ حصر الطرق يطول والله العاصم.

ذكـر تلبيـسه على القـراء

فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراآت الشاذة وتحصيلها، فيفنى أكثر عمره فى جمعها، وتصنيفها، والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للإقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حب التصدر – حتى لا يرى بعين الجهل – على أن يجلس بين يدى العلماء، ويأخذ عنهم العلم، ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه، ثم فهمه ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفس، ويطهر أخلاقها، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم، قال الحسن البصرى: أنزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملا. يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة، وتركوا العمل به. ومن ذلك أن أحدهم يقرأ فى محرابه بالشاذ، ويترك المتواتر المشهور. والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ، وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس، وإقبالهم عليه، وعنده أنه متشاغل بالقرآن. ومنهم من يجمع القراآت، فيقول: ملك، مالك، ملاك، وهذا لا يجوز؛ لأنه إخراج للقرآن عن نظمه.

ومنهم من يجمع السجدات، والتهليلات، والتكبيرات، وذلك مكروه، وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة، فيجمعون بين تضييع المال، والتشبه بالمجوس، والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد، ويريهم إبليس أن فى هذا إعزازاً للإسلام. وهذا تلبيس عظيم؛ لأن إعزاز الشرع باستعمال المشروع. ومن ذلك أن منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه، وربما كانت له إجازة منه. فقال: أخبرنا

تدليسا، وهو يرى أن الأمر فى ذلك قريب؛ لكونه يروى القرآن، ويراها فعل خير، وينسى أن هذا كذب يلزمه إثم الكذابين. ومن ذلك أن المقرئ المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة، ويتحدث مع من يدخل عليه، والقلب لا يطيق جمع هذه الأشياء، ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان. وقد كان بعض المحققين يقول: ينبغى أن يجتمع اثنان أو ثلاثة، ويأخذوا على واحد، ومن ذلك أن أقواماً من القراء يتبارون بكثرة القراءة، وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس، ويقيم شخصاً، ويقرأ فى النهار الطويل ثلاث ختمات، فإن قصر عيب، وإن أتم مدح. وتجتمع العوام لذلك، ويحسنونه كما يفعلون فى حق السعاة، ويريهم إبليس أن فى كثرة التلاوة ثواباً . وهذا من تلبيسه؛ لأن القراءة ينبغى أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها. وينبغى أن تكون على تمهل . قال عز وجل: ﴿ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾[الإسراء:١٠٦] وقال عز وجل: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾[المزمل:٤] ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الألحان، وقد كانت إلى حد قريب.

وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعى. أنبأنا محمد بن ناصر، نا أبو على الحسين بن سعد الهمذانى، نا أبو بكر أحمد بن على بن لال، ثنا الفضل بن الفضل، ثنا السياحى، ثنا الربيع بن سليمان قال: قال الشافعى: أما استماع الحداء، ونشيد الأعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان، وتحسين الصوت.

قال المصنف: وقلت: إنما أشار الشافعى إلى ما كان فى زمانه، وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغانى، وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته. فإن أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك، ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشئ من الخطايا كالغيبة للنظراء، وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب، واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب، واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام: «لوجعل القرآن فى إهاب ما احترق»[١] . وذلك من تلبيس إبليس عليهم؛ لأن عذاب

---

(١) هذا الحديث جاء عن عقبة بن عامر وعصمة بن مالك وسهل بن سعد.
حديث عقبه: رواه أحمد (١٥١/٤ـ١٥٥) وأبو يعلى (١٧٤٥) والدارمى (٣٣١٠) والطحاوى «مشكل» (٣٩٠/١) وأبو نعيم فى «أخبار أصبهان» (٣٢٣/٢) والبيهقى «الشعب» (٢٤٤٣) والطبرانى فى «الكبير» (٨٥٠/٣٠٨/١٧). وحسنه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٥١٥٨).
وحديث عصمة بن مالك الخطمى: رواه البيهقى فى «الشعب» (٢٤٤٤) وابن عدى (٢٠٤١/٦) والطبرانى «كبير» (٤٩٨/١٨٦/١٧). وحديث سهل: رواه الطبرانى فى «الكبير» (٥٩٠/٢١٢/١٦) وابن حبان فى «المجروحين» (١٤٠/٢) وابن عدى (٤٦/١، ١٩٤٤/٥)
وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٥١٤٢).

من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم؛ إذ زيادة العلم تقوى الحجة، وكون القارئ لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر. قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾[الرعد:١٩] وقال في أزواج رسول الله ﷺ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[الأحزاب:٣٠].

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلى، نا أحمد بن على بن ثابت، نا أبو الحسن بن زرقويه، نا إسماعيل الصفار، ثنا زكريا بن يحيى، ثنا معروف الكرخى قال: قال بكر بن حبيش: إن فى جهنم لواديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات، وإن فى الوادى لجبا يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات، وإن فى الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات، وتبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون: أى رب، يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فقيل لهم: ليس من يعلمَ كمن لا يعلم [(١)]. قال المصنف: فلنقتصر على هذا الأنموذجة فيما يتعلق بالقراء.

ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث

من ذلك أن قوما استغرقوا أعمارهم فى سماع الحديث، والرحلة فيه، وجمع الطرق الكثيرة، وطلب الأسانيد العالية، والمتون الغريبة، وهؤلاء على قسمين:

القسم الأول: قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه، وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن إبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم، والاجتهاد فى أداء اللازم، والتفقه فى الحديث، فإن قال قائل: فقد فعل هذا خلق كثير من السلف: كيحيى بن معين، وابن المدينى، والبخارى، ومسلم؟ فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه، وبين ما طلبوا من الحديث، وأعانهم على ذلك قصر الإسناد، وقلة الحديث، فاتسع زمانهم للأمرين، فأما فى هذا الزمان فإن طرق الحديث طالت، والتصانيف فيه اتسعت،

---

(١) ذكره السيوطى فى «اللآلئ» (١ / ٢٢٥) من طريق زكريا بن يحيى بن أسد المروزى حدثنا معروف الكرخى عن بكر بن خنيس. وبكر ضعيف والأثر موقوف عليه. وقد رواه ابن عدى (٢ / ٣٥) نحوه مرفوعاً عن أبى هريرة وفيه متروك.

وما فى هذا الكتاب فى تلك الكتب، وإنما الطرق تختلف، فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين، فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة، ويجمع الكتب، ولا يدرى ما فيها، ولو وقعت له حادثة فى صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقة الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه، وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا: زوامل أسفار لا يدرون ما معهم.

فإن أفلح أحدهم ونظر فى حديثه فربما عمل بحديث منسوخ، وربما فهم من الحديث ما يفهم العامى الجاهل، وعمل بذلك، وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ : «أنه نهى أن يسقى الرجل ماءه زرع غيره»[١] فقال جماعة ممن حضر: قدكنا إذا فضل عنا ماء فى بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله. فما فهم القارئ ولا السامع، ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا.

قال الخطابى: وكان بعض مشايخنا يروى الحديث «**أن النبى ﷺ نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة**»[٢] بإسكان اللام، قال: وأخبرنى أنه بقى أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة. قال: فقلت له: إنما هو الحلق جمع حلقة، وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة، وأمر أن يشتغل بالصلاة، وينصت للخطبة. فقال: قد فرجت على، وكان من الصالحين. وقدكان ابن صاعد كبير القدر فى المحدثين، لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار، نا أبو بكر أحمد ابن على بن ثابت قال: سمعت البرقانى يقول: قال أبو بكر الأبهرى الفقيه: قال: كنت عند يحيى بن محمد بن صاعد، فجاءته امرأته فقالت: أيها الشيخ، ما تقول فى بئر سقطت فيه دجاجة فماتت، فهل الماء طاهر أو نجس؟ فقال يحيى ويحك!كيف سقطت الدجاجة إلى البئر؟ قالت: لم تكن البئر مغطاة. فقال يحيى: ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شئ. قال الأبهرى: فقلت: ياهذه، إن كان الماء تغير فهو نجس، وإلا فهو طاهر.

---

(١) رواه أحمد (٤ / ١٠٨ ـ ١٠٩) وأبو داود (٢٥١٧ ـ ٢١٥٨) والترمذى (١١٣١) وابن حبان (١٦٧٥) والبيهقى (٧ / ٤٤٩) وحسنه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (١٨٧ ـ ٢١٣٧).

(٢) رواه أحمد (٢ / ١٧٩) وأبو داود (١٠٧٩) والترمذى (٣٢٢) والنسائى (٢ / ٤٧) وابن ماجه (٧٤٩) وحسنه الشيخ الألبانى فى «صحيح الترمذى» رقم (٢٦٥).

قال المصنف: وكان ابن شاهين قد صنف فى الحديث مصنفات كثيرة: أقلها جزء، وأكثرها التفسير، وهو ألف جزء، وما كان يعرف من الفقه شيئاً، وقدكان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ، لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتى به ضحكة، فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض، فكتب فى الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى.

وأنبأنا محمد بن أبى منصور، نا أحمد بن الحسين بن حبرون، نا أحمد بن محمد العتيقى، نا أبو عمر بن حياة، نا سليمان بن إسحاق الحلاب، ثنا إبراهيم الحربى قال: بلغنى أن امرأة جاءت إلى على بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له: حلفت بصدقة إزارى. فقال لها: بكم اشتريتيه؟ قالت: باثنين وعشرين درهماً. قال: اذهبى فصومى اثنين وعشرين يوماً، فلما مرت جعل يقول: آه، آه غلطنا والله، أمرناها بكفارة الظهار .

قال المصنف: قلت: فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل، وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط. واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات البارى سبحانه على مقتضى الحس، فشبهوا؛ لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم، وقد رأينا فى زماننا من يجمع الكتب منهم، ويكثر السماع، ولا يفهم ما حصل.(١)

ومنهم من لا يحفظ القرآن، ولا يعرف أركان الصلاة، فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان، وإيثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس إبليس.

القسم الثانى: قوم أكثروا سماع الحديث، ولم يكن مقصودهم صحيحاً، ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق، وإنما كان مرادهم العوالى والغرائب، فطافوا البلدان ليقول أحدهم: لقيت فلاناً، ولى من الأسانيد ما ليس لغيرى، وعندى أحاديث ليست عند غيرى.

وقد كان دخل إلينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث، وكان يأخذ الشيخ، فيقعده فى الرقة، وهى البستان الذى على شاطئ دجلة، فيقرأ عليه ويقول فى مجموعاته: حدثنى

---

(١) قلت: هذا الكلام يحتاج إلى رد شافى كافى، فليس هذا مذهب عموم المحدثين، وأنا أحيل القارئ الكريم إلى كتاب «شرح السنة» للالكائى، ففيه ما يغنى ولله الحمد والمنة.

فلان وفلان بالرقة، ويوهم الناس أنها البلدة التى بناحية الشام؛ ليظنوا أنه قد تعب فى الأسفار لطلب الحديث. وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات، ويقول: حدثنى فلان من وراء النهر. يوهم أنه قد عبر خراسان فى طلب الحديث . وكان يقول: حدثنى فلان فى رحلتى الثانية والثالثة؛ ليعلم الناس قدر تعبه فى طلب الحديث، فما بورك له، ومات فى زمان الطلب .

قال المصنف: وهذا كله من الإخلاص بمعزل، وإنما مقصودهم الرئاسة والمباهاة، ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه، وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم، فأخفاه ليتفرد هو بالرواية، وقد يموت هو ولا يرويه، فيفوت الشخصين، وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك فى مشيخته فحسب. ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلباً للتشفى، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع، والله أعلم بالمقاصد، ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه، وما كان القدماء هكذا، فقد كان على بن المدينى يحدث عن أبيه، وكان ضعيفاً، ثم يقول: وفى حديث الشيخ ما فيه.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى، نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا أبو عبد الله بن باكويه، ثنا بكر أن ابن أحمد الجيلى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سألت حارثاً المحاسبى عن الغيبة فقال: احذرها فإنها شر مكتسب، وما ظنك بشئ يسلبك حسناتك، فيرضى به خصماؤك، ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة: يأخذ من حسناتك، أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار، فاحذرها وتعرف منبعها، فإن منبع غيبة الهمج والجهال من إشفاء الغيظ، والحمية، والحسد، وسوء الظن، وتلك مكشوفة غير خفية، وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة، وتأويل ما لا يصح من الخبر، ولو صح ما كان عوناً على الغيبة، وهو قوله: «**أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس**»(١)ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه، وإنما إذا

---

(١) موضوع ـ رواه العقيلى فى «الضعفاء» (١ / ٢٠٢) وابن حبان فى «المجروحين» (١ / ٢٢٠) وابن عدى (٢ / ١٧٤) والخطيب فى «التاريخ» (١ / ٣٨٢ ـ ٣ / ١٨٨ ـ ٧ / ٢٦٢) وهو فى «الضعيفة» رقم (٥٨٣).

جاءك مسترشد فقال: أريد أن أزوج كريمتي من فلان فعرفت منه بدعة، أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف، أو يجيئك رجل آخر فيقول لك: أريد أن أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه، أو يقول لك رجل: أريد أن أصلى خلف فلان، أو أجعله إمامى فى علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه، ولا تشف غيظك من غيبته.

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدى عوار الأخ، ثم يتصنع بالدعاء فى ظهر الغيب، فيتمكن من لكم أخيه المسلم، ثم يتزين بالدعاء له، وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة، فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول: مسكين فلان ابتلى بكذا، وامتحن بكذا، نعوذ بالله من الخذلان. فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه، ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه، ويقول: إنما أبديت لكم ذاك لتكثروا دعائكم له، ونعوذ بالله من الغيبة: تعريضاً، أو تصريحاً، فاتق الغيبة، فقد نطق القرآن بكراهتها، فقال عز وجل: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[الحجرات:١٢] وقد روى النبى ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة .

ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع، وهذه جناية منهم على الشرع، ومقصودهم ترويج أحاديثهم، وكثرة رواياتهم، وقد قال النبى ﷺ: «من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[(١)] ومن هذا الفن تدليسهم فى الرواية: فتارة يقول أحدهم: فلان عن فلان، أو قال: فلان عن فلان، يوهم أنه سمع منه المنقطع، ولم يسمع وهذا قبيح؛ لأنه يجعل المنقطع فى مرتبة المتصل، ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب؛ فينفى اسمه فربما سماه، وربما كناه، وربما نسبه إلى جده؛ لئلا يعرف، وهذه جناية على الشرع؛ لأنه يثبت حكماً بما لا يثبت به، فأما إذا كان المروىّ عنه ثقة فنسبه إلى جده، أو اقتصر على كنيته؛ لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه، أو يكون المروى عنه فى مرتبة الراوى، فيستحى الراوى من ذكره، فهذا على الكراهة، والبعد من الصواب قريب، بشرط أن يكون المروى عنه ثقة، والله الموفق.

---

(١) رواه مسلم فى «المقدمة» (١) والترمذى (٢٧٩٩) وابن ماجه (٣٩) وأحمد (٥ / ١٤) والطيالسى (١ / ٣٨) وابن حبان فى «المجروحين» (١ / ٧) وفى الصحيح (٢٩) والطحاوى «مشكل» (١ / ١٧٥) والبغوى (١٢٣) عن سمرة بن جندب، ورواه مسلم وابن ماجه (٤١) والطيالسى (٩٥) وابن حبان «مجروحين» (١ / ٧ ، ٨) وغيرهم عن المغيرة بن شعبة.

ذكر تلبيس إبليس على الفقهاء

قال المصنف: كان الفقهاء فى قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث، فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون: يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن، وأن نعتمد على الكتب المشهورة فى الحديث كسنن أبى داود ونحوها، ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها، وبحديث لا يدرى أصحيح هو أم لا، وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح، ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل، وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة، فكيف يستخرج من شئ لا يعرفه، ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا، ولقد كانت معرفة هذا تصعب، ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير، حتى يعرف كثير، فصنفت الكتب، وتقررت السنن، وعرف الصحيح من السقيم، ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح: لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا، ورأيته يحتج فى مسألة فيقول: دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله ﷺ قال كذا، ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول: هذا حديث لا يعرف، وهذا كله جناية على الإسلام.

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء أن جُلّ اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم، والاستنباط لدقائق الشرع، وعلل المذاهب، ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل، وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام، فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر، فَهَمٌّ أحدهم بترتيب المجادلة، والتفتيش على المناقضات، طلباً للمفاخرات، والمباهاة، وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى.

ذكر تلبيسه عليهم بإدخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن تلبيسه إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة، ليتسع لهم المجال فى النظر. وإن استدل أحد منهم بالحديث هجن، ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث. ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم، ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن، وسماع الحديث، وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه، ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة، والماء المتغير. وهى محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة، ومسائل الخلاف وإن كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب.

ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم، وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق طبائعهم، فصار مثلهم. فإذا نظر فى سير القدماء زاحمهم، وتأدب بأخلاقهم، وقد كان بعض السلف يقول: حديث يرق له قلبى أحب إلىّ من مائة قضية من قضايا شريح. وأنما قال هذا؛ لأن رقة القلب مقصودة ولها أسباب. ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظرة، وأعرضوا عن حفظ المذهب، وباقى علوم الشرع، فترى الفقيه المفتى يسأل عن آية أو حديث فلا يدرى . وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير. ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب.

وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق. وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل، وإذا خفى على أحدهم شئ نبهه الآخر، لأن المقصود كان إظهار الحق، فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها . فقيل له: ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة فقال: هذا الذى يظهر لى، فإن ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فإن المعترض لا يلزمنى ذكر ذلك . وقد صدق فى أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل. بل فى باب النصح وإظهار الحق يلزمه.

ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه، ولا يرجع ويضيق صدره، كيف ظهر الحق مع خصمه؟ وربما اجتهد فى رده مع علمه أنه الحق. وهذا من أقبح القبيح؛ لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق . وقد قال الشافعى رحمه الله ما ناظرت أحداً

فأنكر الحجة إلا سقط من عينى، ولا قبلها إلا هبته، وما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة: إن كانت معه صرت إليه(١). ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن فى النفس من حب الرياسة، فإذا رأى أحدهم فى كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة، فإن رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر، فقابل ذلك بالسب، فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم فى الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم: تكلمت مع فلان فما قال شيئاً. ويتكلم بما يوجب التشفى من غرض خصمه بتلك الحجة . ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره، فإن ذكر لهم محدث قالوا: ذاك لا يفهم شيئاً، وينسون أن الحديث هو الأصل، فإن ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا: هذا كلام الوعاظ. ومن ذلك إقدامهم على الفتوى، ومابلغوا مرتبتها، وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص، ولو توقفوا فى المشكلات كان أولى.

. فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى، نا محمد بن هبة الله الطبرى، ثنا محمد بن الحسين بن الفضل، نا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب ابن سفيان، ثنا الحميدى، ثنا سفيان، نا عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول. قال يعقوب: وثنا أبو نعيم، ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال: سمعت عبد الرحمن أبى ليلى أيضاً يقول: أدركت فى هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه الحديث، ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.(٢)

قال المصنف: وقد روينا عن إبراهيم النخعى أن رجلا سأله عن مسألة فقال: ما وجدت من تسأله غيرى؟ وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال: ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً: هل ترون لى أن أفتى؟ فقالوا: نعم. فقيل له: فلو نهوك. قال: لو نهونى انتهيت. وقال رجل لأحمد بن حنبل: إنى حلفت، ولا أدرى كيف حلفت. قال: ليتك إذ دريت كيف حلفت، دريت أنا كيف أفتيك.

---

(١) راجع كتاب الفقيه والمتفقه (٢ / ٢٦).

(٢) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٤ / ٣٥١) والخطيب فى «الفقيه» (٢ / ١٣) وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» (ص ٥٢١).

قال المصنف: وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل، وخوفهم منه، ومن نظر فى سيرتهم تأدب.

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء ـ مخالطتهم الأمراء والسلاطين، ومداهنتهم، وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه؛ لينالوا من دنياهم عرضاً؛ فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه:

(الأول) الأمير يقول: لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى؟ (والثانى) العامِّى إنه يقول: لا بأس بهذا الأمير، ولا بماله، ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده. (والثالث) الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك.

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول: إنما ندخل لنشفع فى مسلم، وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك،وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان. ومن تلبيس إبليس عليه فى أخذ أموالهم،فيقول: لك فيها حق. ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شئ وإن كانت من شبهة فتركها أولى،وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين،لا على وجه إتفاقه فى إقامة الرعونة،وربما اقتدى العوام بظاهر فعله، واستباحوا ما لا يستباح.

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء، ينقطعون عن السلطان: إقبالاً على التعبد، والدين؛ فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء، فيجمع لهم آفتين: غيبة الناس، ومدح النفس. وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم؛ لأن النية قد تحسن فى أول الدخول، ثم تتغير بإكرامهم و إنعامهم أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك عن مداهنتهم، وترك الإنكار عليهم.

وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول: ما أخاف من إهانتهم لى، إنما أخاف من إكرامهم؛ فيميل قلبى إليهم. وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم، فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم فى الفتاوى والولايات، فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا، فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء، وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول، فأظهر الناس علم الكلام، ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى

الفقه، فمال الناس إلى الجدل، ثم بعض الأمراء إلى المواعظ؛ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها، ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص، وقل الفقهاء.

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء ـ أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم، فيمكث فيها سنين، ولايتشاغل، ويقنع بماعرف أو ينتهى فى العلم، فلا يبقى له فى الوقف حظ؛ لأنه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخص معيداً، أو مدرساً، فإن شغله دائم، ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات، فبعضهم يلبس الحرير، ويتحلى بالذهب، ويحال على المكث؛ فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصى. وسبب انبساط هؤلاء مختلف.

فمنهم من يكون فاسد العقيدة فى أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه، أو ليأخذ من الوقف، أو ليرأس، أو ليناظر.

ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى، وحب الشهوات، وليس عنده صارف عن ذلك؛ لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعجبى وإنما يتقوم الإنسان بالرياضة، ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا، وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه، فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد.

ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنه عالم، وفقيه، ومفت، والعلم يدفع عن أربابه، وهيهات فإن العلم أولى أن يحاجه، ويضاعف عذابه كما ذكرنا فى حق القراء.

وقد قال الحسن البصرى: إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل.

قال ابن عقيل: رأيت فقيهاً خراسانياً عليه: حرير، وخواتم ذهب، فقلت له: ما هذا؟ فقال خلع السلطان، وكمد الأعداء. فقلت له: بل هو شماتة الأعداء بك إن كنت مسلماً؛ لأن إبليس عدوك، وإذا بلغ منك مبلغك ألبسك ما يسخط الشرع؛ فقد أشمته بنفسك، وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يامسكين: خلع عليك السلطان فانخلعت به من الإيمان، وقد كان ينبغى أن يخلع عنك السلطان لباس الفسق، ويلبسك لباس التقوى، رماكم الله بخزيه حيث هونتم أمره، هكذا ليتك قلت: هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك؛ لأن عدوانك دليل على فساد باطنك.

ومن تلبيسه عليهم ـ أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ، ويمنعهم من الحضور عندهم، فيقولون: من هؤلاء؟ هؤلاء قصاص.

ومراد الشيطان أن لا يحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع .

والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف:٣] وقال: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ [الأعراف:١٧٦] وإنما ذم القصاص؛ لأن الغلب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد، ثم غالبهم يخلط فيما يورده، وربما اعتمد على ما أكثره محال، فأما إذا كان القصص صدقاً، ويوجب وعظاً فهو ممدوح، وقد كان أحمد بن حنبل يقول: ما أحوج الناس إلى قاص صدوق.

ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص

قال المصنف: كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء، وقد حضر مجلس عبيد ابن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه، وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص. ثم خست هذه الصناعة، فتعرض لها الجهال، فبعد عن الحضور، وعندهم المميزون من الناس، وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم، وأقبلوا على القصص، وما يعجب الجهلة، وتنوعت البدع فى هذا الفن.

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين. إلا أنا نذكر هنا جملة: فمن ذلك ـ أن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب، ولبس عليهم إبليس: بأننا نقصد حث الناس على الخير، وكفهم عن الشر. وهذا افتيات(١) منهم على الشريعة؛ لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تتمة، ثم نسوا قوله ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٢) ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس، ويطرب القلوب، فنوعوا فيه الكلام، فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية فى العشق.

---

(١) تطاول، وتقول بغير علم.
(٢) حديث متواتر ـ قال الحافظ فى «الفتح» (١ / ١٦٤) «وتحصيل من مجموع ذلك كله رواية مائة من الصحابة على ما فصلته من صحيح وحسن وضعيف وساقط».

ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الإشارة إلى محبة الله عز وجل، ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى، فَيَضل القاص ويضِلّ. ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما فى قلبه، وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل، فتسمح النفس بفضل بكاء، وخشوع، فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة. ومن كان صادقاً لم يسلم صدقة من رياء يخالطه. ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهى إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة، والقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه، وإيقاع برجليه، فتشبه السكر، ويوجب ذلك تحريك الطباع، وتهييج النفوس، وصياح الرجال والنساء، وتمزيق الثياب لما فى النفوس من دفائن الهوى، ثم يخرجون فيقولون: كان المجلس طيباً، ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز. ومنهم من يجرى فى مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى، ويصف ما يجرى لهم من البلاء، ويذكر الغربة ومن مات غريباً، فيبكى بها النساء، ويصير المكان كالمأتم، وإنما ينبغى أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع، ومنهم من يتكلم فى دقائق الزهد، ومحبة الحق سبحانه فلبس عليهم إبليس: إنك من جملة الموصوفين بذلك، لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف، وسلكت الطريق. وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم، والسلوك غير العلم. ومنهم من يتكلم بالطامات، والشطح الخارج عن الشرع، ويستشهد بأشعار العشق، وغرضه أن يكثر فى مجلسه الصياح، ولو على كلام فاسد. وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها، وأكثر كلامهم اليوم فى موسى والجبل، وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض، ولا ينهون عن ذنب، فمتى يرجع صاحب الزنا، ومستعمل الربا، وتعرف المرأة حق زوجها، وتحفظ صلاتها؟ هيهات هؤلاء: تركوا الشرع. وراء ظهورهم، ولهذا نفقت سلعهم؛ لأن الحق ثقيل، والباطل خفيف. ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل، ولا يبين للعامة المقصود، فربما تاب الرجل منهم، وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شئ لهم. ومنهم من يتكلم فى الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر، فيزيد الناس جرأة على المعاصى، ثم يقوى ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة، والملابس الفاخرة؛ فيفسد القلوب بقوله وفعله.

فصـــل

وقد يكون الوعظ صادقاً قاصداً للنصيحة إلا أن منهم من شرب الرئاسة فى قلبه مع الزمان، فيحب أن يعظم، وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه، أو يعينه على الخلق كره ذلك، ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق.

فصـــل

ومن القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء، وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن، فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه، ولقد ظهر فى زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل فى التلبيس؛ لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمحنون به الأمراء، والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس، والتكسب به فى البلدان، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى، وفراق الأحبة، فيبكى النسوة، ولا يحث على الصبر. وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له: مثلك لا يعظ، وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت. والانقطاع، وذلك من دسائس إبليس؛ لأنه يمنع فعل الخير ويقول: إنك تلتذ بما توره، وتجد بذلك سد باب الخير. وعن ثابت قال: كان الحسن فى مجلس فقيل للعلاء: تكلم فقال: أو هناك أنا. ثم ذكر الكلام، ومؤنته، وتبعته. . قال ثابت: فأعجبنى. قال: ثم تكلم الحسن وإننا هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه، فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر.

ذكـر تلبيسـه على أهــل اللغـــة والأدب

قال المصنف: قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التى هى فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات، وما هو أولى بهم من آداب النفوس، وصلاح القلوب، وبما هو أفضل من علوم التفسير، والحديث، والفقه. فأذهبوا الزمان كله فى علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها، فإن الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغى أن يترقى إلى العمل بها إذ هى مرادة لغيرها. فترى الإنسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل، ولا من الفقه، ولا يلتفت إلى تزكية نفسه، وصلاح قلبه.

ومع هذا ففيهم كبر عظيم، وقد خيل لهم إبليس أنكم علماء الإسلام لأن النحو واللغة من علوم الإسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمرى[١]، إن هذا لا ينكر، ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان، وما يحتاج إليه من اللغة فى تفسير القرآن والحديث أمر لازم، وما عدا ذلك فضل لا يحتاج إليه، وإنفاق الزمان فى تحصيل هذا الفاضل، وليس بمهم مع ترك المهم غلط، وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن. ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسناً، ولكن العمر قصير، فينبغى إيثار الأهم، والأفضل.

فصـــل

ومما ظنوه صواباً وهو خطأ، ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال: قيل لفقيه العرب: هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء؟ قال: نعم . قال: والإشهاد أن يمذى الرجل.

قال المصنف: وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة، وهذا غاية فى الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركاً بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ، مثاله أن يقول المستفتى: ما تقول فى وطء الرجل زوجته فى قُرْئِهَا؟ فإن القرء يقع عند اللغويين على الاطهار، وعلى الحيض. فيقول الفقيه: يجوز ـ إشارة إلى الطهر. أو لا يجوز ـ إشارة إلى الحيض خطأ . وكذلك لو قال السائل: هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر؟ لم يجز إطلاق الجواب . فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين: (أحدهما) أنه لم يستفصل فى المحتملات و(الثانى) أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات، وترك الأظهر. وقد استحسنوا هذا، وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل.

فصـــل

ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية، ولم يجد الطبع صاداً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث، ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع إلى هوة الهوى، فانبث شرع البطالة يعبث، فقل أن ترى منهم متشاغلاً بالتقوى، أو ناظراً فى مطعم،

---

(١) أقسم المؤلف بحياته، وهى ذلة منه رحمه الله، وكان الصواب أن يقول «لعمر الله» كما كان حال حمهم الله .

فإن النحو يغلب طلبه على السلاطين، فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو على الفارسى فى ظل عضد الدولة وغيره، وقد يظنون جواز الشئ، وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبى إسحاق إبراهيم بن السرى. قال: كنت أؤدب القاسم بن عبد الله فأقول له: إن بلغت إلى مبلغ أبيك، ووليت الوزارة، ماذا تصنع بى؟ فيقول: ما أحببت. فأقول له: أن تعطينى عشرين ألف دينار. وكانت غاية أمنيتى فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتى له، وقد صرت نديمه، فدعتنى نفسى إلى إذكاره بالوعد ثم هبته. فلما كان فى اليوم الثالث من وزارته قال لى: يا أبا اسحاق، لم أرك أذكرتنى بالنذر؟ فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله، وأنه لا يحتاج إلى إذكار لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق. فقال لى: إنه المعتضد. ولولاه ما تعاظمنى دفع ذلك إليك فى مكان واحد، ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث، فاسمح بأخذه متفرقاً فقلت: افعل. فقال: اجلس للناس، وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار، واستعجل عليها، ولا تمتنع من مسائلتى شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً إلى أن يحصل لك مال النذر، ففعلت ذلك، وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها، وربما قال لى: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول: كذا وكذا. فيقول: غبنت، هذا يساوى كذا وكذا، فاستزد فاراجع القوم، ولا أزال أماكسهم ويزيدوننى حتى أبلغ الحد الذى رسمه. قال: فعرضت عليه شيئاً عظيماً فحصل عندى عشرون ألف دينار وأكثر منها فى مدة مديدة . فقال لى بعد شهور: يا أبا إسحاق، حصل مال النذر؟ فقلت: لا. فسكت وكنت أعرض ثم يسألنى فى كل شهر أو نحوه: هل حصل المال فأقول: لا، خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف المال. وسألنى يوماً فاستحييت من الكذب المتصل، فقلت: قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال: فرجت والله عنى، فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك . قال: ثم أخذ الدواة، ووقع إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها، وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته، وجلست على رسمى، فأومأ إلىّ هات ما معك، ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت: ما أخذت من أحد رقعة؛ لأن النذر قد وقع الوفاء به، ولم أدر كيف أقع من الوزير. فقال: يا سبحان الله،أترانى كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة، وعلم به الناس، وصارت لك به منزلة عندهم، وجاه، وغدو، ورواح إلى بابك،ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى،أو تغير رتبتك، أعرض علىّ رسمك وخذ بلا

حساب. فقبلت يده، وباكرته من غد بالرقاع، وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثلت[١] مالى هذا.

قال المصنف: انظروا ما يصنع قلة الفقه، فإن هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذى جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه، وتبجح به. فإن إيصال الظلامات واجب، ولا يجوز أخذ البرطيل عليها، ولا على شئ مما نصب الوزير له من أمور الدولة، وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره.

ذكر تلبيس إبليس على الشعراء

قال المصنف: وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب، وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم. فتراهم يهيمون فى كل واد من الكذب، والقذف، والهجاء، وهتك الأعراض، والإقرار بالفواحش، وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان فيخاف أن يهجوه، فيعطيه اتقاء شره، أو يمدحه بين جماعة، فيعطيه حياء من الحاضرين، وجميع ذلك من جنس المصادرة. وترى خلقاً من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير، والكذب فى المدح خارجاً عن الحد، ويحكون اجتماعهم على الفسق، وشرب الخمر، و غير ذلك. ويقول أحدهم: اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا ـ هيهات هيهات، ليس الأدب إلا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له، ولا قدر للفطن فى أمور الدنيا، ولا تحسن العبارة عند الله إذا لم يتقه، وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا، فكفروا و أخذوا فى لوم الأقدار كقول بعضهم

لئن سمت همتى فى الفضل عالية ... فإن حظى ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بى ما لا أسرّ به ... وكم يسئ زمان جائر حنق

وقد نسى هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم، فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء، ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع، فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة.

---

(١) تأثلت : إذا اتخذت أصل مال .

ذكر تلبيس إبليس على الكاملين من العلماء

قال المصنف: إن أقواماً علت هممهم، فحصلوا علوم الشرع من القرآن، والحديث والفقه، والأدب، وغير ذلك، فأتاهم إبليس يخفى التلبيس، فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم: فمنهم من يستفزه لطول عنائه فى الطلب، فحسن له اللذات، وقال له: إلى متى هذا التعب؟ فأرح جوارحك من كلف التكاليف، وافسح لنفسك فى مشتهاها، فإن وقعت فى زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة. وأورد عليه فضل العلماء. فإن خذل هذا العبد، وقبل هذا التلبيس يهلك، وإن وفق فينبغى له أن يقول: جوابك من ثلاثة أوجه:

أحدها: إنه إنما فضل العلماء بالعمل، ولولا العمل به ما كان له معنى، وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به، ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام، وأطعم الجياع، ولم يأكل، فلم ينفعه ذلك من جوعه.

والثانى: أن يعارضه بما ورد فى ذم من لم يعمل بالعلم لقوله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»[١] وحكايته ﷺ «عن رجل يلقى فى النار فتندلق أقتابه فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[٢] وقول أبى الدرداء رضى الله عنه: ويل لمن يعلم مرة، وويل لم علم ولم يعمل سبع مرات.

والثالث: أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم، كإبليس وبلعام. ويكفى فى ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ [الجمعة:٥].

---

(١) رواه الطبرانى فى « الصغير » (١ / ١٨٣) وابن عدى (٣ / ٤١) والآجرى فى « أخلاق العلماء » (ص ١٠١ ـ ١٠٢) والبيهقى فى «الشعب» (١٦٤٢) وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» (ص ١٦٢) وهو ضعيف جداً قاله الشيخ الألبانى فى «الضعيفة» (١٦٣٤).
ورواه الدارمى (٢٦٢) عن أبى الدرداء موقوفاً لكن إسناده ضعيف .

(٢) رواه البخارى (٣٢٦٧ ـ ٧٠٩٨) ومسلم (٣٩٨٩) والطبرانى فى « الكبير » (٣٩٥ ـ ٤٠٢).

نقـد مسـالك الكاملين مـن العلمـاء

وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين فى العلم والعمل من جهة أخرى. فحسن لهم الكبر بالعلم، والحسد للنظير، والرياء لطلب الرياسة، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم. وتارة يقوى حب ذلك عندهم، فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ. وعلاج هذا لمن رفق إدمان النظر فى إثم الكبْر، والحسد، والرياء، وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات، بل يضاعِف عذابها لتضاعف الحجة بها. ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين استقرّ نفسه فلم يتكبر. ومن عرف الله لم يراء، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد.

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول: طلبكم للرفعة ليس بتكبر، لأنكم نواب الشرع، فإنكم تطلبون إعزاز الدين، ودحض أهل البدع، وإطلاقكم اللسان فى الحساد غضب للشرع، إذ الحساد قد ذموا من قام به، وما تظنونه رياء فليس برياء، لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس، كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف.

وكشف هذا التلبيس: أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم، وصعد فى المجلس فوقه أو قال حاسد عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه، وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم. وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد، ولا يصلح أن يجعل طريقا لدعاية الناس، وقد كان أيوب السختيانى إذا حدث بحديث فَرِقَّ ومسح وجهه، وقال: ما أشد الزكام، وبعد هذا فالأعمال بالنيات، والناقد بصير، وكم من ساكت عن غيبة المسلمين، وإذا اغتيبوا عنده فرح قلبه، وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: الفرح، فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب.

والثاني: لسروره بثلب المسلمين.

والثالث: أنه لا ينكر.

فصـــل

وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم، فيسهرون ليلهم، ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم، ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين، ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر، وعلو الصيت، والرياسة، وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف.

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه، أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم، وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إليّ، ومنهم من يفرح بكثرة الأتباع، ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم، وإنما مراده كثرة الأصحاب، واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم، وعلمهم، وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه. وما هذه صفة المخلص في التعليم، لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى، فإذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر. وقد ذكرنا آنفاً حديث ابن أبي ليلى، ونعيده بإسناد آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شئ إلا ودّ أن أخاه كفاه، ولا يحدث بحديث إلا ودّ أن أخاه كفاه.[1]

قال المصنف: وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة، فيأتيهم بخفي من تلبيسه. بأن يقول له: ما لقيت مثلك، ما أعرفك بمداخلي ومخارجي، فإن سكن إلى هذا هلك بالعجب، وإن سلم من المسالمة له سلم. وقد قال السري السقطي: لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار، عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار، فخاطبه كل طائر بلغته، وقال: السلام عليك ياوليّ الله. فسكنت نفسه إلى ذلك كان في أيديها أسيراً: والله الهادي لا إله إلا هو.

❁❁❁❁❁❁

(١) في جميع النسخ التي بين أيدينا ـ قول المؤلف: ونعيده بإسناد آخر ولكن لم يذكر هذا الإسناد ـ وقد تم تخريجه .

البَـابُ السَّـابـع
فـي تلبيس إبليس على الـولاة والسلاطين

قال المصنف: قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها:

فالوجه الأول: بأنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم،ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه، ولا جعلهم نواباً عنه فى عباده.وينكشف هذا التلبيس بأنهم إن كانوا نواباً عنه فى الحقيقة فليحكموا بشرعه، وليتبعوا مراضيه، فحينئذ يحبهم لطاعته. فأما صورة الملك والسلطنة، فإنه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه، وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه، وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم، فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم.ودخل ذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[آل عمران:١٧٨].

والثانى:أنه يقول لهم: الولاية تفتقر إلى هيبة، فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسه العلماء فيعملون بآرائهم، فيتلفون الدين، والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين، فإذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها، ولا يرى ما يقاومها، ولا ما يزجره عنها، وذلك سبب الهلاك.

والثالث:أنَّه يخوفهم الأعداء، ويأمرهم بتشديد الحجاب، فلا يصل إليهم أهل المظالم، ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم. وقد روى أبو مريم الأسدى عن النبى ﷺ قال: «من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم، وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته، وخلته وفقره».(١)

والرابع:أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى . فيجتلب الدعاء عليهم بظلمة الناس . ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد . ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل مما جعلوه فى عنق الوالى ـ هيهات إن العامل على الزكاة إذا وكل الفساق بتفرقتها فخانوا ضَمِنَ .

---

(١)رواه أبو داود(٢٩٤٨)والترمذى(١٣٣٢ـ١٣٣٣)والحاكم(٤/٩٣ـ٩٤)والطبرانى فى«مسند الشاميين» (١٤٠٤) وفى «الكبير» (٢٢/٣٣١/٨٣٢) وابن عساكر (١٩/٨٤/١ـ٢) والبيهقى (١٠/١٠١) عن عمرو بن مرة .وله شاهد عند أحمد (٥ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩) عن معاذ، وصححه الشيخ الألبانى.

والخامس: أنه يحسن لهم العمل برأيهم، فيقطعون من لا يجوز قطعه، ويقتلون من لا يحل قتله. ويوهمهم أن هذه سياسة، وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام، ونحن نتمها بآرائنا.

وهذا من أقبح التلبيس؛ لأن الشريعة سياسة إلهية، ومحال أن يقع فى سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق قال الله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨] وقال: ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[الرعد:٤١] فمدعى السياسة مدعى الخلل فى الشريعة. وهذا يزاحم الكفر. وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية، فكانت تشغل قلبه، فأمر بتغريقها، لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك. وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل، واعتقاده أن هذا جائز كفر، وإن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة، فلا مصلحة فيما يخالف الشرع.

والسادس: أنه يحسن لهم الانبساط فى الأموال ظانين أنها بحكمهم.

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحَجْر(١) على المفرط فى مال نفسه، فكيف بالمستأجر فى حفظ مال غيره. وإنما له من المال بقدر عمله، فلا وجه للانبساط. قال ابن عقيل: وقد روى عن حماد الرواية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً، فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين قال: وهذا مما يروى على وجه المدح لهم، وهو غاية القدح(٢) فيهم، لأنه تبذير فى بيت مال المسلمين. وقد يزين لبعضهم منع المستحقين، وهو نظير التبذير.

والسابع : أنه يحسن لهم الانبساط فى المعاصى، ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل، وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب. وجواب هذا أن يقال: إنما وليتم لتحفظوا البلاد، وتؤمنوا السبل، وهذا واجب عليهم، وما انبسطوا فيه من المعاصى منهى عنه، فلا يرفع هذا ذلك.

والثامن: أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة. ولو حقق النظر لرأى اختلالا كثيراً.

وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد قال: رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلاً برزق يطوف على باعة العنب، فإذا اشترى أحد سلة عنب

(١) الحجر: المنع وهو منع الشخص من التصرف فى ماله إذا أصابه سفه أو جنون.
(٢) القدح: الطعن.

خمرى لم يعرض له، وإن اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح، لئلا يتمكن من عملها خمراً، قال: وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود فى الطرق حتى لا يفشو العمل بالنجوم. وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة، ولا شعر إلى أن بدئ بحكم العجم.

والتاسع: أنه يحسن لهم استجلاب الأموال، واستخراجها بالضرب العنيف، وأخذ كل ما يملكه الخائن، و استحلافه، وإنما الطريق إقامة البينة على الخائن.

وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له: إن قوماً خانوا فى مال الله، ولا أقدر على استخلاص ما فى أيديهم إلا أن أنالهم بعذاب. فكتب إليه: لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلىّ من أن ألقاه بدمائهم.

والعاشر: أنه يحسن لهم التصدق بعد الغصب. يريهم أن هذا يمحو ذلك. ويقول: إن درهماً من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغصب. وهذا محال لأن إثم الغصب باقٍ ودرهم الصدقة إن كان من الغصب لم يقبل وإن كانت الصدقة من الحلال لم يدفعْ أيضاً إثم الغصب، لأن إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر.

والحادى عشر : أنه يحسن لهم مع الإصرار على المعاصى زيارة الصالحين، وسؤالهم الدعاء، ويريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم. وهذا الخير لا يدفع ذلك الشر.

وفى الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعاً يقول: مر تاجر بعشار، فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك. فقام مالك، فمشى معه إلى العشار فلما رأوه، قالوا: يا أبا يحيى، ألا بعثت إلينا فى حاجتك. قال: حاجتى أن تخلو عن سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه، فقالوا: ادع لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم، أترى يستجاب لواحد، ولا يستجاب لألف!

والثانى عشر: أن من الولاة من يعمل لمن فوقه، فيأمره بالظلم فيظلم، ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لا عليك. و هذا باطل، لأنه معين على الظلم، وكل معين على المعاصى عاص، فإن رسول اللهﷺ : «لعن فى الخمر عشرة[1] ولعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه»[2] ومن هذا الفن أن يجبى المال لمن هو فوقه، وقد علم أنه يبذر فيه، ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً.

وفى الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة. والله الهادى إلى الصواب.

❁❁❁❁❁❁

(١) صحيح رواه أحمد (١ / ٣١٦) وأبو داود (٣٦٧٤) والترمذى (١٢٩٥) وابن ماجه (٣٣٨٠) والطيالسى (١٩٥٧) وابن حبان (١٣٧٤) والحاكم (٢ / ٣٢ ـ ٤ / ١٤٤) والبيهقى (٥١٩٤) فى الشعب ـ وفى السنن (٥ / ٧ ، ٣) عن ابن عمر وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٥٠٩١).

(٢) رواه مسلم (١٥٩٧ ، ١٥٩٨) وأبو داود (٣٣٣٣) وأحمد (١ / ٨٧ ـ ٣ / ٣٠٤) عن جابر وغيره.

البَــاب الثـامِن

ذكــر تلبيــس إبليــس

علــى العبـــاد فــي العبـــادات

قــال المصنف: اعلم أن البــاب الأعظم الذى يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل. فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم، فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم، لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد، ولم يحكم العلم. وقد قال الربيع بن خيثم: تفقه ثم اعتزل.

فأول تلبيسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم، والعلم أفضل من النوافل، فأراهم أن المقصود من العلم العمل. وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب، أفضل من عمل الجوارح.

قال مطرف بن عبد الله: فضل العلم خير من فضل العبادة[١] وقال يوسف بن أسباط. باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة، وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحب إلى من صلاة ليلة.[٢]

قال المصنف: فلما مر عليهم هذا التلبيس، وآثروا التعبد بالجوارح على العلم، تمكن إبليس من التلبيس عليهم فى فنون التعبد.

---

(١) رواه أحمد فى «الزهد» (ص ٢٤٠) وابن سعد فى «الطبقات» (٧ / ١٤٢) والفسوى فى «المعرفة» (٢ / ٨٢ ـ ٨٣) وابن عبد البر فى «الجامع» (١ / ٢٣ ـ ٢٤) والخطيب فى «الفقيه» (١ / ١٩) والبيهقى فى «الشعب» (١٥٧٩) وفى «المدخل» (ص ٤٥٧) وإسناده صحيح.

(٢) رواه ابن عبد البر فى «جامع العلم» (١ / ٢٥)
وجاء فى فضل العلم على فضل العبادة أحاديث منها
ما رواه الطبرانى عن ابن عمر حذيفة والحاكم عن سعد بن أبى وقاص والحاكم عن حذيفة وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٤٢١٤) مرفوعاً بلفظ «فضل العلم أحبُّ إلىّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع».
«إن الله أوحى إلىّ أنهُ من سلك مسلكاً فى طلب العلم سهلتُ له طريقه الجنة، ومن سلبت كريمتيه اثبتهُ عليه الجنة وفضل فى علمٍ خير من فضل فى عبادة، وملاك الدين الورع».
رواه البيهقى فى «الشعب» وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (١٧٢٧).
وراجع كتابنا– إيقاظ الهمة فى فضل العلم، ففيه باب كامل فى ذلك .

ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحدث

من ذلك ـ أنه يأمرهم بطول المكث فى الخلاء، وذلك يؤذى الكبد، وإنما ينبغى عليهم أن يكون بمقدار. ومنهم من يقوم فيمشى، ويتنحنح ويرفع قدماً، ويحط أخرى، وعنده أنه يستنقى بهذا، وكلما زاد فى هذا نزل البول ـ و بيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة، ويجمع فيها فإذا تهيأ الإنسان للبول خرج ما اجتمع، فإذا مشى، وتنحنح وتوقف رشح شئ آخر: فالرشح لا ينقطع، وإنما يكفيه أن يحتلب ما فى الذكر بين أصبعيه، ثم يتبعه الماء: ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير، وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب، فإن استعمل الأحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار إذا أنقى بهن، ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا متبع، والله الموفق.

ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء

منهم من يلبس عليه فى النية فتراه يقول: أرفع الحدث (١). ثم يقول: أستبيح الصلاة ثم يعيد فيقول: أرفع الحدث. وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع، لأن النية بالقلب لا باللفظ، فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج إليه، ثم لا معنى لتكرار اللفظ. ومنهم من يلبس عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به. فيقول: من أين لك أنه طاهر؟ ويقدر له فيه كل احتمال بعيد، وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة، فلا يترك الأصل بالاحتمال.

ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء، وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة: الإسراف فى الماء . وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب ، والتعاطى على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل. والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة

---

(١) الجهر بالنية من البدع المشهورة بين الناس، وأن الأصل فيها السر إلا إذا كان هناك ما يخص، وقد فصل فيها القول شيخ الاسلام ابن تيمية فى « الفتاوى الكبرى » الفتوى رقم واحد.

وتلبيس إبليس على هذا: بأنك في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة. ولو تدبر أمره لعلم أنه في مخالفة وتفريط ، وقد رأينا من ينظر في هذه الوساوس ولا يبالى بمطعمه، ومشربه، ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر. وفى الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن النبيﷺ مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفى الوضوء سرف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار»(١).

وفى الحديث عن أُبىٍّ عن النبيﷺ ، قال: «للوضوء شيطان يقال له: الولهان، فاتقوه، أو قال: فاحذروه»(٢). وعن الحسن رضى الله عنه قال: شيطان الوضوء يدعى الولهان، يضحك بالناس فى الوضوء. وبإسناد مرفوع إلى أبى نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم، إنى أسألك الفردوس، وأسألك ... فقال عبد الله: سل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإنى سمعت النبيﷺ يقول: «سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء والطهور»(٣). وعن ابن شوذب، قال: كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول: يتوضأ أحدهم بقربة، ويغتسل بمزادة صباً صباً، ودلكاً دلكاً، تعذيباً لأنفسهم، وخلافاً لسنة نبيهمﷺ ، وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول: أجلّ محصول عند العقلاء الوقت، وأقل متعبد به الماء. وقد قالﷺ : «صبوا على بول الأعرابى ذنوباً من ماء»(٤) قال

---

(١) **(ضعيف)** ـ رواه أحمد (٣ / ٢٢١) وابن ماجه (٤٢٥) والبيهقى فى « الشعب » (٢٥٣٣) وإسناده ضعيف لضعف يحيى بن عبد الله وابن لهيعة ـ وضعفه الحافظ فى « التلخيص » (١ / ١٠١) والألبانى فى «الإرواء» (١٤٠).

(٢) **(ضعيف)** ـ رواه أحمد (٥ / ١٣٦) والترمذى (٥٧) والطيالسى (٥٤٧) وابن ماجه (٤٢١) وابن خزيمة (١٢٢) والحاكم (١ / ١٦٢) والبيهقى (١ / ١٩٧) وابن أبى حاتم فى «العلل» (١٣٠) وقال: سئل أبو زرعة عن هذا الحديث فقال: رفعه منكر والخطيب فى «الموضح» (٢ / ٣٨٣) وابن الجوزى فى «العلل» (١ / ٣٤٥). وقال الترمذى حديث غريب وليس إسناده بالقوى عند أهل الحديث لا يعرف أحد بسنده غير خارجه، وخارجه ليس بالقوى عند أصحابنا ولا يصح فى هذا الباب عن النبيﷺ شئ.
قلت: خارجه ضعيف ضعفه الأئمة، وقد ضعف الحديث الألبانى ومن قبله الحافظ فى « التلخيص » (١٠١).

(٣) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٤ / ٨٧ ـ ٥ / ٥٥) وأبو داود (٩٦) وابن ماجه (٣٨٦٤) وعبد بن حميد (٥٠٠) وابن حبان (١٧١) والبيهقى (١ / ١٩٧) وصححه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (١٤٠).

(٤) صحيح ـ رواه البخارى (٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٦٠٢٤ ، ٦١٢٨) ومسلم (٢٨٤) وأبو داود (٣٨٠) والترمذى (١٤٧) والنسائى (١ / ٤٨ ، ١٧٥ ـ ٣ / ١٤) والحميدى (٩٣٨) وابن خزيمة (٢٩٧ ـ ٢٩٨) وابن حبان (١٣٩٩ ـ ١٤٠٠) والشافعى فى مسنده (١ / ٢٣) والبيهقى (٢ / ٤٢٨) والبغوى (٢٩١) وأحمد (٢ / ٢٨٢ ، ٢٣٩) من حديث أبى هريرة.

في المني: «**أمطه عنك بأذخرة**»[١] قال: وفي الحذاء «**طهوره بأن يدلك بالأرض**»[٢]. وفي ذيل المرأة «**يطهره ما بعده**»[٣]. وقال: «**يغسل بول الجارية، وينضح بول الغلام**»[٤]. «**وكان يحمل ابنة أبي العاص بن الربيع في الصلاة**»[٥]. ونهى الراعي عن إعلام السائل له عن الماء وما يرده. وقال ما أبقيت لنا طهور. وقال: يا صاحب الماء، لا تخبره[٦]

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١١٣٢١) والدارقطني (١ / ١٢٤ / ١) والبيهقي (٢ / ٤١٨) من طريق إسحاق الأزرق ناشريك عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ عن المني يصيب الثوب قال: إنما هو بمنزلة المخاط والبزاق وإنما يكفيك أن تمسحه بخرقة أو بإذخرة.
قال الدارقطني: لم يرفعه غير أن محمد بن عبد الرحمن وهو ابن أبي ليلى ثقه في حفظه شيء، وقال مرة: ضعيف.
وقال البيهقي: هذا صحيح عن ابن عباس من قوله، وقد روى مرفوعاً ولا يصح رفعه. وقال الهيثمي في «المجمع» (١ / ٢٧٩) وفيه محمد بن عبيد الله العزرمي وهو مجمع على ضعفه.
قلت: قد وهم رحمه الله فليس في الإسناد محمد هذا، وإنما هو محمد بن أبي ليلى وهو كما قال الحافظ في «التقريب» صدوق سيء الحفظ جداً. فالإسناد ضعيف مرفوع ولكن قد صح موقوفاً.
فقد رواه الدارقطني (١ / ١٢٥ / ٢) والبيهقي (٢ / ٤١٨) من طريق وكيع نا ابن أبي ليلى عن عطاء عن ابن عباس موقوفاً. وقد روى مسلم (٢٨٨) وأبو داود (٣٧١ ـ ٣٧٢) والترمذي (١١٦) والنسائي (١٥٦/١)وابن ماجه (٥٣٩) والطحاوي «معاني» (٥٠/١) وابن خزيمة (٢٨٨) وأحمد (٣٥/١ ـ٩٧) أن رجلاً نزل بعائشه أم المؤمنين فأصبح يغسل ثوبه فقالت عائشه إنما كان يجزئك إن رأيته أن تغسل مكانه وإن لم تره نضحت حوله لقد رأيتني أفركه من ثوب رسول الله ﷺ فركاً فيصلي فيه.

(٢) **(صحيح)** ـ رواه أبو داود (٣٨٥) وابن خزيمة (٢٩٢) وابن حبان (١٤٠٣) والحاكم (١ / ١٦٦) والبيهقي (٢ / ٤٣٠) والبغوي (٣٠٠) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا وطئ أحدكم الأذى بخفيه فطهورهما التراب» وإسناده صحيح وله شاهدان صحيحان يزداد بهما قوة:
الأول: حديث أبي سعيد رواه أحمد (٣ / ٢٠) وأبي داود (٦٥٠).
والثاني: عن عائشه عند أبي داود (٣٨٧) وغيره ـ وصححه الشيخ الألباني.

(٣) **(صحيح)** ـ رواه أبو داود (٣٨٣) والترمذي (١٤٣) وابن ماجه (٥٣١) عن أم سلمة سألتها امرأة إني امرأة أطيل زيلي وأمشي في المكان القذر، فقالت أم سلمةقال رسول الله ﷺ يطهره ما بعده» وصححه الشيخ الألباني

(٤) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (١ / ١٣٧) وأبو داود (٣٧٨) والترمذي (٦١٠) وابن خزيمة (٢٨٤) وابن ماجه (٥٢٥) والطحاوي «معاني» (٩٢/١) وابن حبان (١٣٧٥)والدارقطني (١٢٩/١) والحاكم (١٦٥/١) والبغوي (٢٩٦) والبيهقي (٢ / ٤١٥) عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «ينضح بول الغلام، ويغسل بول الجارية» وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٧٢).

(٥) رواه البخاري (٥١٦ ، ٥٩٩٦) ومسلم (٥٤٣) وأحمد (٥ / ٢٩ ـ ٢٩٦) عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد الشمس، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

(٦) **(ضعيف مرسل)** ـ رواه مالك (١ / ٢٣ / ١٤) والدار قطني (١ / ٢٦ / ٣٠) وإسناده مرسل ضعيف قاله النووي في «المجموع» (١ / ١٧٠) والشيخ الألباني في «الإرواء».

وقد صالح رسول الله ﷺ الأعراب، وركب الحمار معروريا(١). وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء. وتوضأ من سقاية المسجد. ومعلوم حال الأعراب الذين يأتى أحدهم من البادية كأنه بهيمة، أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول فى المسجد:كل ذلك لتعليمنا، وإعلامنا أن الماء على أصل الطهارة،وتوضأ من غدير كأن ماءه نقاعة الحناء،فأما قوله: **(استنزهوا البول)**(٢) فإن للتنزه حداً معلوماً، وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء، فأما الاستنثار فإنه إذا علق نما، وانقطع الوقت بما لا يقضى بمثله الشرع.

قال المصنف: وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءاً كثيراً فى وضوئه، ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه، فقال: نمت ليلة فإذا بهاتف يهتف بى يا أسود، ما هذا؟

وعن يحيى بن سعيد الأنصارى، حدثنى عن سعيد بن المسيب، قال: إذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء. قال: قلت: لا أعود، لا أعود، فأنا اليوم يكفينى كف ماء.(٣)

---

(١) روى مسلم (٩٦٥) عن جابر بن سمرة قال: «أُتى النبىﷺ بفرسٍ مُعْرَوْرى ـ فركبه حين انصرف من جنازة ابن الدّحداح ونحن نمشى حوله». معرورى ـ معناه بفرس عرى، قال أهل اللغة: اعروريت الفرس إذا ركبت عريا فهو معرورى.

(٢) **(صحيح)** ـ جاء مرفوعاً عن أكثر من صحابى منهم أنس وأبو هريرة وابن عباس وغيرهم
أما حديث أنس: فقد رواه الدار قطنى (١ / ١٢٧ / ٢) من طريق أبى جعفر الرازى عن قتادة عنه مرفوعاً بلفظ: «تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه».
قال: والمحفوظ مرسل، والمرفوع معلول.
حديث أبى هريرة: رواه ابن أبى شيبة (١ / ٤٤ / ٢) وابن ماجه (٣٤٨) والدارقطنى (١ / ١٢٨ / ٧) والحاكم (١ / ١٨٣) وأحمد (٢ / ٣٢٦ ـ ٣٨٨) بلفظ : «أكثر عذاب القبر من البول»
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، والألبانى فى الإرواء
حديث ابن عباس: رواه الطبرانى (١١١٢٠) والدار قطنى (١ / ١٢٨ / ٩) والحاكم (١ / ١٨٣ ـ ١٨٤) وفيه أبو يحيى القتات وهو ضعيف.
ورواه الطبرانى (١١١٠٤) من طريق عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس، وعبد الله بن خراش ضعيف. راجع الإرواء (٢٨٠).

(٣) قلت: الاقتصاد فى الماء أثناء الوضوء من السنة وقد وردت أحاديث كثيرة منها:
ما رواه البخارى ومسلم عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد»
وعن عبيد الله بن أبى يزيد أن رجلاً قال لابن عباس «كم يكفينى من الوضوء؟
قال: مد، قال: كم يكفينى للغسل؟ قال: صاع، فقال الرجل: لا يكفينى فقال: لا أم لك قد كفى من هو خير منك رسول اللهﷺ . رواه أحمد والبزار والطبرانى فى «الكبير» وصححه الشيخ الألبانى.

ذكـر تلبيسه عليهم فى الأذان

ومن ذلك التلحين فى الأذان، وقدكرهه مالك بن أنس، وغيره من العلماء كراهية شديدة؛ لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء. ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير، والتسبيح، والمواعظ، ويجعلون الأذان وسطا فيختلط. وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان. وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة، فيعظ ويذكر. ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع، فيمنع الناس من نومهم، ويخلط على المتهجدين قراءتهم، وكل ذلك من المنكرات.

ذكـر تلبيسه عليهم فى الصـلاة

من ذلك تلبيسه عليهم فى الثياب التى يستتر بها، فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً، وربما لمسه مسلم فيغسله. ومنهم من يغسل ثيابه فى دجلة لا يرى غسلها فى البيت يجزئ. ومنهم من يدليها فى البئر كفعل اليهود، وما كانت الصحابة تعمل هذا، بل قد صلوا فى ثياب فارس لما فتحوها، واستعملوا أوطئتهم وأكسيتهم، ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله، وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة. ومنهم من ترك الصلاة جماعة، لأجل مطر يسير يخاف أن ينتضح عليه ـ ولا يظن ظان أننى أمتنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هى التى ننهى عنها.

ومن ذلك تلبيسه عليهم فى نية الصلاة: فمنهم من يقول أصلى صلاة كذا، ثم يعيد هذا ظناً منه أنه قد نقض النية، والنية لا تنقض وإن لم يرض اللفظ. ومنهم من يكبر، ثم ينقض، ثم يكبر، ثم ينقض، فإذا ركع الإمام كبر الموسوس، وركع معه ـ فليت شعرى ما الذى أحضر النية حينئذ، وما ذاك إلا لأن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة، وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة. وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله، أو بالطلاق، وهذه كلها تلبيسات إبليس. والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات، وما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه شئ من هذا. وقد بلغنا عن أبى حازم أنه دخل المسجد، فوسوس إليه إبليس أنك تصلى بغير وضوء، فقال: ما بلغ نصحك إلى هذا.

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس: إن كنت تريد إحضار النية، فالنية حاضرة؛ لأنك قمت لتؤدى الفريضة، وهذه هى النية، ومحلها القلب لا اللفظ، إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب، ثم قد قلته صحيحاً، فما وجه الإعادة؟ أفتراك تظن، وقد قلت: إنك ما قلت هذا مرض.

قال المصنف: وقد حكى لى بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة: أن رجلاً لقيه فقال: إنى أغسل العضو وأقول: ما غسلته، وأكبر وأقول: ما كبرت. فقال له ابن عقيل: دع الصلاة؛ فإنها ما تجب عليك. فقال قوم لابن عقيل: كيف تقول هذا؟ فقال لهم قال النبى ﷺ: «رفع القلم عن المجنون حتى يفيق»[1] ومن يكبر، ويقول: ما كبرت فليس بعاقل، والمجنون لا تجب عليه الصلاة.

قال المصنف: واعلم أن الوسوسة فى نية الصلاة؛ سببها خبل فى العقل، وجهل الشرع. ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال: نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول هذا العالم؛ لأجل علمه مقبلا عليه بوجهى: ـ سفه فى عقله فإن هذا قد تصور فى ذهنه منذ رأى العالم. فقيام الإنسان إلى الصلاة ليؤدى الفرض أمر يتصور فى النفس فى حالة واحدة لا يطول زمانه، وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ، والألفاظ لا تلزم، والوسواس جهل محض، وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال. ولو كلف نفسه ذلك فى القيام للعالم لتعذر عليه، فمن عرف هذا عرف النية. ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها. فما وجه هذا التعب فى إلصاقها بالتكبير على أنه إذا حصلها، ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير. وعن مسور قال: أخرج إلىّ معن بن عبد الرحمن كتاباً، وحلف بالله أنه خط أبيه، وإذا فيه قال عبد الله: والذى لا إله غيره ما رأيت أحداً كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ، ولا رأيت بعده أشد خوفاً عليهم من أبى بكر. وإنى لأظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفاً عليهم.

---

(١) **(صحيح)** ـ جاء عن عائشه وعلى غيرهما.
حديث عائشه: أخرجه أحمد (٦ / ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٤٤) وأبو داود (٤٣٩٨) والنسائى (٦ / ١٥٦) وابن ماجه (٢٠٤١) والدارمى وابن الجارود (١٤٨) والحاكم (٢ / ٥٩) وابن حبان (١٤٢).
وحديث على: رواه أحمد (١ / ١١٦ ـ ١١٨ ـ ١٥٤ ـ ١٥٨) وأبو داود (٤٤٠١، ٤٤٠٢) والترمذى (١٤٢٣) وابن خزيمة (١٠٠٣) و(٣٠٤٨) والدار قطنى (٣ / ١٣٨ ـ ١٣٩) وابن حبان (١٤٣) والحاكم (١ / ٢٥٨ ـ ٢ / ٥٩) والبيهقى (٨ / ٢٦٤) وله طرق راجعها فى «الإرواء» (٢٩٨).

فصـــل

ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط. وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول فى العبادة. فكيف تهمل العبادة وهى كالدار، ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب.

فصـــل

ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الإمام، وقد بقى من الركعة يسير، فيستفتح، ويستعيذ، فيركع الإمام. وهذا تلبيس أيضاً، لأن الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون(١)، والذى تركه من قراءة الفاتحة، وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء، فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة.

قال المصنف: وقد كنت أصلى وراء شيخنا أبى بكر الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرآنى مرة أفعل هذا فقال: يا بنى إن الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة، فاشتغل بالواجب، ودع السنن.

تـــرك الســـــنن

وقد لبس إبليس على قوم؛ فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم. فمنهم من كان يتخلف عن الصف الأول، ويقول: إنما أراد قرب القلوب. ومنهم من لم ينزل يداً على يد فى الصلاة، وقال: أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس فى قلبى. وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين.

---

(١) قلت: ورد فى دعاء الاستفتاح أحاديث كثيرة أشهرها ما رواه البخارى (٧٤٤) ومسلم (٥٩٨) وأبو داود (٧٨١) والنسائى (١ / ٥٠ ـ ٥١) وابن ماجه (٨٠٥) وأبو عوانة (١ / ٩٨ ـ ٩٩) والدارمى وابن حبان (١٧٧٥) عن أبى هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كبّر فى الصلاة سكت هنيهة قبل القراءة، فقلت: يارسول الله بأبى أنت وأمى أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد».

وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «لو يعلم[١] الناس ما لهم فى النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»[٢]وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبى ﷺأنه قال: «خير صفوف الرجال - أولها، وشرها آخرها»[٣]وأما وضع اليد على اليد من فَسُنَّة. روى أبو داود فى سننه أن ابن الزبير قال: وضع اليد على اليد من السنة[٤]، وإن ابن مسعود كان يصلى، فوضع يده اليسرى على اليمنى، فرآه النبى ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى.[٥]

قال المصنف: ولا يكبرن عليك إنكارنا على من قال: أراد قرب القلوب. ولا أضع يداً على يد. وإن كان من الكبائر . فإن الشرع هو المنكر لا نحن، وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمة الله عليه: إن ابن المبارك يقول: كذا وكذا. فقال: إن ابن المبارك لم ينزل من السماء. وقيل له قال: إبراهيم بن أدهم. فقال: جئتمونى ببينات الطريق! عليكم بالأصل. فلا ينبغى أن يترك الشرع لقول معظم فى النفس، فإن الشرع أعظم، والخطأ فى التأويل على الناس يجرى. ومن الجائز أن تكون الأحاديث لم تبلغه.

فصـــل

وقد لبس إبليس على بعض المصلين فى مخارج الحروف، فتراه يقول: الحمد الحمد. فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة، وتارة يلبس عليه فى تحقيق التشديد، وتارة

---

(١) سقط ما بين القوسين فى النسخة المحققة واستدركته من بقية النسخ .

(٢) رواه مالك (١ / ٦٨ / ٣) والبخارى (٦١٥ ، ٦٥٣ ، ٧٢١ ، ٢٦٨٩) ومسلم (٤٣٧) وأبو عوانة (٣٣٢/١، ٣٧/٢) والترمذى (٢٢٥ ، ٢٢٦) والنسائى (١ / ٢٦٩) واين خزيمة (٣٩١) وعبد الرزاق (٢٠٠٧) وأحمد (٢٣٦/٢، ٢٧٨، ٣٠٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٥٣٣) والبيهقى (٤٢٨/١، ١٠ / ٢٨٨).

(٣) رواه الشافعى (١ / ١٣٩) وأحمد (٢ / ٣٤٠، ٣٤٧، ٤٨٥) ومسلم (٤٤٠) وأبو عوانة (٢ / ٣٧) والحميدى (١٠٠١) وأبو داود (٦٧٨) والترمذى (٢٢٤) والنسائى (٢ / ٩٣-٩٤) والدارمى (١٢٦٨) والطيالسى (٢٤٠٨) وابن ماجه (١٠٠٠) وابن خزيمة (١٥٦١) وابن حبان (٢١٧٩) عن أبى هريرة وهو فى صحيح الجامع (٣٣١٠).

(٤) **(إسناده ضعيف)** - رواه أبو داود (٧٥٤) من طريق العلاء بن صالح عن زرعة بن عبد الرحمن قال: سمعت ابن الزبير يقول: «صفُّ القدمين ووضع اليد على اليد من السنة» والعلاء ضعيف، وضعف الحديث الشيخ الألبانى فى «الضعيف» (١٥٦).

(٥) **(إسناده حسن)** - رواه أبو داود (٧٥٥) والنسائى (٢ / ١٢٦) وابن ماجه (٨١١) وقال الحافظ فى «الفتح» (٢ / ١٧٨) إسناده حسن ، وحسنه الألبانى فى «صحيح أبى داود» (٦٨٦).

فى إخراج ضاد المغضوب، ولقد رأيت من يقول: المغضوب، فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده؛ وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب، وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق، ويشغلهم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة، وكل هذه الوساوس من إبليس.

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء أن سهل بن أبى أمامة حدثهم: أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضى الله عنه، وهو يصلى صلاة خفيفة كأنها صلاة المسافر، فلما سلم قال: يرحمك الله، أرأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله ﷺ أم شئ تنفلته؟ قال: إنها لصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديورات**» ﴿رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[١] [الحديد:٢٧] وفى أفراد مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص قال: قلت لرسول الله ﷺ: إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى، وقراءتى يلبسها علىّ. فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك الشيطان يقال له: خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثاً؛ واتفل عن يسارك**» ففعلت ذلك؛ فأذهبه الله عنى.[٢]

فصـــل

وقد لبس إبليس على خلق كثير من الجهالة المتعبدين، فرأوا أن العبادة هى القيام والقعود فحسب. وهم يدأبون فى ذلك، ويخلون فى بعض واجباتهم، ولا يعلمون. وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الإمام، وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شئ، وذلك لا يحمله الإمام عنهم . ولبس على آخرين منهم، فهم يطيلون الصلاة، ويكثرون القراءة، ويتركون المسنون فى الصلاة، ويرتكبون المكروه فيها . وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهار، ويجهر بالقراءة فقلت له: إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه. فقال لى: أنا أطرد النوم عنى بالجهر. فقلت له: إن السنن لا تترك لأجل سهرك، ومتى

---

(١) الحديث ضعيف ـ رواه أبو داود (٤٩٠٤) وأبو يعلى (٣٦٩٤) وهو فى «المطالب العالية» (٤٢٢/١١٦/١) وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٦٢٤٥).

(٢) (صحيح) ـ رواه مسلم (٢٢٠٣) وعبد الرزاق (٤٢٢٠) وعبد بن حميد (٣٨٠ـ٣٨١) وأحمد (٢١٦/٤).

غلبك النوم فنم؛ فإن للنفس عليك حقاً. وعن بريدة قال: قال رسول اللهﷺ: «من جهر بالقراءة فى النهار فارجموه بالبعر».[١]

الإكثار من صلاة الليل

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين، فأكثروا من صلاة الليل، وفيهم من يسهره كله، ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة. أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة، أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته. ولقد رأيت شيخاً من المتعبدين يقال له: حسين القزوينى يمشى كثيراً من النهار فى جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لى: لئلا ينام. فقلت: هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل.

أما الشرع فإن النبىﷺ قال: «إن لبدنك عليك حقاً؛ فقم، ونم»[٢] وكان يقول: «عليكم هدياً قصداً؛ فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه»[٣] وعن أنس بن مالك قال: دخل رسول اللهﷺ المسجد، وحبل ممدود بين ساريتين فقال: «ما هذا». قالوا: لزينب، تصلى فإذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال: «حلوه» ثم قال: «ليصلى أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر فليقعد»[٤] وعن عائشة قالت: قال رسول اللهﷺ: «إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنه إذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر، فيذهب فيسب نفسه»[٥].

---

(١) (موضوع) ـ ذكره الخطيب فى «التاريخ» (١٤ / ٣٣٤) عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن بريدة عن النبىﷺ: «من جهر بالقراءة نهاراً فارجموه» ثم قال: خطأ لا أصل له، وإنما هو عن يحيى عن النبىﷺ أخبرنا البرقانى أخبرنا أحمد بن سعيد بن سعد حدثنا عبد الكريم بن أحمد بن شعيب النسائى حدثنا أبى قال: يزيد متروك الحديث. وقال الدار قطنى: متروك.

(٢) رواه البخارى (١١٥٣ـ ١٩٧٤ـ ١٩٧٦ـ ١٩٧٥ـ ١٩٧٧) ومسلم (١١٥٩) وأبو داود (١٣٦٩).

(٣) (صحيح) ـ رواه أحمد (٥ / ٣٥٠) وابن أبى عاصم (٩٥ ـ ٩٦) وابن خزيمة (١١٧٩) والطحاوى «مشكل» (٢ / ٨٦) والمروزى فى « زوائد الزهد » (١١١٣) والحاكم (١ / ٣١٢) والبيهقى (٣ / ١٨) والخطيب فى «تاريخه» (٨ / ٩١) وهو فى «صحيح الجامع» (٤٠٨٦).

(٤) رواه البخارى (١١٥٠) ومسلم (٧٨٤) وأبو داود (١٣١٢) والنسائى (٣ / ٢١٨ ـ ٢١٩) وابن ماجه (١٣٧١) وأبو عوانة (٢ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨) وابن خزيمة (١١٨٠) وابن حبان (٢٤٩٢ ـ ٢٤٩٣) والبيهقى (٣ / ١٢٣) والبغوى (٩٤٢) وأحمد (٣ / ١٠١ ـ ٢٠٤).

(٥) رواه مالك (١ / ١١٨ / ٣) والبخارى (٢١٢) ومسلم (٧٨٦) وأبو عوانة (٢ / ٢٩٧) وأبو داود (١٣١٠) والترمذى (٣٥٥) وابن ماجه (١٣٧٠) وعبد الرزاق (٤٢٢٢) والحميدى (١٨٥) وابن حبان (٢٥٨٣) والبيهقى (٣ / ١٦) والبغوى (٩٤٠) وأحمد (٦ / ٥٦، ٢٠٢، ٢٠٥).

قال المصنف: هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى. وأما العقل، فإن النوم يجدد القوى التى قد كلّت بالسهر، فمتى دفعه الإنسان وقت الحاجة إليه أثر فى بدنه وعقله فنعوذ باللّه من الجهل. فإن قال قائل: فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل. فالجواب: أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك، وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر فى الجماعة، وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم، وصح لهم ذلك. ثم لم يبلغنا أن رسول اللّهﷺ سهر ليلة لم ينم فيها، فسنته هى المتبوعة.

فصـــل

وقد لبس إبليس على جماعة من قُوّام الليل؛ فتحدثوا بذلك بالنهار. فربما قال أحدهم: فلان المؤذن أذن بوقت. ليعلم الناس أنه كان منتبها. فأقل ما فى هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية؛ فيقل الثواب.

تلبيسه عليهم فى القرآن

وقد لبس على آخرين انفردوا فى المساجد للصلاة والتعبد؛ فعرفوا بذلك، واجتمع إليهم ناس فصلوا بصلاتهم، وشاع بين الناس حالهم، وذلك من دسائس إبليس، وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع، ويوجب المدح، وعن زيد بن ثابت أن النبىﷺ قال: «إن أفضل صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبة» قال المصنف: أخرجاه فى الصحيحين.(١)

وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلى، وكان لا يتنفل فى المسجد، وكان يصلى كل يوم ألف ركعة(٢)، وكان ابن أبى ليلى إذا صلى، ودخل عليه داخل اضطجع.

(١) رواه مالك (١/١٣٠/٤)والبخارى (٧٣١_٦١١٣_٧٢٩٠)ومسلم (٧٨١) وأبو داود (١٠٤٤_ ١٤٤٧) والترمذى (٤٥٠) والدارمى (١٣٦٦) وأحمد (٥ / ١٨٢ _ ١٨٤).

(٢) هذا مما يخالف العقل والنقل معاً ، فمهما قلنا من أن الله بارك لهم فى أوقاتهم وأعمارهم فهذا لا يعنى أنه من الممكن أن يصلى مائة وليس ألف ركعة ، ودع حساب الساعات وما يقع فيها من عدد الركعات مع الخشوع التام الذى جاءنا عن هؤلاء فليس للعقل أن يستقبل ذلك بسهوله، غير أن النقل غير صحيح فهى لا شك مبالغة، بل ومبالغة جداً مع كل حبنا وتوقيرنا لهؤلاء الصحب الكرام.

فصـــل

وقد لبس على قوم من المتعبدين، وكانوا يبكون والناس حولهم، وهذا قد يقع عليهم، فلا يمكن دفعه، فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء. وعن عاصم قال: كان أبو وائل إذا صلى فى بيته نشج نشيجاً [١]، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله، وأحد يراه ما فعله. وقد كان أيوب السختيانى إذا غلبه البكاء قام.

فصـــل

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين، فتراهم يصلون الليل والنهار، ولا ينظرون فى إصلاح عيب باطن، ولا فى مطعم، والنظر فى ذلك أولى بهم من كثرة التنفل.

ذكـر تلبيـسه عليهـم فى قـراءة القـرآن

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة، فهم يهزون هزاً من غير ترتيل، ولا تثبت، وهذه حالة ليست بمحمودة، وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن فى كل يوم أو فى كل ركعة.

وهذا يكون نادراً منهم، ومن داوم عليه، فإنه وإن كان جائزاً إلا أن الترتيل والتثبت أحب إلى العلماء، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث» [٢].

قال المصنف: وقد لبس إبليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن فى منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة: الجزء، والجزأين، فيجمعون بين أذى الناس فى منعهم من النوم، وبين التعرض للرياء. ومنهم من يقرأ فى مسجده وقت الأذان؛ لأنه حين اجتماع الناس فى المسجد.

---

(١) النشيج: البكاء داخل الصدر.

(٢) (**صحيح**) - رواه أحمد (٢ / ١٦٤- ١٦٥- ١٨٦- ١٩٣) وأبو داود (١٣٩٠ - ١٣٩٤) والترمذى (٢٩٤٩) والنسائى «فضائل القرآن» (٩٢) وابن ماجه (١٣٤٧) وعبد الرزاق (٥٩٥٨) والدارمى والبيهقى فى «الشعب» (١٩٨١) وهو فى «صحيح الجامع» (٧٦٢٠).

قال المصنف: ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلا كان يصلى بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة، ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين، ويدعو دعاء الختمة؛ ليعلم الناس أنه قد ختم الختمة. وما هذه طريقة السلف، فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم، وكان عمل الربيع ابن خثيم كله سراً، فربما دخل عليه الداخل، وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيراً، ولا يدرى متى يختم.

قال المصنف: قد سبق ذكر جملة من تلبيس إبليس على القراء، والله أعلم بالصواب، وهو الموفق.

ذكر تلبيسه عليهم فى الصوم

قال المصنف: وقد لبس على أقوام، فحسن لهم الصوم الدائم. وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الآيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين:

أحدهما: أنه ربما عاد بضعف القوى، فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته، ومنعه من إعفاف زوجته. وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لزوجك عليك حقاً»[١] فكم من فرض يضيع بهذا النفل.

والثانى: أنه يفوت الفضيلة؛ فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصيام صيام داود عليه السلام:كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً».[٢]

وبالاسناد عن عبد الله بن عمرو قال: لقينى رسول الله ﷺ، فقال: «ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل، وأنت الذى تقول: لأقومن الليل، ولأصومن النهار»، قال أحسبه قال: نعم يا رسول الله، قد قلت ذلك. فقال: «فقم ونم، وصم وافطر . وصم من كل شهر ثلاثة أيام، ولك مثل صيام الدهر» قال: قلت: يا رسول الله، إنى أطيق أكثر من ذلك. قال: «فصم يوماً، وافطر يومين»، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك. قال: «فصم يوماً، وافطر يوماً، وهو أعدل الصوم، وهو صيام داود عليه السلام». قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «لا أفضل من ذلك»، أخرجاه فى الصحيحين.[٣]

---

(١) (صحيح) وقد سبق فى ص١٦٥.

(٢) رواه البخارى (١٩٧٦) ومسلم (١١٥٩) وأبو داود (٢٤٤٨) والنسائى وابن ماجه (١٧١٢) والدارمى (١٧٥٢) وأحمد (٢ / ١٦٠ـ ١٦٤ـ ١٨٧ـ ١٩٠ـ ١٩٤ـ ١٩٥).

(٣) (صحيح) وقد سبق فى ص١٦٤ رقم٢.

فإن قال قائل: فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصوم. فالجواب: انهم كانوا يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة، ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة، ولا حاجة إلى الكسب، ثم إن فيهم من فعل هذا فى آخر عمره على أن قول رسول الله ﷺ لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث.

وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته، ومنهم من ذهبت عينه، ومنهم من نشف دماغه. وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق؛ فلا يجوز.

فصـــل

وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر؛ فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا، وإن أفطر أخفى إفطاره، لئلا ينكسر جاهه، وهذا من خفى الرياء، ولو أراد الإخلاص، وستر الحال؛ لأفطر بين يدى من قد علم أنه يصوم، ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به، ومنهم من يخبر بما قد صام، فيقول: اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت. ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتدى بك، والله أعلم بالمقاصد.

قال سفيان الثورى رضى الله عنه: إن العبد ليعمل العمل فى السر، فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به، فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس، فإذا دعى إلى طعام، قال: اليوم الخميس. ولو قال: أنا صائم كانت محنة، وإنما قوله: اليوم الخميس. معناه أنى أصوم كل خميس، وفى هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائماً وهم مفطرون، ومنهم من يلازم الصوم، ولا يبالى على ماذا أفطر، ولا يتحاشى فى صومه عن غيبة، ولا عن نظرة، ولا عن فضول كلمة، وقد خيل له إبليس أن صومك يدفع إثمك، وكل هذا من التلبيس.

ذكر تلبيسه عليهم فى الحج

قال المصنف: قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود، لا عن رضاء الوالدين وهذا خطأ. وربما خرج وعليه ديون أو مظالم، وربما خرج للنزهة، وربما حج بمال فيه شبهة. ومنهم من يحب أن يتلقى، ويقال: الحاج. وجمهورهم يضيع فى الطريق فرائض

من الطهارة والصلاة، ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة، وبواطن غير نقية. وإبليس يريهم صورة الحج، فيغرهم وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان، وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى.

وكم من قاصد إلى مكة همته عدد حجاته، فيقول: لى عشرون وقفة، وكم من مجاور قد طال مكثه، ولم يشرع فى تنقية باطنه، وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل إليه ممن كان، وربما قال: إن لى اليوم عشرين سنة مجاوراً. وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء، ويضايقهم فى الطريق.

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة، فهم يضيعون الصلوات، ويطففون إذا باعوا، ويظنون أن الحج يدفع عنهم. وقد لبس إبليس على قوم منهم. فابتدعوا فى المناسك ما ليس منها، فرأيت جماعة يتصنعون فى إحرامهم، فيكشفون عن كتف واحدة، ويبقون فى الشمس أياماً، فتكشط جلودهم، وتنتفخ رؤوسهم، ويتزينون بين الناس بذلك.

وفى إفراد البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ رأى رجلا يطوف بالكعبة بزمام فقطعه. وفى لفظ آخر. رأى رجلا يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده، ثم أمره فى أن يقوده بيده.[1]

قال المصنف: وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين، وإن قصدت بذلك الطاعة.

---

(١) رواه البخارى (١٦٢٠ ـ ٦٧٠٢) وأبو داود (٢٣٠٣) والنسائى (٥ / ٢٢١ ـ ٢٢٢) عن ابن عباس أن النبى ﷺ «رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمامٍ أو غيره فقطعه» وفى رواية أخرى.
روى البخارى (١٦٢٠ ـ ٦٧٠٣) والنسائى (٥ / ٢٢٢) عنه بلفظ «أن النبى ﷺ مرّ وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان يسيرٍ، أو بخيط أو بشيءٍ غير ذلك ـ فقطعه النبى ﷺ بيده ثم قال: قده بيده» وفى رواية النسائى، فقطعه وقال: «إنه نذر» .

تلبيسه عليهم في التوكل

وقد لبس على قوم يدعون التوكل، فخرجوا بلا زاد، وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ . قال رجل للإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد. فقال له أحمد: فاخرج فى غير القافلة. قال: لا إلا معهم. قال: فعلى جراب الناس توكلت؟ فنسأل الله أن يوفقنا.

ذكر تلبيس إبليس على الغزاة

قال المصنف: قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد، ونيتهم المباهاة والرياء ليقال: فلان غاز، وربما كان المقصود أن يقال: شجاع، أو كان طلب الغنيمة، وإنما الأعمال بالنيات. وعن أبي موسى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأى ذلك فى سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَاتَل لتكون كلمةُ اللَّه هى العليا فهو فى سبيل اللَّه» أخرجاه فى الصحيحين[(١)]. وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً، أو قتل فلان شهيداً؛ فإن الرجل ليقاتل ليغنم، ويقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه»[(٢)].

وبالإسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قـال: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فيه يومَ القيامة عليه - رجلٌ استشْهد فأُتى به فعرَّفَه نعمه فعرفها قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قَاتَلْتُ فيكَ حتَّى قُتلتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولكنَّكَ قَاتلت لأن يقال: جَرِئٌ فقَدْ قيل، ثُمَّ أُمِرَ به فسحب على وجْهه حتَّى أُلقي فى النَّار. ورجلٌ تعلَّم العلمَ وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتى به فعرَّفه نعمه فعرفَها. قال: فما عملْتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ

---

(١) رواه البخارى (٢٨١٠ _ ٣١٢٦ _ ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأبو داود (٢٥١٧) والترمذى (١٦٤٦) والنسائى (٢٣١٦) وابن ماجه (٣٧٨٣) وعبد بن حميد (٥٥٣) وابن حبان (٧ / ٧٣) والبغوى (٢٦٢٦) وأحمد (٤ / ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٥، ٤١٧).

(٢) قد بوب الإمام البخارى فى «صحيحه» فى كتاب «الجهاد» باب لا يقال فلان شهيد، وراجع «الفتح» (٦٨/٦) فهى مسألة مهمة جداً خاصة وأن الناس فى هذه الأيام يطلقون كلمة «شهيد» على من هب ودب حتى اطلقوا على النصرانى الذى مات على نصرانيته «شهيد» ؟!!

العلْمَ وَعلَّمتَهُ وقَرأْتُ فيك القرآنَ. قال:كَذَبت، ولكنَّكَ تَعلَّمتَ العلم ليقَال: هو عَالم، وقَرأت القُرآن ليقَال: هو قارئ. فَقَدْ قيل، ثُمَّ أُمر به فَسُحب على وَجْهه حتَّى أُلقي في النَّار. ورجلٌ وسَّع اللَّهُ علَيه، وأعطاهُ منْ أصناف المَال كُلِّه، فأُتيَ به فَعرَّفَهُ نعمهُ فعرَفها، قال: ما عَملْتَ فيها؟ قال: ما تَركْتُ منَ سَبيل تُحبّ أن يُنْفَق فيها إلا أنفقت فيها لكَ. قال: كذَبْتَ، ولكنَّكَ فَعلْت ليقَال: هو جَوادٌ. فقد قيل، ثُمَّ أُمر به فَسُحبَ علَى وَجْهه، ثُم أُلقِي في النَّار» **انفرد بإخراجه مسلم.**[١]

وباسناد مرفوع عن أبى حاتم الرازى قال: سمعت (عبده بن سليمان)[٢] يقول: كنا فى سرية مع عبد اللّه بن المبارك فى بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو، فدعا إلى البزار، فخرج اليه رجل فطارده ساعة، فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البزار فخرج إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله. فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو ملثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه، فمددته، فإذا هو عبد اللّه بن المبارك . فقال: وأنت ياأبا عمرو، ممن يشنع علينا؟[٣] قلت: فانظروا رحمكم اللّه إلى هذا السيد المخلص كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له، ومدحهم إياه فستر نفسه. وقد كان إبراهيم بن أدهم: يقاتل، فإذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة؛ ليوفر له الأجر.

فصـــل

وقد لبس إبليس على المجاهد إذا غنم. فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه، فإما أن يكون قليل العلم؛ فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها؛ ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة، قال: خرجنا مع رسول اللّه ﷺ إلى خيبر، ففتح اللّه علينا، فلم نغنم ذهباً، ولا ورقاً: غنمنا المتاع، والطعام، والثياب[٤]، ثم انطلقنا إلى الوادى ومع رسول اللّه ﷺ عبد له، فلما نزلنا قام عبد رسول اللّه ﷺ يحل رحله، فرمى بسهم؛ فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئاً له الشهادة يارسول اللّه، فقال:

---

[١] رواه مسلم (١٩٠٥) والنسائى (٢٣/٦، ٢٤) والحاكم (١٠٧/١ ـ ١١٠/٢) والبيهقى (٩ / ١٦٨).
[٢] فى إسناد البيهقى فى « الشعب » عبد الله بن سنان وليس عبده بن سليمان .
[٣] رواه البيهقى فى «الشعب» (٤٠١٣) من طريق محمد بن إسحاق وقد صرح بالتحديث ورجاله ثقات.
[٤] فى رواية البخارى «إنما غنمنا البقر والإبل، والمتاع، والحوائط ثم انصرفنا مع رسول الله إلى وادى القرى».

«كلا، والذى نفس محمد بيده، إن الشَّمْلَةَ لتلتهب عليه ناراً: أخذها من الغنائم يوم خيبر، لم تصبها المقاسم» قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك، أو بشراكَيْن فقال: أصبته يوم خيبر. فقال رسول الله ﷺ: «شِراكٌ من نار، أو شراكان من نارٍ» (١)

فصـــل

وقد يكون الغازى عالماً بالتحريم إلا أنه يرى الشئ الكثير فلا يصبر عنه، وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل. وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم. روينا بإسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبى عبيدة العنبرى، قال: لما هبط المسلمون المداين، وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا، ولا ما يقاربه. فقال له: هل أخذت منه شيئاً. فقال: أما والله، لولا الله ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا: من أنت؟ فقال: والله، لا أخبركم لتحمدونى، ولا أغريكم لتقرظونى، ولكنى أحمد الله، وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس.

ذكـر تلبيـسه على
الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

وهما قسمان: عالم، وجاهل. فدخول إبليس على العالم من طريقين:

الطريق الأول: التزين بذلك، وطلب الذكر، والعجب بذلك الفعل. روينا بإسناد عن أحمد بن أبى الحوارى، قال: سمعت أبا سلمان يقول: سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبته يوم الجمعة، فاستقبلنى الغضب، وحضرتنى نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله إذا نزل، قال: فكرهت أن أقوم إلى خليفة، فأعظه والناس جلوس يرمقوننى بأبصارهم، فيعرض لى تزين فيأمر بى فأقتل على غير صحيح، فجلست وسكت.

والطريق الثانى: الغضب للنفس وربما كان ابتلاء، وربما عرض فى حالة الآمر

---

(١) رواه البخارى (٤٢٣٤، ٦٧٠٧) ومسلم (١١٥) وأبو داود (٢٧١١).

بالمعروف لأجل ما يلقى به المنكر من الإهانة، فتصير خصومة لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل: لولا أنى غضبان لعاقبتك، وإنما أراد أنك أغضبتنى فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولى .

فصـــل

فأما إذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فإن الشيطان يتلاعب به، وإنما كان إفساده فى أمره أكثر من إصلاحه. لأنه ربما نهى عن شئ جائز بالإجماع و ربما أنكر ما تأول فيه صاحبه، وتبع فيه بعض المذاهب، وربما كسر الباب، وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر، وقذفهم فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه، وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره، وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور، ومسكر قال: إذا كان مغطى فلا تكسره.

وقال فى رواية أخرى: اكسره. وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشئ خفيف يصفه فيتبين والأولى على أنه لا يتبين. وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار، ولا يعرف مكانه فقال: ولا عليك ما غاب عنك فلا تفتش، وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من يظلمهم، وقد قال أحمد بن حنبل: إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع إليه.

فصـــل

ومن تلبيس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس فى مجمع يصف ما فعل ويتباهى به، ويسب أصحاب المنكر سب الحنق[1] عليهم، ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا، وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكبره، ويندرج فى ضمن حديثه كشف عورات المسلمين؛ لأنه يعلم من لايعلم، والستر على المسلم واجب مهما أمكن. وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم، ويضربهم الضرب المبرح، ويكسر الأوانى وكل هذا يوجبه الجهل، فأما العالم إذا أنكر فأنت منه على أمان.

وقد كان السلف يتلطفون فى الإنكار، ورأى صلة بن أشيم رجلاً يكلم امرأة، فقال:

---

(١) الحنق: الغيظ .

إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما. وكان يمر بقوم يلعبون فيقول: ياإخوانى، ما تقولون فيمن أراد سفراً فنام طول الليل، ولعب طول النهار متى يقطع سفره . فانتبه رجل منهم فقال: ياقوم إنما يعلمنا هذا، فتاب وصحبه.

فصــــل

وأولى الناس بالتلطف فى الإنكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم: إن الله قد رفعكم؛ فاعرفوا قدر نعمته؛ فإن النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى.

فصــــل

وقد لبس إبليس على بعض المتعبدين فيرى منكراً، فلا ينكره ويقول: إنما يأمر وينهى من قد صلح، وأنا ليس بصالح فكيف آمر غيرى. وهذا غلط؛ لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه، إلا أنه متى أنكر متنزها عن المنكر أثر إنكاره وإذا لم يكن متنزهاً لم يكد يعمل إنكاره، فينبغى للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره. قال ابن عقيل رأينا فى زماننا أبا بكر الأقفالى فى أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبى بكر الخباز شيخ صالح أضر من اطلاعه فى التنور وتبعه. وجماعة: ما فيهم من يأخذ صدقة، ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار، قوام الليل، أرباب بكاء، فإذا تبعه مخلط رده، وقال: متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش.



البـاب التـاسـع
فـي ذكـر تلبيـس إبليـس
علـى الزهـاد والعبـاد

قد يسمع العامي ذم الدنيا في القرآن المجيد والأحاديث، فيرى أن النجاة تركها، ولا يدري ما الدنيا المذمومة؛ فيلبس عليه إبليس بأنك لا تنجو في الآخرة إلا بترك الدنيا، فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش، ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقي،كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه، وعن فلان أنه تعبد في جبل وربما كانت له عائلة فضاعت، أو والدة فبكت لفراقه، وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي، وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها، وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه، ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم، ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها، وكيف يذم ما من الله تعالى به، وما هو ضرورة في بقاء الآدمي، وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة: من مطعم، ومشرب، وملبس، ومسجد يصلى فيه، وإنما المذموم أخذ الشئ من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة، ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع، وأن الخروج إلى الجبال المنفرده منهى عنه فإن النبي ﷺ: «نهى أن يبيت الرجل وحده»[1] وأن التعرض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح، والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل، وفراق الوالد والوالدة في مثل هذا عقوق، والعقوق من الكبائر، وأما من سمع عنه أنه خرج إلى جبل، فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة، فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين، ومن لم يحتمل حالهم وجهاً صحيحاً فهم على الخطأ من كانوا، وقد قال بعض السلف: خرجنا إلى جبل نتعبد، فجاءنا سفيان الثوري فردنا .

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٩٢) عن ابن عمر مرفوعاً «نهى أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده» وقال الهيثمي في «المجمع» (٨ / ١٠٤) رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني على شرط البخاري وصححه في «الصحيحة» (٦٠).

تلبيسه على الزهاد

ومن تلبيسه على الزهاد : إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد، فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك : أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعدٍ. وكم قد رد إلى الصواب من متعبد.

فصل

ومن تلبيسه عليهم: أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات. فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير.ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه، ويعذب نفسه بلبس الصوف، ويمنعها الماء البارد، وما هذه طريقة الرسول ﷺ، ولا طريق أصحابه وأتباعهم . وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً، فإذا وجدوا أكلوا. وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه(١)«ويأكل الدجاج»(٢)«ويحب الحلوى»(٣)،ويستعذب له الماء البارد(٤) ويختار الماء البائت(٥)، فإن الماء الجارى يؤذى المعدة، ولا يروى. وقد كان رجل يقول: أنا لا آكل الخبيص؛ لأنى لا أقوم بشكره. فقال الحسن البصرى: هذا رجل أحمق، وهل يقوم بشكر الماء البارد.

---

(١) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة أنه قال: «أُتى النبى ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت شاة فى يده، فدعى إلى الصلاة فالقاها والسكين التى يحتز بها ثم قام فصلى ولم يتوضأ».

(٢) روى البخارى (٥٥١٧ ، ٥٥١٨) ومسلم (١٦٤٩) والنسائى والترمذى (١٨٢٧) وغيرهم عن أبى موسى قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل دجاجاً .

(٣) روى البخارى (٥٤٣١)وأبو داود (٣٧١٥) عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل»

(٤) لحديث أنس والذى بوب عليه البخارى باب «استعذاب الماء» برقم (٥٦١١) قال: كان أبو طلحة أكثر أنصارى مالاً من نخل وكان أحبَّ ماله إليه بيرحاء، وكانت مستقبل المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب ..». وروى أبو داود (٣٧٦٥) عن عائشة أن البنى ﷺ «كان يستعذب له الماء من بيوت السقّيا» ورواه أبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ (ص٢٤٥) والحاكم (٤ / ١٣٨) والبغوى (٣٠٥٠) وقال الحافظ فى «الفتح» سنده جيد .

(٥) روى البخارى (٥٦٢١) وأبو داود (٣٧٢٤) والدارمى (٢١٢٣) والبيهقى (١ / ٣٢٤) عن جابر أن النبى ﷺ دخل على رجل من ألانصار ومعه صاحب له فسلم النبى ﷺوصاحبه فردَّ الرجل فقال يارسول الله بأبى وأمى وهى ساعة حارة وهو يحول فى حائط له يعنى الماء فقال النبى ﷺ إن كان عندك ماء بات فى شنة، ـ وإلا كرعنا والرجل يحول الماء فى حائط فقال الرجل: «يارسول الله عندى ماء بات فى شنَّة فانطلق إلى العريش فسكب فى قدحٍ ماءً ثم حلب عليه من داجن له فشرب النبى ﷺثم أعاد فشرب الرجل الذى جاء معه».

وقد كان سفيان الثورى إذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفالوذج. وينبغى للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته، ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود، فليأخذ ما يصلحها، وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط فى تناول الشهوات، فإن ذلك يؤذى البدن والدين.

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم، فإن الأعراب إذا لبسوا الصوف، واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم؛ لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك. وأهل السواد إذا لبسوا الصوف، وأكلوا الكوامخ لم نلمهم أيضاً، ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه؛ لأن هذه عادة القوم. فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فإنا ننهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه. فإن تزهد و آثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف، أو لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل، فهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه وما لا يضر، فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس.

وقد ظن قوم أن الخبز القفاز[١]يكفى فى قوام البدن، ولو كفى إلا أن الاقتصار يؤدى من جهة أن أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض، والحلو، والحار، والبارد، والممسك والمسهل. لا وقد جعل فى الطبع ميل إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذى لا بد فى قوامها منه، فتشتاق إلى اللبن، ويكثر عندها الصفراء، فتميل إلى الحموضة، فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره، وما يخاف عاقبته، فإن ذلك يفسدها . فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت إلى قول الحارث المحاسبى وأبى طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم، ومجاهدة النفس بترك مباحاتها، فإن اتباع الشارع وصحابته أولى. وكان ابن عقيل يقول: ما أعجب أموركم فى المتدين: إما أهواء متبعة، أو رهبانية مبتدعة، بين تجرير أذيال المرح فى الصبا واللعب، وبين إهمال الحقوق، وإطراح العيال، واللحوق بزوايا المساجد، فهلا عبدوا على عقل وشرع.

---

(١) الخبز القفاز: غير المأدوم بالزيت أو غيره .

فصل

ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم و الملبس فحسب . فهم يقنعون بذلك، وقلوبهم راغبة فى الرياسة وطلب الجاه، فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم، ويكرمون الأغنياء دون الفقراء، ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة، وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم، وتقبيل أيديهم فى أوسع باب من ولايات الدنيا، لأن غاية الدنيا الرياسة.

تلبيسه على العباد

وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفى الرياء، فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل فى التلبيس مثل: إظهار النحول، وصفار الوجه، وشعث الشعر ليستدل به على الزهد. وكذلك خفض الصوت؛ لإظهار الخشوع، وكذلك الرياء بالصلاة، والصدقة، ومثل هذه الظواهر لا تخفى، وإنما نشير إلى خفى الرياء، وقد قال النبى ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[1] ومتى لم يرد بالعمل وجه اللّه عز وجل لم يقبل. قال مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقاً: لا تتعب.

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا اللّه سبحانه وتعالى، وإنما يدخل عليه خفى الرياء، فيلبس الأمر فنجاته منه صعبة، وفى الحديث مرفوعاً عن يسار قال لى يوسف بن أسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه؛ فإنى تعلمته فى اثنتين وعشرين سنة. [2]

وفى الحديث مرفوعاً عن إبراهيم الحنظلى قال: سمعت بقية بن الوليد يقول: سمعت ابراهيم بن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له: سمعان، دخلت عليه

---

(١) رواه البخارى (١ ،٥٠٧٠، ٣٨٩٨، ٢٥٢٩، ٦٩٥٣، ٦٦٨٩) ومسلم (١٩٠٧) وأبو داود (٢١٨٦) والترمذى (١٦٩٨) والنسائى (١ / ٥٨، ٦٠، ١٥٨، ١٥٩) وابن ماجه (٤٢٢٧) والحميدى (٢٨) وابن خزيمة (١٤٢) والدار قطنى (١ / ٥٠ ـ ٥١) ووكيع فى الزهد (٣ / ١٣ / ١٢) وابن المبارك فى «الزهد» (١٨٨) وأبو نعيم (٨ / ٤٢) والقضاعى (١١٧١) والبزار (١ / ٩٨ ـ ٩٩) والطيالسى (١٩٩٧) وابن منده فى «الإيمان» (١٧، ٢٠١) والبيهقى (٢ / ١٤، ١٤ / ١١٢، ٥ / ٣٩) والبغوى (١) والخطيب فى «التاريخ» (٤ / ٢٤٤ ـ ٦ / ١٥١) وفى «أخلاق الراوى» (١٤) وابن عساكر فى «الأربعين» (١).

(٢) ليس هذا حديث مرفوع، وإنما هو من قول يوسف، والحديث المرفوع ما قاله النبى ﷺ وربما أراد المؤلف أن يكتب الحديث فنسى، وربما سقط من الناسخ الأول والله أعلم .

في صومعته فقلت له: يا سمعان، منذكم أنت في صومعتك هذه؟ قال: منذ سبعين سنة قلت: ما طعامك؟ قال: يا حنيفي، وما دعاك إلى هذا؟ قلت: أحببت أن أعلم. قال: في كل ليلة حمصة. قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة. قال: ترى الذين بحذائك؟ قلت: نعم. قال: إنهم يأتونني في كل سنة يوماً واحداً؛ فيزينون صومعتي، ويطوفون حولها يعظمونني بذلك، وكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة. فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة، فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد. فوقر في قلبي المعرفة، فقال: أزيدك. قلت: نعم. قال: انزل عن الصومعة، فنزلت فأدلى إلي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي: ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك. فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا: يا حنيفي، ما الذي أدلى إليك الشيخ.

قلت: من قوته. قالوا: وما تصنع به؟ نحن أحق ساوم. قلت: عشرين ديناراً. فأعطوني عشرين ديناراً، فرجعت إلى الشيخ، فقال: أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لأعطوك، هذا عز من لا يعبده، فانظر كيف تكون بعز من تعبده، يا حنيفي، أقبل على ربك[١].

قلت: ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذراً عليها، وبهرجوها بضدها، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار، ويبكي بالليل، وكان في ذيل أيوب السختياني بعض الطول، وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء.

وبالإسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول: كان رجل من أفضل أهل زمانه، وكان يزار، فيعظهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال: إنا قد خرجنا من الدنيا، وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان، وقد خفت أن يكون قد دخل علينا في هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته، وإن اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه، وإن لقي حيي ووقر لمكان دينه. فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به، فركب إليه ليسلم عليه، وينظر إليه، فلما رآه الرجل قيل له: هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك. فقال: وما يصنع قال للكلام الذي وعظت به. فسأل غلامه هل عندك طعام؟ فقال: شئ من ثمر الشجر مما كنت تفطر به. فأمر به فأتي على مسح فوضع بين يديه، فأخذ

(١) ليس هذا مرفوعاً، وإنما هي حكاية والراجح بطلانها .

يأكل منه، وكان يصوم النهار ولا يفطر، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه بإجابة خفية، وأقبل على طعامه يأكله. فقال الملك: أين الرجل؟ فقيل له: هو هذا. قال هذا الذى يأكل؟ قالوا: نعم. قال: فما عند هذا من خير فأدبر. فقال الرجل: الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به.

وفى رواية أخرى عن وهب أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه، فجعل يجمع البقول فى اللقمة الكبيرة، ويغمسها فى الزيت، فيأكل أكلا عنيفاً. فقال له الملك: كيف أنت يافلان؟ فقال: كالناس. فرد الملك عنان دابته، وقال: ما فى هذا من خير فقال: الحمد الله الذى أذهبه عنى وهو لائم لى.

وبإسناد عن عطاء قال: أراد أبو الوليد بن عبد الملك أن يولى يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد، فلبس فروة، فجعل الجلد على ظهره، والصوف خارجاً، وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً، وخرج بلا رداء، ولا قلنسوة، ولا نعل، ولا خف، فجعل يمشى فى الأسواق ويأكل. فقيل للوليد: إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل. فتركه، ومثل هذا كثير.

فصـــل

ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً، لكنه قد علم أنه لا بد أن يتحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته، فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذى ذكرنا قصته مع إبراهيم بن أدهم، ولو أنه أراد الإخلاص فى زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحى به جاه النفس ويقطع الحديث عنه؛ فقد كان داود بن أبى هند صام عشرين سنة، ولم يعلم به أهله:كان يأخذ غذاءه، ويخرج إلى السوق، فيتصدق به فى الطريق، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل فى البيت، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل فى السوق، هكذا كان الناس.

نقـد مسـالك الزهـاد

ومن المتزهدين مَنْ قوته الإنقطاع فى مسجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانفراده، وربما احتج لانقطاعه بأنى أخاف أن أرى فى خروجى المنكرات، وله فى ذلك مقاصد: منها الكبر، واحتقار الناس، ومنها أنه يخاف أن يقصروا فى خدمته، ومنها حفظ

ناموسه ورياسته؛ فإن مخالطة الناس تذهب ذلك، وهو يريد أن يبقى إطراؤه وذكره. وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابحه، وجهله بالعلم فيرى هذا. ويحب أن يزار ولا يزور، ويفرح بمجئ الأمراء إليه، واجتماع العوام على بابه، وتقبيلهم يده. فهو يترك عيادة المرضى، وشهود الجنائز، ويقول أصحابه: اعذروا الشيخ فهذه عادته ـ لا كانت عادة تخالف الشريعة. ولو احتاج هذا الشخص إلى القوت، ولم يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع؛ لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه، فيضيع جاهه لمشيه بين العوام، ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة، ولكن فى باطنه حفظ الناموس. وقد كان رسول اللهﷺ يخرج إلى السوق، ويشترى حاجته، ويحملها بنفسه.(1) وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه،فيبيع ويشترى. والحديث بإسناد عن محمد بن القاسم قال: روى عن عبد الله بن حنظلة قال: مر عبد اللّه بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس: ما يحملك على هذا وقد أغناك اللّه. قال: أردت أن أدفع به الكبر وذلك إنى سمعت رسول اللّهﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر**». (2)

فصـــل

قال المصنف: وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء، وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الأحوال والملابس. فلا أرى العالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته؛ لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة، وتعظيمه عندهم مشروع، ومراعاة قلوبهم فى مثل هذا يخرج إلى الرياء، واستعمال ما يوجب الهيبة فى القلوب لا يمنع منه . وليس كل ما كان فى السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغى أن يفعل اليوم.

---

(١) لم أظفر بهذا اللفظ ، لكن رواه البخارى فى «التاريخ» (١ / ١ / ١٧٩) والحاكم (١ / ٥٣٩) والطبرانى فى «الكبير» (١١٥٧) عن بريدة كان رسول اللهﷺ إذا خرج إلى السوق قال: «بسم الله اللهم إنى أسألك من خير هذا السوق وخير ما فيها ...» الحديث قال البخارى: ومحد أبو عمر لا تتابع عليه، وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠ / ١٢٩) وفيه محمد بن أبان الجعفى وهو ضعيف وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٤٣٩٦).

(٢) الحديث برمته أخرجه الطبرانى فى «الكبير» وقال الهيثمى فى «المجمع» (١ / ٩٩) إسناده حسن، وأخرجه الحاكم (٣ / ٤١٦) وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبى بقوله: سالم واه.
وأما الحديث المرفوع: أخرجه مسلم (٩١) وأبو داود (٤٠٧٣) والترمذى (١٩٩٨ ـ ١٩٩٠) وابن ماجه (٥٩ ، ٤١٧٣)والبزار (١ / ٢٤٨ ـ ٢٥٨) وابن منده فى «الإيمان» (٥٤٠ ـ ٥٤١) والطبرانى فى «الكبير» (١٠٠٠٠، ١٠٠٠١) وأحمد (١ / ٣٩٩ ـ ٤١٢ ـ ٤٥١).

قال الأوزاعى: كنا نضحك ونمزح، فإذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا. وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم أن أصحابه كانوا يوماً يتمازحون، فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون، فقالوا له: تعلمنا الرياء؟ فقال: إنى أكره أن يعصى الله فيكم.

قال المصنف: وإنما خاف قول الجهلة: انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون. وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين.

فصـــل

ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل؛ لئلا يتوكس[1] جاهه فى الزهد، ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه، ويحفظ نفسه فى التبسم فضلاً عن الضحك. ويوهمه إبليس أن هذا لإصلاح الخلق، وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس، فتراه مطاطئ الرأس عليه آثار الحزن، فإذا خلا رأيته ليث شرى.

فصـــل

وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم، ويهربون من المكان الذى يشار إليهم فيه، والحديث بإسناد عن عبد الله بن خفيف، قال: قال يوسف بن اسباط: خرجت من سبج راجلاً[2] حتى أتيت المصيصة، وجرابى على عنقى، فقام ذا من حانوته يسلم علىّ وذا يسلم، فطرحت جرابى ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحدقوا بى، واضطلع رجل فى وجهى؛ فقلت فى نفسى: كم بقاء قلبى على هذا؟ فأخذت جرابى، ورجعت بعرفى وعنائى إلى سبج، فما رجعت إلى قلبى سنتين.

فصـــل

ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه، ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته؛ ليرى أنه ما عنده من الدنيا خبر، وهذا من أبواب الرياء؛ فإن كان صادقاً فى إعراضه

(١) يتوكس: أى يسقط.
(٢) راجلاً: على رجليه.

عن أغراضه كما قيل لداود الطائي: ألا تسرح لحيتك فقال: إني عنها لمشغول. فليعلم أنه سلك غير الجادة؛ إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه، فإنه كان يسرح شعره، وينظر في المرآة، ويدهن، ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة[١]، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم[٢]، وهما أخوف الصحابة وأزهدهم، فمن أدعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه.

فصـــل

ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم، وينفرد عن مخالطة أهله؛ فيؤذيهم بقبح أخلاقه، وزيادة انقباضه، وينسى قول النبي ﷺ: «إن لأهلك عليك حقاً» [٣] وقد كان رسول الله ﷺ يمزح؛ فيلاعب الأطفال[٤]، ويحدث أزواجه، وسابق عائشة[٥] إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة، فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالآيم، وولده كاليتيم؛ لانفراده عنهم، وقبح أخلاقه؛ لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة، ولا يدري لقلة علمه أن

---

(١) أخرج البخاري (٥٩٢٥) ومسلم (٢٩٧) وأبو داود (٤١٨٩) عن عائشة قالت: «كنت أُرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض» وعنها قالت: «إنه كان يعجبه التيمن ما استطاع في ترجله ووضوئه» ورواه البخاري (٥٩٢٦) ومسلم (٢٥٨) وأبو داود (٣٣) وغيرهم . وأخرج مسلم (٣٣٤٤) عن جابر بن سمرة أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دهن رأسه لم تر منه شيب وإذا لم يدهن رؤى فيه شئ» . وأخرج البخاري (٥٩٢٢، ٥٩٢٨) عن عائشه قالت : «كنت أطيب النبي ﷺ عند إحرامِهِ بأطيب ما أجد» .
وروى البخاري (٥٨٢٩) عن أنس أن رسول الله ﷺ كان لا يرد الطيب.

(٢) رواه مسلم. وروى أبو داود والنسائي (٢ / ٢٧٩) والترمذي وابن ماجه (٣٦٢٢) وابن حبان (١٤٧٥) .وأحمد (٥ / ١٤٧) عن أبي ذر مرفوعاً «إن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم» وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٠٩).

(٣) صحيح ـ تقدم من حديث عبد الله بن عمرو .

(٤) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥) وأحمد (٢ / ٣٦٠) والترمذي (١٩٩٠) وفي «الشمائل» (٢ / ٣٤) والبغوي (٣٦٠٢) عن أبي هريرة قال: «قالوا يارسول الله إنك تداعبنا؟ قال: إني لا أقول إلا حقاً» وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٦).

(٥) أخرج أبو داود (٢٥٧٨) وابن ماجه (١٩٧٩) والجميدي (٤٢/٢) وأحمد (٦/٣٩ـ ٢٦٤) عن عائشة أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر وهي جارية، قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال لأصحابه ـ تقدموا فتقدموا ثم قال تعالي أسابقك فسابقته، فسبقته على رجلي فلما كان بعد وفي «رواية» فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في سفر فقال لأصحابه تقدموا، فتقدموا، ثم قال تعالي أسابقك ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم فقلت اسابقك يارسول الله وأنا على هذا الحال؟ فقال لتفعلن فسابقته فسبقني فجعل يضحك ويقول: هذه بتلك السبقة» وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٣١).

الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة. وفى الصحيحين أن النبىﷺ قال لجابر: «هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك»(١) وربما غلب على هذا المتزهد التجفف، فترك مباضعة الزوجة، فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة.

فصـــل

ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه، فلو قيل له: أنت من أوتاد الأرض. رأى ذلك حقاً ومنهم من يترصد لظهور كرامته،ويخيل اليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشى عليه، فإذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر فى باطنه؛فكأنه أجير يطلب أجر عمله. ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله، ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه، وقد كان ينبغى أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة تقول: أستغفر اللّه من قلة صدقى فى قولى. وقيل لها: هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك؟ فقالت: إذا كان فمخافتى أن يرد علىّ.(٢)

فصـــل

ومن تلبيس إبليس على قوم من الزهاد الذى دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم، ولا يلتفتون إلى قول الفقيه، قال ابن عقيل: كان أبو إسحق الخراز صالحاً، وهو أول من لقننى كتاب اللّه وكان من عادته الإمساك عن الكلام فى شهر رمضان، فكان يخاطب بآى القرآن فيما يعرض إليه من الحوائج فيقول فى إذنه «**ادخلوا عليهم الباب**»: ويقول لابنه فى عشية الصوم: «**من بقلها وقثائها**» آمراً له أن يشترى البقل. فقلت له: هذا الذى تعتقده عبادة هو معصية. فصعب عليه، فقلت: إن هذا القرآن

(١) أخرجه البخارى (٢٩٦٧، ٤٠٥٢، ٥٠٨٠) ومسلم (٧١٥/١٠٨٧/٢) وأبو داود (٢٠٤٨) والترمذى (١١٠٠) والنسائى (٦ / ٦١) وابن ماجه (١٨٦٠) والدارمى (٢٢١٦) وأحمد (٥ / ٣٣٣) .

(٢) هذه المرأة التى دارت حولها أساطير وحكايات أشبه بالخيال ، والتى تلقب عند المتصوفه « بشهيدة الحب أو العشق الألهى » وهذا اللقب يصدم بصحيح العقيدة فليس هناك عشق بين الخالق والمخلوق .. وأما الأقوال المنسوبة إليها فجلها تصدم بالشرع ، ومع هذا نجد كثيراً من الخطباء يرددون أقوالها مثل البغبغاوات دون علم بما تحمل من شرك أو جهل والله المستعان .

العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية؛ فلا يستعمل فى أغراض دنيوية، وما هذا إلا بمثابة صرِّك السدر والأشنان فى ورق المصحف، أو توسدك له. فهجرنى، ولم يصغ إلى الحجة.

قال المصنف: قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام، فيفتى به . حدثنى أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه أن رجلاً استفتاه فقال: ما تقول فى امرأة طلقت ثلاثاً، فولدت ذكراً هل تحل لزوجها؟ قال: فقلت: لا. وكان عندى الشريف الدحالى، وكان مشهوراً بالزهد، عظيم القدر بين العوام، فقال لى: بل تحل. فقلت: ما قال بهذا أحد. فقال: والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة.

قال المصنف: فانظر ما يصنع الجهل بأهله، ويضاف إليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل . وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى؛ لأنه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالإسناد .

عن إسماعيل بن شبة قال: دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لى أحمد بن حنبل: من هذا الخراسانى الذى قد قدم؟ قلت: من زهده كذا وكذا، ومن ورعه كذا وكذا. فقال: لا ينبغى لمن يدعى ما يدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا.

احتقـار العلمـــاء وذمهـــم

ومن تلبيسه على الزهاد ـ احتقارهم العلماء، وذمهم إياهم، فهم يقولون: المقصود العمل. ولا يفهمون أن العلم نور القلب، ولو عرفوا مرتبة العلماء فى حفظ الشريعة، وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء، والعمى، عند البصراء والعلماء أدلة الطريق، والخلق وراءهم، وسليم هؤلاء يمشى وحده. وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: «**والله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم**».(١)

---

(١) أخرجه البخارى (٢٩٤٢ ، ٣٠٠٩ ، ٣٧٠١ ، ٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦).

تفسح العلماء فى بعض المباحات

ومما يعيبون به العلماء ـ تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم، وكذلك يعيبون جامع الأموال، ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله. وغاية الأمر أن غيره أولى منه، أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام. ولقد روينا بإسناد عن محمد بن جعفر الخولانى، قال: حدثنى أبو عبد الله الخواص، وكان من أصحاب حاتم الأصم، قال: دخلنا مع حاتم البلخى إلى الرى ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا من أصحابه يريد الحج، وعليهم الصوف والزرمانقات، ليس فيهم من معه جراب ولا طعام، فنزلنا على رجل من التجار متنسك، فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد، قال لحاتم: ياأبا عبد الرحمن، لك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل. فقال حاتم: إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير، والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجئ معك. وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى، فقال له: مر بنا ياأبا عبد الرحمن. فجاؤا إلى باب داره، فإذا البواب، فبقى حاتم متفكراً يقول: يارب، دار عالم على هذه الحال. ثم أذن لهم فدخلوا، فإذا بدار قوراء، وآلة حسنة، وبزة، وفرش، وستور، فبقى حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذى فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطئ، وهو عليه راقد، وعند رأسه مذبة، وناس وقوف؛ فقعد الرازى، وبقى حاتم قائماً، فأومئ إليه محمد بن مقاتل بيده أن اجلس فقال حاتم: لا أجلس. فقال له ابن مقاتل: فلك حاجة. قال: نعم. قال: وما هى؟ قال: مسألة أسألك عنها. قال: فاسألنى. قال حاتم: قم فاستو جَالساً حتى أسألك عنها. فأمر غلمانه فأسندوه. فقال حاتم: علمك هذا من أين جئت به؟ فقال: حدثنى عن الثقات من الأئمة. قال: عمن أخذوه؟ قال: عن التابعين. قال: والتابعون عمن أخذوه؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه؟ قال: عن رسول الله ﷺ. قال: ورسول الله ﷺ من أين جاء به؟ قال: عن جبريل عن الله عز وجل. فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبى ﷺ، وأداه النبى ﷺ إلى الصحابة، وأداه الصحابة إلى تابعيهم، وأداه التابعون إلى الأئمة، وأداه الأئمة إلى الثقات، وأداه الثقات إليكم، هل سمعت فى هذا العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن، وفراشه ألين، وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر؟ قال: لا. قال: فكيف سمعت؟ قال: من زهد فى الدنيا، ورغب فى الآخرة، وأحب المساكين، وقدم

لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر، وإليه أقرب. قال حاتم: وأنت بمن اقتديت أبالنبى ﷺ، وبأصحابه، والتابعين من بعدهم، والصالحين على أثرهم، أو فرعون، ونمروذ فإنهما أول من بنى بالجص والآجر. ياعلماء السوء، إن الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول: هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا؟ قال: فخرج من عنده، وازداد محمد بن مقاتل مرضاً، وبلغ أهل الرى ما جرى بين حاتم وبين ابن مقاتل، فقالوا لحاتم: إن محمد بن عبيد الطنافسى بقزوين أكثر شيئاً من هذا. فصار إليه، فدخل عليه، وعنده الخلق يحدثهم فقال له: رحمك الله أنا رجل أعجمى، جئتك لتعلمنى مبدأ دينى، ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة فقال: نعمة وكرامة، ياغلام، إناء فيه ماء. فجاءه بإناء فيه ماء، فقعد محمد بن عبيد، فتوضأ ثلاثاً ثم قال له: هكذا فتوضأ، قال حاتم: مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسى: وقعد حاتم مكانه، فتوضأ، وغسل وجهه ثلاثة حتى إذا بلغ الذراع غسل أربعاً، فقام الطنافسى: أسرفت. قال حاتم: فى ماذا أسرفت؟ قال: غسلت ذراعك أربعاً؟ قال: ياسبحان الله، أنا فى كف ماء أسرفت، وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف؟ فعلم الطنافسى أنه أراده بذلك، فدخل البيت، ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً، وخرج حاتم إلى الحجاز، فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة، فلما دخل المدينة قال: ياقوم، أى مدينة هذه؟ قالوا: مدينة الرسول ﷺ. قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب إليه، فأصلى فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان لرسول الله ﷺ قصرٌ إنما كان له بيت لاط، قال: فأين قصور أهله، وأصحابه، وأزواجه قالوا: ما كان لهم قصورٌ إنما كان لهم بيوت لاطئة. فقال حاتم: فهذه مدينة فرعون. قال: فسبوه وذهبوا به إلى الوالى. وقالوا: هذا العجمى يقول: هذه مدينة فرعون. فقال الوالى: لم قلت ذلك. قال حاتم: لا تعجل علىَّ أيها الأمير، أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة، فسألت: أى مدينة هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ. وسألت عن قصر رسول الله ﷺ، وقصور أصحابه قالوا: إنما كانت لهم بيوت لاطئة. وسمعت الله عز وجل يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب:٢١]. فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون.

قال المصنف: قلت: الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه، فيرى الفضل فرضاً. فإن الذى أنكره مباح، والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شئ ثم يعاتب عليه، فما أقبح الجهل! ولو أنه قال لهم: لو قصرتم فيما أنتم فيه لتقتدى الناس بكم كان

أقرب حالة، ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم، وفلاناً وفلاناً من الصحابة: خلفوا مالا عظيماً، أتراه ماذا كان يقول؟وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف درهم،وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء، فإذا لم يتعلم، فليسكت. والحديث بإسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه قال: إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز[١] وبإسناد عن حبيب الفارسى يقول: والله إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز

قال المصنف: قلت: المراد بالقراء الزهاد. وهذا اسم قديم لهم معروف، والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.



(١) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٢ / ٣٧٥).

البَــاب العَاشـــر
فــي ذكــر تلبيــسه علــي
الصــوفية مــن جمــلة الزهـــاد

قال المصنف: الصوفية من جملة الزهاد، وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال، وتوسموا بسمات، فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلى، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب، فلا بد من كشف تلبيس إبليس عليهم فى طريقة القوم، ولا ينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها، وشرح أمورها والله الموفق للصواب.

فصـــل

قال المصنف: كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام. فيقال: مسلم ومؤمن. ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها، وأخلاقاً تخلقوا بها، ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له: صوفة، واسمه الغوث بن مر، فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى؛ فسموا بالصوفية.[١]

أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال، قال: قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ: قال: سألت وليد بن القاسم: إلى أى شئ ينسب الصوفى؟ فقال: كان قوم فى الجاهلية يقال لهم: صوفة، انقطعوا إلى الله عز وجل، وقطنوا الكعبة، فمن تشبه بهم فهم الصوفية. قال عبد الغنى: فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر.

---

(١) راجع الجزء الحادى عشر من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية فهو فى غاية الأهمية.
- والفكر الصوفى للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

وبالإسناد إلى الزبير بن بكار قال: كانت الإجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طابخة، ثم كانت فى ولده، وكان يقال لهم: صوفة. وكان إذا حانت الإجازة قالت العرب: أجز صوفة. قال الزبير: قال أبو عبيدة: وصوفة، وصوفان يقال لكل من ولىَّ من البيت شيئاً من غير أهله، أو قام بشئ من أمر المناسك يقال لهم: صوفة، وصوفان.

قال الزبير: حدثنى أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى. قال: إنما سمى الغوث بن مر صوفة؛ لأنه ما كان يعيش لأمه ولد، فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة؛ ولتجعلنه ربيط الكعبة. ففعلت، فقيل له: صوفة، ولولده من بعده.

قال الزبير: وحدثنى إبراهيم بن المنذرى عن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرنى عقال بن شبة قال: قالت أم تميم بن مر، وقد ولدت نسوة فقالت: لله علىَّ إن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت. فولدت الغوث بن مر، فلما ربطته عند البيت، أصابه الحر، فمرت به وقد سقط واسترخى، فقالت: ما صار ابنى إلا صوفة، فسمى صوفة، وكان الحج، وإجازة الناس من عرفة إلى منى، ومن منى إلى مكة لصوفة.(١)

فلم تزل الإجازة فى عقب صوفة حتى أخذتها عدوان، فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش.

قال المصنف: وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة، وإنما ذهبوا إلى هذا؛ لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة فى الانقطاع إلى الله عز وجل، وملازمة الفقر، فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ، وما لهم أهل، ولا مال، فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله ﷺ، وقيل لهم: أهل الصفة. والحديث بإسناد عن الحسن، قال: بنيت صفة لضعفاء المسلمين، فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول: «السلام عليكم ياأهل الصفة» فيقولون: وعليك السلام يارسول الله. فيقول: كيف أصبحتم» ؟ فيقولون: بخير يارسول الله(٢) وبإسناد عن نعيم بن المُجَمر(٣) عن أبيه عن أبى ذر قال: كنت من أهل

---

(١) ليت طالب العلم يراجع كتاب «التصوف» لشيخ الإسلام ففيه فوائد وفضايح عن هذه الطوائف وهو برقم (١١) من مجمرع الفتاوى .

(٢) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١ / ٣٤٠) من طريق هناد بن السرى ثنا يونس بن بكير به وإسناده ضعيف مرسل .

(٣) فى جميع النسخ نعيم بن المجمر وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

الصفة، وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل، فيبقى من بقى من أهل الصفة: عشرة، أو أقل فيؤثرنا النبى ﷺ بعشائه فنتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ: «ناموا فى المسجد». (١)

قال المصنف: وهؤلاء القوم إنما قعدوا فى المسجد ضرورة، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال، وخرجوا، ونسبة الصوفى إلى أهل الصفة غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: صفى.

وقد ذهب إلى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة، فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء، وهذا أيضاً غلط؛ لأنه لو نسبوا إليها لقيل: صوفانى.

وقال آخرون: هو منسوب إلى صوفة القفا وهى الشعرات النابتة فى مؤخره كأن الصوفى عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق.

وقال آخرون: بل هو منسوب إلى الصوف، وهذا يحتمل، والصحيح الأول.

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس، ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد، والحلم، والصبر، والإخلاص، والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا، والثواب فى الأخرى. والحديث بإسناد عن الطوسى يقول: سمعت أبا بكر بن المشاقف يقول: سألت الجنيد بن محمد عن التصوف، فقال: الخروج عن كل خلق ردئ، والدخول فى كل خلق سنى.

وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال: سمعت محمد بن خفيف يقول: قال رويم: كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع، ومداومة الصدق.

---

(١) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١ / ٣٥٢) من طريق محمد بن عمر الأسلمى ثنا موسى بن عبيدة به. وهو موضوع، فإن الواقد متروك وموسى بن عبيدة ضعيف.

قال المصنف: وعلى هذا كان أوائل القوم؛ فلبس إبليس عليهم فى أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طعمه فى القرن الثانى، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات: فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا فى الحمل على أنفسهم حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة، وهو لا يدرى.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع، والفقر، والوساوس، والخطرات، وصنفوا فى ذلك مثل الحارث المحاسبى. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف، وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة، والسماع، والوجد، والرقص، والتصفيق، وتميزوا بزيادة النظافة، والطهارة، ثم ما زال الأمر ينمى، والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً، ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بعدهم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه، أو فى العلوم حتى سموه العلم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة، فادعى عشق الحق، و الهيمان فيه، فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به. وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم.

فمن هؤلاء من قال بالحلول[١] ومنهم من قال بالاتحاد[٢] وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً، وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن، وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم. وإنما حملوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم فى الطعام، وانبساطهم فى القرآن.

---

(١) الحلول هو اعتقادهم أن الله تعالى حلت ذاته فى كل الموجودات بما فى ذلك الحيوانات وغيرها، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
(٢) الاتحاد ــ هو اعتقادهم أن الله اتحد بذاته مع الموجودات تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى: قال: كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة، ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً، فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدث عن الأصَمّ بتاريخ يحيى بن معين، وبأشياء كثيرة سواه، وكان يضع للصوفية الأحاديث.

قال المصنف: وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه (لمع الصوفية) ذكر فيه من الاعتقاد القبيح، والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى.
وصنف لهم أبو طالب المكى (قوت القلوب) فذكر فيه الأحاديث الباطلة، وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالى، وغير ذلك من الموضوع، وذكر فيه الاعتقاد الفاسد.

وردد فيه قول: (قال بعض المكاشفين) وهذا كلام فارغ، وذكر فيه عن بعض الصوفية: إن الله عز وجل يتجلى فى الدنيا لأوليائه.

أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال أبو طاهر محمد بن العلاف: قال: دخل أبو طالب المكى إلى البصرة بعد وفاة أبى الحسين بن سالم، فانتمى إلى مقالته، وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ، فخلط فى كلامه، فحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوق أضر من الخالق. فبدعه الناس، وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب: وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه (قوت القلوب) على لسان الصوفية، وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات.(١)

قال المصنف: وجاء أبو نعيم الأصبهانى، فصنف لهم كتاب (الحلية). وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة، ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبا بكر، وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم. فذكر عنهم فيه العجب، وذكر منهم شريحاً القاضى، والحسن البصرى، وسفيان الثورى، وأحمد بن حنبل، وكذلك ذكر السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل، وإبراهيم بن أدهم، ومعروفاً الكرخى، وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد.

---

(١) قال الخطيب فى «التاريخ» (٣ / ٨٩) فى ترجمة أبى طالب المكى، محمد بن على بن عطية ـ صنف كتابا سماه (قوت القلوب) على لسان الصوفية ذكر فيه أشياء منكرةً، مستبشعةً فى الصفات ـ ثم ذكر الخطيب أنه كان واعظاً بمكة فخلط فى كلامه وحفظ عنه أنه قال:
«ليس على المخلوق أضر من الخالق» تعالى الله عن ذلك، فبدعه الناس وهجروه.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف على ما سيأتى ذكره، وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيرى كتاب (الرسالة) فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء، والبقاء، والقبض، والبسط، والوقت، والحال، والوجد، والوجود، والجمع، والتفرقة، والصحو، والسكر، والذوق، والشرب، والمحو، والإثبات، والتجلى، والمحاضرة، والمكاشفة، واللوائح، والطوالع، واللوامع، والتكوين، والتمكين، والشريعة، والحقيقة، إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشئ، وتفسيره أعجب منه.

وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم (صفوة التصوف) فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الإباحة: قال: وصنف كتاباً فى جواز النظر إلى المُرْد[١] أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها، فقيل له: تصلى عليها؟ فقال: صلى الله عليها، وعلى كل مليح[٢] . قال شيخنا ابن ناصر: وليس ابن طاهر بمن يحتج به[٣] ، وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب (الإحياء) على طريقة القوم، وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم عن علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه. وقال: إن المراد بالكوكب، والشمس، والقمر اللواتى رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هى حجب الله عز وجل، ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية، وقال فى كتابه (المفصح بالأحوال): إن الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.

---

(١) جمع أمرد وهو الغلام الجميل الذى لا لحية له .

(٢) قلت: إن هذا السيد الجليل ، وهذا العالم الكبير أستاذ الجرح والتعديل ، يستحيل أن يخرج من رأسه مثل هذه الأباطيل، بل حاشاه وهو من أئمة أهل السنة.

(٣) قال الذهبى فى «الميزان» (٣ / ٥٨٧): محمد بن طاهر المقدس الحافظ، ليس بالقوى، فانه له أوهام كثيرة فى تواليفه وقال ابن ناصر: كان لحنةً وكان يصحف، وقال ابن عساكر: جمع أطراف الكتب الستة فرأيته بخطه وقد أخطأ فيه فى مواضع خطأ فاحشاً. قال الذهبى: وله انحراف عن السنة إلى التصوف غير المرضى

قال المصنف: وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن الإسلام، والآثار، وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم، وإنما استحسنوها؛ لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد، وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة، ولا كلاماً أرق من كلامهم. وفي سير السلف نوع خشونة ثم إن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة، والتعبد، وفي ضمنها الراحة والسماع، والطباع تميل إليها. وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين، والأمراء فصاروا أصدقاء.

فصـــل

وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات، تلقفها بعضهم عن بعض، ودونوها، وقد سموها بالعلم الباطن.

والحديث بإسناد إلى أبي يعقوب إسحق بن حية قال: سمعت أحمد بن حنبل، وقد سئل عن الوساوس والخطرات. فقال: ما تكلم فيها الصحابة، ولا التابعون.

قال المصنف: وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي النون نحو هذا، وروينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي، فقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم. وعن سعيد بن عمرو البردعي، قال: شهدت أبا زرعة، وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب. قيل له: في هذه الكتب عبرة. قال: من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة صنفوا هذه الكتب في الخطرات، والوساوس، وهذه الأشياء، هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم: يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الدبيلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري، فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم، وكان رئيس مصر، وكان يذهب مذهب مالك، وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علماً لم

يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة. قال السلمي: وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق. وقالوا إنه يزعم أنه يرى الملائكة، وأنهم يكلمونه، وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري أنه يفضل الأولياء على الأنبياء، فهرب من دمشق إلى مكة، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي ﷺ معراج؛ فأخرجوه من بسطام، وأقام بمكة سنتين، ثم رجع إلى جرجان، فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى، ثم رجع إلى بسطام، قال السلمي: وحكى رجل عن سهل بن عبد الله التستري أنه يقول: إن الملائكة، والجن، والشياطين يحضرونه، وإنه يتكلم عليهم، فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبائح، فخرج إلى البصرة فمات بها.

قال السلمي: وتكلم الحارث المحاسبي في شئ من الكلام والصفات فهجره أحمد ابن حنبل، فاختفى إلى أن مات.

قال المصنف: وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب (السنة) عن أحمد بن حنبل أنه قال: حذروا من الحارث أشد التحذير، الحارث أصل البلية - يعني في حوادث كلام جهم - ذاك جالسة فلان وفلان، وأخرجهم إلى رأي جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أي يوم يثب على الناس.

أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة

قال المصنف: وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة، وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم. وبإسناد عن جعفر الخلدي يقول: سمعت الجنيد يقول: قال أبو سليمان الداراني قال: ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين: عدلين الكتاب والسنة[1] وبإسناد عن طيفور البسطامي يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول: قال لي أبي: قال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر، والنهي، وحفظ الحدود.

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ٢٥٥) عن الجنيد.

وبإسناد عن أبى موسى يقول: سمعت أبا يزيد البسطامى قال: من ترك قراءة القرآن والتقشف، ولزوم الجماعة، وحضور الجنائز، وعيادة المرضى، وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع. وبإسناد عن عبد الحميد الحبلى يقول: سمعت سرياً يقول: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط (١). وعن الجنيد أنه قال: مذهبنا هذا مقيد بالأصول: الكتاب والسنة (٢). وقال أيضاً: علمنا منوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به (٣). وقال أيضاً: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات، والمستحسنات؛ لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة: عرفت نفسى فى الدنيا: فأسهرت ليلى، وأظمأت نهارى.

وعن أبى بكر الشفاف: من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن. وقال الحسين النورى لبعض أصحابه: من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه، ومن رأيته يدعى حالة لايدل عليها دليل، ولا يشهد لها حفظ ظاهر، فاتهمه على دينه.

وعن الجريرى قال: أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد، هو أن تلزم قلبك المراقبة، ويكون العلم على ظاهرك قائماً. وعن أبى جعفر قال: من لم يزن أقواله، وأفعاله، وأحواله، بالكتاب والسنة، ولم يتهم خاطره؛ فلا تعده فى ديوان الرجال. (٤)

فصل

قال المصنف: وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبُعْدهم عن العلم، فإن كان ذلك صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم؛ إذ لا محاباة فى الحق، وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول، وذلك المذهب من أى شخص صدر. فأما المشبهون بالقوم، وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة. ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم، والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة، والغيرة عليها من

(١) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (١٠ / ١٢١) .
(٢) رواه أبو نعيم (١٠ / ٢٥٥).
(٣) رواه أبو نعيم (١٠ / ٢٥٥).
(٤) رواه أبو نعيم (١٠ / ٢٣٠).

الدخل(١)، وما علينا من القائل والفاعل، وإنما نؤدى بذلك أمانة العلم، وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق، لا لإظهار عيب الغالط، ولا اعتبار بقول جاهل يقول: كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به؛ لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة، لا إلى الأشخاص، وقد يكون الرجل من الأولياء، وأهل الجنة، وله غلطات؛ فلا تمنع منزلته بيان زلله.

واعلم أن من نظر إلى تعظيم شخص، ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة، ولم ينظر إليه فادعى فيه الإلهية. ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه.

وقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى بإسناد إلى يحيى بن سعيد قال: سألت شعبة، وسفيان بن سعيد وابن عيينة، ومالك بن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم فى الحديث. فقالوا جميعاً: يبين أمره. وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه فى الشئ بعد الشئ، وقال: نعم الرجل فلان لولا أن خلة فيه. وقال عن سرى السقطى: الشيخ المعروف بطيب المطعم، ثم حكى له عنه أنه قال: إن الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء. فقال: نفّروا الناس عنه.

سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد

ذكر تلبيس إبليس فى السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى قال: تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس، فقبلوه فبينما هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع، فزعق أبو حمزة وقال: لبيك لبيك. فنسبوه إلى الزندقة، وقالوا حلولى زنديق. وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق.

وبإسناد إلى أبى بكر الفرغانى أنه قال: كان أبو حمزة إذا سمع شيئاً يقول: لبيك لبيك؛ فأطلقوا عليه أنه حلولى. ثم قال أبو على: وإنما جعله داعياً من الحق أيقظه للذكر. وعن أبى على الروزبارى قال: أطلق على أبى حمزة أنه حلولى، وذلك أنه كان إذا سمع صوتاً

(١) الدخل ـ الفسق والخداع .

مثل هبوب الرياح، وخرير الماء، وصياح الطيور، كان يصيح ويقول: لبيك لبيك؛ فرموه بالحلول .

قال السراج: وبلغنى عن أبى حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبى، فصاحت الشاه «ماء» فشهق أبو حمزة شهقة وقال: لبيك ياسيدى، فغضب الحارث المحاسبى وعمد إلى سكين وقال: إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك. قال أبو حمزة: إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه، فلم تأكل النخالة بالرماد.

وقال السراج: وأنكر جماعة من العلماء على أبى سعيد أحمد بن عيسى الخراط[١] ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب (السر) ومنه قوله: عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله، فقدس الله نفسه قال: وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة. قال: وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه، وشهد عليه بالكفر والزندقة، وكذلك أكثرهم . وقال السراج: ذكر عن أبى بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه قال: من ذكر افترى، ومن صبر اجترى. وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليماً أو خليلاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً . فقيل له: أو لا أصلى عليهم قال: صل عليهم بلا وقار، ولا تجعل لها فى قلبك مقدار.

قال السراج: وبلغنى أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساماً حل فيها بمعانى الربوبية، وأزال عنها معانى البشرية، ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات، ومنهم من قال: حال فى المستحسنات. قال: وبلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى الدنيا، كالرؤية بالعيان فى الآخرة.

قال السراج: وبلغنى أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول: أنا أعشق الله عز وجل، وهو يعشقنى. فقال النورى: سمعت الله يقول (يحبهم ويحبونه) وليس العشق بأكثر من المحبة. قال القاضى أبو يعلى: وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله عز وجل يعشق.

قال المصنف: وهذا جهل من ثلاثة أوجه:

أحدها: من حيث الاسم، فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح.

---

(١) فى بقية النسخ الخراز وفى الحلية الخزاز .

والثانى: إن صفات الله عز وجل منقوله، فهو يحب ولا يقال: يعشق، ويحب ولا يقال: يعشق، كما يقال: يعلم، ولا يقال: يعرف.

والثالث: من أين له أن الله تعالى يحبه، فهذه دعوى بلا دليل، وقد قال النبى ﷺ: «من قال: إنى فى الجنة فهو فى النار».(١)

وعن أبى عبد الرحمن السلمى حكى عن عمرو المكى أنه قال: كنت أماشى بن الحسين ابن منصور فى بعض أزقة مكة، وكنت أقرأ القرآن، فسمع قراءتى فقال: يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته. وعن محمد بن يحيى الرازى: قال: سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدى، فقلت بأى شئ وجد عليه الشيخ فقال: قرأت آية من كتاب الله عز وجل، فقال: يمكننى أن أقول أو أؤلف مثله، وأتكلم به.

وبإسناد عن أبى القاسم الرازى يقول: قال أبو بكر بن ممشاد: حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار، ففتشوا المخلاة، فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه (من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان) فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه، فقال: هذا خطى، وأنا كتبته. فقالوا: كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية. فقال: ما أدعى الربوبية، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكتاب إلا لله تعالى واليد فيه آلة؟ فقيل له: هل معك أحد. فقال: نعم ابن عطاء، وأبو محمد الجريرى، وأبو بكر الشبلى وأبو محمد الجريرى يتستر، والشبلى يتستر، فإن كان فابن عطاء. فأحضر الجريرى وسئل فقال: قائل هذا كافر يقتل من يقول هذا. وسئل الشبلى فقال: من يقول هذا يمنع. وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته، وكان سبب قتله.(٢)

وبإسناد عن ابن باكويه قال: أسمعت عيسى بن بردل القزوينى وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات :

---

(١) الإسناد موقوف ضعيف، وقد رواه الطبرانى فى «الصغير» (١ / ٦٥ / ١٧٦) من طريق عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا زافر بن سليمان حدثنا عبد الله بن الحسن المصيصى حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير وفيه كما قال الهيثمى فى «المجمع» (١ / ١٨٦) محمد بن أبى عطاء الثقفى ضعفه أحمد وقال هو منكر الحديث .

(٢) ذكره ابن كثير فى « البداية » (١١ / ١٣٨) إلا أنه قال : أبو بكر بن ممشاذ .

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ: على قائله لعنة الله. قال عيسى بن فورك: هذا شعر الحسين بن منصور قال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون متقولا عليه.

وبإسناد عن على بن المحسن القاضى، عن أبى القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجى، عن أبيه أن ابنة السمرى أدخلت على حامد الوزير، فسألها عن الحلاج فقالت: حملنى أبى إليه فقال: قد زوجتك من ابنى سليمان، وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شئ تنكرينه من جهته فصومى يومك، واصعدى فى آخر النهار إلى السطح، وقومى على الرماد، واجعلى فطرك عليه، وعلى ملح جريش، واستقبلينى بوجهك، واذكرى لى ما أنكرتيه منه، فإنى أسمع وأرى. قالت: وكنت ليلة نائمة فى السطح فأحسست به قد غشينى[(١)] فانتبهت مذعورة لما كان منه. فقال: إنما جئتك لأوقظك للصلاة. فلما نزلنا قالت ابنته: اسجدى له. فقلت: أو يسجد أحد لغير الله. فسمع كلامى. فقال: نعم إله فى السماء، وإله فى الأرض.[(٢)]

قال المصنف: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج. فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى، ووافقه العلماء، وإنما سكت عنه أبو العباس سريج قال: وقال: لا أدرى ما يقول. والإجماع دليل معصوم من الخطأ.

وبإسناد عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم»[(٣)]. وبإسناد عن أبى القاسم يوسف بن يعقوب النعمانى قال: سمعت والدى يقول: سمعت أبا بكر محمد ابن داود الفقيه الأصبهانى يقول: إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ حقاً فما يقول الحلاج باطل، وكان شديداً عليه.[(٤)]

---

(١) الغشيان: الجماع.
(٢) ذكره ابن كثير في «البداية» (١١ / ١٤٠).
(٣) (صحيح) - رواه أبو داود (٤٢٥٣) وابن أبي عاصم (٨٢) عن أبي مالك الأشعري بلفظ: إن الله أجاركم من ثلاث خلال ... فذكره ورواه ابن أبي عاصم (٨٣) عن أنس
ورواه ابن أبي عاصم (٨٥) والطبراني عن ابن مسعود.
(٤) ذكره ابن كثير في «البداية» (١١ / ١٣٩).

قال المصنف: وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا منهم، وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء. وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابورى قال: سمعت إبراهيم بن محمد النصر أبادى كان يقول: إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج. قلت: وعلى هذا أكثر قصاص زماننا، وصوفية وقتنا: جهلاً من الكل بالشرع، وبعداً عن معرفة النقل. وقد جمعت فى أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله، ومخاريقه وما قال العلماء فيه، والله المعين على قمع الجهال.

وبإسناد عن أبى نعيم الحافظ قال: سمعت عمر البنا البغدادى بمكة يحكى أنه لما كانت محنة غلام الخليل، ونسبة الصوفية إلى الزندقة. أمر الخليفة بالقبض عليهم، فأخذ النورى فى جماعة، فأدخلوا على الخليفة، فأمر بضرب أعناقهم، فتقدم النورى مبتدراً إلى السياف ليضرب عنقه فقال له السياف: ما دعاك إلى البدار؟ قال: آثرت حياة أصحابى على حياتى هذه اللحظة، فتوقف السياف فرفع الأمر إلى الخليفة، فرد أمرهم إلى قاضى القضاة اسماعيل بن إسحاق، فأمر بتخليتهم. وبإسناد إلى أبى العباس أحمد بن عطاء. قال: كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال: ههنا قوم زنادقة، فأخذ أبو الحسين النورى، وأبو حمزة الصوفى، وأبو بكر الدقاق، وجماعة من أقران هؤلاء، واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور، فأدخلوا إلى الخليفة، فأمر بضرب أعناقهم، فأول من بدر أبو الحسين النورى، فقال له السياف: لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع؟ قال: أحببت أن أوثر أصحابى بالحياة مقدار هذه الساعة؟ فرد الخليفة أمرهم إلى القاضى فأطلقوا.[(١)]

قال المصنف: ومن أسباب هذه القصة قول النورى: أنا أعشق الله، والله يعشقنى. فشهد عليه بهذا. ثم تقدم النورى إلى السياف ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضاً. وبإسناد عن ابن باكويه قال: سمعت أبا عمرو وتلميذ الرقى قال: سمعت الرقى يقول: كان لنا بيت ضيافة، فجاءنا فقير عليه خرقتان يكنى بأبى سليمان فقال: الضيافة. فقلت لابنى: امض به إلى البيت، فأقام عندنا تسعة أيام فأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة. فسمته المقام فقال: الضيافة ثلاثة أيام. فقلت له: لا تقطع عنا أخبارك، فغاب عنا اثنتى عشرة سنة، ثم قدم فقلت: من أين؟ فقال: رأيت شيخاً يقال له: أبو شعيب المقفع مبتلى، فأقمت عنده أخدمه سنة، فوقع فى نفسى أن أسأله أى شئ كان أصل بلائه، فلما دنوت منه ابتدأنى قبل أن أسأله فقال: وما سؤالك عما لا يعنيك.

---

(١) ذكره أبو نعيم فى « الحلية » (١٠ / ٢٥٠) وهى قصة مكذوبة منكرة .

فصبرت حتى تم لى ثلاث سنين. فقال فى الثالثة لا بد لك. فقلت له: إن رأيت. فقال: بينما أنا أصلى بالليل إذ لاح لى من المحراب نور، فقلت إخسأ يا ملعون، فإن ربى عز وجل غنى عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات. قال: ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب. فقلت: لبيك. فقال: تحب أن أقبضك فى وقتك، أو نجازيك على ما مضى لك، أو نبتليك ببلاء نرفعك به فى عليين. فاخترت البلاء؛ فسقطت عيناى، ويداى، ورجلاى. قال فمكثت أخدمه تمام اثنتى عشرة سنة: فقال يوماً من الأيام: ادن منى. فدنوت منه فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضاً: حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه، وهو يسبح، ويقدس، ثم مات.

قال المصنف: وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل، فلما أنكر عوقب. وقد ذكرنا أن قوماً يقولون إن الله عز وجل يُرى فى الدنيا. وقد حكى أبو القاسم عبد الله ابن أحمد البلخى فى كتاب المقالات قال: قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار فى الدنيا، وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك، وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته، وملازمته، وملامسته، ويدعون أنهم يزورونه، ويزورهم وهم يسمون بالعراق: أصحاب الباطن، وأصحاب الوساوس، وأصحاب الخطرات.

قال المصنف: وهذا فوق القبيح، نعوذ بالله من الخذلان.

ذكر تلبيس إبليس
على الصوفية فى الطهارة

قال المصنف: قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة إلا أنه قد زاد فى حق الصوفية على الحد، فقوى وساوسهم فى استعمال الماء الكثير حتى بلغنى أن ابن عقيل دخل رباطاً، فتوضأ، فضحكوا لقلة استعماله الماء، وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه، وبلغنا عن أبى حامد الشيرازى أنه قال لفقير: من أين تتوضأ؟ فقال: من النهر، بى وسوسة فى الطهارة. قال:كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان، والآن يسخر بهم الشيطان.

ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى، وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المبتدئ إلى من يقتدى به؛ فيظن ذلك شريعة، وما كان خيار السلف على هذا، والعجب ممن يبالغ فى الاحتراز إلى هذا الحد متصفاً بتنظيف ظاهره، وباطنه محشو بالوسخ، والكدر، والله الموفق.

ذكر تلبيس إبليس عليهم فى الصلاة

قال المصنف: وقد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية، ويزيد، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى أن من سنتهم التى ينفردون بها، وينتسبون إليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة، والتوبة، واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال أن النبى ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل.(١)

قال المصنف: وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله، فإن ثمامة كان كافراً فأسلم، وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل فى مذهب جماعة الفقهاء: منهم أحمد بن حنبل، وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء لمن أسلم، وليس فى حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه، وهل هذا إلا ابتداع فى الواقع سموه سنة، ثم من أقبح الأشياء قوله: إن الصوفية ينفردون بسنن، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع؛ فالمسلمون كلهم فيها سواء، و الفقهاء أعرف بها، فما وجه انفراد الصوفية بها؟ وإن كانت بآرائهم فإنما انفردوا بها؛ لأنهم اخترعوها.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى المساكن

قال المصنف: أما بناء الأربطة فإن قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد، وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: إنهم ابتدعوا هذا البناء، وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد.

والثانى: إنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها.

والثالث: إنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطا إلى المساجد.

---

(١) حديث أنس
رواه البخارى (٤٦٢، ٤٦٩) ومسلم (١٧٦٤) وأبو داود (٢٦٧٩) والنسائى (١ / ١٠٩ ـ ١١٠) وعبد الرازق (٩٨٩٤) وابن الجارود (١٥) وابن خزيمة (٢٥٣) وابن حبان (١٢٣٨، ١٢٣٩) والبيهقى (١/١٧١) وفى « الدلائل » (٤ / ٧٩ ـ ٨١) وأحمد (٢ / ٤٥٣، ٢٤٦، ٢٤٧).

والرابع: إنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة.

والخامس: إنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح.

والسادس: إنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد، فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم. وإن كان قصدهم غير صحيح؛ فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة [١]، ومناخاً للبطالة، وأعلاماً لإظهار الزهد. وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين فى الأربطة من كد المعاش، متشاغلين بالأكل، والشرب، والغناء، والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم، ولا يتورعون من عطاء ماكس[٢] وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة، ووقفوا عليها الأموال الخبيثة. وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم، فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع.

فمهمتهم دوران المطبخ، والطعام، والماء المبرد. فأين جوع بشر، وأين ورع سرى، وأين جد الجنيد؟ وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى فى التفكه بالحديث، أو زيارة أبناء الدنيا، فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه فى زر ما نفقته، فغلبت عليه السوداء، فيقول: حدثنى قلبى عن ربى. ولقد بلغنى أن رجلاً قرأ القرآن فى رباط فمنعوه، وأن قوماً قرأوا الحديث فى رباط فقالوا. لهم: ليس هذا موضعه، والله الموفق.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الخروج عن الأموال والتجرد عنها

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد، فيريهم عيب المال، ويخوفهم من شره؛ فيتجردون من الأموال، ويجلسون على بساط الفقر، وكانت مقاصدهم صالحة، وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم. فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤنة؛ فإن أحدهم إذاكان له مال أنفقه: تبذيراً، وضياعاً. والحديث بإسناد عن محمد بن الحسين السليمى قال: سمعت أبا نصر الطوسى: قال: سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون: ورث أبو عبد الله المقرى من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع، والعقار، فخرج عن ذلك كله، وأنفقه على الفقراء. وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا

(١) الكوبة: النرد وقيل هو الطبل.
(٢) ماكس: ظلم.

الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه، أو إن كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس، أو كان المال عن شبهة، فتصدق به، أما إذا أخرج المال الحلال كله، ثم احتاج إلى ما فى أيدى الناس، وأفقر عياله فهو: إما أن يتعرض لمنن الإخوان، أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات، فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه. ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم، وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا، وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع، وقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاماً طويلاً، وشيده أبو حامد الغزالى، ونصره، والحارث عندى أعذر من أبى حامد؛ لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه. فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال: أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه، فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين، وزعمت أن محمداً ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال، وقد علم أن جمعه خير لهم، وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال، وقد علم أن جمعه خير لهم، وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة . ودّ ابن عوف فى القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً. قال: ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن بن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك. قال كعب: سبحان الله! وما تخافون على عبد الرحمن:كسب طيباً، وأنفق طيباً. فبلغ ذلك أبا ذر، فخرج مغضباً يريد كعباً، فمر بلحى بعير، فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً، فقيل لكعب: إن أبا ذر طلبك. فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به، وأخبره الخبر، فأقبل أبو ذر يقتص الأثر فى طلب كعب، حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخل قام كعب، فجلس خلف عثمان هارباً من أبى ذر، فقال له أبو ذر: هيه ياابن اليهودية، تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف، لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: «الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا»(١) ثم قال: ياأبا ذر، وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل، فرسول الله ﷺ يريد هذا، وأنت تقول ياابن اليهودية: لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف.كذبت وكذب من قال بقولك، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج.

---

(١) الحديث المرفوع دون القصة ـ رواه البخارى (٦٢٦٨) ومسلم (١ / ٦٨٦ / ٣٠) والترمذى (٦١٧) والنسائى (٥ / ١٠ ـ ١١) وابن ماجه (١٧٨٥) وابن خزيمة (٢٢٥١) والبيهقى فى «الشعب» (٣٠٣٤) وفى «السنن» (١٠ / ٢٧).

قال الحارث: فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف، ولصنائع المعروف، فيمنع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبواً، وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شئ فرحوا، وأنت تدخر المال، وتجمعه خوفاً من الفقر، وذلك من سوء الظن بالله، وقلة اليقين بضمانه، وكفى به إثماً، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا، وزهرتها، ولذاتها، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة».[١] وأنت تأسف على ما فاتك، غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل، ويحك، هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة، وأين الحلال فتجمعه؟ ويحك! إنى لك ناصح، أرى لك أنك تقنع بالبلغة[٢]، ولا تجمع المال لأعمال البر، فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر. فقال: تركه أبر منه. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين: أحدهما طلب الدنيا حلالاً، فأصابها، فوصل بها رحمه، وقدم منها لنفسه، والآخر جانبها، ولم يطلبها، ولم يبذلها، فأيهما أفضل؟ فقال: بعيد والله ما بينهما، الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها.

قال المصنف: فهذا كله كلام الحارث المحاسبى ذكره أبو حامد، وأيده[٣]، وقواه بحديث ثعلبة فإنه أعطى المال، فمنع الزكاة[٤] قال أبو حامد: فمن راقب أحوال

---

(١) **(ضعيف جداً)**: رواه أبو عبد الله الرازى فى «مشيخته» (٢ / ١٦٨) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. قال الألبانى فى «الضعيفه» (١٧٧٠) ضعيف، وهو فى «ضعيف الجامع» (٥٤٢١).

(٢) البلغة: ما يتبلغ به.

(٣) فى جميع النسخ وشيده ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) رواه الطبرانى فى «الكبير» (٧٨٧٣) وابن جرير فى تفسيره (١٦٩٨٧) والبيهقى فى «الدلائل» (٢٨٩/٥) من طريق على بن زيد الألهانى، قال البخارى منكر الحديث وقال الدار قطنى: متروك وراجع الميزان (٣ / ١٦١). وقال البيهقى عقب الرواية: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف. وقال الهيثمى فى «المجمع» (١ / ٣٢) فيه على بن زيد متروك. قال الحافظ فى «الاصابة» (١ / ٢٠٦) فى ترجمة حاطب بعد ما ساق الخبر: وفى كون صاحب القصة هذه إن صح الخبر ولا أظن يصح هو البدرى المذكور قبله ـ ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية ـ ففى هذا ، نظر ـ وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبى إن البدرى استشهد بأحد ويقوى ذلك أيضاً أن ابن مردويه روى فى تفسيره من طريق عطيه عن ابن عباس فى الآية المذكورة قال وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن أبى حاطب من الأنصار أتى مجلساً فأشهدهم فقال لئن أتانى الله من فضله الآية ـ فذكر القصة بطولها فقال إنه ثعلبة بن أبى حاطب ، والبدرى اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب وقد ثبت أنه ﷺ قال : لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية. وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر «اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم» فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً فى قلبه ؟ ونزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره والله أعلم قلت: وقد ألف الشيخ الفاضل سليم الهلالى رسالة بعنوان ـ الشهاب الثاقب فى الذب عن الصحابى ثعلبة بن حاطب ـ وقد أجاد فيها فجزاه الله خيراً . وقد عز السيوطى الحديث فى « الدر » (٣ / ٤٦٧) إلى كل من : ابن منده وأبو نعيم فى « معرفة الصحابة » والبارودى ، وابن مردويه ـ وابن عساكر ـ والحسن بن سفيان ـ وابن المنذر ـ وابن حاتم ـ وأبى الشيخ العسكرى فى الأمثال .

الأنبياء والأولياء، وأقوالهم لم يشك فى أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات، إذ أقل ما فيه اشتغالهم بإصلاحه عن ذكر اللّه عز وجل، فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته، فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن اللّه عز وجل.

قال المصنف: وهذا كله بخلاف الشرع، والعقل، وسوء فهم للمراد بالمال.

فصـــل
فى رد هذا الكلام

أما شرف المال؛ فإن اللّه عز وجل عظم قدره، وأمر بحفظه؛ إذ جعله قواماً للآدمي الشريف فهو شريف. فقال تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[النساء:٥] ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد.

فقال: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[النساء:٦] وقد صح عن رسول اللّه ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال [١]، وقال لسعد: «لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس». [٢]

وقال: «ما نفعني مال كمال أبى بكر»[٣] والحديث بإسناد مرفوع عن عمرو بن العاص. قال: بعث إلىّ رسول اللّه ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى»

---

(١) **(صحيح)** ـ أخرجه البخارى (١٤٧٧ـ ٢٤٠٨ـ ٥٩٧٥ـ ٦٤٧٣ـ٧٢٩٢) ومسلم (٥٩٣) والدارمى (٢٧٥١) والقضاعى (١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠)
والطبرانى فى «الكبير» (٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٩، ٩١٣، ٩٢٠، ٩٣٠، ٩٤٢) وأحمد (٤ / ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤).

(٢) **(صحيح)** ـ رواه البخارى (١٢٩٥ـ ٢٧٤٢ـ ٣٩٣٦ـ ٥٣٥٤ـ ٥٦٦٨ـ ٦٣٧٣ ـ ٦٧٣٣) ومسلم (١٦٢٨) وأبو داود (٢٨٦٤) والترمذى (١٩٧٥) والنسائى (٦/٢٤١) وابن ماجه (٢٧٠٨ـ٢٧١١) والدارمى (٣١٩٥ ـ ٣١٩٦) ومالك (٢ / ٧٦٣ / ٤) وعبد الرزاق (١٦٣٥٧ـ ١٦٣٥٨ـ ١٦٣٥٩) وابن الجارود (٩٤٧) والبيهقى (٩ / ١٨) وأحمد (١ / ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٤).

(٣) **(صحيح)** ـ رواه الترمذى (٣٦٦٢) وابن ماجه (٩٤) وابن أبى عاصم (١٢٢٩) وأحمد (٢ / ٢٥٣) والخطيب فى « التاريخ » (٣ / ٣٥٨) عن على. وأخرجه ابن حبان (٤١٩) موارد، عن أبى هريرة ـ وابن حبان (٢١٦٦) موارد. وابن عساكر (٣٠ / ٥٦ـ ٥٧) وأبو يعلى عن عائشه ،وابن عساكر (٣٠ / ٦٠) عن ابن عباس، وابن عساكر (٣٠ / ٦١) عن أبى سعيد، وصحح الحديث الشيخ الألبانى فى «صحيح ابن ماجه» (٧٧).

فأتيته فقال: «إنى أريد أن أبعثك على جيش، فيسلمك اللّه ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة». فقلت: يا رسول اللّه، ما أسلمت من أجل المال؟ ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام. فقال: «يا عمرو، نعم المال الصالح للرجل الصالح»(١). والحديث بإسناد عن أنس بن مالك أن رسول اللّه ﷺ دعا له بكل خير، وكان فى آخر دعائه أن قال: «اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له»(٢).

وبإسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبد اللّه بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته، قال: فقلت: يا رسول اللّه، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى اللّه عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال: «أمسك بعض مالك فهو خير لك».(٣)

قال المصنف: فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح، وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة، وأن حبسه ينافى التوكل. ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك، وأن جمعه من وجهة يعز، وسلامة القلب من الافتتان به يبعد، واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر؛ ولهذا خيف فتنته.

فأما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه. وأما من قصد جمعه، والاستكثار منه من الحلال نظرنا فى مقصوده: فإن قصد نفس المفاخرة، والمباهاة، فبئس المقصود. وإن قصد إعفاف نفسه، وعائلته، وادخر لحوادث زمانه وزمانهم، وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء، وفعل المصالح أثيب على قصده، وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات. وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى اللّه عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه، فحرصوا عليه، وسألوا زيادته. وبإسناد عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ أَقْطَعَ الزبير

---

(١) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٤ / ٢٠٢، ٢٠٣) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٢٩٩) والقضاعى (١٣١٥) وابن حبان (١٠٨٩، ٢٢٧٧) وأبو يعلى (١ / ٣٤٥) والحاكم (٢ / ٢) وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الأدب» (٢٢٩).

(٢) **(صحيح)** ـ رواه البخارى (٦٣٣٤ـ ٦٣٤٤) ومسلم (٢٤٨٠ـ ٢٤٨١) وأحمد (٣ / ١٩٤ـ ٢٤٨) وعبد بن حميد (١٢٥٥) والترمذى (٣٨٢٩).

(٣) **(صحيح)** ـ رواه البخارى (٣٨٨٩، ٢٩٤٧، ٤٦٧٦، ٢٧٥٧) ومسلم (٢٧٦٩) وأبو داود (٢٢٠٢، ٣٣١٧) والترمذى (٣١٠٢) والنسائى فى «تفسيره» (٢٥٢).

حُضْرَ[١] فَرَسِهِ بِأَرضٍ يقال لها ثرثر. فأجرى فرسه حتى قام، ثم رمى سوطه فقال: «أعطوه حيثُ بلَغَ السَّوْطُ»[٢] وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول: اللهم وسع عليَّ[٣] .

قال المصنف: وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾[يوسف:٦٥] مال إلى هذا و أرسل ابنه بنيامين معهم. وأن شعيباً[٤] طمع فى زيادة ما يناله فقال: ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾[القصص:٢٧]. وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر منه فقيل له: أما شبعت؟ قال: يا رب، من يشبع من فضلك؟ [٥] وهذا أمر مركوز فى الطباع، فإذا قصد به الخير كان خيراً محضاً.

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل بالعلم، وقوله: إن اللّه عز و جل نهى عباده عن جمع المال، وأن رسول اللّه ﷺ نهى أمته عن جمع المال. فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع، أو عن جمعه من غير حله.

وما ذكره من حديث كعب، وأبى ذر فمحال من وضع الجهال، وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم. وقد روى بعض هذا، وإن كان طريقه لا يثبت. وبإسناد عن مالك بن عبد اللّه الزيادى عن أبى ذر أنه جاء يستأذن على عثمان، فأذن له وبيده عصاه، فقال عثمان: يا كعب، إن عبد الرحمن توفى، وترك مالا، فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق اللّه تعالى فلا بأس. فرفع أبو ذر عصاه، فضرب كعباً، وقال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل منى، أذر خلفى ست أواقى». أنشدك باللّه يا عثمان، أسمعت هذا؟ ثلاث مرات. قال: نعم.[٦]

---

(١) حُضر فرسه: الحضار ضرب من عدو الدواب.
(٢) **(ضعيف)** ـ رواه أبو داود (٣٠٧٢) وأحمد (٢ / ١٥٦) والبيهقى (٦ / ١٤٤) وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف أبى داود» (٦٧٣).
(٣) رواه مطولاً ابن أبى الدنيا فى (صلاح المال ٥٤).
(٤) قلت: لم يصرح القرآن ولا السنه باسمه، بل هو رجل صالح كما ذهب إلى ذلك شيخ الاسلام فى كتاب «الرسائل والمسائل».
(٥) **(صحيح)** ـ أخرجه البخارى (٢٧٩ـ ٣٣٩١ـ ٧٤٩٣) وأحمد (٢ / ٣١٤) والبغوى (٢٠٢٧) وغيرهم عن أبى هريرة ولفظه: «بينما أيوب يغتسل عرياناً ...» الحديث.
(٦) رواه أحمد (١ / ٦٣) وأبو يعلى. وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠ / ٢٣٩) فيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح .
قال الحافظ فى «المطالب» (١ / ٢٤٨): وفى الصحيح دون القصه ودون قول عثمان أنه سمعه قلت: رواه البخارى (١٤٠٨) عن أبى ذر، والبخارى (٢٣٨٩) عن أبى هريرة مرفوعاً «لو كان لى مثل أحدٍ ذهب أن لا يمر علىَّ ثلاث وعندى منه شئ إلا شئ أرصده لدين».

قال المصنف: وهذا الحديث لا يثبت، وابن لهيعة مطعون فيه. قال يحيى: لا يحتج بحديثه. والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفى سنة اثنتى وثلاثين، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين. ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع. ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم: إنا نخاف على عبد الرحمن، أو ليس الإجماع منعقداً على إباحة جمع المال من حله، فما وجه الخوف مع الإباحة، أو يأذن الشرع فى شئ ثم يعاقب عليه، هذا قلة فهم وفقه، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسر سير الصحابة، فإنه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار الحمل. وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف. وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفاً. وأكثر الصحابة كسبوا الأموال، وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد.

وأما قوله: إن عبد الرحمن يحبوا حبواً يوم القيامة. فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث، أو كان هذا مناماً وليس هو فى اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة، أفترى من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة؟! ومن أهل بدر المغفور لهم، ومن أصحاب الشورى؟! ثم الحديث يرويه عمارة بن ذاذان، وقال البخارى: ربما اضطرب حديثه.

وقال أحمد: يروى عن أنس أحاديث مناكير. وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، وقال الدارقطنى: ضعيف، أخبرنا ابن الحصين مرفوعاً إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتاً فى المدينة. فقالت: ما هذا؟ فقالوا: عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شئ. قال: وكانت سبعمائة بعير، فارتجت المدينة من الصوت، فقالت عائشة رضى الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً. فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال: إن استطعت لأدخلنها قائماً. فجعلها بأقتابها وحمالها فى سبيل الله عز وجل.(١)

---

(١) **(منكر)** - رواه أحمد (٦ / ١١٥) والبزار (٢٥٨٦) والمؤلف فى «الموضوعات» (٢ / ١٣) وذكره السيوطى فى «الآلى» (١ / ٤١٢- ٤١٣) وذكر طرقه وتكلم عليها بما يفيد رد هذا الحديث، والله أعلم. ثم إذا كان عبد الرحمن بن عوف سيدخل الجنة حبواً وهو من المبشرين بالجنة، فكيف بمن دونه بكثير جداً، كيف بنا؟ اللهم إنى أبرأ من واضع هذا الحديث على هذا الصحابى الجليل .

وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه. ليس كذلك، بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء. والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ: «من أسف على دنيا فاتته» إلخ محال، ما قاله رسول الله ﷺ قط. وقوله: هل تجد فى دهرك حلالا. فيقال له: وما الذى أصاب الحلال والنبى ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام بين»(١) أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ما تقلبت فى شبهة، هذا يبعد، وما طولبنا به. بل لو باع المسلم يهودياً كان الثمن حلالا بلا شك. هذا مذهب الفقهاء، وأعجب لسكوت أبى حامد، بل لنصرته ما حكى وكيف يقول إن فقد المال أفضل من وجوده، وإن صُرف إلى الخيرات؟ ولو ادعى الإجماع على خلاف هذا لصح، ولكن تصوفه غير فتواه. وعن المروزى(٢) قال: سمعت رجلاً يقول لأبى عبد الله(٣): إنى فى كفاية فقال: الزم السوق تصل به الرحم، وتعود المرضى.

وقوله: ينبغى للمريد أن يخرج من ماله. قد بينا أنه إن كان حراماً، أو فيه شبهة، أو إن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه. وإلا فلا وجه لذلك، وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب.(٤)

وأما الأنبياء فقد كان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال، ولشعيب ولغيره، وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول: لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه، ويصون به عرضه ويصل به رحمه، فإن مات تركه ميراثاً لمن بعده(٥) وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار، وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة. وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين، وكان يقول: المال فى هذا الزمان سلاح(٦). وما زال السلف يمدحون المال،(٧) ويجمعونه للنوائب، وإعانة الفقراء، وإنما تجافاه قوم منهم إيثارا للتشاغل بالعبادات، وجمع الهمم، فقنعوا باليسير، ولو قال هذا القائل: إن التقلل منه أولى قرب الأمر، ولكنه زاحم به مرتبة الإثم.

---

(١) (صحيح) ـ رواه البخارى (٥٢ـ٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وأبو داود (٣٣٢٩، ٣٣٣٠) والترمذى (١٢٠٥) والنسائى (٧/٢٤١) وابن ماجه (٣٩٨٤) والدارمى (٢٥٣١) والطحاوى «مشكل» (١/٣٢٣) وأبو الشيخ فى «الأمثال» (٢٦٠) والبيهقى (٥ / ٢٦٤) وفى «الشعب» (٥٣٥٦) وأحمد (٤ / ٢٧١).

(٢) فى جميع النسخ المروزى.

(٣) فى الأصل: عبيد، والصواب ما أثبتناه.

(٤) الكلام على ثعلبه وما جاء عنه تقدم فى ص٢١٨

(٥) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٢ / ١٣٣).

(٦) رواه ابن أبى الدنيا فى إصلاح المال (٧٩).

(٧) راجع كتاب إصلاح المال لابن أبى الدنيا فقد أجاد فيه وأفاد رحمه الله تعالى.

الصبر على الفقر والمرض

واعلم أن الفقر مرض، فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء(١) والمال نعمة، والنعمة تحتاج إلى شكر، والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد، والفقير كالمعتزل فى زاوية. وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب (سنن الصوفية) باب كراهية أن يخلف الفقير شيئاً. فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة، وخلف دينارين. فقال رسول الله ﷺ: «كيتان» (٢).

قال المصنف: وهذا احتجاج من لا يفهم الحال، فإن ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء فى أخذ الصدقة، وحبس ما معه فلذلك قال: «كيتان» ، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد: «إنك إن تذرْ ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»(٣) ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئاً، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى. فقال رسول الله ﷺ: وما أبقيت لأهلك»؟ فقلت: مثله(٤) فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى: وفى هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهلة المتصوفة أن ليس للإنسان إدخار شئ فى يومه لغده، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه، ولم يتوكل عليه حق توكله. قال ابن جرير: وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «اتخذوا الغنم فإنها بركة»(٥)

---

(١) عن ابن عمرو مرفوعاً ـ «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً» رواه مسلم وأحمد ـ ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعاً «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام» وهو فى «صحيح الجامع» (٤٢٢٨).

(٢) رواه أحمد (٢٥٢/٥، ٢٥٨) والطبرانى فى «الكبير» (٨٠١١، ٧٥٧٤، ٧٥٧٣) والبيهقى فى «الشعب» (٣٢٣٨). وقال الهيثمى فى «المجمع» (٢٤٠/١٠) رواه أحمد بأسانيد رجال بعضها رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وقد وثق. وله شاهد من حديث أبى هريرة نحوه ـ إلا أنه قال: «ثلاثة كيات» رواه أحمد (٣٢٩/٢) والبيهقى فى «الشعب» (٣٢٣٩) وشاهد من حديث على رواه البيهقى فى «الشعب» (٣٢٤٠) وأحمد (١٠١/١) والبخارى فى «التاريخ» (١٤٠/١/٢) والحديث صحيح بطرقه إن شاء الله.

(٣) سبق ذكره.

(٤) **(صحيح)** ـ رواه أبو داود (١٦٧٨) والترمذى (٣٦٧٥) والحاكم (٤١٤/١) وابن أبى عاصم (١٢٤٠) وابن عساكر (٦٤/٣٠) والبيهقى (١٨١/٤) وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح أبى داود» (١٤٧٢).

(٥) **(صحيح)** ـ رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٤ / ٤٢٦ / ١٠٣٩ـ١٠٤٠) وابن ماجه (٢٣٠٤) والخطيب فى «التاريخ» (١١/٧) و (٢٠٢/٨) وروى أحمد نحوه وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحه» (٧٧٣).

فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شئ عنده من عين، ولا عرض ويمسى كذلك، ألا ترى كيف ادخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة(١)؟.

فصـــل

وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة، ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون، وهذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع، والعاقل يعد للمستقبل، وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه. والحديث بإسناد عن جابر بن عبد الله قال: قدم أبو حصين السلمى بذهب من معدنهم، فقضى ديناً كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت. قال: فجاءه عن يمينه فأعرض عنه، ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه، ثم جاءه من بين يديه، فنكس رسول الله ﷺ رأسه. فلما أكثر عليه أخذها من يديه، فحذفه بها لو أصابته لعقرته، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به، ثم يقعد فيتكفف الناس، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول». وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال: يارسول الله، أصبت هذه من معدن، فخذها فهى صدقة، ما أملك غيرها. فأعرض عنه رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن، فقال مثل ذلك فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ. ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأقصعه أو لعقرته. فقال رسول الله ﷺ: «يأتى أحدكم بما يملك فيقول: هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» وفى رواية أخرى: «خذ عنا مالك لا حاجة لنا به».(٢)

---

(١) روى البخارى (٤٠٣٤) ومسلم (١٧٥٧) وعبد الرزاق (٩٧٧٢) والبغوى (٢٧٣٨) وأحمد (١ / ٢٥) أن عمر بن الخطاب دعاه إذ جاءه حاجبه .. وفيه .. فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقى فجعله مجعل مال الله ...الحديث.

(٢) (**ضعيف**) ـ رواه أبو داود (١٦٧٣، ١٦٧٤) والدارمى (١٦٥٩) والحاكم (٤١٣/١) والبيهقى (١٥٤/٤) وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف أبى داود» (٣٦٩ ـ٣٧٠).

وروى أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا. فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة. فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: «خذ ثوبك».(١)

قال المصنف: ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل: قال: قال: ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلى، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله ما لاً ينفقه عليهم، فرد الرسول وقال يا أبا بكر، أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه. فقال للرسول: ارجع إليه وقل له: الدنيا سفلة، اطلبها من سفلة مثلك، واطلب الحق من الحق. فبعث إليه بمائة دينار. قال ابن عقيل: إن كان أنفذ إليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق، وأطعم أضيافه منه.

فصـــل

وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها، وقال: ما أريد أن تكون ثقتى إلا بالله، وهذا قلة فهم؛ لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب، وإخراج الأموال.

أخبرنا القزاز قال: أخبرنا الخطيب قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: أنبأنا جعفر الخلدى فى كتابه قال: سمعت الجنيد يقول: دققت على أبى يعقوب الزيات بابه فى جماعة من أصحابنا . فقال: ما كان لكم شغل فى الله عز وجل يشغلكم عن المجئ إلىّ، فقلت له: إذا كان مجيئنا (٢) إليك شغلنا به فلم ننقطع عنه فسألته عن مسألة فى التوكل فأخرج درهماً كان عنده ثم أجابنى، فأعطى التوكل حقه ثم قال: استحييت من الله أن أجيبك وعندى شئ.(٣)

قال المصنف: لو فهم هؤلاء معنى التوكل، وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا إخراج صور المال، ما قال هؤلاء هذا الكلام، ولكن قل فهمهم، وقد كان سادات

---

(١) (إسناده حسن) ـ أخرجه أبو داود (١٦٧٥) والترمذى (٥١١) والنسائى (٣/١٠٦ـ ١٠٧) و (٥/٦٣) وابن حبان (٨٤٠) موارد ـ والحاكم (١ / ٤١٣ـ ٤١٤) وأحمد (٣ / ٢٥) وحسنه الألبانى فى «صحيح أبى داود» (١٤٦٩).

(٢) فى النسخة المحققة: مجيئاً والتصحيح من نسخة بيروت.

(٣) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١٠ / ٢٢٣) ومن طريقه الخطيب فى «التاريخ» (١٤ / ٤٠٨).

الصحابة والتابعين يتجرون، ويجمعون الأموال، وما قال مثل هذا أحد منهم، وقد روينا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة: فمن أين أطعم عيالى. وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل، وكذلك ينكرون على من قال: هذا الطعام يضرنى. وقد رووا فى ذلك حكاية عن أبى طالب الرازى قال: حضرت مع أصحابنا فى موضع فقدموا اللبن، وقال لى كل. فقلت: لا آكله، فإنه يضرنى. فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوماً خلف المقام، ودعوت الله عز وجل وقلت: اللهم، إنك تعلم أنى ما أشركت بك طرفة عين. فسمعت هاتفاً يهتف بى ويقول ــ ولا يوم اللبن.

قال المصنف: وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها ــ واعلم أن من يقول: هذا يضرنى، لا يريد أن يفعل ذلك الضرر بنفسه، وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾[إبراهيم:٣٦].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما نفعنى مال كمال أبى بكر»[(١)] وقوله: ما نفعنى مقابل لقول القائل: ما ضرنى. ويصح عنه أنه قال: «ما زالت أكلة خيبر تعادّنى فهذا أوان قطعت أبهرى»[(٢)].

وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة، وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام فالتحاشى عن سلوك طريقته ﷺ[(٣)] تعاط على الشريعة، فلا يلتفت إلى هذيان من هذى فى مثل هذا.

زهد الصوفية فى المال

قال المصنف: وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهداً فيها.

---

(١) سبق
(٢) أخرجه البخارى (٤٤٢٨) عن عائشه ولفظه: ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم.
(٣) فى النسخ الموجودة (طريقة) والصحيح ما أثبتناه من ناحية اللغة والسياق.

وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل. كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل. فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا، وجمع المال من أى وجه كان: إيثاراً للراحة، وحباً للشهوات. فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل، ويجلس فى الرباط، أو المسجد، ويعتمد على صدقات الناس، وقلبه معلق بطرق الباب، ومعلوم أن «**الصدقة لا تحل لغنى، ولا لذى مرة سوى**»[١]، ولا يبالون من بعث إليهم، فربما بعث الظالم، والماكس فلم يردوه، وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك ـ (بالفتوح) ومنها: إن رزقنا لا بد أن يصل إلينا. ومنها (إنه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه). وهذا كله خلاف الشريعة، وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه. فإن النبى ﷺ قال: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس: فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه، وعرضه»[٢]وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة.

وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم، ولا ممن فى ماله شبهة. وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان: عفافاً، وتنزهاً. وعن أبى بكر المروزى قال: ذكرت لأبى عبد الله رجلا من المحدثين، فقال: رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة. ثم سكت. ثم قال: ليس كل الخلال يكملها الرجل. فقلت له: أليس كان صاحب سنة؟ فقال: لعمرى لقد كتبت عنه، ولكن خلة واحدة: كان لا يبالى ممن أخذ.

قال المصنف: ولقد بلغنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة، فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله. فقال الأمير: كلنا صيادون، وإنما الشباك تختلف. ثم أين هؤلاء من

---

(١) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٣٧٧/٢) وأبو داود (١٦٣٤) والترمذى (٦٥٢) والطيالسى (٢٢٧١) وعبد الرزاق (٧١٥٢) والدارمى (١٦٤٦) وابن الجارود (٣٦٣) والطحاوى «معانى» (١٤/٢) وابن أبى شيبة (٢٠٧/٣) وأبو عبيدة فى «الأموال» (١٧٢٦) والدار قطنى (١١٩/٢) والقضاعى (٨٨٤) والحاكم (٤٠٧/١) والبيهقى (١٣/٧) والبغوى (١٥٩٩). وله شاهد من حديث أبى هريرة: رواه أحمد (٣٧٧/٢) والنسائى (٥ / ٩٩) وابن ماجه (١٨٣٩) وابن خزيمة وابن الجارود. (٣٦٤) والقضاعى (٨٨٥) والطحاوى «معانى» (٢ / ١٤) والدار قطنى (٢ / ١٨٨) وابن حبان (٨٠٦) والحاكم (٤٠٧/١) والبيهقى (١٤/٧) وأبو نعيم (٣٠٨/٨). ورواه أحمد (٥٦/٣) وأبو داود (١٦٢١) وابن ماجه (١٨٤١) وعبد الرزاق (٧١٥١) وابن الجارود (٣٦٥) والحاكم (١ / ٤٠٧) والبيهقى (١٤/٧). وصححه الشيخ الألبانى فى «الارواء» (٨٧٧) وفى «صحيح الجامع» (٧٢٠٥١).

(٢) سبق

الأنفة من الميل للدنيا، فإن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[١] - واليد العليا هي المعطية. هكذا فسره العلماء، وهو الحقيقة، وقد تأوله بعض القوم، فقال: العليا هي الآخذة. قال ابن قتيبة: ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال.

فصـــل

قال المصنف: ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون في حصول الأموال من أي وجه، ويفتشون عن مطاعمهم، وسئل أحمد بن حنبل عن السرى السقطي، فقال: الشيخ المعروف بطيب المطعم. وقال السرى: صحبت جماعة إلى الغزو فاكترينا داراً، فنصبت فيها تنوراً، فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور. فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا، من كونهم لا يبالون من أين أخذوا؛ فإنه يعجب. ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي: قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه، وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة، فقلت: ويحكم! ما كفاكم أن فتحتم الدكن[٢] حتى تطوفون على رءوسكم بالسلع، يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولاً على الصدقات، والصلات، ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان، ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة، فيستعطي منهم، ويهنئهم بملبوس لا يحل، وولاية لا عدل فيها، والله إنكم أضر على الإسلام من كل مضر.

فصـــل

قال المصنف: وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون: فمنهم من يدعي الزهد مع كثرة المال، وحرصه على الجمع، وهذه الدعوى مضادة للحال. ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال، وأكثر هؤلاء يضيقون على

---

(١) (صحيح) - رواه البخاري (١٤٢٧، ٥٣٥٥،١٠٣٣، ١٠٣٦، ١٠٤٣) ومسلم (١٠٣٣، ١٠٣٦) وأبو داود (١٦٤٨، ١٦٧٦) والترمذي (٦٨٠، ٢٣٤٢) والنسائي (٥ / ٦٢، ٦٩) والدارمي (١٦٥١) وعبد الرزاق (١٦٤٠٤) وابن خزيمة (٢٤٣٦، ٢٤٣٩) والبخاري في «الأدب المفرد» (١٩٦) والطبراني في «الكبير» (٧٦٢٥، ٧٦٢٦) وأبو الشيخ في «الأمثال» (٩٩) وابن حبان (٣٣٥٢) والحاكم (١ / ٤٠٨) والبيهقي في «الشعب» (٣١٤٦) والسنن (٤٦٦/٧) والبغوي (١٦٧٤) وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٢٧٨، ٣٩٤)

(٢) الدكن - بكسر الدال هي جمع دكان وتجمع على دكاكين.

الفقراء بأخذهم الزكاة، ولا يجوز لهم ذلك، وقد كان أبو الحسن البسطامى شيخ رباط بن المجيان يلبس الصوف: صيفاً،وشتاء، وتقصده الناس يتبركون به فمات، فخلف أربعة آلاف دينار.

قال المصنف: وهذا فوق القبيح، وقد صح عن النبى ﷺ أن رجلاً من أهل الصفة مات، فخلف دينارين فقال ﷺ «كيتان».(١)

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى لباسهم

قال المصنف: لما سمع أوائل القوم أن النبى ﷺ كان يرقع ثوبه (٢)، وأنه قال لعائشة رضى الله عنها «لا تخلعى ثوباً حتى ترقعيه»(٣). وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع (٤)، وأن أويسا القرنى كان يلتقط الرقاع من المزابل، فيغسلها فى الفرات ثم يخيطها، فيلبسها؛ اختاروا المرقعات وقد أبعدوا فى القياس، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة (٥)، ويعرضون عن الدنيا زهداً، وكان أكثرهم يفعل هذا

---

(١) **(صحيح)** ـ وقد سبق فى ص ٢٢٤ رقم ٢ .

(٢) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٦ / ١٠٦، ١٢١، ١٢٦، ١٦٧، ٢٤٢، ٢٦٠) وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ (١ / ٦٢) وابن حبان (٧ / ٤٧٥) وابن سعد (١ / ٢٧٥) عن عائشه وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٤٩٣٧).

(٣) روى الترمذى (١٧٨٠) والحاكم (٤ / ٣١٢) وابن سعد فى «الطبقات» (٨ / ٥٢١١) وابن أبى الدنيا فى «ذم الدنيا» وابن عدى (٤ / ٥٢) والبغوى (٣١١٥) وفى إسناده صالح بن حسان وهو متروك، وضعفه الشيخ الألبانى فى «الضعيفه» (١٢٩٤).

(٤) عن أنس قال: «نظرت فى قميص عمر رضوان الله عليه فإذا بين كتفيه أربع رقاع لا يشبه بعضها بعضاً» أخرجه مالك (٩١٨) وابن المبارك فى «الزهد» (٥٨٨) وهناد فى «الزهد» (٧٠١) وابن سعد (٢٤٩/٣) وأبو داود فى «الزهد» (٥٨) وابن أبى شيبة (١٣ / ٢٤٣) وإسناده صحيح.
وروى نحوه ابن جرير (٣٠ / ٦١ ـ ٦٢) وابن أبى شيبة (١٠ / ٥١٢، ٥١٣) وابن سعد (٢ / ٢٤٩) والحاكم (٢ / ٥١٤) والبيهقى فى «الشعب» (٢٠٨٤) وزاد فيه «نقراً وفاكهة وأبا» رقال الحاكم صحيح على شرطهما ووافقه الذهبى .

(٥) عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «البذاذة من الإيمان، البذاذة من الإيمان، البذاذة من الإيمان». رواه أبو داود (٤١٦١) وابن ماجه (٤١١٨) والقضاعى (١٥٧) وأحمد فى «الزهد» (ص٧) والطبرانى فى «الكبير» (٧٩٠، ٧٨٨، ٧٨٩) والطحاوى «مشكل» (١ / ٤٧٨) والحاكم (١ / ٩) والبيهقى فى «الشعب» وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٣٤١) والبذاذة: رثاثة الهيئة، أى التواضع فى اللباس وترك التبجح به.

لأجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز وعليه قميص و سخ فقال لامرأته فاطمة: اغسلى قميص أمير المؤمنين. فقالت: والله ماله قميص غيره. فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة، فما له من معنى.

الزهـد فى اللبـاس

قال المصنف: فأما صوفية زماننا فإنهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة: كل واحد منها على لون، فيجعلوها خرقاً، ويلفقونها، فيجمع ذلك الثوب وصفين: الشهرة(١)، والشهوة. فإن لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج، وبها يشتهر صاحبها أنه من الزهاد، افتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف، كذا قد ظنوا، وإن إبليس قد لبس عليهم، وقال: أنتم صوفية؛ لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات، وأنتم كذلك أتراهم ما علموا أن التصوف معنى لا صورة، وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فى الصورة والمعنى، أما الصورة فإن القدماء كانوا يرقعون ضرورة، ولا يقصدون التحسن بالمرقع، ولا يأخذون أثواباً جدداً مختلفة الألوان، فيقطعون من كل ثوب قطعة، ويلفقونها على أحسن التوقيع، ويخيطونها، ويسمونها مرقعة، وأما عمر رضى الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون، والرهبان عن أمير المسلمين، فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبى عبيدة، وخالد بن الوليد وغيرهما، فقالوا: ليس هذا المصور عندنا، ألكم أمير أو لا. فقالوا: لنا أمير غير هؤلاء. فقالوا: هو أمير هؤلاء؟ قالوا: نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقالوا: أرسلوا إليه ننظره، فإن كان هو سلمنا إليكم من غير قتال، وإن لم يكن هو فلا، فلو حاصرتمونا ما تقدرون علينا فأرسل المسلمين إلى عمر رضى الله عنه وأعلموه بذلك، فقدم عليهم، وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة، بينها رقعة من أديم(٢) ، فلما رأوه الروحانية والقساوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس إليه من غير قتال، فأين هذا مما يفعله جهال الصوفية فى زماننا، فنسأل الله العفو والعافية، وأما المعنى فإن أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد(٣)

---

(١) عن ابن عمر مرفوعاً «من لبس ثوب شُهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة».
رواه أحمد وأبو داود (٤٠٤٩) وابن ماجه (٣٦٠٦، ٣٦٠٧) والبغوى (٣١١٦) وله شاهد من حديث أبى ذر - نحوه - رواه ابن ماجه (٣٦٠٨) وصحح الحديث الشيخ الألبانى.
(٢) الأديم : الجلد.
(٣) راجع مناقب عمر بن الخطاب للمؤلف.

فصــــل

قال المصنف: ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب، ويلوح بكمه حتى يرى لباسه، وهذا لص ليلى. ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده، ثم يلبس الصوف فوقها، وهذا لص نهارى مكشوف، وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية، وصعب عليهم البذاذة، وأحبوا التنعم، ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش؛ فلبسوا الفوط الرفيعة، واعتموا بالرومى الرفيع إلا أنه بغير طراز، فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير.

وقد لبس إبليس عليهم إنكم صوفية بنفيس النفس. وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف، وتنعم أهل الدنيا. ومن علاماتهم مصادفة الأمراء، ومفارقة الفقراء:كبراً، وتعظيماً. وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول: يا بنى إسرائيل، ما لكم تأتوننى، وعليكم ثياب الرهبان، وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى. البسوا لباس الملوك، وألينوا قلوبكم بالخشية.

وأخبرنا محمد بن أبى القاسم قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، ثنا أحمد بن جعفر بن معبد، ثنا يحيى بن مطرف، ثنا أبو ظفر، ثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال: إن من الناس ناساً إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم، وإذا لقوا الجبابرة،وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم،فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم.(١)

أخبرنا محمد، نا حمد، نا أبو نعيم، ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه، ثنا أحمد بن محمد اللالى، ثنا أبو حاتم، ثنا هدبة، ثنا حزم، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إنكم فى زمان أشهب، لا يبصر زمانكم إلا البصير. إنكم فى زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم، فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شباكهم.(٢)

---

(١) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٢ / ٣٦٣) .
(٢) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٢ / ٣٦٣) .

أخبرنا المحمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى مهنى الشامى، ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال: نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد، فجلس إليه، فقال له: هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئاً وتكون معهم. قال: ما شئت يا أبا يحيى. قال: فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه.(١) أخبرنا المحمدان قالا: نا حمد، نا أحمد، ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابى، ثنا هشام بن على السيرافى، ثنا قطن بن حماد بن واقد، ثنا أبى، ثنا مالك بن دينار، قال: كان فتى يتفرى فكان يأتينى، فابتلى، فولى الجسر فبينما هو يصلى إذ مرت سفينة فيها بط، فنادى بعض أعوانه: قرب لنأخذ لعامل بطة. فأشار بيده: سبحان الله أى بطتين. قال فكان أبى إذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء.(٢)

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا ابن باكوية قال: سمعت محمد بن خفيف يقول: قلت لرويم: أوصنى. فقال: هو بذل الروح، وإلا فلا تشتغل بترهات(٣) الصوفية.

أخبرنا ابن ناصر، نا أبو عبد الله الحميدى، نا أبو بكر أحمد بن محمد الأردستانى، ثنا عبد الرحمن السلمى قال: سمعت أبى يقول: بلغنى أن رجلاً قال للشبلى: قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات، والفوط فأنشد يقول:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحى غير نسائها

قال المصنف رحمه الله: قلت: واعلم أن هذه البهرجة فى تشبيه هؤلاء بأولئك لا تخفى إلا على كل غبى فى الغاية . فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تنميس بارد، والأمر فى ذلك على نحو قول الشاعر:

تشبهت حور الظباء بهم ... أن سكنت فيك ولا مثل سكن
صامت بناطق ونافر ... بآنس وذو خلا بذى شجن
مشتبه أعرفه وإنما ... مغالطا قلت لصحبى دار من

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد فى « زوائد الزهد » (٢ / ٣١٢).
(٢) رواه أبو نعيم (٢ / ٣٨٢ ، ٣٨٣) .
(٣) ترهات : أباطيل .

لبس الفوط المرقعات

قال المصنف: وإنما أكره لبس الفوط والمرقعات لأربعة أوجه:

أحدها: أنه ليس من لباس السلف و إنما كان السلف يرقعون ضرورة .

والثاني: أنه يتضمن إدعاء الفقر، وقد أُمر الإنسان أن يظهر نعمة الله عليه.[١]

والثالث: أنه إظهار للزهد، وقد أُمرنا بستره.

والرابع: أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وقد أخبرناابن الحسين، نا بن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا أبو النصر، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، ثنا حسان بن عطية عن أبى منيب الحرسى عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[٢] وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال: أخبرنى أبى، قال: لما دخلت بغداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبد الله بن أحمد السكرى لأقرأ عليه أحاديث ـ وكان من المنكرين على هذه الطائفة، فأخذت فى القراءة فقال: أيها الشيخ إنك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك . أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى فى طلبه. فقلت: أيها الشيخ، وأى شئ أنكرت علىّ حتى أنظر فإن كان له أصل فى الشريعة لزمته،وإن لم يكن له أصل فى الشريعة تركته.فقال: ما هذه الشوازك[٣] التى فى مرقعتك؟ فقلت: أيها الشيخ، هذه

---

(١) روى أحمد (٣ / ٤٧٣) وأبو داود (٤٠٦٣) والترمذى (٢٠٠٧) والنسائى (٨ / ١٩٦) والبغوى (٣١١٨) عن الأحوض الجشمى عن أبيه قال: رآنى النبى ﷺ وعلىّ أطمار قال: هل لك من مال؟ قلت: نعم، قال من أى المال؟ قال: قلت: من كلٍّ قد أتانى الله من الشاء والإبل، قال: «فلير نعمة الله وكرامته عليك» وهو صحيح . وروى الترمذى (٢٨٢٠) وغيره عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» وإسناده حسن.

(٢) روى أحمد (٢ / ٥٠ ـ ٩٢) وعبد بن حميد (٨٤٨) والطحاوى «مشكل» (١ / ٨٨) وابن عساكر (١٩ / ٦٩ / ١) عن ابن عمر مرفوعاً «بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم» وحسنه الألبانى فى «الإرواء» (١٢٦٩) . وأما الجملة التى ذكرها المؤلف: فقد علقها البخارى (٦ / ٧٢) ووصلها أبو داود (٤٠٣١) . وقد رواه القضاعى (٣٩٠) عن طاووس وفيه انقطاع.

(٣) الشوزاك: الحرير أو نوع منه مصبوغ.

أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول اللهﷺ كان له جُبَّةٌ مَكْفُوفَةٌ الجيب والكمين والفرجين بالدِّيباج(١) ، وإنما وقع الإنكار لأن هذه الشوازك ليست من جنس الثوب، والديباج ليس من الجبة فاستدللنا بذلك على أن لهذا أصلا فى الشرع يجوز مثله.

قال المصنف: قلت لقد أصاب السكرى فى إنكاره، وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فإن الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة فى لبسها فأما الشوازك فتجمع شهرة الصورة، وشهرة دعوى الزهد، وقد أخبرتك أنهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد؛ ولهذا وقعت الكراهية. وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى، نا أبو سعد بن أبى صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه قال: سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول: سمعت الحسين ابن هند يقول: سمعت جعفر الحذاء يقول: لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر، وتزيينها يعنى بذلك ـ أصحاب المصبغات والفوط.

أخبرنا ابن حبيب، نا ابن أبى صادق، ثنا ابن باكويه، أخبرنا أبو يعقوب الخراط، قال: سمعت الثورى يقول:كانت المرقعات غطاء على الدر، فصارت جيفاً على مزابل.

قال ابن باكويه: وأخبرنى أبو الحسن الحنظلى، قال: نظر محمد بن محمد ابن على الكتانى إلى أصحاب المرقعات، فقال: إخوانى إن كان لباسكم موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها، وإن كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة.

أخبرنا محمد بن ناصر، أنبأنا أبو بكر بن خلف، ثنا محمد بن الحسين السلمى. قال سمعت نصر بن أبى نصر يقول: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه: لا يعجبنك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن. وقال ابن عقيل: دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بفوط، فقلت للحمامى: أرى سلخ الحية، فمن داخل . فذكر لى بعض من يتصفف للبلاء حوشاً للأموال.

---

(١) رواه أحمد (٦ / ٣٤٨ ـ ٣٥٤) والأصبهانى فى أخلاق النبىﷺ (ص١١٠) والبغوى (٣١٠٤) وإسناده حسن.

كثرة ترقيع المرقعة

قال المصنف: وفى الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن على بن ثابت، نا القاضى أبو محمد الحسن بن رامين الأسد آبادى، نا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازى، نا جعفر الخالدى، ثنا بن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكرينى قال: أوصى لى ابن الكرينى بمرقعته فوزنت فردة كم من أكمامها فإذا فيه أحد عشر رطلا، قال جعفر: وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل.

فصل

وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ. وجعلوا لها إسناداً متصلا كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال: (باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ) فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد أن النبىﷺ أتى بثياب فيها خميصة سوداء فقال: «من ترون أكسو هذه»؟ فسكت القوم: فقال رسول اللهﷺ: «ائتونى بأم خالد»، قالت: فأتى بى فألبسنيها بيده، وقال: «أبلى وأخلقى».(١)

قال المصنف: وإنما ألبسها رسول اللهﷺ لكونها صبية، وكان أبوها خالد بن سعيد ابن العاص، وأمها همينة بنت خلف، قد هاجروا إلى أرض الحبشة، فولدت لهما هناك أم خالد، واسمها أمة ثم قدموا؛ فأكرمها رسول اللهﷺ لصغر سنها، وكما اتفق فلا يصير هذا سنة، وما كان من عادة رسول اللهﷺ إلباس الناس، ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم.

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير، ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة، فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد، وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال: باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد

---

(١) أخرجه البخارى (٣٠٧١ ، ٣٨٧٤ ، ٥٨٢٣ ، ٥٨٤٥ ، ٥٩٩٣) وأبو داود (٤٠٢٤) والحاكم (٦٣/٣، ١٨٨/٤) والبغوى (٣١١٣) وأحمد (٦ / ٣٦٤) عن أم خالد بنت خالد بن سعيد .

فى لبس المرقعة. واحتج بحديث عبادة: بايعنا رسول اللهﷺ على السمع والطاعة: فى العسر واليسر[١] قال المصنف: فانظر إلى هذا الفقه الدقيق، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول اللهﷺ الواجب الطاعة على البيعة الإسلامية اللازمة.

فصــــل

وأما لبسهم المصبغات. فإنها إن كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض، وإن كانت فوطاً فهو ثوب شهرة، وشهرته أكثر من شهرة الأزرق، وإن كانت مرقعة فهى أكثر شهرة، وقد أمر الشرع بالثياب البيض، ونهى عن لباس الشهرة. فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن على التميمى، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنى أبى، ثنا على بن عاصم، نا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول اللهﷺ: «البسوا من ثيابكم البيض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم»[٢]. قال عبد الله: وحدثنى أبى، ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان، ثنى حبيب بن أبى ثابت، عن ميمون بن أبى شبيب، عن سمرة بن جندب، عن النبىﷺ، قال: «البسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم». قال الترمذى: هذان حديثان صحيحان[٣]. وفى الباب عن ابن عمر، قال: وهذا الذى يستحبه أهل العلم. وقال أحمد بن حنبل وإسحاق: أحب الثياب إلينا أن نكفن فيها البياض.

وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال: (باب السنة فى لبسهم المصبغات)، واحتج بأن النبى صلوات الله عليه وسلامه لبس حلة حمراء[٤]، وأنه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء.[٥]

---

(١) رواه البخارى (٧٠٥٦) و (٧١٩٦، ٧٢٠٠) ومسلم (١٧٠٩) والنسائى (١٣٨/٧، ١٤٢) وابن ماجه (٣٨٦٦) والدارقطنى (٤٠١/٢١٥/٣) وابن حبان (٤٠/٧) والحاكم (٣٥٦/٣) والبيهقى (٦٤٥/٨، ١٥٨/١٠) والبغوى (٢٤٥٩) وأحمد (٥ / ٣١٦، ٤٤١، ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩).

(٢) **(صحيح)** ـ رواه عبد الرزاق (٦١٩٨، ٦١٩٩، ٦٢٠١) والطبرانى فى «الكبير» (١٢٤٢، ١٢٤٨٥، ١٢٤٨٦، ١٢٤٨٧، ١٢٤٨٨، ١٢٤٨٩) وأبو داود (٣٨٧٨) والترمذى (٩٣٤) والنسائى وابن ماجه (١٤٧٢) والحاكم (١ / ٣٥٤) والبيهقى (٥ / ٣) وهو فى صحيح الجامع (١٢٣٦).

(٣) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٥ / ١٣ ـ ٢٠) والترمذى (٢٨١١) والنسائى (٤ / ٣٤) وابن ماجه والبغوى (٣٠٨٧) والحاكم وهو فى «صحيح الجامع» (١٢٣٥) وكلاهما عن سمرة.

(٤) رواه البخارى (٣٥٥١ ـ ٥٨٤٨) ومسلم (٢٣٣٧) وأبو داود (٤٠٧٢) والترمذى (٣٧٢٤) والبغوى (٣٠٨٩) عن البراء بن عازب «رأيت النبى فى حلة حمراء».

(٥) أخرج مسلم (١٣٥٨) وأبو داود (٤٠٧٦) والترمذى (١٧٣٥) وأحمد (٣ / ٣٦٣ ـ ٣٨٧) عن جابر ابن عبد الله أن النبىﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء. وروى مسلم (١٣٥٩) عن عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء.

قال المصنف: قلت: ولا ينكر أن رسول الله ﷺ لبس هذا، ولا أن لبسه غير جائز، وقد روى أنه كان يعجبه الحبرة [١]، وإنما المسنون الذى يأمر به، ويداوم عليه، وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر، فأما الفوط والمرقع فإنه لبس شهرة.

النهى عن لباس الشهرة وكراهته

وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته، فأخبر أبو منصور بن خيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدى، ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمى، ثنا روح بن عبد المؤمن، ثنا وكيع بن محرز الشامى، ثنا عثمان بن جهم، عن زر بن حبيش، عن أبى ذر، عن النبى ﷺ أنه قال: «من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه» [٢].

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، نا أبو الفرج الحسين بن على الطناجيرى، وأنبأنا هبة الله بن محمد، أنبأنا الحسين بن على التميمى قالا: أخبرنا أبو حفص بن شاهين، ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة، ثنا محمد بن الهيثم، ثنا أحمد بن أبى شعيب الحرانى، ثنا مجلد بن يزيد، عن أبى نعيم، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة، وزيد بن ثابت رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه نهى عن الشهرتين فقيل: يا رسول الله، وما الشهرتان قال: «رقة الثياب، وغلظها، ولينها، وخشونتها، وطولها، وقصرها، ولكن سداد بين ذلك واقتصاد» [٣].

أخبرنا محمد بن ناصر، نا محمد بن على بن ميمون، نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى، نا أبو بكر بن عبدان، نا محمد بن سهل، ثنا محمد بن إسماعيل البخارى، قال: قال موسى بن حماد بن سلمة، عن ليث، عن مهاجر، عن ابن عمر قال: من لبس ثوباً مشهوراً أذله الله يوم القيامة.

---

(١) روى البخارى (٥٨٠٩) فى كتاب اللباس باب «البُرود والحبر والشَّمْلَة» عن أنس بن مالك قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية ... الحديث.
وروى عن سهل بن سعد (٥٨١٠) قال: جاءت امرأة ببردة قال سهل: هل تدرون ما البُردةُ ؟ قال: نعم، هى الشملة منسوج فى حاشيتها قالت: يارسول الله إنى نسجت هذه بيدى أكسوكها فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها .... الحديث.

(٢) سبق فى ص ٢٣١ رقم ١ .

(٣) رواه البيهقى عن أبى هريرة وقال الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٦٠٥٧) موضوع .

قال المصنف: وقد روى لنا مرفوعاً قال: أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا حجاج، ثنا شريك، عن عثمان بن أبى راشد، عن مهاجر الشامى، عن ابن عمر. قال: قال رسول الله ﷺ: **«من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة»**.(١)

أخبرنا محمد بن ناصر، نا المبارك بن عبد الجبار، وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا: أخبرنا أبو إسحاق البرمكى، نا أبو بكر بن نجيب، ثنا أبو جعفر بن ذريح، ثنا هناد، ثنا أبو معاوية، عن ليث، عن مهاجر بن أبى الحسن، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة. وعن ليث عن شهر، عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وإن كان كريماً.

قال المصنف: وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال: لا تلبس هذا، فإن هذا ثوب شهرة.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، نا إسماعيل بن مسعدة، نا حمزة بن يوسف، نا أبو أحمد ابن عدى، ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى، ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال: حدثنا محمد بن مزاحم، ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن بريدة، عن أبيه بريدة قال: شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر، وكنت فيمن صعد الثلمة(٢)، فقاتلت حتى رأى مكانى، وأتيت، وعلىّ ثوب أحمر، فما علمت أنى ركبت فى الإسلام ذنباً أعظم منه للشهرة(٣). وقال سفيان الثورى: كانوا يكرهون الشهرتين: الثياب الجياد التى يشتهر بها، ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم، والثياب الرديئة التى يحتقر فيها، ويستبذل، وقال معمر: عاتبت أيوب على طول قميصه، فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره.

---

(١) سبق فى ص ٢٣١ رقم ١ .
(٢) الثلمة : الفرجه فى الجدار أو غيره .
(٣) إسناد المؤلف ضعيف جداً محمد بن مزاحم متروك وشيخه لين.

لبس الصوف

قال المصنف: ومن الصوفية من يلبس الصوف، ويحتج بأن النبى ﷺ لبس الصوف. وبما روى فى فضيلة لبس الصوف، فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب(١)، وأما ما يروى فى فضل لبسه فمن الموضوعات التى لا يثبت منها شئ، ولا يخلو لابس الصوف من أحد أمرين: إما أن يكون متعوداً لبس الصوف، وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له؛ لأنه لا يشهر به. وإما أن يكون مترفاً لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين: أحدهما ـ أنه يحمل بذلك على نفسه ما لا تطيق ولا يجوز له ذلك . والثانى ـ أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد.

وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمدانى، نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى، نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة، ثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسن بن إسماعيل الأبهرى، ثنا ابن روزبة، ثنا محمد بن إسماعيل بن محمد الطائى، ثنا بكر بن سهل الدمياطى، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، ثنا داود، ثنا عباد بن العوام، عن عباد بن كثير، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوباً من جرب حتى تتساقط عروقه»(٢).

أنبأنا زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى، ثنا العباس بن منصور، ثنا سهل بن عمار، ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفى، ثنا محمد بن عبيد الهمدانى، ثنى عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن

---

(١) روى البخارى فى كتاب «اللباس» باب «لبس جُبة الصوف فى الغزو» حدث رقم (٥٧٩٩) عن المغيرة قال: كنت مع النبى ﷺ ذات ليلة فقال: «أمعك ماء» قلت: نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عن سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه الإداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطيع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ...» الحديث.

(٢) إسناده مهلهل، ففيه مجاهيل ومتروكين وضعفاء.

عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء».(١)

أخبرنا محمد بن ناصر، نا جعفر بن أحمد، نا الحسن بن على التميمى، ثنا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا عبد الصمد، ثنا خالد بن شوذب قال: شهدت الحسن، وأتاه فرقد، فأخف الحسن بكسائه، فمده إليه، وقال: يا فريقد ابن أم فريقد، إن البر ليس فى هذا الكساء، وإنما البر ما وقر فى الصدر، وصدقه العمل.(٢)

أنبأنا محمد بن عبد الباقى، نا أبو محمد الجوهرى، نا أبو عمر بن حياة، نا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد قال: حدثنا عمرو بن عاصم، ثنا يزيد بن عوانة ثنى أبو شداد المجاشعى، قال: سمعت الحسن، وذكر عنده الذين يلبسون الصوف، فقال: ما لهم تعاقدوا ثلاثاً، أكنوا الكبر فى قلوبهم، وأظهروا التواضع فى لباسهم. والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه.

أنبأنا ابن الحسين، أنبأنا أبو على التميمى، نا أبو حفص بن شاهين، ثنا محمد بن سعيد بن يحيى البزورى، ثنا عبد الله بن أيوب المخرمى قال: حدثنا عبد المجيد يعنى ابن أبى رواد، عن ابن طهمان يعنى إبراهيم، عن أبى مالك الكوفى، عن الحسن أنه جاءه رجل ممن يلبس الصوف وعليه جبة صوف، وعمامة صوف، ورداء صوف، فجلس فوضع بصره فى الأرض، فجعل لا يرفع رأسه، وكأن الحسن خال فيه العجب، فقال الحسن: ها إن قوماً جعلوا كبرهم فى صدورهم، شنعوا والله دينهم بهذا الصوف، ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من زى المنافقين. قالوا: يا أبا سعيد، وما زى المنافقين؟ قال: خشوع اللباس بغير خشوع القلب. قال ابن عقيل: هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يعره اللباس.

---

(١) **(إسناده موضوع)**
وقد رواه الديلمى فى «مسند الفردوس» والحاكم والبيهقى وهو فى «ضعيف الجامع» (١٤٠٩) وقال الألبانى: موضوع.
(٢) رواه أحمد فى «الزهد» (ص ٣٢٧).

ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف، فاذا قال له القائل: يا أبا فلان. ظهر منه ومن أوباشه الإنكار، فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء ما لا يعمله الديباج عند الأوباش.

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد، نا حمد بن أحمد الحداد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا اسماعيل بن أبى الحارث، ثنا هارون بن معروف، عن ضمرة قال: سمعت رجلا يقول: قدم حماد بن أبى سليمان البصرة، فجاءه فرقد السبخى وعليه ثوب صوف فقال له حماد: ضع عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيم يعنى النخعى فيخرج علينا وعليه معصفرة(١)

أخبرنا محمد بن القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا عبد اللّه بن محمد، ثنا إبراهيم بن شريك الأسدى، ثنا شهاب بن عباد، ثنا حماد، عن خالد الحذاء أن أبا قلابة قال: إياكم وأصحاب الأكسية(٢) . أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا: نا محمد بن الحسن الباقلاوى، نا القاضى أبو العلاء الواسطى، ثنا أبو نصر أحمد بن محمد السازكى، نا أبو الخير أحمد بن حمد البزار، ثنا محمد بن إسماعيل البخارى، ثنا على بن حجر، ثنا صالح بن عمر الواسطى، عن أبى خالد قال: جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبى العالية وعليه ثياب صوف، فقال له أبو العالية: إنما هذه ثياب الرهبان إن كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا(٣)

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الأصبهانى ثنا أبو محمد بن حبان، ثنا أحمد بن الحسين الحذاء، ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى ثنا العيض بن إسحاق: قال: سمعت الفضيل يقول: تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأساً، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً، تزينت لهم بشئ بعد شئ كل ذلك إنما هو لحب الدنيا(٤)

أنبأنا ابن الحصين(٥) قال: نا أبو على بن المذهب، قال: أخبرنا أبو حفص بن

(١) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٤ / ٢٢١).
(٢) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٢ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧).
(٣) رواه أبو نعيم (٢ / ٢١٧).
(٤) رواه أبو نعيم (٨ / ٩٨).
(٥) سقط ما بين القوسين فى النسخة التى حققتها واستدركت ذلك من بقية النسخ .

شاهين، قال: ثنا إسماعيل بن على، قال: ثنا الحسن بن على بن شبيب، قال: ثنا أحمد بن أبى الحوارى، قال: قال أبو سليمان: يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف، وشهوته فى قلبه بخمسة دراهم، أما يستحى أن يجاوز شهوته لباسه، ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له.

قال أحمد بن أبى الحوارى: قال لى سليمان بن أبى سليمان، وكان يعدل بأبيه: أى شئ أرادوا بلباس الصوف؟ قلت: التواضع. قال: لا يتكبر أحدهم إلا إذا لبس الصوف! أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصارى، نا عبد الله بن أحمد السمرقندى، ثنا أبو بكر الخطيب، نا الحسن بن الحسين العالى، نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح، ثنا روح بن عبد المجيب، ثنا أحمد بن عمر بن يونس قال: أبصر الثورى رجلا صوفياً فقال له الثورى: هذا بدعة.[1]

أخبرنا محمد بن عبد الباقى، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا عبد المنعم ابن عمر، ثنا أحمد بن محمد بن زياد. قال: سمعت أبا داود يقول: قال سفيان الثورى لرجل عليه صوف: لباسك هذا بدعة.

أنبأنا اهر بن طاهر، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، نا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم قال: أخبرنى محمد بن عمر، ثنا محمد بن المنذر قال: سمعت أحمد بن شداد يقول: سمعت الحسن بن الربيع يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً: أكره هذا، أكره هذا. أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبى صادق، نا ابن باكويه، نا عبد الواحد بن بكر، ثنا على بن أبى عثمان بن زهير، ثنا عثمان بن أحمد، ثنا الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارس يقول: دخل على الموصلى على المعافى، وعليه جبة صوف، فقال له: ما هذه الشهرة يا أبا الحسن؟ فقال: يا أبا مسعود، اخرج أنا وأنت. فانظر أينا أشهر. فقال له المعافى: ليس شهرة البدن كشهرة اللباس.

أخبرنا إسماعيل بن أبى بكر المقرى نا طاهر بن أحمد، نا على بن محمد بن بشران، نا عثمان بن أحمد الدقاق، ثنا الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل بديل على أيوب السختيانى وقد مد على فراشه سبنية حمراء تدفع التراب فقال بدليل: ما هذا؟ فقال أيوب: هذا خير من الصوف الذى عليك.

---

(١) فى جميع النسخ « لباسك هذا بدعة » .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبى صادق قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، ثنا علان بن أحمد، ثنا حبيب بن الحسن، ثنا الفضل بن أحمد، ثنا محمد بن يسار، قال: سمعت بشر بن الحارث، وسئل عن لبس الصوف. فشق عليه وتبين الكراهة فى وجهه ثم قال: لبس الخز والمعصفر أحب إلىّ من لبس الصوف فى الأمصار.

أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قال: أخبرنا أبى، نا الحسين بن على الطناجيرى، نا أحمد بن منصور (البرسرى)[1]. ثنا محمد بن مخلد، ثنا أحمد بن منصور، ثنى يزيد السقا رفيق محمد بن إدريس الأنبارى، قال: رأيت فتى عليه مسوح قال: فقلت له: من لبس هذا من العلماء، من فعل هذا من العلماء؟ قال: قد رآنى بشر بن الحارث فلم ينكر علىّ. قال يزيد: فذهبت إلى بشر، فقلت له: يا أبا نصر، رأيت فلاناً عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال: قد رآنى أبو نصر فلم ينكر علىّ. قال: فقال لى بشر: لم تستشرنى يا أبا خالد؟ لو قلت له. لقال لى: لبس فلان، ولبس فلان.

أخبرنا أحمد بن منصور الهمدانى، نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى، نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة، نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن إسماعيل الصوفى، ثنا ابن روزبه، ثنا عبد الله بن أحمد بن نصر القنطرى، ثنا إبراهيم بن محمد الإمام، ثنا هشام بن خالد، قال: سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لرجل لبس الصوف: إنك قد أظهرت آلة الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف؟ فسكت الرجل، فقال له: يكون ظاهرك قطنياً، وباطنك صوفياً.

أخبرنا يحيى بن على المدبر، نا أبو بكر محمد بن على الخياط، نا الحسن بن الحسين بن حمكان، سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان بن عبد ربه البزار يقول: سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادى يقول: سمعت ابن سيرويه يقول: دخل أبو محمد بن أخى معروف الكرخى على ابى الحسن ابن بشار، وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك؟ صوف قلبك والبس القوهى على القوهى.

---

(١) جميع النسخ كما هو، وقد ذكره المؤلف فى ص٢٤٣وقال «اليوسرى» وهو كذلك فى جميع النسخ ولم أعثر على ترجمة له إلا ترجمة قريبة منه فى التاريخ للخطيب (١٥٥/٥) وهى ترجمة أحمد بن منصور النوشرى وهو فى طبقته تقريباً فلعله هو ولكن صحف من كثرة النقله والله أعلم.

أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ، نا جعفر بن أحمد بن السواح، نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال: حدثنا أبى، ثنا أحمد بن مروان، ثنا أبو بكر بن أبى الدنيا، ثنا أحمد بن سعيد قال: سمعت النضر بن شميل يقول: قلت لبعض الصوفية: تبيع جبتك الصوف؟ فقال: إذا باع الصياد شبكته بأى شئ يصطاد؟

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى: ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إليه من حله، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء.

فصـــل

قال المصنف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة: لا المرتفعة، ولا الدون. ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين، ولقاء الإخوان، ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً.

وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه رأى حلة سيَراء تُباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قـدِموا عليك؟ فـقـال رسـول الله ﷺ: «إنما يلبس هذه من لا خـلاق لـه فى الآخرة»(١) فما أنكر عليه ذكر التجمل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا عن أبى العالية أنه قال: كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا .

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقى، أنبأنا الحسن بن على الجوهرى، نا أبو عمر بن حياة، نا أحمد بن معروف، نا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد، نا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى، عن ابن عون، عن محمد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً، وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف، ولكنه كان يصلى بها.

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان، ثنا حماد بن زيد، ثنا أيوب، عن محمد ابن سيرين أن

---

(١) أخرجه مالك (٢/٩١٧ـ ٩١٨/١٨) والبخارى (٨٨٦ـ ٢٦١٢ـ ٥٨٤١ـ ٦٠٨١) ومسلم (٢٠٦٨) وأبو داود (٤٠٤٠) والنسائى (٨ / ١٩٨ـ ١٩٧)وابن ماجه (٣٥٩١) والطيالسى (١٩٣٧، ٢٤٦٤) وعبد الرزاق (١٩٩٢٩) وابن حبان (٣٠٩٩) والبيهقى (٣ / ٢٧٥، ٢٤١، ٩ / ١٢٢).

تميماً الدارى اشترى حلة بألف درهم، وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته.[١] قال: وحدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت أن تميماً الدارى كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر.[٢]

وأخبرنا الفضل بن دكين، ثنا همام، عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميماً الدارى اشترى رداء بألف، فكان يصلى بأصحابه فيه[٣].

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً، وأطيبهم ريحاً، وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد، قال كلثوم بن جوشن: خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمنى، فنظر إليه فرقد، فقال: ياأستاذ لا ينبغى لمثلك أن يكون هكذا، فقال الحسن: ياابن أم فرقد، أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية؟ وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد.

وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار، وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب فى بيوتهم، فإذا خرجوا تجملوا، ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون، ولا من الأعلى.

أخبرنا أحمد بن منصور الهمذانى، نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى، ثنا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة، نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين الصوفى، ثنا ابن روزبه، ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن على بن إبراهيم الحرانى، ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة، ثنا محمد بن خلف، ثنا عيسى بن حازم، قال: كان لباس إبراهيم بن أدهم كتانا قطناً فروة ، لم أر عليه ثياب صوف، ولا ثياب شهرة.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن ريان يقول: رأى على ذو النون خفاً أحمر، فقال: انزع هذا يابنى، فإنه شهرة ما لبسه رسول الله ﷺ إنما لبس النبى ﷺ خفين أسودين ساذجين[٤].

---

(١) أخرجه الطبرانى (١٢٤٨) وقال الهيثمى (١٣٥/٥) ورجاله رجال الصحيح. ورواه ابن عساكر (٧٩/١١) أيضاً.
(٢) رواه ابن عساكر (٧٩/١١) من طريق هدبة عن حماد به .
(٣) رواه ابن عساكر (٧٩/١١) من طريق همام عن قتادة عن أنس .
(٤) سبق

أخبرنا محمد بن ناصر، نا محمد بن على بن ميمون، نا عبد الكريم بن محمد المحاملى، نا على بن عمر الدار قطنى، نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم، نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدنى، ثنى الزبير، عن أبى عرنة الأنصارى، عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال: قال أبو جعفر المنصور: العرى الفادح خير من الزى الفاضح.

اللبــاس الذى يظهــر الزهـــد

قال المصنف: واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد، وإظهار الفقر وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل، ويوجب احتقار اللابس، وكل ذلك مكروه ومنهى عنه.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا على بن الحصين بن أيوب، نا أبو على بن شاذان، ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر بن عبد الله بن محمد القرشى، ثنا عبد الله بن عمر القواريرى، ثنا هشام بن عبد الملك، ثنا شعبة، عن ابن إسحاق، عن الأحوص، عن أبيه، قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة، فقال: «هل لك مال»؟ قلت: نعم. قال: «من أى المال»؟ قلت: من كل المال قد آتانى الله عز وجل من الإبل والخيل والرقيق والغنم، قال: «فإذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك».(١)

أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا مسكين بن بكير، ثنى الأوزاعى، عن حسان بن عطية، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: أتانا رسول الله ﷺ زائراً فى منزلى، فرأى رجلاً شعثاً، فقال: «أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه»؟ ورأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: «أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه»؟.(٢)

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالا: نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى، وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالا: نا أبو عمر

---

(١) راجع ص٢٣٤ رقم١.

(٢) رواه أحمد (٣ / ٣٥٧) وأبو داود (٤٠٦٢) والنسائى (٨ / ١٨٣) والحاكم (٤ / ١٨٦) وابن حبان (١٤٣٨) والبغوى (٣١١٩) وأبو نعيم (٦ / ٧٨) وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (١٣٣٣).

محمد بن العباس بن حياة، ثنا أبو بكر بن الأنبارى، ثنى أبى، ثنا أبو عكرمة الضبى، ثنا مسعود بن بشر، عن أبى عبيدة معمر بن المثنى، قال: مضى على بن أبى طالب إلى الربيع بن زياد يعوده، فقال له: ياأمير المؤمنين، أشكو إليك عاصماً أخى. قال: ما شأنه؟ قال: ترك الملاذ ولبس العباءة، فغم أهله، وأحزن ولده. فقال: علىَّ بعاصم، فلما حضر بش فى وجهه وقال: أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها؟ أنت والله أهون على الله من ذلك. فوالله، لابتذالك نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالك بالمقال. فقال: ياأمير المؤمنين، إنى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير. فتنفس الصعداء ثم قال: ويحك ياعاصم! إن الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام؛ لئلا يتبيغ بالفقير فقره. قال أبو بكر الأنبارى: المعنى لئلا يزيد ويغلو. يقال: تبيغ به الدم. إذا زاد وجاوز الحد.

تجريد اللباس

قال المصنف: فإن قال قائل: تجريد اللباس هوى للنفس، وقد أمرنا بمعاهدتها. والتزين للخلق، وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق.

فالجواب: إنه ليس كل ما تهواه النفس يذم، ولا كل التزين للناس يكره. وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه. أو كان على وجه الرياء فى باب الدين فإن الإنسان يحب أن يرى جميلاً وذلك حظ النفس ولا يلام فيه؛ ولهذا يسرح شعره، وينظر فى المرآة ، ويسوى عمامته، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل. وظهارته الحسنة إلى خارج . وليس فى شئ من هذا ما يكره ولا يذم.

أخبرنا المبارك بن على الصيرفى نا عَلَىّ بن محمد بن العلاف، نا عبد الملك بن محمد بن بشران، نا أحمد بن إبرهيم الكَندى، نا محمد بن جعفر الخرائطى، ثنا بنان بن سليمان، ثنا عبد الرحمن بن هانئ، عن العلاء بن كثير، عن مكحول، عن عائشة قالت: كان نفر من أصحاب رسول اللهﷺ ينتظرونه على الباب، فخرج يريدهم، وفى الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر فى الماء، ويسوى شعره ولحيته. فقلت: يارسول الله، وأنت تفعل هذا؟ قال: **نعم. إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال**.(١)

---

(١) (إسناده ضعيف جداً)، ففيه العلاء بن كثير متهم بالوضع، وعبد الرحمن بن هانئ ضعيف وراجع الضعفاء للعقيلى (٣ / ٣٤٧) والمجروحين (٢ / ١٨١) والميزان (٣ / ١٠٤).

أخبرنا محمد بن ناصر، أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن محمد بن على، ثنا مسعود بن ناصر بن أبى زيد نا أبو إسحاق بن محمد بن أحمد، نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه، نا الحسن بن سفيان، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العَرْزَمى[1]، عن أبيه، عن أم كلثوم، عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر إلى ظله فيها، ثم سوى لحيته ورأسه، ثم مضى، فلما رجع قلت: يارسول الله، تفعل هذا؟ قال: «وأى شئ فعلت؟ نظرت فى ظل الماء، فهيأت من لحيتى ورأسى، إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيئ من نفسه»[2].

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل: فما وجه ما رويتم عن سرى السقطى أنه قال: لو أحسست بإنسان يدخل على فقلت كذا بلحيتى ـ وأمر يده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه ـ لخشيت أن يعذبنى الله على ذلك بالنار. فالجواب: إن هذا محمول منه على أنه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من إظهار التخشع وغيره. فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه ما لا يستحسن فإن ذلك غير مذموم. فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرياء ولا فهم المذموم.

أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصارى، نا على عبد الله بن محمد النيسابورى، نا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسى، نا محمد بن عيسى بن عمروية، ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن المثنى، ثنى يحيى بن حماد قال: أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمى عن إبراهيم النخعى عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[3]. . . انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر من بطر الحق. وغمط بمعنى ازدرى واحتقر.

---

(١) فى النسخه المحققه «عبد الله» والصواب «عبيد الله» بالتصغير كما فى باقى النسخ.

(٢) (إسناده ضعيف جداً) فإن العزرمى متروك وابنه ضعيف.

وقد رواه ابن السنى فى «اليوم والليلة» (١٧٣) من طريق عيسى بن واقد الداهرى عن عطاء بن السائب عن معاذة العدوية عن عائشة به. وإسناده ضعيف.

(٣) رواه مسلم(٩١) وأبو داود(٤٠٩١) وابن ماجه (٥٩، ٤١٧٣) وابن منده فى «الإيمان» (٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢) والطبرانى فى«الكبير» (١٠٠٠٠، ١٠٠٠١) والبغوى (٣٥٨٧) وأحمد (٣٩٩/١، ٤٥١، ٤١٦، ٤١٢).

فصـــل

وقال المصنف رحمه الله: وقد كان فى الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبى الصقر، نا على بن الحسن بن جحاف، قال أبو عبد الله احمد بن عطاء، كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديبقى، ويسبح بسبح اللؤلؤ ويؤثر ما طال من الثياب.

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذا فى الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغى أن تكون ثياب أهل الخير وسطاً، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفى نقيض.

فصـــل

قال المصنف رحمه الله: وقد كان فى الصوفية من إذا لبس ثوباً خرق بعضه. وربما أفسد الثوب الرفيع القدر.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرى قال: سمعت عيسى بن على الوزير يقول، كان ابن مجاهد يوماً عند أبى، فقيل له: الشبلى، فقال: يدخل، فقال ابن مجاهد: سأسكته الساعة بين يديك، وكان من عادة الشبلى إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً، فلما جلس، قال له ابن مجاهد: يا أبا بكر أين فى العلم فساد ما ينتفع به؟ فقال له الشبلى: أين فى العلم «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» قال: فسكت ابن مجاهد فقال له أبى: أردت أن تسكته فأسكتك، ثم قال له: قد أجمع الناس إنك مقرئ الوقت فأين فى القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه، قال فسكت ابن مجاهد، فقال له أبى: قل يا أبا بكر فقال لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة:١٨] فقال ابن مجاهد: كأننى ما سمعتها قط .

قال المصنف رحمه الله قلت: هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن بن غالب كان لا يوثق به[١].

(١) الحسن بن غالب له ترجمة فى الميزان (٥١٦/١).

أخبرنا القزّاز، نا أبو بكر الخطيب، قال: ادعى الحسن بن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه، فإن كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلى حين احتج بهذه الآية. وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أن قوله: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبى معصوم أنه فعل الفساد.

والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآية، فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها، وقال: أنت فى سبيل الله، فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عَقَرَهَا، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئاً فيه جناح، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فإنه لا يجوز ومن الجائز أن يكون فى شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون فى شرعنا.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا محمد بن أحمد بن أبى الصقر، ثنا على بن الحسن بن جحاف الدمشقى، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء كان مذهب أبى على الروزبارى تخريق أكمامه وتفتيق قميصه، قال: فكان يخرق الثوب المثمن فيرتدى بنصفه ويأتزر بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوماً وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه ما يأتزرون به، فقطعه على عددهم فأتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامى. (*)

قال ابن عطاء: قال لى أبو سعيد الكازرونى: كنت معه فى هذا اليوم وكان الرداء الذى قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً.

قال المصنف رحمه الله: ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر، قال أنبأنا أبو بكر البيهقى، نا أبو عبد الله الحاكم، قال سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجى. يقول: كانت لى قبجة[1] طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غريبان فقلت للوالدة: عندك شئ لضيفى. قالت: لا إلا الخبز. فذبحت القبجة وقدمتها إليهما.

قال المصنف رحمه الله: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد، قال أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب، قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمى. قال: سمعت جدى يقول: دخل أبو الحسين الدراج البغدادى الرى. وكان يحتاج إلى لفاف لرجله فدفع إليه رجل منديلاً ديبقياً فشقه نصفين وتلفف به فقيل له: لو بعته واشتريت منه لفافاً وأنفقت الباقى، فقال رحمه الله: أنا لا أخون المذهب.

(١) القبجة: هو الحجل طائر معروف.
(*) صاحب الحمام .

قال المصنف: وقدكان أحمد الغزالى ببغداد فخرج إلى المحول فوقف على ناعورة[١] تأنّ فرمى طيلسانه[٢] عليها فدارت فتقطع الطيلسان. قال المصنف: رحمه الله قلت؛ فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول اللهﷺ أنه نهى عن إضاعة المال[٣] ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم. ونظر هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ما سيأتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة، ولا خير فى حالة تنافى الشرع. أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم، فإن كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه إنه لعناد. وإن كانوا لا يعرفوا فلعمرى إنه لجهل شديد.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد ربه الحافظ قال سمعت محمد بن الحسين يقول، سمعت عبد الله الرازى يقول: لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته. مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه. ففتح أبو عثمان عينه. وقال يا بنى هذا خلاف السنة فى الظاهر وعلامة رياء فى باطن القلب.

المبالغة فى تقصير الثياب

قال المصنف: وفى الصوفية من يبالغ فى تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً.

أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، ثنا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا محمد بن أبى عدى عن العلاء عن أبيه. أنه سمع أبا سعيد: سئل عن الإزار فقال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إزار المسلم إلى أنصاف الساقين لا جناح أو لا حرج عليه ما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من ذلك فهو النار»[٤].

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا إبراهيم بن سعيد

(١) ناعورة: ساقية.
(٢) طيلسان: نوع من الثياب مائل إلى السواد.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) **(صحيح)** - رواه مالك (٢ / ٩١٤ـ ٩١٥ / ١٢) وأحمد (٣ ٥/ـ ٦ـ٣١ ـ٢٤٤) وأبو داود (٤٠٩٣) وابن ماجه (٣٥٧٣) وابن حبان (١٤٤٥) موارد، والبيهقى (٢ / ٢٤٤) والبغوى (٣٠٨٠) وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٩٢١).

الجوهرى. قال: كتب إلىّ عبد الرزاق عن معمر قال كان فى قميص أيوب بعض التذييل. فقيل له: فقال: الشهرة اليوم فى التشمير.

وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانئ قال: دخلت يوماً على أبى عبد الله أحمد بن حنبل وعلىّ قميص أسفل من الركبة وفوق الساق. فقال: أى شئ هذا وأنكره. وقال: هذا بالمرة لا ينبغى.

من الصوفيـة من يجعـل على رأسـه خرقـة مكان العمامـة

قال المصنف: وقد كان فى الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة وهذا أيضاً شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه شهرة فهو مكروه.

أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار، نا أبى، نا الحسين بن على، نا أحمد بن منصور البوسرى، ثنا محمد بن مخلد، ثنى محمد بن يوسف، قال: قال عباس بن عبد العظيم العنبرى: قال بشر بن الحارث: إن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة، فنظر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها فى كمه.

تخصيـص ثيـاب للصلاة وثيـاب للخـلاء

قال المصنف: وقد كان فى الصوفية من استكثر من الثياب وسوسة فيجعل للخلاء ثوباً وللصلاة ثوباً. وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه ينبغى خشية أو يتخذ سنة.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، ثنا محمد بن إسحاق النيسابورى، ثنا محمد بن الصباح، ثنا حاتم يعنى ابن إسماعيل، ثنى جعفر عن أبيه. أن على بن الحسين قال: يا بنى لو اتخذت ثوباً للغائط، رأيت الذباب يقع على الشئ ثم يقع على الثوب، ثم أتيته فقال: ما كان لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه إلا ثوب فرفضه.(١)

---

(١) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٣ / ١٣٣).

الثـــوب الواحـــد

قال المصنف: وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهداً فى الدنيا، وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح وأحسن.

أخبرنا عبد الأول بن عيسى، نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر، نا عبد الله بن أحمد بن حياة، نا إبراهيم بن حريم بن حميد، ثنى ابن أبى شيبة ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى يوم جمعة فقال: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته».(١)

أخبرنا محمد بن عبد الباقى، نا محمد الجوهرى، نا أبو عمر بن حياة، نا أحمد بن معروف الحساب، نا الحارث بن أبى أسامة، ثنا محمد بن سعد، نا محمد بن عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن عبد المجيد بن سهيل عن أبى سلمة، عن أبى هريرة وقال محمد بن عمر وحدثنى غير محمد بن عبد الرحمن أيضاً ببعض ذلك قالوا: كان لرسول الله ﷺ بردة يمنية وإزار من نسج عمان فكان يلبسهما فى يوم الجمعة، ويوم العيد ثم يطويان.(٢)

ذكـر تلبيـــس إبليـــس على الصوفيـة فى مطاعمهـم ومشاربهـم

قال المصنف رحمه الله: قد بالغ إبليس فى تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد. فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم .

---

(١) رواه أبو داود (١٠٧٨) وابن ماجه (١٠٩٥) وإسناده صحيح وله شاهد من حديث عائشة رواه ابن ماجه (١٠٩٦) وابن حبان (٥٦٨) موارد، و(٢٧٧٧) إحسان ، وابن خزيمة (١٧٦٥). والحديث صححه الشيخ الألبانى فى «غاية المرام» (٧٦).

(٢) رواه البيهقى فى «الشعب» عن جابر كما فى «ضعيف الجامع» (٤٤٨٥، ٣٦٢٣) وفيه قال الألبانى: ضعيف.

ذكر طرف مما فعله قدماؤهم

قال المصنف رحمه الله: كان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته وفيهم من يتناول كل يوم الشئ اليسير الذى لا يقيم البدن فروى لنا عن سهل بن عبد الله أنه كان فى بدايته يشترى بدرهم دبساً [(١)] وبدرهمين سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة. وحكى عنه أبو حامد الطوسى قال: كان سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم فى ثلاث سنين.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق، نا ابن باكويه، ثنى أبو الفرج بن حمزة التكريتى، ثنى أبو عبد الله الحصرى، قال: سمعت أبا جعفر الحداد يقول: أشرف علىّ أبو تراب يوماً وأنا على بركة ماء ولى ستة عشر يوماً ولم آكل شيئاً ولم أشرب فيها ماء فقال: ما جلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا أنظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا ابن أبى صادق، ثنا ابن باكويه، نا عبد العزيز بن الفضل، ثنا على بن عبد الله العمرى، ثنا محمد بن فليح، ثنى إبراهيم بن البنا البغدادى، قال: صحبت ذا النون من أخميم إلى الإسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصاً وملحاً كان معى وقلت: هلم فقال لى: ملحك مدقوق. قلت نعم: قال: لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه.

أخبرنا ابن ظفر، نا ابن السراج، نا عبد العزيز بن على الأزجى، نا ابن جهضم، ثنا محمد بن عيسى بن هارون الدقاق، ثنا أحمد بن أنس بن أبى الحوارى. سمعت أبا سليمان يقول: الزبد بالعسل إسراف. قال ابن جهضم. وحدثنا محمد بن يوسف البصرى قال: سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول: بلغ أبا عبد الله الزبيرى وزكريا الساجى وابن أبى أوفى أن سهل بن عبد الله يقول: أنا حجة الله على الخلق. فاجتمعوا عنده فأقبل عليه الزبيرى فقال له: بلغنا أنك قلت ـ أنا حجة الله على الخلق ـ فبماذا، أنبىٌّ أنت؟ أصدّيق أنت؟ قال سهل: لم أذهب حيث تظن ولكن إنما

---

(١) الدبس: ما يسيل من الرطب.

قلت هذا لأخذى الحلال. فتعالوا كلكم حتى نصحح الحلال. قالوا: فأنت، قد صححته. قال نعم، قال وكيف؟ قال سهل: قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء. فأتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسى خفت أن أكون قد أعنق عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء .

أخبرنا ابن حبيب، نا ابن أبى صادق، نا ابن باكويه، قال: أخبرنى أبو عبد الله بن مفلح قال: أخبرنى أبى، أخبرنى أبو عبد الله بن زيد قال لى: منذ أربعين سنة ما أطعمت نفسى طعاماً إلا فى وقت ما أحل الله لها الميتة.

أخبرنا ابن ناصر أبو الفضل محمد بن على بن أحمد السهلكى، ثنى أبو الحسن على ابن محمد القوهى، ثنا(*) عيسى بن آدم ابن أخى أبى يزيد، قال: جاء رجل إلى أبى يزيد قال: أريد أن أجلس فى مسجدك الذى أنت فيه، قال لا تطيق ذلك. فقال: إن رأيت أن توسع لى فى ذلك. فأذن له فجلس يوماً لا يطعم فصبر فلما كان فى اليوم الثانى. قال له يا أستاذ: لا بد مما لا بد منه. فقال: يا غلام لا بد من الله. قال: يا أستاذ نريد القوت. قال: يا غلام القوت عندنا إطاعة الله. فقال: يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدى فى طاعته عز وجل . فقال: يا غلام إن الأجسام لا تقوم إلا بالله عز وجل.(١)

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى، قالا: نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، قال سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا عثمان الآدمى يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول: حدثنى أخ لى كان يصحب أبا تراب، نظر إلى صوفى مد يده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام. فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ، أنت لا يصلح لك التصوف. الزم السوق(٢).

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب، نا أبو عبد الرحمن السلمى، قال: سمعت أبا القاسم القيروانى يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: أقام أبو الحسن النصيبى بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة، لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه

---

(١) هذا كلام فى غاية البطلان، ولو مات على هذه الحالة لمات قاتلاً نفسه.
(٢) واه أبو نعيم فى «الحلية» (٤٩/١٠).
(*) -فى بعض النسخ- ثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى ثناموس بن عيسى ثنا عيسى بن آدم.

ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله. فرآه إنسان فأتبعه بشئ وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم فقال الشيخ: من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل: أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال: كن مع جنايتك ومع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل. فقال: ألم أقل لك كن مع جنايتك، فقال الرجل: أنا تائب إلى الله تعالى مما جرى منى، فقال الشيخ: لا كلام بعد التوبة.

أخبرنا عمر بن ظفر، نا ابن السراج، نا أبو القاسم الأزجى، نا أبو الحسن بن جهضم، ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزى، قال: سمعت بنان بن محمد يقول: كنت بمكة مجاوراً فرأيت بها إبراهيم الخواص وأتى علىّ أيام لم يفتح علىّ بشئ وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت: أريد أن أحتجم فأرسل من يشترى لحماً وأمر بإصلاحه وجلست بين يديه فجعلت نفسى تقول: ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة. ثم استيقظت وقلت. يا نفس إنما جئت تحتجمين لتطعمى عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً. فلما فرغ انصرفت فقال سبحان الله أنت تعرف الشرط. فقلت: ثم عقد: فنكت. وجئت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لى شئ آكله: فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضاً فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشى علىّ واجتمع حولى ناس وحسبوا أنى مجنون فقام إبراهيم وفرق الناس وجلس عندى يحدثنى. ثم قال تأكل شيئاً. قلت قرب الليل. فقال: أحسنتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءنى ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدى وقال: كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال: فيك فضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم فمضى وجاء بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فما قمت ليلتى ونمت إلى الصباح ما صليت ولا طفت.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم، ثنا أبى، قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول: سمعت منصور بن عبد الله الأصفهانى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول: إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب.

أنبأنا عبد المنعم، ثنا أبى، قال: سمعت ابن باكويه يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول: أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب لإفطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت إليه خمسة عشر حبة فنظر إلى وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقى.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله ابن خفيف يقول:كنت فى ابتدائى بقيت أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوماً فاقتصدت فخرج من عرقى شبه ماء اللحم وغشى على. فتحير الفصاد وقال . ما رأيت جسداً لأدم فيه إلا هذا .

الامتناع عن أكل اللحم

قال المصنف: وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم أكل درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صباحاً. وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به على بن عبد الواحد الدينورى، نا أبو الحسن القزوينى، نا أبو حفص بن الزيات، ثنا ابن ماجه، ثنا أزهر بن جميل، ثنا بزيغ عن هشام عن أبيه عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ: «احرموا أنفسكم طيب الطعام فانما قوى الشيطان أن يجرى فى العروق بها»[١]. وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافى. وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار. ومنهم من كان يجعل ماءه فى دن[٢] مدفون فى الأرض فيصير حاراً. ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة .

أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد بن على السهلكى قال: سمعت عبد الواحد بن بكر الوريانى ثنى محمد بن سعدان ثنى عيسى بن موسى البسطامى قال سمعت أبى يقول قال سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول: ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة. قال: وأسهل ما لاقت نفسى منى أنى سألتها أمراً من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة . وحكى أبو حامد الغزالى عن أبى يزيد أنه قال: دعوت نفسى إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك.

---

(١) أخرجه الديلمى (٤٢١) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣ / ٣٠) وقال : هذا حديث موضوع، والمتهم به نزيع أبو الخليل الحصاف، وذكره السيوطى فى «اللآلى» (٢ / ١٣٣) والألبانى فى « الضعيفة» (١٨٧٩).

(٢) الدن: الاناء الكبير.

فصـــل

قال المصنف: وقد رتب أبو طالب المكى للقوم[١] ترتيبات فى المطاعم فقال: استحب للمريد ألا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة قال. ومن الناس من كان يعمل فى الأقوات فيقلها: وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهى تجف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك، قال،ومنهم من كان يعمل فى الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة، قال، والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفى بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته، وفى رقته مفتاح المكاشفة .

قال المصنف: رحمه الله تعالى، وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه، فينبغى للمبتدئ فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة ويقطع الأدام والفواكه واللذة، ومجالسة الإخوان، والنظر فى الكتب، وهذه كلها أفرح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تملئ غما .

قال المصنف: وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية. يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها.

فصـــل
فى بيان تلبيـــس إبليـــس
عليهم فى هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها

قال المصنف رحمه الله: أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه حمل على النفس ما لا تطيق ثم إن الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم فى أكل التبن وأى غذاء فى التبن ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى رد وقد حكى أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الأكل .

(١) كتاب قوت القلوب، وهو كتاب محشو بالأباطيل وهو مطبوع ومنتشر بين العوام للأسف الشديد.

قال المصنف رحمه الله: وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول ميتة ما جاز هذا فكيف وهو حلال ثم أى قربة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة.

وأما قول الحداد وأنا أنظر أن يغلب العلم أم اليقين فإنه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم، وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج اليه النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمره الشرع، وأشار باليقين إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح، وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا، وكانوا كقريش فى تشددهم حتى سموا بالحمس، فجحدوا الأصل وشددوا فى الفرع، وقول الآخر ملحك مدقوق لست تفلح، من أقبح الأشياء وكيف يقال عمن استعمل ما أبيح له لستَ تفلح؟ وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج.

وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف قول مرذول لأن الإسراف ممنوع منه شرعاً وهذا مأذون فيه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالرطب(١)، وكان يحب الحلوى والعسل(٢)، وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتى وعقلى سبعة أجزاء ففعل يذم به ولا يمدح عليه إذ لم يأمر الشرع بمثله وهو إلى التحريم أقرب لأنه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذى قال: ما أكلت إلى وقت أن يباح لى أكل الميتة: فإنه فعل برأيه المرذول. وحمل على النفس مع وجود الحلال. وقول أبى يزيد: القوت عندنا لله. كلام ركيك فإن البدن قد بنى على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار فى النار يحتاجون إلى الطعام. وأما التقبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذى طوى ثلاثاً لم يسلم من لوم الشرع، وكذلك الذى عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع فى الضعف فإنه فعل ما لا يحل له، وقول إبراهيم له

(١) رواه البخارى (٥٤٤٠، ٥٤٤٧، ٥٤٤٩) ومسلم (٢٠٤٣) وأبو داود (٣٨٣٥) والترمذى (١٨٤٥) وابن ماجه (٣٣٢٥) والدارمى والحميدى (٥٤٠) وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ» (ص٢٣٢) وأحمد (٢٠٣/١) وأبو نعيم (١٧١/٣) والبيهقى سنن (٢٨١/٧) وفى «الشعب» (٥٥٨٩) والخطيب فى «تاريخه» (٣٦٩/١٢).

(٢) رواه البخارى (٥٢١٦، ٥٢٦٨، ٥٤٣١، ٥٥٩٩، ٥٦١٤، ٥٦٨٢، ٦٩٧٢) ومسلم (١٤٧٤) وأبو داود (٣٧١٥) والترمذى (١٨٣١) وابن ماجه (٣٣٢٣) والدارمى وأبو الشيخ (ص ٢١٩) والبيهقى شعب (٥٥٢٩) والبغوى (٢٨٦٥) وأحمد (٦ / ٥٩).

أحسنتم يا مبتدئون خطأ أيضاً فإنه كان ينبغي أن يلزمه بالفطر ولو كان في رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشي عليه لا يجوز له أن يصوم .

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر بن ثابت، ثني الأزهري، ثنا علي بن عمر، ثنا أبو حامد الحضرمي، ثنا عبد الرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر فمات دخل النار.(١)

قال المصنف رحمه الله: قلت،كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عالياً محمد ابن عبد الباقي، نا أبو يعلى محمد بن الحسين، نا علي بن عمر السكري، ثنا أحمد بن محمد الأسدي، ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال، **من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر دخل النار**.

قال المصنف رحمه الله: وأما تقليل ابن خفيف ففعلٌ قبيحٌ لا يُستحسن وما يورد هذا الأخبار عنهم إيراداً مستحسناً لها إلا جاهل بأصول الشرع، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قول معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم؟ وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسيء الخلق، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم(٢) «**ويحب الذراع من الشاه**»(٣) ، ودخل يوماً فقدم إليه طعام من طعام البيت فقال، لم أر لكم برمة تفور(٤) ، وكان الحسن البصري يشترى كل يوم لحماً، وعلى هذا كان السلف إلا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر، وأما من منع نفسه الشهوات فإن هذا على الإطلاق لا يصلح لأن الله عز وجل لما خلق

---

(١) رواه الخطيب في «التاريخ» (١٠ / ٢٧٠) وقال: غريب من حديث عُبيد الله بن عمر تفرد به بقية عنه وتفرد به عبد الرحمن بن يونس عن بقية. وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن وعنعنة بقية.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) روى البخاري (٥٤٠٤ ، ٥٤٠٥) عن ابن عباس قال: «تعرّق رسول الله ﷺ كتفاً ثم قام فصلى ولم يتوضأ» . وروى نحوه عمرو بن أميه وقد سبق.

(٤) روى البخاري (٥٢٧٩، ٥٤٣٠) ومسلم (١٥٠٤) وأحمد (٦ / ١٧٨) عن عائشه قالت: كان في بريرة ثلاث سنن إحدى السنن أنها أعتقت فخيرت في زوجها وقال رسول الله ﷺ الولاء لمن اعتق ودخل رسول الله ﷺ والبرمة تفور بلحم فقرب إليه خبز وأدم من أدم البيت فقال: «ألم أر البرمة فيها لحم» قالوا: بلى ولكن ذاك لحم تصدق به على بريرة وأنت لا تأكل الصدقة قال: عليها صدقة ولنا هدية.

بنى آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الأخلاط الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء فترة يزيد فتارة بعض الأخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب فى الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه فاذا مالت النفس إلى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت حكمة البارى سبحانه وتعالى بردها ثم يؤثر ذلك فى البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل .

ومعلوم أن البدن مطية الآدمى ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فإن أسندوا مإلى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً، ولقد عجبت لأبى حامد الغزالى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغى للمريد إذا تاقت نفسه إلى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه.

قال المصنف رحمه اللّه: وهذا قبيح فى الغاية فان الإدام شهوة فوق الطعام فينبغى أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى. أو ليس فى الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد[(١)] فهلا اقتصر على شهوة واحدة. أو ليس فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب[(٢)] وهاتان شهوتان. أو أما أكل عند أبى الهيثم بن أبى التيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً [(٣)]، أو ما كان الثورى يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلى، أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت. وتطعم الناقة الخبط والحمض. وهل البدن إلا ناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج إلى كلفة وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجلب النوم . ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الإنسان إلى تضييع العمر فى كسبها وربما تناولها من غير وجهها. وهذا طريق السلف فى ترك

---

(١) أخرجه البخارى (٢٦٨، ٢٨٤، ٥٠٦٨، ٥٢١٥) ومسلم (٣٠٩) وأبو داود (٢١٨) والترمذى (١٤٠) والنسائى (١ / ١٤٣) وابن ماجه (٥٨٨) والدارمى وابن خزيمة (٢٢٩، ٢٣٠) وعبد الرزاق (١٠٦١) وأبو عوانة (١ / ٢٨٠) والطحاوى (١ / ١٢٩) وابن حبان (١٢٠٦، ١٢٠٨، ١٢٠٩) والطبرانى فى «الصغير» (١ / ٢٤٦) والبيهقى سنن (١ / ٢٠٤) والبغوى (٢٦٩).

(٢) سبق .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

فضول الشهوات. والحديث الذى احتجوا به «**احرموا أنفسكم طيب الطعام**» حديث موضوع، عملته يداً بزيغ الراوى[١] وأما إذا اقتصر الإنسان على خبز الشعير والملح الجريش فإنه ينحرف مزاجه لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر،وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها وقد حكى يوسف الهمدانى عن شيخه عبد الله الحوفى أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاًمن الدهن والدسومات فلا يفعل.

قال المصنف رحمه الله: وهذا يورث القولنج الشديد. واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب فى المطعم أدب الشارعﷺ.

أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أبو بكر بن حمكان، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا أبو المغيرةً ثنا سليمان بن سليم الكنانى، ثنا يحيى بن جابر الطائى. قال: سمعت المقدام بن معدى كرب يقول: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه. فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه».[٢]

قال المصنف رحمه الله **قلت:** فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً فى مصلحتها. ولو سمع أبقراط هذه القسمة فى قوله. ثلث وثلث وثلث. لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان فى المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فإن نقص منه قليلا لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام.

الصوفيـة والجـوع

قال المصنف رحمه الله: واعلم أن الصوفية إنما يأمرون بالتقلل شبانهم ومبتدئيهم ومن أضر الأشياء على الشاب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً فأما

---

(١) (موضوع) ـ رواه القزوينى فى «أماليه» وذكره المصنف فى «الموضوعات» (٣ / ٣٠) وذكره السيوطى فى «اللآلئ» (٢ / ٢٤٧) والشوكانى فى «الفوائد المجموعة» (ص ١٨٣).

(٢) (صحيح) ـرواه أحمد (١٣٢/٤) والترمذى (٢٣٨٠) وابن حبان (١٣٤٩) موارد. والحاكم (٣٣١/٤) والطبرانى فى «الكبير» (٢٧٢/٢٠ـ٦٤٤) والبيهقى فى «الشعب» (٥٢٦١) والبغوى (١٤، ٢٤٩) وصححه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (١٩٨٣) و«الصحيحة» (٢٢٦٥)و «صحيح الجامع» (٥٦٧٤).

الشبان فلا صبر لهم على الجوع. وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك يجود هضمة ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت. فإذا صابر الشاب الجوع وتثبته فى أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة فى البدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الدهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل.

فصـــــل

قال المصنف رحمه اللّه: وذكر العلماء التقليل الذى يضعف البدن.

أخبرنا محمد ابن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى نا إبراهيم بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبد اللّه بن إبراهيم بن يعقوب الجيلى قال سمعت أبا عبد اللّه أحمد بن حنبل. قال له عقبة بن مكرم: هؤلاء الذين يأكلون قليلا و يقللون من مطعمهم. فقال ما يعجبنى سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض. قال الخلال: وأخبرنى أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن صدقة ثنا اسحق بن داود ابن صبيح. قال: قلت لعبد الرحمن بن مهدى. يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية. فقال: لا تقرب هؤلاء فإن قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى الجنون، وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة. ثم قال: خرج سفيان الثورى فى سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالوذج وكان فيها حمل. قال الخلال: وأخبرنى المروزى قال سمعت أبا عبد اللّه أحمد بن حنبل. وقال له رجل: انى منذ خمس عشرة سنة قد ولع بى إبليس. وربما وجدت وسوسة أتفكر فى اللّه عز وجل فقال: لعلك كنت تدمن الصوم. أفطر وكل دسماً وجالس القصاص.

قال المصنف رحمه اللّه: وفى هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجتمع فى معدته أخلاط فجة فتغتذى المعدة منها مدة لأن المعدة لابد لها من شئ تهضمه. فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئاً تناولت الأخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء . وذلك الغذاء الردئ يخرج إلى الوساوس والجنون وسوء الأخلاق.

وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الأخلاط. ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياماً . ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة. وإنما السبب مع عرفتك.

وقدأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال حدثنى أبى قال كانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها . فقالت:كنت فى حال الشباب أجد من نفسى أحوالا أظنها قوة الحال. فلما كبرت زالت عنى. فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا. قال سمعت أبا على الدقاق يقول ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال إنها كانت منصفة.

وقال المصنف: فإن قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضى الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة. وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعاً لا يأكل وإن إبراهيم التميمى بقى شهرين(١) قلنا: قد يجرى للإنسان من هذا الفن فى بعض الأوقات غير أنه لا يدوم عليه. ولا يقصد الترقى إليه. وقد كان فى السلف من يجوع عوزاً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه. وفى العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن. ونحن لا نأمر بالشبع إنما ننهى عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن . واذا ضعف البدن قلت العبادة.فإن حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فأقذع(٢) بالراكب.

وقدأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكى ثنا أبو يعقوب بن سعد النسائى ثنا جدى الحسن بن سفيان ثنا حرملة بن يحيى ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه. قال: كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه. وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم: أنه اشترى زبداً وعسلاً وخبزاً حوارى. فقيل له: هذا كله تأكله فقال: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال.

---

(١) هل من المعقول أن يقتل المسلم نفسه باسم الزهد؟
(٢) قذف وشتم.

مــــاء الشــــرب

قال المصنف رحمه الله: وأما الشرب من الماء الصافي: فقد تخيره رسول الله ﷺ.
أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر ثنا فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ: أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه، فقال: « إن كان عندكم ماء بات في شن وإلا كرعنا» أخرجه البخاري[١].

وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدي ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملي ثنا محمد بن عمرو بن أبي مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا. [٢]

قال المصنف: وينبغي أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا في الكلى والسدد في الكبد، وأما الماء البارد فانه إذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة، ويقوى الشهوة، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة. وإذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن، وأدى إلى الاستسقاء والدق فإن سخن بالشمس خيف منه البرص، وقد كان بعض الزهاد يقول اذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالي. اذا أكل الإنسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت واذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الإفلات من الدنيا بالموت.

قال المصنف رحمه الله: واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه؟ أترى لو تقلبت النفس في أي فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها؟ وقد قال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[النساء:٢٩] ورضى منا بالإفطار في السفر رفقاً بها وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥] أو ليست مطيتنا التي عليها وصولنا

وكيف لا نأوى لها وهي التي بها قطعنا السهل والحزونا

(١)(٢) سبق تخريجه.

وأما معاقبة أبى يزيد نفسه بترك الماء سنة فإنها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم، ولا يحل للإنسان أن يؤذى نفسه، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى، ولا فى الثلج فى الشتاء. والماء يحفظ الرطوبات الأصلية فى البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فإذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ. وكذلك منعه إياها النوم.

قال ابن عقيل، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم، يدل عليه أن إقامة الإنسان الحد على نفسه لا يجزى فإن فعله أعاده الإمام. وهذه النفوس ودائع اللّه عز وجل حتى أن التصرف فى الأموال لم يطلق لأربابها إلا على وجوه مخصوصة.

قال المصنف رحمه اللّه **قلت:** وقد روينا فى حديث الهجرة أن النبىﷺ تزود طعاماً وشراباً. وأن أبا بكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبناً فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله، وكل ذلك من الرفق بالنفس.

وأما ما رتبه أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها. وإنما يُمدح الجوع إذا كان بمقدار. وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما صنفه الترمذى(١) فكأن ابتداء شرع برأيه الفاسد. وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة وما فائدة قطع الفواكه المباحة وإذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى. وأما الأربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له «**من أخلص للّه أربعين صباحاً لم يجب الإخلاص أبداً**»(٢) فما وجه

---

(١) الحكيم الترمذى، وليس الترمذى صاحب السنن.

(٢) رواه أبو نعيم (٥ / ١٨٩) من طريق محمد بن إسماعيل حدثنا أبو خالد بن يزيد الواسطى أنبأنا حجاج عن مكحول عن أبى أيوب ولفظه: «من أخلص العبادة أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه». وفيه أربع علل ذكرها السيوطى فى «اللآلئ» (٢ / ٣٢٨). والعلل هى ـ يزيد بن أبى يزيد كثير الخطأ، وحجاج مجروح، ومحمد بن إسماعيل مجهول، ولا يصح سماع مكحول لأبى أيوب. قلت: وقد رواه ابن المبارك فى «الزهد» (١٠١٤) من طريق أبو معاوية عن حجاج عن مكحول مرسلاً ورواه ابن عدى (٣٠٧/٥) من طريق عبد الملك بن مهران الرفاعى حدثنا معز بن عبد الرحمن عن الحسن عن أبى موسى مرفوعاً «من زهد أربعين يوماً وأخلص فيها العبادة أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة من قلبه». قال ابن عدى: حديث منكر وعبد الملك مجهول. ورواه القضاعى فى «مسند الشهاب» (٤٦٦) من طريق سوّار بن مصعب عن ثابت عن مقسم عن ابن عباس مرفوعاً ـ من أخلص لله أربعين..». وسوار متروك الحديث. ورواه هناد فى «الزهد» (٦٧٨/٢) من طريق أبى معاوية ولفظه: «من أخلص لله العبادة..». ورواه ابن أبى شيبة من طريق خالد الأحمر عن حجاج عن مكحول قال : بلغنى أن رسول اللهﷺ قال: «ما أخلص عبد أربعين صباحاً ..». وهذا مرسل أيضاً. وله شاهد عند أبى الدنيا فى كتاب «ذم الدنيا» عن صفوان. بن سليم مرسلاً وبالجملة فالحديث ضعيف جداً مرفوعاً، وليس كما قال المصنف وتابعه على ذلك جماعة من المحققين ـ والله أعلم .

تقديره بأربعين صباحاً ثم لو قدرنا ذلك فالإخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل.

وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبى قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب. لأن الناس إما أصحاب نقل وأثر وإما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذى للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغى لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج .

قال المصنف رحمه الله: قلت من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط فإن من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ . فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق .

ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم

أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن الحسين ابن حمكان ثنا عبدان بن يزيد العطار. وأخبرنا محمد بن أبى منصور أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البرورجردى ثنا عمير بن مرداس قالا حدثنا محمد بن بكير الخضرمى ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم العمرى عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب. قال: جاء عثمان بن مظعون إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله غلبنى حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله ﷺ: «وما تحدثك نفسك يا عثمان. قال: تحدثنى نفسى بأن أختصى. فقال: مهلا يا عثمان فان خصى أمتى الصيام» قال يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى أن أترهب فى الجبال قال: مهلا يا عثمان، فإن ترهب أمتى الجلوس فى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال: يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الأرض، قال: مهلا يا عثمان، فإن سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة قال يا رسول الله فإن

نفسى تحدثنى بأن أخرج من مالى كله **قال:** مهلا يا عثمان فان صدقتك يوماً بيوم وتكِف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك، **قال: يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى بأن أطلق خولة امرأتى، قال:** مهلا يا عثمان فان هجرة أمتى من هجر ما حرم الله عليه، أو هاجر إلىّ فى حياتى، أو زار قبرى بعد موتى، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع **قال: يارسول الله فإن نفسى تحدثنى أن لا أغشاها**(١)، **قال:** مهلا يا عثمان فان الرجل المسلم إذا غشى أهله فان لم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف فى الجنة فان كان من وقعته تلك ولد فان مات قبله كان له فرطا(٢)وشفيعاً يوم القيامة وإن كان بعده كان له نوراً يوم القيامة. **قال: يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى أن لا آكل اللحم قال:** مهلا يا عثمان فانى أحب اللحم وآكله إذا وجدته ولو سألت ربى أن يطعمنى إياه كل يوم لأطعمنى، **قال: يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى أن لا أمس طيباً، قال:** مهلا يا عثمان فان جبريل أمرنى بالطيب غبا ويوم الجمعة لا مترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضى» **قال المصنف رحمه الله: هذا حديث عمير بن مرداس.**(٣)

أخبرنا **محمد بن طاهر الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا إسرائيل ثنا أبو إسحاق عن أبى بردة، قال:** دخلت **امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى ﷺ فرأينها سيئة الهيئة، فقلن لها: مالك فما فى قريش رجل أغنى من بعلك، قالت: ما لنا منه شئ، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم فدخلن إلى النبى ﷺ فذكرن ذلك له فلقيه فقال:** يا عثمان أمالك بى أسوة. **فقال بأبى وأمى أنت وما ذاك؟ قال:** تصوم النهار وتقوم الليل .. **قال: إنى لأفعل قال:** لا تفعل إن لعينك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً . فصل ونم وصم وافطر(٤).

---

(١) أغشاها: اجامعها.
(٢) الفرط: المتقدم أو السابق.
(٣) **(إسناده ضعيف جداً)** ـ القاسم بن عبد الله متروك، وعلى بن زيد ضعيف.
(٤) رواه ابن حبان (٣١٦)وابن سعد فى «الطبقات» (٣٠٢/٢)وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣٠١/٤،٣٠٢) رواه أبو يعلى والطبرانى بأسانيد وبعض أسانيد الطبرانى رجالها ثقات. قلت : للحديث شواهد كثيرة منها حديث عائشة نحوه. رواه ابن حبان (٩) وعبد الرزاق (١٠٣٧٥) وأحمد (٦ / ٢٢٦)وإسناده صحيح، وصحح الحديث الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٤ / ٣٨١، ٣٨٧).

قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن [عيّاش الجَرْمي] (١) عن أبي قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتاً فقعد يتعبد فيه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه وقال: يا عثمان إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية مرتين أوثلاثاً . وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة.(٢)

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخاري قال قال موسى ابن إسماعيل بن حماد بن زيد مسلم ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الباهلي(٣) قال: أسلمت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامي. فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمي فخفض في البصر ثم صعده، قلت: أما تعرفني، قال: ومن أنت، قلت: أنا كهمس الباهلي قال: فما بلغ بك ما أرى، قلت: ما أفطرت بعدك نهاراً، ولا نمت ليلاً. قال: ومن أمرك أن تعذب نفسك؟ صم شهر الصبر ومن كل شهر يوماً، قلت: زدني قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين، قلت: زدني. قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام.(٤)

أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ثنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدوري نا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبي ثنا حميد بن الربيع ثنا (عبيدة) (٥) بن حميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبي قلابة بلغ به ﷺ أن ناساً من أصحابه احتموا(٦) النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعدوا فيه وعيداً شديداً، وقال: لو كنت تقدمت فيه لفعلت . ثم قال: إني لم أرسل بالرهبانية، إن خير الدين الحنيفية السمحة (٧)

---

(١) في النسخة المحققة: عباس الحرمي والصواب ما اثبتناه.
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣ / ٣٠٢) وهذا مرسل إسناده رجاله ثقات.
(٣) في النسخة المحققة الهلالي والصواب ما اثبتناه.
(٤) **(ضعيف مضطرب)** - رواه أبو داود (١٤١١) وابن ماجه (١٧٤١) والطبراني في الكبير (٩٠١/٣٥٨/٢٢) والبيهقي (٤ / ٢٩١ - ٢٩٢) وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود.
(٥) في النسخة المحققة (عبدة) والصواب ما اثبتناه، وهو متكلم فيه.
(٦) احتموا النساء - اجتنبوا.
(٧) **(مرسل)** - إسناده ضعيف جداً ففيه حميد بن الربيع وشيخه ضعيفان وقد ورد النهي عن الرهبانية في أحاديث صحيحة غير هذا.

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا فى حديث آخر عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده فى مأكله ومشربه»(١) وقال بكر بن عبد الله: من أعطى خيراً فرؤى عليه سمى حبيب الله محدثاً بنعمة الله عز وجل ومن أعطى خيراً فلم يرى عليه سمى بغيض الله عز وجل معادياً لنعمة الله عز وجل.

فصــــل

قال المصنف رحمه الله: وهذا الذى نهينا عنه من التقلل الزائد فى الحد، قد انعكس فى صوفية زماننا فصارت همتهم فى المأكل كما كانت همة متقدميهم فى الجوع(٢) لهم الغداء والعشاء والحلوى، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة، وقد تركوا كسب الدنيا، وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلا همة لأكثرهم إلا الأكل واللعب. فإن أحسن محسن منهم قالوا: طرح شكراً . وإن أساء مسىء. قالوا: استغفر، ويسمون ما يلزمه إياه واجباً. وتسمية ما لم يسمه الشرع واجباً جناية عليه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا محمد بن عبد الله ابن محمد الحافظ النيسابورى ثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادى، قال: قام أبو مرحوم القاضى بالبصرة يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة فى الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال اجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب فقال اجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لأصحابه قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فأكلنا بلا ملح ثم قال أبو مرحوم علىّ بخوان خماسى وخمس مكاكيك أرز، وخمسة أمنان سمن، وعشرة أمنان سكر، وخمسة أمنان صنوبر، وخمسة أمنان فستق، فجئ بها كلها. فقال أبو مرحوم لأصحابه: يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها، مبيضة شمسها، احرقوا فيها أنهارها قال فأتى بذلك السمن فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال ياإخوانى كيف أصبحت الدنيا، قالوا مشرق لونها، مبيضة شمسها، مجراة فيها أنهارها فقال ياإخوانى اغرسوا فيها أشجارها

---

(١) (صحيح) ـ دون قوله: فى مأكله ومشربه، وقد سبق تخريجه.

(٢) والله لقد صدق المؤلف، فكيف لوارى صوفيه زماننا، الذين طافوا الأرض وجابوها من أجل القصع باسم المحبة!! .

قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر، فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال: ياإخوانى كيف أصبحت الدنيا، قالوا: مشرق لونها، مبيض شمسها، مجرى فيها أنهارها، وقد غرست فيها أشجارها، وقد تدلت لنا ثمارها، قال: يا إخوانى ارموا الدنيا بحجارتها قال: فأتى بذلك السكر فألقى فيها، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه، فقال ياإخوانى كيف اصبحت الدنيا قالوا: مشرق لونها مبيضة شمسها وقد أجريت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها، وقد تدلت لنا ثمارها، فقال يا إخوانى: ما لنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها،قال: فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس(١) قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته لأبى حاتم الرازى فقال امله على فأمليته عليه فقال: هذا شأن الصوفية.

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ فى الأكل ثم اختار من الطعام فربما ملأ كميه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالإجماع ولقد رأيت شيخاً منهم قد أخذ شيئاً من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى السماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين:

أحدهما: أنه يلهى القلب عن التفكير فى عظمة الله سبحانه و القيام بخدمته.

والثاني: أنه يميله إلى اللذات العاجلة التى تدعوا إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا فى المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء فى الحديث: الغناء رقية الزنا.(٢)

---

(١) رواه الخطيب فى « التاريخ » (٢ / ٣٨٠).

(٢) ليس له فى «الرفع» نصيب لكنه موقوف على الفضيل بن عياض من قوله. وقد رواه ابن أبى الدنيا فى «ذم الملاهى » (٥٧) من طريق الحسين بن عبد الرحمن قال: قال فضيل بن عياض: «الغناء رقية الزنا» وكذلك البيهقى فى «الشعب» (٤٧٥٥) والآجرى فى «الشريعة» (ص ٣٩٧) .وهكذا ذكره ابن القيم فى كتابه القيم «إغاثة اللهفان» (١ / ٢٦٣) بإسناده إلى الفضيل ومع هذا فالإسناد إليه لا يخلو من كلام فإن الحسين بن عبد الرحمن مجهول. وروى بن أبى الدنيا أيضاً (٦١) من طريق الحسين بن عبد الرحمن به عن أبى مليكة نحوه.

وقد ذكر أبو جعفر الطبرى أن الذى اتخذ الملاهى رجل من ولد قابيل يقال له ثوبان. اتخذ فى زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهومن المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قابيل فى اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور.

قال المصنف رحمه الله: وهذا لأن الالتذاذ بشئ يدعوا إلى التذاذه بغيره خصوصاً ما يناسبه ولما يئس إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المغنىَ الحاصل بالعود فدرجه فى ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدريج من شئ إلى شئ والفقيه من نظر فى الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد فإن النظر إلى الأمرد مباح إن أمن ثوران الشهوة فإن لم يؤمن لم يجز. وتقبيل الصبية التى لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا شهوة تقع هناك فى الأغلب فإن وجد شهوة حرم ذلك، وكذلك الخلوة بذوات المحارم فإن خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة.

رأى الصوفيـة فى الغنـاء

قال المصنف رحمه الله: وقد تكلم الناس فى الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الإباحة وفصل الخطاب أن نقول ينبغى أن ينظر فى ماهية الشئ ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك، والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فى الطرقات فإن أقواماً من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل، فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال وفى معنى هؤلاء الغزاة فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو. وفى معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للأشعار تفاخراً عند النزال وفى معنى هذا أشعار الحداة فى طريق مكة قول قائلهم :

بشـرهـا دليـلهـا وقـالا ... غـداً تـريـن الطـلـح والجبـالا

وهذا يحرك الإبل والآدمى. إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال. وأصل الحداء[1] ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر [المسلمة]

---

(١) الحد وسوق الإبل والغناء لها والحادى الذى ينشد الإبل حتى تسرع فى السير.

(٢) فى بعض النسخ: ابن المسلم وبعضها (ابن مسلم) والصواب أبو جعفر بن مسلِمة وهو محمد بن أحمد بن المسلمة كما فى «السير» للذهبى (١٨ / ٢١٣).

نا المُخلّص نا أحمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ثنى إبراهيم بن المنذر ثنا أبو البحترى وهب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم: أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال إن حادينا نام فسمعنا حاديكم فملت إليكم فهل تدرون أنىّ كان الحداء قالوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يا يداه يا يداه فسمعت الإبل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الإبل واجتمعت فاشتقت الحداء.(١)

قال المصنف رحمه الله: وقد كان لرسول الله ﷺ حاد يقال له أنجشة يحدو فتعنق الإبل. فقال رسول الله ﷺ: «يا أَنْجَشَة رُوَيْدَكَ سوقاً بالقوارير»(٢)وفى حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع. ألا تسمعنا من هنياتك. وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقول يقول:

اللهُـمَّ (٣) لَوْلا أنتَ ما اهتَدَيْنـا ... ولا تَصَـدَّقْنا ولا صـلَّينــا
وأَلْقِـيَـنْ سَـكِـينَةً عـلَيـــنا ... وثبـــت الأقـدام إذ لاقيـنـا (٤)

قال رسول الله ﷺ. من هذا السائق: قالوا: عامر بن الأكوع فقال«يرحمه الله»(٥)

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلا بأس به.

---

(١) (موضوع) ـ مرسل ـ فيه أبو البخترى وهو متهم بالكذب وقال الشيخ الألبانى فى الضعيفة (٥٥٤) موضوع

(٢) رواه البخارى (٦١٤٩، ٦١٦١، ٦٢٠٢، ٦٢٠٩، ٦٢١٠، ٦٢١١) ومسلم (٢٣٢٣) والدارمى (٢٧٠١) وابن حبان (٧ / ٥٢٢) والبغوى (٣٥٧٧، ٣٥٧٨، ٣٥٧٩) وأبو نعيم (٣ / ١٠٦) وأحمد (١٨٦/٣، ٢٢٧، ٢٠٢، ٢٥٦، ٢٥٤).

(٣) فى جميع النسخ «لاهم» وفى البخارى كما أثبتناه وكلاهما صحيح.

(٤) فى النسخ ـ ذكر المؤلف البيت الأول صحيح ثم ذكر نصف الثالث ومعه النصف الثانى من البيت، والذى فى البخارى بعد البيت الأول:

فاغفر فداءً لكَ ما اقْتَفَيْنا ... وثبّت الأقْدامَ إنْ لاقَيْنا
وأَلْقِيَنْ سَكِينةً علَيْنا ... إنّا إذا صِيح بِنَا أَتَينا
وبالصياحِ عَوَّلُوا عَلَيْنا

(٥) رواه البخارى (٤١٩٦، ٦١٤٨، ٦٣٣١) ومسلم (١٨٠٢) وأحمد (٤ / ٥٠).

قال المصنف رحمه الله: ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داعي[١]

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة. وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده. ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي ثنى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه ـ فانتهرهما أبو بكر ـ فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه. وقال: دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد. أخرجاه في الصحيحين.[٢]

قال المصنف رحمه الله: والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب إليها الجواري فيلعبن معها.[٣]

وقد أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكي أنبأنا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنا منصور بن بن الوليد بن جعفر بن محمد حدثهم: قال. قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين ـ أي شئ من هذا الغناء ـ قال: غناء الركب. أتيناكم أتيناكم.

---

(١) **(ضعيف)** ـ رواه أبو الحسن الخلعي في «الفوائد» (٢ / ٥٩) والبيهقي (٢ / ٥٠٧) دلائل وإسناده معضل . وكثير من الناس حتى الخطباء يظنون أن هذا الإنشاد وقع عند قدوم النبي ﷺ إلى المدينة من مكة عند الهجرة وهذا غلط كما قال ابن القيم في «الزاد» (٣ / ٥٥١) قال:
«فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة قادِماً من تبوك خرج الناس لتلقيه خرج النساء والصبيان والولائد يقلن ...فذكره ... ثم قال: وبعض الرواه يهم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام ... راجع تعليق الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥٩٨).

(٢) رواه البخاري (٩٤٩، ٩٥٢، ٩٨٧، ٢٩٠٦، ٣٥٢٩، ٣٩٣١) ومسلم (٨٩٢) والنسائي (٣ / ١٩٥) وابن ماجه (١٨٩٨) وعبد الرزاق (١٩٧٣٥) والطبراني في «الكبير» (٢٣ / ١٨٠ / ٢٨٧) والبيهقي سنن (١٠ / ٢٢٤) والشعب (٤٧٥٧) والآجري في « الشريعة » (٢٧٦) والبغوي (١١١١) وأحمد (٦ / ٩٩، ١٣٤، ١٨٦، ١٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٠) ومسلم (٢٤٤٠) من حديث عائشة.

قال الخلال وحدثنا أحمد بن فرج الحمصى ثنا يحيى بن سعيد ثنا أبو عقيل عن بُهَيَّة(١) عن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها. فقال رسول الله ﷺ: **ياعائشة إن الأنصار أناس فيهم غزل: فما قلت؟** قالت دعونا بالبركة: قال: أفلا قلتم:

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السمراء لم تسمن عذاريكم(٢)

أخبرنا [أبن الحصين](٣) نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجلح عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها: **أهديتم الجارية إلى بيتها؟ قالت: نعم. قال: فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول:**

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
فإن الأنصار قوم فيهم غزل(٤)

---

(١) فى جميع النسخ «نهبه» نون ثم هاء وباء وهو خطأ لم ينبه عليه أحد
والصواب «بهية» بالتصغير وهى مولاة عائشة وعنها أبو عقيل لا تعرف من الثالثة.

(٢) (إسناده ضعيف جداً) ، لضعف أبى عقيل وهو يحيى بن المتوكل وجهالة حال « بهية »
وقد روى البخارى (٥١٦٢) عن عائشة أنها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبى الله ﷺ:
«ياعائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو».

(٣) فى جميع النسخ «أبو الحصين» وهو خطأ والتصويب من «السير» (٥٣٦/١٩).

(٤) فيه عنعنة أبى الزبير ـ وقد رواه ابن ماجه (١٩٠٠) والبيهقى (٧ / ٢٨٩) وأحمد (٣ / ٣٩١) من نفس طريق الأجلح.
لكن الحديث يشهد له ما رواه فى «الأوسط» (١ / ١٦٧ / ١) من طريق محمد بن أبى السرى العسقلانى نا أبو عاصم رواد بن الجراح عن شريك بن عبد الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشه أن النبى ﷺ قال: ما فعلت فلانة؟ ليتيمة كانت عندها فقلت:
اهديتها إلى زوجها قال: فهل بعثتم معها بجارية تضرب بالدف وتغنى؟ قالت: تقول ماذا: قال: تقول: أتيناكم أتيناكم ......الحديث
وهو مسلسل بالضعفاء كما قال الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (١٩٩٥) ولكن شاهد يقوى الحديث السابق فيرفعه إلى درجة الحسن.

قال المصنف رحمه الله: فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس مما يطرب ولاكانت دفوفهن على ما يعرف اليوم. ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم:

ياغاديا في غفلة ورائحا ... إلى متى تستحسن القبائحا

وكم إلى كم لا تخاف موقفا ... يستنطق الله به الجوارحا

ياعجباً منك وأنت مبصر ... كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار أحمد بن حنبل فى الإباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمدانى نا أبو بكر بن لالى ثنا الفضل الكندى[1]، قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلفانى يقول لأحمد بن حنبل: ياأبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر الجنة والنار أى شئ تقول فيها فقال: مثل أى شيء، قلت يقولون:

إذا ما قال لى ربى ... أما استحييت تعصينى

وتخفى الذنب من خلقى ... وبالعصيان تأتينى

فقال : أعد علىّ، فأعدت عليه، فقام ودخل بيته ورد الباب ـ فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول:

إذا ما قال لى ربى ... أما استحييت تعصينى

وتخفى الذنب من خلقى ... وبالعصيان تأتينى

ومن الأشعار أشعار تنشدها النواح، يثيرون بها الأحزان والبكاء، فينهى عنها لما فى ضمنها .

فأما الأشعار التى ينشدها المغنون المتهيئون للغناء ويصفونَ فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو وهو الغناء المعروف فى هذا الزمان مثل قول الشاعر:

---

(١) فى بعض النسخ : الفضل بن الفضل الكندى.

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح
خوفوني من فضيحته ليته وافى وافتضح

وقد أخرجوا لهذه الأغانى ألحاناً مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال، وتثير حب الهوى، ولهم شئ يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيعجعج القلوب. وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيب والإيقاع به على وفق الإنشاد والدف بالجلاجل، والشبابة النائبة عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم.

فصـــل

قال المصنف رحمه الله: وقبل أن نتكلم فى إباحته. أو تحريمه، أو كراهته: نقول. ينبغى للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه. ويحذر تلبيس إبليس فى إجراء هذا الغناء مجرى الأقسام المتقدمة التى يطلق عليها اسم الغناء. فلا يحمل الكل محملاً واحداً. فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان. فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والإخوان فنقول:

معلوم أن طباع الآدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فإذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع ـ فإن ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال، فإن تعلل فقال. إنما أنظر إلى هذه المستحسنات معتبراً فأتعجب من حسن الصنعة فى دعج العينين، ورقة الأنف ونقاء البياض، قلنا له فى أنواع المباحات ما يكفى فى العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة. فإن ميل الطبع شاغل عن ذلك، وكذا من قال أن هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندى ولا يلفت قلبى إلى حب الدنيا الموصوفة فيه ـ فإنا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم إن كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائباً عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطبع وإن كانت قد طالت غيبته فى سفر الخوف، وأقبح القبيح البهرجة، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى. ثم إن كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغى أن لا نبيحه إلا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشاب المبتدئ. والصبى الجاهل. حتى قال أبو حامد الغزالى. إن التشبيب بوصف الخدود. والأصداغ، وحسن القد، والقامة، وسائر أوصاف النساء. الصحيح إنه لا يحرم.

قال المصنف رحمه الله: فأما من قال إنى لا أسمع الغناء للدنيا. وإنما آخذ منه إشارات فهو يخطئ من وجهين:

أحدهما: أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال إنى أنظر إلى هذه المرأة المستحسنة لأتفكر فى الصنعة.

والثانى: أنه يقل فيه وجود شئ يشار به إلى الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال فى حقه إنه يعشق. ويقع الهيمان به. وإنما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط وإذ قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل فى الغناء.

مذهب الإمام أحمد

أما مذهب الإمام أحمد رحمه الله. فإنه كان الغناء فى زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه. فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال: الغناء ينبت النفاق فى القلب، لا يعجبنى[1] وروى عنه إسماعيل بن إسحاق الثقفى: أنه سئل عن استماع القصائد فقال: أكرهه، هو بدعة، ولا يجالسون. وروى عنه أبو الحارث أنه قال: التغيير بدعة، فقيل له: إنه يرقق القلب . فقال هو بدعة. وروى عنه يعقوب الهاشمى: التغيير بدعة محدث. وروى عنه يعقوب بن غياث أكره التغبير وإنه نهى عن استماعه.

قال المصنف: فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء، قال أبو بكر الخلال كره أحمد القصائد لما قيل له أنهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها. قال المروزى: سألت أبا عبيد الله عن القصائد. فقال: بدعة. فقلت له: أنهم يهجرون. فقال لا يبلغ بهم هذا كله.

قال المصنف: وقد روينا أن أحمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه. فقال له صالح يا أبت أليس كنت تنكر هذا. فقال إنما قيل لى أنهم يستعملون المنكر فكرهته،

---

(١) ورد مرفوعاً وموقوفاً أما المرفوع فقد رواه البيهقى فى «الشعب» (٤٧٤٦) عن أبى الزبير عن جابر مرفوعاً وإسناده ضعيف جداً. ورواه أبو داود (٤٩١٧) والبيهقى (٢٢٣/١٠) وابن أبى الدنيا فى «ذم الملاهى» (٤١) عن عبد الله بن مسعود ، وإسناده مجهول. قال ابن القيم فى «إغاثة اللهفان» فى رفعه نظر والموقوف أصح وقد رواه البيهقى فى «الشعب» (٤٧٤٤) والسنن (٢٢٣/١٠) وابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى (٣١) وإسناده رجاله ثقات .

فأما هذا فإنى لا أكرهه: قال المصنف رحمه الله قلت وقد ذكر أصحابنا عن أبى بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز إباحة الغناء. وإنما أشار إلى ما كان فى زمانهما من القصائد الزهديات.

وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد. ويدل على ما قلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية. فاحتاج الصبى إلى بيعها. فقال لا تباع على أنها مغنية فقيل له: إنها تساوى ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوى عشرين ديناراً فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة.

قال المصنف: وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لا تغنى بقصائد الزهديات بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العشق، وهذا دليل على أن الغناء محظور إذ لو لم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على اليتيم. وصار هذا كقول أبى طلحة للنبى ﷺ. عندى خمر لأيتام، فقال أرقها[1] فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى. وروى المروزى عن أحمد بن حنبل أنه قال: كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لأن المخنث لا يغنى بالقصائد الزهدية إنما يغنى بالغزل والنوح. فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد فى الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات.

مذهب الإمام مالك

قال المصنف: وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكى نا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمد بن محمد الدبيثى نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السرى بن عثمان التمار قالا أخبرنا عبد الله بن أحمد عن أبيه عن إسحاق بن عيسى الطباع قال سألت بن مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء. فقال: إنما يفعله الفساق.[2]

---

(١) (إسناده صحيح) ـ رواه أحمد (٣ / ١١٩) وأبو داود (٣٦٧٥) والترمذى (١٢٩٣) والدارمى (٢١١٥) والدار قطنى (٤ / ٢٦٥) وصحح إسناده الشيخ الألبانى فى «المشكاة» (٣٦٤٩).

(٢) (إسناده منكر) ـ محمد بن عمر الوراق ضعيف جداً كما فى «الميزان» (٣ / ٦٧١) ومحمد بن السرى يروى المناكير والبلايا ليس بشئ ـ الميزان (٣ / ٥٥٩).

أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى قال أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال: أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه. وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده فإنه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لا يرى به بأساً.

مذهب أبى حنيفة

وأما مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه. أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى عن أبى الطيب الطبرى. قال: كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب. قال: وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة: إبراهيم، والشعبى وحماد، وسفيان الثورى. وغيرهم لا اختلاف بينهم فى ذلك. قال ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبرى أنه كان لا يرى به بأساً.

مذهب الشافعى

وأما مذهب الشافعى رحمة الله عليه قال: حدثنا إسماعيل بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهانى ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا أحمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن إبراهيم بن جياد ثنا الحسن بن عبد العزيز الحروى قال سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يشغلون به الناس عن القرآن.(١)

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر أبو منصور الأزهرى ـ المغيرة قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله عز وجل تغييراً كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة لهذا المعنى وقال: الزجاج سموا مغيرين لتزهيدهم الناس فى الفانى من الدنيا وترغيبهم فى الآخرة. وحدثنا هبة الله بن أحمد الحريرى عن أبى الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى قال. قال الشافعى: الغناء لهو

(١) قال ابن القيم فى «إغاثة اللهفان» (١ / ٢٤٧) وقد تواتر عن الشافعى أنه قال: خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونها التغبير يصدون به الناس عن القرآن.

مكروه يشبه الباطل. ومن استكثر منه فهو سفيه تُرد[١] شهادته. قال: وكان الشافعى يكره التغيير[٢]. قال الطبرى فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبرى وقد قال رسول اللهﷺ: «عليكم بالسواد الأعظم فإنه من شذ شذ فى النار»[٣] وقال: «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية»[٤]

قال المصنف **قلت:** وقد كان رؤساء أصحاب الشافعى رضى الله عنهم ينكرون السماع. وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الإنكار. منهم أبو الطيب الطبرى وله فى ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبو القاسم الحريرى ومنهم القاضى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الإنماطى عنه. قال لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب. قال ومن أضاف إلى الشافعى هذا فقد كذب عليه. وقد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء. على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته.

قال المصنف رحمه الله **قلت:** فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم وإنما رخص فى ذلك من متأخريهم من قلّ علمه وغلبه هواه. وقال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص والله الموفق.

فصل فى ذكر الأدلة
على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما

قال المصنف: وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى. فأما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات. الآية الأولى قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان:٦] أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله بن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال: قال حميد الخياط: أخبرنا عن عمار بن أبى معاوية عن سعيد بن جبير

(١) سقطت من هذه النسخة واستدركتها من بقية النسخ.
(٢) فى الأصل التعبير.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) رواه مسلم (١٨٤٨) والنسائى (٧ / ١٢٣) وأحمد (٢ / ٢٩٦ ـ ٣٠٦ ـ ٤٨٨).

عن أبي الصهباء. قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: هو والله الغناء.(١)

أخبرنا عبد الله بن على المقرئ ومحمد بن ناصر الحافظ قالا نا طراد بن محمد نا أبى بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾. قال: هو الغناء وأشباهه.(٢)

أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى بن على المدبر قالا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوى ثنا هدبة ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: الغناء(٣) أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكى نا أحمد بن جعفر بن مسلم نا أحمد بن محمد الخالق ثنا أبو بكر المروزى ثنا أحمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن شعيب(٤) بن يسار. قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء(٥) وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعي.

الآية الثانية قوله عز وجل: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم:٦١]

أخبرنا عبد الله بن على نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا عبيد الله بن عمر ثنا يحيى بن سعيد(٦) عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ قال هو الغناء بالحميرية سمد لنا ــ غنى لنا(٧) وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سَمَدَ فلان إذا غنى.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (٢٦) وابن جرير (٢٢ / ٣٩ ـ ٤٠) والحاكم (٢ / ٤١١) والبيهقى فى «السنن» (٢٢٣/١٠) وفى «الشعب» (٤٧٤٣) وابن أبي شيبة (٣٠٩/٦) وإسناده حسن.

(٢) رواه البخارى فى «الأدب المفرد» (٧٨٦ـ ١٢٦٥) وابن جرير (٢١ / ٦١) وابن أبى شيبة (١٦ / ٣٠٩) وابن أبي الدنيا فى «ذم الملاهى» (٢٧) والآجرى فى «النرد والشطرنج» (ص ٣٦٦) والبيهقى (٢٢٣/١٠) وقال الألبانى فى «صحيح الأدب» (٦٠٣) صحيح الإسناد.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا فى «ذم الملاهي» (٢٩ ـ ٣٢) والطبرى فى «تفسيره» (٢٢ / ٤٠) وإسناده صحيح.

(٤) فى الأصل سعيد بن نصار وهو كذلك فى جميع النسخ التى بين يدى وهو مصحف والصواب شعيب كما فى تفسير الطبرى وله ترجمة فى «الجرح» (٢ / ١ / ٣٥٣) ولكنه مجهول الحال كما قال أبو زرعة

(٥) رواه ابن أبي الدنيا (٢٨) والطبرى (٢٢ / ٤٠) وإسناده ضعيف.

(٦) فى جميع النسخ سعد ومع أن هذا العالم الفاضل تغنى شهرته عن الوقوع فى اسمه إلا أن محققى الكتاب تتابعوا على هذا الخطأ ...فله الله!

(٧) رواه الطبرى (٢٧ / ٤٨) والبيهقى (١٠ / ٢٢٣) وابن أبي الدنيا (٣٣) وإسناده صحيح.

الآية الثالثة:قوله عز وجل: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ﴾[الإسراء:٦٤] .

أخبرنا موهوب بن أحمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن إبراهيم الزهرى نا عبد الله بن إبراهيم بن ماسى ثنا الحسين بن الكميث ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمى عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ . قال هو الغناء والمزامير.[١]

أما السنة: أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه. أنه سمع صوت زمارة راعٍ فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق. وهو يقول يا نافع أتسمع فأقول نعم فيمضى حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال رأيت رسول اللهﷺ سمع زمارة راعٍ فصنع مثل هذا.[٢]

قال المصنف رحمه الله: إذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان ومزمورهم؟[٣].. أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبى ثنا إسماعيل بن سعيد بن سويد ثنا أبو بكر بن الأنبارى ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ثنا ابن أبى مريم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زَحْرٍ[٤] عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال: نهى رسول اللهﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن. وقال ثمنهن حرام. وقرأ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٥] [لقمان:٦] .

---

(١) **(إسناده ضعيف)** لضعف الليث وهو ابن أبى سليم وقد أخرجه ابن جرير (١٥ / ٩٨١) من طريقه وابن أبى الدنيا (٧٣) من طريق أخرى ضعيف.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٢٦) وابن أبى الدنيا (٦٨) والطبرانى «صغير» (١١) والآجرى فى «النرد» (ص٢٠٥) وأحمد (٢ / ٣٨) والبيهقى «الشعب» (٤٧٦٠) وهو صحيح بطرقه.

(٣) ليست فى نسخة، وإنما هو خطأ لغةً فصححتها إلى أقرب لفظ مناسب.

(٤) فى الأصل عمر وكذلك فى جميع نسخ الكتاب والصواب ما أُثبتناه .

(٥) رواه أحمد (٥ / ٢٥٢ ، ٢٦٤) والترمذى (١٢٨٢ ، ٣١٩٥) والحميدى (٩١٠) والطبرى (٢١ / ٦٠) والطبرانى كبير (٨٧٠٥، ٧٨٥٥ ، ٧٨٦١ ، ٧٨٦٢) والبيهقى (١٤/٦، ١٥) وابن أبى الدنيا (٢٣ ، ٢٤) وحسنه الألبانى فى «صحيح الترمذى» (١٣٠٥ ، ٣٤٢٤).

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا أبو منصورمحمد بن محمد المقرى نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الجمحى ثنا منصور بن أبى الأسود عن أبى المهلب[١]عن عبيد الله بن زَحْر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة. قال نهى رسول اللهﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهنَّ وعن تعليمهن الغناء. وقال: ثمنهنَّ حرام . وقال فى هذا أو نحوه. أو وقال شبهه، نزلت عليّ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ليضل عن سبيل الله﴾ وقال: «**ما من رجل يرفعُ عقيرة صَوْته للغناء إلاَّ بَعَثَ الله له شَيْطَانَيْنِ [يرتدفانه][٢]أعنى هذا من ذا الجانب وهذا من ذَا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما فى صدره حتى يكون هو الذى يسكتُ**»[٣].

وروت عائشة رضى الله عنها عن النبىﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها**» ثم قرأ: ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث**﴾[٤]وروى عبد الرحمن بن عوف عن النبىﷺ أنه قال: «**إنما نُهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة**».[٥]

أخبرنا ظُفر بن على نا أبو على الحسن بن أحمد المقتدى نا أبو نُعيم الحافظ نا حَبيب بن الحسن بن على بن الوليد ثنا محمد بن كُليب ثنا خَلف بن خَليفة عن أبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول اللهﷺ فاذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول اللهﷺ فوضعه فى حجره ففاضت عيناه فقلت يا رسول الله أتبكى وتنهانا عن البكاء فقال: لست أنهى عن البكاء إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان.[٦]

---

(١) فى النسخة المحققه الملهب والصواب ما أثبتناه.
(٢) يرتدفانه على عاتقيه .
(٣) (**إسناده ضعيف جداً**)، عبيد الله زحر، وعلى بن زيد ضعيفان ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٧٧٤٩) وإسناده ضعيف جداً.
(٤) رواه ابن أبى الدنيا (٢٣) ومن طريقه المؤلف فى «العلل» (٢ / ٧٨٤، ١٣٠٩) وإسناده ضعيف.
(٥) رواه ابن أبى الدنيا (٦٤) وابن سعد (١ / ١٣٨) والبزار (٨٠٥) كشف، والطحاوى «معانى» (٢٩٣/٤) والحاكم (٤ / ٤٠) من طريق ابن أبى ليلى عن عطاء عن جابر عن عبد الرحمن بن عوف، وإسناده ضعيف فان محمد بن أبى ليلى سيئ الحفظ كثير الخطأ خصوصاً فى الرواية عن عطاء، غير أنه اضطرب فى إسناده فقد رواه الطيالسى (١٦٨٣) وعبد بن حميد (١٠٠٤) والترمذى (١٠٠٥) وابن حبان فى «المجروحين» (٢٤٥/٢) والبيهقى (٤ / ٦٩) من طريق عطاء عن جابر مرفوعاً فجعله من مسند جابر.
(٦) (**مرسل إسناده ضعيف**) ـ خلف بن خليفه ضعيف
وعطاء لم يسمع من ابن عمر كما قال ابن أبى حاتم فى «المراسيل» (ص ١٥٤).

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا جدى أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو على أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد بن سويد الطحان ثنا عاصم بن على ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن نحام الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما. أن النبى ﷺ. قال: «بعثت بهدم المزمار والطبل».[١]

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن غيلان نا أبو بكر الشافعى ثنا عبد الله بن محمد ابن ناجية ثنا عبّاد [بن يعقوب][٢] ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على. قال قال رسول الله ﷺ: «بعثت بكسر المزامير».[٣]

أخبرنا أبو الفتح الكروجى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العورجى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا صالح بن عبد الله ثنا الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء فذكر منها إذا اتخذت القيان و المعازف»[٤] قال الترمذى: وحدثنا على بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا اتخذ الفئ دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً ،وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل

---

(١) (إسناده ضعيف) ، فإن عاصم وشيخه ضعيفان وقد رواه فى «مسند الفردوس» (١ / ٤٨٣) عن ابن عباس بلفظ «أمرت يهدم الطبل والمزمار» وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (١٣٦٢).

(٢) فى النسخة المحققه معوق والصواب ما أثبتناه.

(٣) (إسناده ضعيف جداً) ،فإن موسى بن عمير كذاب. وقد رواه ابن عدى فى «الكامل» (١٣٨/٦ـ ١٣٩) من طريق محمد بن الفرات عن أبى إسحق عن الحارث عن على مرفوعاً «بعثنى ربى عز وجل بمحق المزامير والمعازف والأوثان التى كانت تعبد فى الجاهلية» الحديث ... ومحمد بن الفرات كذاب. ورواه ابن أبى الدنيا (٧١) والطيالسى (١١٣٤) والحكيم فى «المنهيات» (ص ٤٤، ٥٨) والعقيلى فى «الضعفاء» (٢٥٥/٣) والطبرانى فى «الكبير» (٨ / ٢٣٢) وابن الجوزى فى «العلل» (٢ / ٧٨٤) من طريق الفرج بن فضالة عن على بن يزيد الألهانى عن القاسم عن أبى أمامة مرفوعاً: «إن الله عز وجل بعثنى رحمة وهدى للعالمين بعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية ..». وهو ضعيف جداً لضعف على بن يزيد، غير أن فى إسناده مجهول .

(٤) (إسناده ضعيف جداً) رواه ابن أبى الدنيا (٥) وابن حبان فى «المجروحين» (٢ / ٢٠٧) والخطيب (١٥٨/٢) والترمذى (٢٢١٠) وابن الجوزى فى «العلل» (٢ / ٨٤٩) وفيه أكثر من علة. الأولى ضعف الفرج بن فضالة والثانية الإرسال فقد قال العلائى فى «جامع التحصيل» (ص ٢٦٧) أن يحيى بن سعيد لم يدرك محمد بن على وهو ابن الحنفية وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الترمذى» (٣٨٦).

امرأته وعق أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات فى المساجد، وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها. فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع»[١].

وقد روى عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ أنه قال: «يكون فى أمتى خسف وقذف ومسخ» قيل يا رسول الله متى. قال: «إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر»[٢].

أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الأنصارى فى كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسد أبادى نا أبو منصور المقومى نا أبو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن إبراهيم القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجانى ثنا عبد الرزاق أخبرنى يحيى بن العلاء ثنا بشر بن نمير[٣] أنه سمع مكحولاً يقول إنه سمع يزيد بن عبد الله يقول إنه سمع صفوان بن أمية قال كنا مع رسول الله ﷺ فجاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله. إن الله عز وجل قد كتب على الشقوة فما أرانى أرزق إلا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء فى غير فاحشة. فقال له رسول الله ﷺ : «**لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين. كذبت يا عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله . ولو كنت تقدمت إليك لفعلت بك وفعلت. قم عنى وتب إلى الله عز وجل. أما إنك لو قلت بعد التقدمة اليك ضربتك ضرباً وجيعاً. وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلك. وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة**» فقام عمرو وبه من الشر

---

(١) **(إسناده ضعيف)** لجهالة رميح الجذامى. وقد رواه الترمذى (٢٢١١) من طريقه، ورواه ابن أبى الدنيا فى «ذم الملاهى» (٨) وفيه مستور ، ورواه أبو نعيم (٣ / ١١٩) مرسلاً.

(٢) **(إسناده ضعيف جداً)** - رواه ابن أبى الدنيا فى «ذم الملاهى» (١) وعبد بن حميد (٤٥٢) والطبرانى فى «الكبير» (٦ / ١٥٠) والخطيب فى «التاريخ» (١٠ / ٢٧٢ - ٢٧٣) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف جداً.
وقد أخرج ابن ماجه (٤٠٥٩) الشطر الأول منه عن سيار عن طارق عن عبد الله مرفوعاً «بين يدى الساعة مسخ وخسف وقذف»
وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٧٨٧).

(٣) سقط من الإسناد واستدركته من الطبرانى فى «الكبير».

والخزى ما لا يعلمه إلا الله عز وجل. فلما ولى قال رسول الله ﷺ **«هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله عز وجل عرياناً لا يستتر بهدبة كلما قام صرع»**(١)

وأما الآثار فقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل(٢)وقال: إذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان. وقال: تَغَنَّه فإن لم يُحسن. قال له: تَمَنَّه(٣) ومرّ ابن عمر رضى الله عنه بقوم مُحْرمين وفيهم رجل يتغنى. قال ألا لا سمع الله لكم(٤). ومر بجارية صغيرة تغنى فقال: لو ترك الشيطان أحداً لترك هذه(٥). وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال: أنهاك عنه وأكرهه لك. قال: أحرام هو؟ قال انظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق من الباطل ففى أيهما يُجعل الغناء.(٦)

وعن الشعبى: قال لُعن المغنى والمغنى له(٧). أخبرنا عبد الله بن على المقرى ومحمد بن ناصر قالا نا طراد بن محمد نا أبو الحسين بن بشران نا أبو على بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى الحسين بن عبد الرحمن ثنى عبد الله بن عبد الوهاب قال أخبرنى أبو حفص عمر بن عبد الله الأموى(٨). قال:كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن جل وعز. فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه(٩).

---

(١) **(موضوع)** – يحيى بن العلاء كان يضع الحديث قاله أحمد. وقد رواه الطبرانى (٧٣٤٢) وفى «مسند الشاميين» (٣٦٢٨) وابن ماجه (٢٦١٣) من طريق بشر بن نمير ...والحديث موضوع كما قال الشيخ الألبانى.

(٢) راجع رقم

(٣) **(إسناده صحيح)** أخرجه عبد الرزاق (١٠ / ٣٩٧ / ١٩٤٨١) والطبرانى فى «الكبير» (٩ / ١٧٠) والبيهقى فى «الشعب» (٤٧٤٧) وابن أبى الدنيا (٤٢) والبيهقى سنن (٥ / ٢٥٢).

(٤) رواه ابن أبى الدنيا (٤٤) وإسناده صحيح.

(٥) رواه ابن أبى الدنيا (٤٥) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٧٨٤) والبيهقى (١٠ / ٢٢٣) وفى «الشعب» (٤٧٤٨) والآجرى فى «النرد» (ص ٣٨٥) وإسناده صحيح.

(٦) رواه ابن أبى الدنيا (٤٦) وإسناده قوى.

(٧) رواه البيهقى فى «الشعب» (٤٧٥١) وابن أبى الدنيا (٤٨) وإسناده رجاله ثقات.

(٨) فى الأصل عبيد الله الأرموى والصواب ما أثبتناه.

(٩) رواه ابن أبى الدنيا (٥١) من طريق الحسين بن عبد الرحمن به

وقال فضيل بن عياض. الغناء رُقْية الزنا(١) . وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب. وقال يزيد بن الوليد يا بنى أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر. فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا(٢).

قال المصنف رحمه الله قلت: وكم قد فتنت الأصوات بالغناء من عابد وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم فى كتابنا المسمى بذم الهوى .

أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة (٣)نا أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ثنى محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه. قال: كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له. فَسَمَرَ ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه: فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه إذا استمدها بيده، وأشار إليها فإذا هى ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوتٍ غناء تسمعه فى ناحية العسكر. فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت. فإذا صوت رجلٍ يغنى فأنصت له حتى فهم ما يغنى به من الشعر. ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً. فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه فأفاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل. فقال: هل بقى أحد يسمع منه. فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين عندى رجلان من أهل أيلة حاذقان، قال. وأين منزلك من العسكر؟ فأومى إلى الناحية التى كان الغناء منها. فقال سليمان يبعث إليهما فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان، فقال له: ما اسمك؟ قال: سمير، فسأله عن الغناء .كيف هو فيه؟ فقال حاذق محكم. قال ومتى عهدك به؟ قال: فى ليلتى هذه الماضية. قال: وفى أى نواحى العسكر كنت؟ فذكر له الناحية التى سمع منها الصوت. قال: فما غنيت؟ فذكر الشعر الذى سمعه سليمان. فأقبل سليمان فقال هدر الجمل فضبعت الناقة وهب التيس فشكرت الشاة، وهدل الحمام فزافت الحمامة، وغنى الرجل فطربت المرأة . ثم أمر به فخصى.

---

(١) رواه البيهقى «شعب» (٤٧٥٥)وابن أبى الدنيا (٥٧)والآجرى فى «النرد» (ص٣٩٧)وإسناده ضعيف.
(٢) رواه ابن أبى الدنيا (٥٢) والآجرى فى «النرد» (ص٣٩٦) والبيهقى فى الشعب (٤٧٥٤) وإسناده فيه مجهول.
(٣) فى الأصل عبد الواحد بن رزمة أبو سعيد الحسن فوصل الاسمين معاً.

وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون. قالوا: بالمدينة وهو فى المخنثين وهم الحذاق به والأئمة فيه فكتب إلى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أخصى من قبلك من المخنثين المغنين.(١)

قال المصنف رحمه الله: وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يُخرج الإنسان عن الاعتدال ويغير العقل. وبيان هذا أن الإنسان إذا طَرِبَ فعل ما يستقبحه فى حال صمته من غيره من تحريك رأسه: وتصفيق يديه، ودق الأرض برجليه. إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر فى تغطية العقل. فيّنبغى أن يقع المنع منه.

أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابن جَهْضَم ثنا يحيى بن المؤمل ثنا أبو بكر السقاف ثنا أبو سعيد الخراز. قال ذكر عند محمد بن منصور أصحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرارون من الله عزّ وجلّ لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لأفادهم فى سرائرهم ما يُشغلهم عن كثرة التلاقى.(٢)

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على العبادى. قال قال أبو عبد الله بن بطة العُكْبرى: سألنى سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يُظْهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة. يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء. يسمعونه من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه. تعالى الله عما يقوله الجاهلون علوا كبيراً .

(١) (إسناده ضعيف) ـ رواه ابن أبى الدنيا نحوه (٥٤) وإسناده حسن.
(٢) (إسناده ضعيف جداً)، وذلك لضعف جهضم وجهالة يحيى بن المؤمل.

في ذكر الشُّبه
التي تعلق بها من أجاز سماع الغناء

فمنها حديث عائشة رضى الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين وفى بعض ألفاظه دخل علىَّ أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث. فقال: أبو بكر أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ فقال رسول الله: «**دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا**» وقد سبق ذكر الحديث[١] ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار. فقال النبى ﷺ **ياعائشة ما كان معهم من اللهو. فإن الأنصار يعجبهم اللهو**[٢] ــ وقد سبق ومنها حديث فَضَالة بن عُبَيْد عن النبى ﷺ أنه قال: «**الله أشد إذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**» [٣]. قال ابن طاهر: وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لا يجوز أن يقاس عَلى مُحرم. ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ. أنه قال: «**ما أذن الله عز وجل لشئ ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن**»[٤].. ومنها حديث حاطب عن النبى ﷺ أنه قال: **فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف**[٥].

والجواب: أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمى بذلك غناء لنوع يثبت فى الإنشاد وترجيع ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال، وكيف يحتج بذلك الواقع فى الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة فى زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى، ما هذا

---

(١) ذكرناه سابقاً.

(٢) **(صحيح)** وقد تقدم.

(٣) رواه أحمد (٦/١٩ـ٢٠) وابن ماجه (١٧٤٠) والطبرانى فى «الكبير» (٧٧٢/٣٠١/١٨) والبخارى فى «التاريخ» (١٢٤/٧) والبيهقى (٢٣٠/١٠) وابن حبان (٧٥٤) والحاكم (٥٧٠/١ـ ٥٧١) وهو صحيح.

(٤) رواه البخارى (٥٠٢٣، ٥٠٢٤، ٧٤٨٢، ٧٥٤٤) ومسلم (٧٩٢) وأبو داود (١٤٧٣) والنسائى (١٨٠/٢، ١٨٣) والدارمى (١٤٨٨، ١٤٩١) وعبد الرزاق (٤١٦٦) وابن أبى شيبة (٢ / ٥٢٢) وابن حبان (٧٥١، ٧٥٢) والحميدى (٩٤٩) وأحمد (٢ / ٢٧١، ٢٨٥، ٤٥٠) والبيهقى فى السنن (٥٤/٢).

(٥) **(حسن)** ــ أخرجه الترمذى (١٠٨٨) والنسائى (٦ / ١٢٧) وابن ماجه (١٨٩٦) والطبرانى فى «الكبير» (١٩ / ٢٤٢ / ٥٤٢) والحاكم (٢ / ١٨٤) والبيهقى (٧ / ٢٨٩) وأحمد (٣ / ٤١٨). وحسنه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (١٩٩٤) وفى «صحيح الجامع» (٤٢٠٦).

إلا مغالطة للفهم. أو ليس قد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت. لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد[١] وإنما ينبغى للمفتى أن يزن الأحوال كما ينبغى للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك، وأين الغناء بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث من غناء أمرد مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تجذب إليه النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد[٢]. والاعتدال فهل يثبت هناك طبع؟ هيهات بل ينزعج شوقاً إلى المستلذ ولا يدعى أنه لا يجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الإشارة من ذلك إلى الخالق فقداستعمل فى حقه ما لا يليق به على أن الطبع يسبقه إلى ما يجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر فأخبرنا أبو القاسم الحريرى عنه أنه قال: هذا الحديث حجتنا لأن أبا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبى ﷺ على أبى بكر قوله وإنما منعه من التغليظ فى الإنكار لحسن رفعته لا سيما فى يوم العيد وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة فى ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها .

قال المصنف رحمه الله: وأما اللهو المذكور فى الحديث الآخر فليس بصريح فى الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره. وأما التشبيه بالاستماع إلى القينة[٣] فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً. فإن الإنسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وإنما وقع التشبيه بالاصغاء فى الحالتين فيكون أحدهما حلالاً أو حراماً لا يمنع من التشبيه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إنكم لترون ربكم كما ترون القمر**»[٤] فشبه أيضاً الرؤية بإيضاح الرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق

---

(١) رواه البخارى (٨٦٩) ومسلم (٤٤٥).

(٢) قلت: لوكان المؤلف على قيد الحياة يسمع ما نسمع الآن من المجون والخلاعة التى تدعو إلى الرزيلة صباح مساء من غير ما حياء أو خجل ... فماذا يقول؟.

(٣) القينة: المغنية وجمعها قيان.

(٤) أخرجه البخارى (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٦) ومسلم (٦٣٣) وأبو داود (٤٧٢٩) والترمذى (٢٦٧٥) وابن ماجه (١٧٧) والطبرانى فى «الكبير» (٢٢٢٤، ٢٢٢٥، ٢٢٢٦، ٢٢٢٧) والدار قطنى فى «الرؤية» (١٦٣، ١٦٤، ١٦٥) وابن حبان (٩ / ٢٦٧) وأحمد (٤ / ٣٦٠، ٣٦٢).

منزّه عن ذلك والفقهاء يقولون فى ماء الوضوء لا ننشف الأعضاء منه لأنه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد. فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة. وإن افترقا فى الطهارة والنجاسة. واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح فقه الصوفية لا علم الفقهاء . وأما قوله يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينه فقال: معناه يستغنى به. وفسره الشافعى فقال: معناه يتحزن به ويترنم. وقال غيرهما: يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا. وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا ـ فكيف لو رأوا هذه ـ وكان الحسن البصرى يقول: ليس الدف من سنة المرسلين فى شئ.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ فى التأويل على رسول اللهﷺ . وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر فى الناس .

قال المصنف رحمه الله قلت: ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد بن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل.

أخبرنا عبد الله بن على المقرئ نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب ثنا الحسين بن إسماعيل المحاملى ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبى إسحق عن عامر بن سعد البجلى قال طلبت ثابت بن سعد وكان بدرياً فوجدته فى عرس له قال وإذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا إن رسول اللهﷺ رخص لنا فى هذا[(١)] .

أخبرنا عبد الله بن على نا جدى أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن بشران ثنا أبو على أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائى ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن إلياس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «**اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعنى الدف**» .[(٢)]

---

(١) **(حسن)** ـ رواه النسائى (٦ / ١٣٥) والحاكم (٢ / ١٨٤) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/٢٤٧/٦٩٠) وحسنه الألبانى فى «صحيح النسائى» (٣١٦٨).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى «سننه» (٦٣٥) وابن ماجه (١٨٩٥) والبيهقى (٧ / ٢٩٠) وسنده ضعيف وضعفه ابن حجر فى «الفتح» والألبانى. وقد صح بلفظ «اعلنوا النكاح».
ورواه ابن حبان (١٢٨٥) والطبرانى وحسنه الألبانى فى «آداب الزفاف» (ص ١٨٣).

قال المصنف رحمه الله: وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر فى الطباع، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهانى فإنه قال كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم.

قال المصنف رحمه الله: وإنما ذكر أبو نُعيم هذا عن البراء لأنه روى عنه أنه استلقى يوماً فترنم فانظر إلى هذا الاحتجاج البارد فإن الإنسان لا يخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب.

وقد استدل لهم محمد بن طاهربأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لأنها ليست بشئ فمنها أنه قال فى كتابه باب (الاقتراح على القوال والسنة فيه). فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه قال: استنشدنى رسول الله ﷺ من شعر أمية فأخذ يقول هى هى حتى أنشدته مائة قافية(١) وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل. قال العجاج سألت أبا هريرة رضى الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقماً. فقال أبو هريرة رضى الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدى رسول الله ﷺ

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما أعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بإنشاد الشعر؟ وما مثله إلا كمثل من قال: يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال: يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه فى يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام، وقد نسى أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء، وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه، قال: أخبرنا أبو محمد التميمى قال: سألت الشريف أبا على بن أبى موسى الهاشمى عن السماع فقال: ما أدرى ما أقول فيه غير أنى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمى سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهرى شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركى شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبوالحسين ابن شمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلانى فى دار شيخنا أبى الحسن التميمى شيخ الحنابلة. فقال

(١)رواه مسلم (٢٢٥٥) وابن ماجه (٣٧٥٨).

أبو على: لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتى فى حادثة بسنة. ومعهم أبو عبد الله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له قل شيئاً فقال: وهم يسمعون:

خطت أناملها فى بطن قرطاس ... رسالة بعبير لا بأنفاس
أن زر فديتك قف لى غير محتشم ... فإن حبك لى قد شاع فى ا لناس
فكان قولى لمن أدى رسالتها ... قف لى لأمشى على العينين والرأس

قال أبو على فبعدما رأيت هذا لا يمكننى أن أفتى فى هذه المسألة بحظر ولا أباحة.

قال المصنف رحمه الله: وهذه الحكاية إن صدق فيها محمد بن طاهر فإن شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الأبيات على أنه أنشدها لا أنه غنى بها بقضيب ومخدة إذ لو كان كذلك لذكره. ثم فيها كلام مجمل قوله لا يمكننى أن أقول فيها بحظر ولا إباحة لأنه إن كان مقلداً لهم فينبغى أن يفتى بالإباحة وإن كان ينظر فى الدليل فيلزمه مع حضورهم أن يفتى بالحظر. ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكرنا عن أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفى فى هذا وشيدنا ذلك بالأدلة. وقال ابن طاهر فى كتابه: باب إكرامهم للقوال وإفرادهم الموضع له ـ واحتج بأن النبىﷺ رمى بردة كانت عليه إلى كعب بن زهير لما أنشده (بانت سعاد)(١) وإنما ذكرت هذا ليعرف قَدْرِ فقْه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط.

وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد إسماعيل بن محمد الحجاجى ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقرى ثنا أبى، ثنا على بن أحمد، ثنا محمد بن العباس بن بلال قال: سمعت سعيد بن محمد قال: حدثنى إبراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزنى قال: مررنا مع الشافعى وإبراهيم بن اسماعيل على دارِ قومٍ وجارية تغنيهم:

خليلىّ ما بال المطايا كأننا ... نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

---

(١) قصيدة مشهورة لكعب بن زهير

فقال الشافعي: ميلوا بنا نسمع، فلما فرغت، قال الشافعي لإبراهيم: أيطربك هذا. قال لا. قال: فما لك حس.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا محال على الشافعي رضي الله عنه وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي رضي الله عنه أجل من هذا كله. ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي اليب الطبري. قال: أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال: وقال الشافعي: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته. ثم غلظ القول فيه فقال وهو دياثة.

قال المصنف رحمه الله: وإنما جعل صاحبها سفيهاً فاسقاً لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفيهاً فاسقاً .

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادي عن أبي محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي. قال: اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد.

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قال: أدركنا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية. قال: وكانت لعطاء جاريتان تلحنان وكان إخوانه يسمعون التلحين منهما.

قال المصنف رحمه الله قلت: أما سعد الدمشقي فرجل جاهل، والحكاية عن عطاء محال وكذب، وإن صحت الحكاية عن مروان فهو فاسق والدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا إلى الهوى. وقد أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري. قال: أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفي في دار أبي بكر الأبريسمي للسماع من هزارة رحمها الله فإنها كانت من مستورات القوالات.

قال المصنف: قلت: وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفي عليه أنه لا يحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا في كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حافي عدالته.

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل ما تقول فيما أخبركم به اسماعيل بن أحمد السمرقندى نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد نا حنبل بن إسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال: كان عون بن عبد الله يقص فإذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب. قال المغيرة: فأرسلت إليه أو أردت أن أرسل إليه: إنك من أهل بيت صدق وإن الله عز وجل لم يبعث نبيهﷺ بالحمق. وإن صنيعك هذا صنيع أحمق. فالجواب أنا لا نظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفرداً وهى ملكه. فقال: له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فما ظنك بمن يسمعن الرجال ويرقصهن ويطربهن: وقد ذكر أبو طالب المكى أن عبد الله بن جعفر ـ كان يسمع الغناء.

قال المصنف رحمه الله: وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التى ذكرها عن الشافعى وقد ذكرناها آنفاً بحكاية عن أحمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحسين بن أحمد قال سمعت أبا العباس الفرغانى يقول سمعت صالح بن أحمد بن حنبل يقول: كنت أحب السماع وكان أبى أحمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندى إلى أن علمت أن أبى قد نام وأخذ يغنى فسمعت حس أبى فوق السطح فصعدت فرأيت أبى فوق السطح يسمع وذيله تحت إبطه يتبخطر على السطح كأنه يرقص.

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففى بعض الطرق عن صالح قال: كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى فى الزقاق يذهب ويجئ ويسمع إليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع.

وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا أحمد بن على بن الحسين النورى ثنا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعى يحكى أظنه عن عبد الله بن أحمد قال : كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى ينهانى عن التغنى فكنت إذا كان ابن الخبازة عندى أكتمه عن أبى لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندى وكان يغنى فعرضت لأبى عندنا حاجة وكنا فى زقاق فجاء فسمعه يغنى فتسمع فوقع فى سمعه شئ من قوله فخرجت لأنظر فإذا بأبى ذاهباً وجائياً فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد . قال لى: يابنى إذا كان هذا : نعم . الكلام أو معناه .

قال المصنف رحمه الله: وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التى فيها ذكر الآخرة. ولذلك استمع إليه أحمد، وقول من قال ينزعج فإن الإنسان قد يزعجه الطرب فيميل يميناً وشمالاً. وأما رواية ابن طاهر التى فيها فرأيته وذيله تحت إبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص فإنما هو من تغيير الرواة وتغييرهم لا يظنونه المعنى تصحيحاً لمذهبهم فى الرقص. وقد ذكرنا القدح فى السلمى وفى ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات. وقد احتج لهم أبو طالب المكى على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع وهو تقسيم صوفى لا أصل له. وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس إلى الهوى فهو كاذب. وقد أخبرنا أبو القاسم الحريرى عن أبى طالب الطبرى قال: قال بعضهم: إنا لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام. قال: وهذا تجاهل منه عظيم لأمرين:

أحدهما: أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهى لأنه يسمعه بالطبع الذى لا يشاركه فيه أحد من الناس فإن لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وإن استباح فقد فسق .

والثانى: أن هذا المدعى لا يخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة. فإن قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات. وهذا لا يقوله عاقل وإن قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة: قلنا له: فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس فى نفسك.

أخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول: سئل أبو على الروذبارى عمن سمع الملاهى ويقول هى لى حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لا تؤثر فىّ اختلاف الأحوال فقال: نعم. قد وصل لعمرى ولكن إلى سقر. [١]

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا عن المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به. قلنا: لا ينكر أن يسمع الإنسان بيتاً من الشعر

---

[١] رواه أبو نعيم (١٠ / ٢٥٦).

أو حكمه فيأخذها إشارة فتزعجه بمعناها لا لأن الصوت مُطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول:

كــل يـــوم تتلـــون غــير هــذا بــك أجمــل

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التلحين. وإنما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستعداد لسماع الأبيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك ثم إن ذلك السامع لم يقصد السماع. ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه.

قال المصنف رحمه الله: وقد احتج لهم أبو حامد الطوسى بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنه قال: ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس وجواب هذا ما قد أسلفناه وقال: لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فإذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً وإذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال: ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فإن كان فيه شئ محظور حرم نثره ونظمه، وحرم التصويت به.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وإنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فإن الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فإذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم.

وكذلك هذا المجموع يوجب طرباً يخرج عن الاعتدال فيمنع منه ذلك. وقال ابن عقيل: الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح. فالمحرم الزمر والناى والسرنا والطنبور والمعزفة والرباب وما ماثلها، نص الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك. ويلحق به الجرافة والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس ما يفعله المسكر، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور. لأن النبىﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة[1] والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول، والقول

---

(١) سبق تخريجه .

مكروه، ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول نفسه والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال أرجوا أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل. وقد قال أبو حامد: من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع فى حقه مؤكد لعشقه !!! .

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى توكيد لعشقه فى قول المغنى:

ذهبى اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت: وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول: إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادى إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله فى القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأنفال:٢] وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت. فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما (يتعدد)[١] عنه فتنة. ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون. بل ينبغى النظر إلى المحال التى أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك، فإنها منظورات لا تهيج طبعاً بل تورث استعظاماً للفاعل. وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة. وأنتم زنادقة فى زى عباد، شرهين فى زى زهاد مشبهة تعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه. ويؤلف ويؤنس به، وبئس التوهم لأن اللهّ عز وجل خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهى تتوانس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية فى الأشكال الحديثة. فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضاً، وعلى قدر التقارب فى الصورة يتأكد الأنس. والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته فى أخص النوع به أو أقربه إليه فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق. وما الذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما هؤلاء يصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تثبت فى القلوب، وما ذاك الله عز وجل ذاك ضم شكله الطبع

---

(١) فى جميع النسخ يتعدد ولعل الصواب يتعدى والله أعلم.

والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه الأنفس وإنما مباينة الإلهية للمحدث أوجبت فى الأنفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله فى محبة الله إنما هو وهم اعترض. وصورة شكلت فى نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فإذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق اليها فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم فى العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التى يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام.

نقد مسالك الصوفية فى السماع

قال المصنف رحمه الله: وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدئ السماع لعلمهم بما يثير من قلبه. أخبرنا عمر بن ظفر المقرى نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا ابن جهضم ثنى أبو عبد الله المقرى ثنا عبد الله بن صالح قال قال لى جنيد: إذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب .(١)

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت أحمد بن محمد البردعى يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه: إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره.

قال المصنف رحمه الله: هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين:

أحدهما: سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا.

والثاني: أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامى حجة فى لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا ويفعل كذا.

---

(١) إسناده ضعيف جداً فإن جهضم يروى عن المجاهيل .

فصـــل

قال المصنف رحمه الله: وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان(١) وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى وقال سمعت أبا حاتم محمد ابن أحمد بن يحيى السجستانى قال سمعت أبا نصر السراج يقول:

حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدّراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من أسأله عنه يقول إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين؟ قلت: من بغداد قصدت زيارة الشيخ. فقال تحسن أن تقول شيئاً؟ فقلت. نعم، وقلت:

رأيتك تبنى دائماً فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه. ثم قال لى يابنى تلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت علىّ القيامة بهذا البيت.(٢)

وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوزان نا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: فأخرجت إلى مرو فى حياة الأستاذ أبى سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجى قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغانى فى ذلك الوقت مجلس القوال يعنى المغنى فتداخلنى من ذلك شئ فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال. فقال

---

(١) القشيرى النيسابورى كما فى « تاريخ بغداد » (١٤ / ٣١٧).
(٢) رواه الخطيب فى « التاريخ » (١٤ / ٣١٧ _ ٣١٨).

لى يوماً. أى شئ تقول الناس؟ فقلت: يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول فقال من قال لأستاذه لم؟ لم يفلح.

قال المصنف رحمه الله: هذه دعاة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم إليه حاله. فإن الآدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط.

حكم الغناء عند الصوفية

وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم. وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوزان القشيرى قال حدثنا أبى قال سمعت أبا علىّ الدقاق يقول: السماع حرَام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم.

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا غلط من خمسة أوجه:

أحدها: إنا قد ذكرنا عن أبى حامد الغزالى أنه يباح سماعه لكل أحد وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل.

والثانى: أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عملها. فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال. فإذا جاء ما يحرك الطباع. واندفع الذى كان يكفها عنه عادت العادة.

والثالث: أن العلماء اختلفوا فى تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر فى السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال.

والرابع: أن الإجماع انعقد على أنه ليس بمستحب وإنما غايته الإباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الإجماع.

والخامس: أنه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحاً أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لأنه إنما حرم لأنه يؤثر فى الطباع ويدعوها إلى الهوى فإذا أمن ذلك فينبغى أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبى الطيب الطبرى.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة إلى الله عز وجل قال أبو طالب المكى. حدثنى بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال: تنزل الرحمة على هؤلاء الطائفة فى ثلاثة مواطن. عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة. وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً.

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا إن صح عن الجنيد وأَحْسَنَّا به الظن كان محمولاً على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فإنها توجب الرقة والبكاء، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف (سعدى وليلى) ويحمل ذلك على صفات البارى سبحانه وتعالى فلا يجوز إعتقاد هذا وإن صح أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة فى جنب غلبة الطباع. ويدل على ما حملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد فى زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال. فحدثنى أبو جعفر أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السباك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروزبادى شيخ رباط الزوزنى صديقاً لى، فكان يقول لى والله إنى لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم. وقال ابن عقيل، قد سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون أنه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى، قال وهذا كفر، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً، قال والناس بين تحريمه وكراهيته.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال أخبرنى على بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثنى أبو همام قال حدثنى إبراهيم بن أعين قال: قال صالح المرى: أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة، وأثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر

النهاوندى يقول سمعت علياً السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسى يقول رأيت إبليس فى المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف، فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا، فاستغرقنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون. ثم قال لى يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الوجد

قال المصنف رحمه الله: هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت، وصفقت وصاحت ومزقت الثياب، وقد لبس عليهم إبليس فى ذلك وبالغ.

وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقى قال أنبأنا أبو على الحسن ابن محمد بن الفضل الكرمانى قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن على الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى. قال وقد قيل له: أنه لما نزلت: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٤٣]. صاح سلمان الفارسى صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام. واحتجوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن على الخياط قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست قال أخبرنا الحسين بن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشى قال أخبرنا على بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبى وائل. قال خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم، فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة فى النار فنظر الربيع إليها فمال ليسقط ثم إن عبد الله مضى حتى أتينا على أتون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم، فمررنا على حداد فقام عبد الله والنار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[الفرقان:١٢] إلى قوله: ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[الفرقان:١٤] فصعق الربيع واحتملناه إلى أهله ورابطه عبد الله حتى يصلى الظهر فلم يفق ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ثم رابطه إلى المغرب فأفاق فرجع عبد الله إلى أهله. قالوا: وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا إذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ومنهم من يصيح، وهذا كثير فى كتب الزهد. والجواب أما ما ذكره عن سلمان فمحال

وكذب، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا. وأما حكاية الربيع بن خثيم فإن راويها عيسى بن سليم وفيه معمر.(١)

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامى قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقى قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلانى قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلى: قال: قال أحمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبى وائل لا أعرفه.(٢)

قال العقيلى: وحدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى بن آدم. قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان إنهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق. قال: ومن يروى هذا إنما كان يرويه ذاك القاص – يعنى عيسى بن سليم – فلقيته فقلت: عمن تروى أنت ذا – مُنكَراً عليه.(٣)

قال المصنف رحمه الله **قلت:** فهذا سفيان الثورى ينكر أن يكون الربيع بن خُثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السمت الأول، وما كان فى الصحابة من يجرى له مثل هذا ولا التابعين. ثم نقول على تقدير الصحة. إن الإنسان قد يخشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكته فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب.

فأما من يدعى الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات فى الشرع فإنا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به.

وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أخبرنا محمد بن على بن الفتح قال أخبرنا محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول: كان للشبلى يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجنب حلقته حلقة

---

(١) فى الأصل معمر والصواب ما أثبتناه من بعض النسخ . وعيسى بن سليم عن أبى وائل قال الذهبى فى «الميزان» (٣ / ٣١٢) لا يعرف ، والقصة رواها العقيلى فى « الضعفاء » (٣ / ٣٨٢).

(٢) رواه العقيلى فى « الضعفاء » (٣ / ٣٨٢).

(٣) رواه العقيلى (٣ / ٣٨٢).

أبى عمران الأشيب فحرد(١) أبو عمران وأهل حلقته.(٢)

قال المصنف رحمه الله: واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع. فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه فبالغ رسول الله ﷺ فى الإنكار عليه.

فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن على بن خلف قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا ابن الحصين قال انبأنا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفى قال حدثنا عبد المتعال بن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال: وعظ رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعق فقال النبى ﷺ **من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً فمحقه الله**(٣)قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبيد(٤)الله بن يوسف الجبيرى. قال حدثنا روح بن عطاء بن أبى ميمونة(٥)عن أبيه عن أنس بن مالك. قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس: لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد.(٦)

قال المصنف رحمه الله: وهذا حديث العرباض بن سارية. وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب(٧) قال أبو بكر الآجرى ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان.

---

(١) فحرد: اى اغتاظ

(٢) رواه الخطيب فى «التاريخ» (١٤ / ٣٩٣).

(٣) (**موضوع**) - فيه أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفى الكوفى وضاع ذكره الذهبى فى « ميزانه » (١٤٣/١) وذكر الحديث السابق وقال: وهذا باطل ذكره ابن طاهر وفيه يوسف بن عطية البصرى الصغار مجمع على ضعفه. والحديث رواه ابن عراق فى «تنزيه الشريعة» (٢ / ٣٤٣) وابن عدى (٣٤٧/٥).

(٤) فى جميع النسخ عبد الله والصواب عبيد الله.

(٥) فى جميع النسخ عطاء بن أبى ميمون والصواب ميمونة كما فى كتب الرجال.

(٦) (**إسناده ضعيف جداً**)، روح بن عطاء ضعفه ابن معين وقال أحمد منكر الحديث.

(٧) سبق تخريجه فى أول الكتاب.

أخبرنا عبد اللّه بن على المقرئ قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار بن إبراهيم قال أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال أخبرنا إبراهيم بن عبد اللّه البصرى قال حدثنا أبو عمر حفص بن عبد اللّه الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد اللّه الواسطى قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن. قال قلت لأسماء بنت أبى بكر. كيف كان أصحاب رسول اللّهﷺ وآله عند قراءة القرآن، قالت كانوا كما ذكرهم اللّه أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم. فقلت لها إن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشى عليه فقالت: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم.(١)

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا إسحاق الحلبى ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال: سألت أسماء بنت أبى بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت : لا ولكنهم كانوا يبكون.(٢)

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى وأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا أخبرنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد اللّه بن أحمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمَحى عن أبى حازم قال: مر ابن عمر رضى اللّه عنه برجل ساقط من العراق. فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا. قال: إنا لنخشى اللّه عز وجل وما نسقط.(٣)

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمى نا أبو الحسين بن بشران ثنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبد اللّه بن أبى بردة عن ابن عباس. أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن. فقال إنهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون.(٤)

---

(١) إسناده فيه مجهول.
(٢) إسناده رجاله ثقات.
(٣) (إسناده ضعيف) وقد رواه أبو نعيم (١/٣١٢).
(٤) (إسناده ضعيف جداً) فيه ما لا يعرف غير أنه منقطع.

أنبأنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق نا إبراهيم بن فهد عن إبراهيم بن الحجاج السّامى[١] ثنا شبيب بن مهران عن قتادة. قال قيل لأنس بن مالك. أن ناساً إذا قرئ عليهم القرآن يصعقون فقال: ذاك فعل الخوارج.[٢]

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا عمر بن على ابن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة ثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال بلغ عبد الله بن الزبير أن ابنه عامراً صحب قوماً يتصعقون عند قراءة القرآن. فقال له يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلداً.[٣]

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن العباس، ثنا الزبير بن بكار ثنى عبد الله بن مصعب بن ثابت بن[٤] عبد الله بن الزبير قال ثنى أبى عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئت إلى أبى فقال لى: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم. يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم قال: لا تقعد معهم بعدها. فرآنى كأنى لم يأخذ ذلك فىّ فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبى بكر وعمر. فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم.[٥]

أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا محمد بن أحمد فى كتابه ثنا محمد بن أيوب ثنا حفص بن عمر النمرى[٦]. ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك قال: بينا نحن عند أبى الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء يسعى قبله فقيل له، يا أبا الجوزاء، إنه رجل به الموتة فقال: إنما كنت أراه

---

(١) فى جميع النسخ الشامى وهو تصحيف وإنما هو بالسين كما فى التهذيب.
(٢) إسناده ضعيف ــ شبيب بن مهران ضعيف ــ راجع الميزان (٢ / ٢٦٤).
(٣) إسناده مظلم.
(٤) فى الأصل ــ عن ــ وهو خطأ تتابع عليه محققو زياده الكتاب والصواب «بن» كما فى «الحلية».
(٥) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن مصعب راجع «الميزان» (٢ / ٥٠٥).
وقد رواه أبو نعيم (٣ / ١٦٧) من طريقه.
(٦) فى جميع النسخ النميرى والصواب ما أثبتناه من الحلية.

من هؤلاء القفازين ولو كان منهم لأمرت به فأخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال: ﴿ تفيض أعينهم من الدمع ﴾ أو قال: ﴿ تقشعر جلودهم ﴾.[١]

أخبرنا بو محمد بن على المقرى نا أحمد بن بندار بن إبراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا إبراهيم بن عبد الله البصرى ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيد حدثنى عمر بن مالك البكرى قال: قرأ قارئ عند أبى الجوزاء قال فصاح رجل من أخريات القوم أو قال من القوم. فقام إليه أبو الجوزاء فقيل له، يأبا الجوزاء إنه رجل به شئ فقال طبيب إنه من هؤلاء القفازين[٢]. فلو كان منهم لوضعت رجلى على عنقه.[٣]

وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم أنه شهد محمد بن سيرين وقيل له إن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غُشى عليه. فقال محمد بن سيرين. يقعد أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن وقع فهو صادق قال أبو عمرو. وكان محمد بن سيرين يذهب إلى أن هذا تَصنُّع وليس بحق من قلوبهم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ثنا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو محمد بن حيان[٤] ثنا محمد بن العباس ثنا زياد بن[٥] يحيى عن عمران بن عبد العزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق. فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون[٦]

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على العشارى نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا محمد بن على عن إبراهيم بن الأشعث . قال سمعت أبا عصام الرملى[٧] عن

---

(١) إسناده ضعيف لضعف عمرو بن مالك ورواه أبو نعيم (٣ / ٨٠) من طريقه.
(٢) فى جميع النسخ النفارين والتصويب من الحلية.
(٣) إسناده ضعيف جداً فيه ثلاثة من الضعفاء.
(٤) فى جميع النسخ بالباء الموحدة ـ حبان ـ والتصحيح من الحلية.
(٥) فى جميع النسخ ـ عن ـ والصواب ـ بن ـ كما فى «الحلية».
(٦) إسناده ضعيف لضعف عمران بن عبد العزيز كما فى «الميزان» (٣ / ٢٣٩).
رواه أبو نعيم (٢ / ٢٦٥) من طريقه.
(٧) فى النسخة المحققة ـ الرمل ـ [illegible] من بعض النسخ ـ الرملى.

رجل عن الحسن أنه وعظ يوماً فتنفس رجل في مجلسه. فقال الحسن إن كان لله تعالى شهرت نفسك، وإن كان لغير الله فقد هلكت.(١)

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا روح ثنا السرى بن يحيى ثنا عبد الكريم بن رشيد قال: كنت فى حلقة الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته. فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن.(٢)

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلانى نا أبو العلاء الواسطى نا محمد بن الحسين الأزدى ثنا إبراهيم بن رحمون ثنا إسحق بن إبراهيم البغدادى قال سمعت أبا صفوان يقول: قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط: يا بنى إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك.(٣)

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن أحمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه. فقال له: يا بنى إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله.

نقد مسالك الصوفية فى الوجد

فصل

قال المصنف رحمه الله: فإن قال قائل: إنما يفرض الكلام فى الصادقين لا فى أهل الرياء . فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد إنزعاج فى الباطن فإن كف الإنسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السختيانى إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام.

(١) إسناده فيه مجهول.
(٢) إسناده ضعيف لضعف روح.
(٣) إسناده ضعيف لضعف محمد بن الحسين الأزدى وجهالة حال إسحق بن إبراهيم وراجع «تاريخ بغداد» (٢ / ٢٤٣ ، ٦ / ٣٧٥).

وإن أهمل الإنسان نفسه ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الخراز عن ابن أخى زينب عن امرأة عبد الله قالت: جاء عبد الله ذات يوم وعندى عجوز ترقينى من الحموة فأدخلتها تحت السرير. قالت فدخل فجلس إلى جنبى فرأى فى عنقى خيطاً. فقال ما هذا الخيط. قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن فى الرقى والتمائم والتولة شركا**. قالت: فقلت له لم تقول هذا، وقد كانت عينى تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله ﷺ: «**اذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً**».(١)

قال المصنف رحمه الله: التولة ـ ضرب من السحر يحبب المرأة إلى زوجها. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبى داود ثنا هارون بن زيد(٢) بن أبى الزرقاء ثنا أبى قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب بن أبى سنان(٣) عن أبى عيسى أو عيسى(٤) قال: ذهبت إلى عبد الله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبد الرحمن إن قوماً عندنا إذا قرئ عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله. قال كذبت. قال بلى ورب هذه البنية. قال ويحك إن كنت صادقاً فإن الشيطان ليدخل جوف أحدهم. والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ.(٥)

---

(١) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٣٨١/١) وأبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) والحاكم (٦٢/٤ـ ٢١٧) وابن حبان (٦٣٠/٦/١٤١٢) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٣٣١) وأما الدعاء ـ متفق عليه.

(٢) فى جميع النسخ ـ عن ـ وهذا خطأ والصواب ما أثبتناه.

(٣) ، (٤) فى جميع النسخ ابن أبى السنى ولم أجد له ترجمة ولكن ذكر ابن أبى حاتم فى «الجرح» (٣٤٧/٤) فى ترجمة شعيب بن أبى سنان أنه روى عن أبى عيسى فلعلة يكون هو فأثبته فى أصل الكتاب. وشعيب هذا لا يعرف حاله.

(٥) إسناده مرسل ضعيف.

دفـــع الوجـــد

فصـــل

فإن قال قائل: فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد في دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان؟ فالجواب: إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق أنه لا يقدر على أن يدفع، ولا يدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[الأعراف:١٤٣].

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله ثنا إبراهيم ابن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفي ثنى حاتم بن الليث الجوهري ثنا خالد بن خداش(١). قال: قرئ على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة. فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام.(٢)

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد مات خلق كثير من سماع الموعظة وغشي عليهم قلنا. هذا التواجد الذي يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره أنه متعمل والشيطان معين عليه.

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه قيل: نعم من جهتين:

أحدهما: أنه لو قوى العلم أمسك.

والثاني: أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفي هذا نقصاً.

أخبرنا عبد الله بن على المقرئ نا هبة الله بن عبد الرزاق السني وأخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمي(٣) قالا نا أبو الحسين بن بشران نا أبو على إسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان بن عيينه قال سمعت

---

(١) خالد بن خداش بكسر المعجمة وتخفيف الدال وآخره معجمه أبو الهيثم المهلبي صدوق يخطئ.

(٢) عبد الله بن وهب حافظ ثقه وقد ذكر الحافظ في «التهذيب» (٦ / ٧٣) هذه القصة بنفس الإسناد ثم عقب عليها بقوله : فنرى والله أعلم أنه انصدع قلبه فمات.

وقد رواه أبو نعيم (٣٢٤/٨) بنفس الإسناد .

(٣) في هذه النسخة ـ ارستمي ـ والصواب من بعض النسخ .

خلف بن حوشب يقول: كان خوّات يرعد عند الذكر فقال له إبراهيم. إن كنت تملكه فما أبالى أن لا أعتد بك. وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك. وفى رواية فقد خالفت من هو خير منك.(١)

قال المصنف رحمه الله **قلت:** إبراهيم هو النخعى الفقيه، وكان متمسكاً بالسنة شديد الاتباع للأثر. وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع وهذا خطاب إبراهيم له. فكيف بمن لا يخفى حاله فى التصنع؟

إذا طـرب أهـل التصـوف صفقـوا

فصـــل

فإذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا. أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى نا أبو عبد الرحمن السلمى. قال: سمعت أبا سليمان المغربى يقول: سمعت أبا على بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له.

قال المصنف رحمه الله **قلت:** والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية.وهى التى ذمهم الله عز وجل بها فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[الأنفال:٣٥] ـ فالمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن حيرون نا أبو على بن شاذان نا أحمد أحمد بن كامل ثنى محمد بن سعد ثنى أبى ثنى عمى عن أبيه عن جده عن ابن عباس ﴿إِلَّا مُكَاءً﴾ يعنى التصفير ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ يقول التصفيق(٢)

قال المصنف رحمه الله **قلت:** وفيه أيضاً تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

---

(١) رواه أبو نعيم (٤ / ٢٣١) من طريق سفيان ورجاله ثقات .
(٢) رواه ابن جرير فى « تفسيره » (٩ / ١٥٧) وإسناده مسلسل بالضعفاء .

إذا قوى طربهم رقصوا

﴿ فصل ﴾

فإذا قوى طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله لأيوب: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾[ص:٤٢] قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء. قال ابن عقيل أين الدلالة فى مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص. ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص فى الإسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى: ﴿ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾[البقرة:٦٠] دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع.

واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلى: **أنت منى وأنا منك** ـ فحجل وقال لجعفر ـ **أشبهت خلقى وخلقى** ـ فحجل وقال لزيد: **أنت أخونا ومولانا** ـ فحجل.[1]

ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبى ﷺ ينظر إليهم[2] فالجواب: أما الحجل فهو نوع من المشى يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص؟ وكذلك زفن الحبشة نوع من المشى بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب.

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمى على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو نصر محمد ابن منصور الهمدانى نا إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح أحمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا ثنا أبو عبد الرحمن السلمى ثنا أبو العباس أحمد بن سعيد المعدانى ثنا محمد بن سعيد المروزى ثنا عباس الرقيقى ثنا عبد الله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن على بن

---

(١) **(إسناده ضعيف)** ـ رواه أحمد (١ / ١٠٨) والبيهقى (٨ / ٦، ١٠ / ٢٢٦) من طريق هانئ بن هانئ عن على به وقال البيهقى: هانئ ليس بالمعروف جداً وفى هذا إن صح دلالة على جواز الحجل وهو أن يرفع رجلا ويقفز على الأخرى من الفرح فالرقص الذى يكون على مثاله يكون مثله فى الجواز والله أعلم والحديث رواه من غير الحجل. البخارى (١٧٨، ١٨٤٤، ٢٦٩٨، ٢٧٠٠، ٣١٨٤، ٤٢٥١) والترمذى (٣٧١٩) مختصراً وعبد الرزاق (٢٠٦٩٤) والحاكم (٣ / ١٢٠) والخطيب فى «تاريخه» (٤ / ١٤٠) والبغوى (٣٩٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢ / ٦٠٩ / ٢٠) عن عائشة.

منصور ثنا أبو عتاب المصرى عن إبراهيم بن محمد الشافعى أن سعيد بن المسيب مر فى بعض أزقة مكة فسمع الأخضر الحداء يتغنى فى دار العاص بن وائل بهذا:

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت … به زينب فى نسوة عطرات

فلما رأت ركب النميرى أعرضت … وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الأرض زماناً وقال هذا مما يلذ سماعه. وكانوا يروون الشعر لسعيد بن المسيب.(١)

قال المصنف قلت: هذا إسناده مقطوع مظلم لا يصح عن ابن المسيب، ولا هذا شعره. كان ابن المسيب أوقر من هذا، وهذه الأبيات مشهورة لمحمد بن عبد الله بن نمير النميرى الشاعر ولم يكن نمرياً وإنما نسب إلى اسم جده وهو ثقفى وزينب التى يشبب بها هى ابنة يوسف أخت الحجاج، وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان، فقال: كانت أحمرة عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه.

قال المصنف رحمه الله: ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس فى ذلك حجة على جواز الرقص، فإن الإنسان قد يضرب الأرض برجله أو يدقها بيده لشئ يسمعه ولا يسمى ذلك رقصاً. فما أقبح هذا التعلق وأين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذى يخرجون به عن سمت العقلاء؟ ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى إلى العقول أى معنى فى الرقص إلا اللعب الذى يليق بالأطفال، وما الذى فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة؟ هذه والله مكبر باردة. ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى أنه قال: الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب، وقال أبو الوفاء بن عقيل: قد نص القرآن على النهى عن الرقص. فقال عز وجل: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ﴾[الإسراء:١٧-٣٧] . وذم المختال فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[لقمان:٣١-١٨] والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الإطراب والسكر.

(١) إسناده مظلم جداً.

فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فى الإطراب، وهل شئ يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذى لحية يرقص فكيف إذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان؟ خصوصاً إذا كانت أصوات نسوان ومُرْدان وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو إلى إحدى الدارين صائران يشمس بالرقص شموس[1]. البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى ما بان لهم سن فى تبسم فضلا عن ضحك مع إدمان مخالطتى لهم.كالشيخ أبى القاسم بن زيدان، وعبد الملك بن بشران، وأبى طاهر بن العلاف، والجنيد والدينورى.

حالات الطرب الشديدة لدى الصوفية

فصــــل

فإذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه. ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد فاذا قام قام الباقون تبعاً له. فإذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رؤوسهم موافقة له. ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب، وإنما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلا له.

فصــــل

فإذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرمى بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء فى غيبة فلان يلامون فإن موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع:

والجواب أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمي كاسر والذى ذكر فى القرآن إلقاءها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت، ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها؟ ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا.كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ

---

(١) شموس هى المصدر الصحيح من الفعل شَمَسَ ومعناه نفر وجمح، ويصح شماساً.

بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم. ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء؟ ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشى فى الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة فسئلت عن صلاته، فقلت: إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلداً لا يعمل شيئاً بل يدار له بزنبيل فى يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين.

ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فإن تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهيّ عنه كالتعرض لكل ما غلبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول اللهﷺ عن إضاعة المال[(١)] وعن شق الجيوب[(٢)] فقال له قائل: فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التى تفضى إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذى يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنبيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب.

واحتج لهم ابن طاهر فى تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضى الله عنها قالت: نصبت حجلة لى فيها رقم فمدها النبى ﷺ فشقها.[(٣)]

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها؟ بحال من لا يقصد إفسادها بشقها وقد نهى رسول اللهﷺ عن إضاعة المال على مد ستر ليحط فانشق لا عن قصد. أو كان عن قصد لأجل الصور التى كانت فيه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) روى البخارى (١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩) ومسلم (١٠٣) وأحمد (١ / ٤٣٢، ٣٨٦، ٤٤٢، ٤٦٥) والترمذى (٩٩٩) والنسائى (٤ / ٢٠) وابن الجارود (٥١٦) والبيهقى (٤ / ٦٣ ـ ٦٤) عن ابن مسعود مرفوعاً «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».

(٣) أخرجه البخارى (٢٤٧٩، ٥٩٥٤، ٥٩٥٥، ١٦٠٩) ومسلم (٢١٠٦) وأحمد (٦ / ١٧٣ ـ ٢٤٧) عن عائشة نحوه.

وهذا من التشديد فى حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فإن الحق لا يفسد.

وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن على بن حبيش[١] ثنا عبد الله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال سمعت أبا عمران الجونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوماً فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه. أيشرح لى عن قلبه.[٢]

نقد مسالك الصوفية
فى تقطيع الثياب خرقاً
فصل

وقد تكلم مشايخ الصوفية فى الخرق المرمية. فقال محمد بن طاهر الدليل على أن الخرقة إذا طرحت صارت ملكاً لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابى النمار فحض رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الأنصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومتين من ثياب وطعام[٣] قال والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم حديث أبى موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فأسهم لنا.[٤]

قال المصنف رحمه الله: لقد تلاعب هذا الرجل بالشريعة واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية. فإنا ما عرفنا هذا فى أوائلهم وبيان فساد استخراجه أن هذا الذى خرق الثوب ورمى به إن كان حاضراً فما جاز له تخريقه وإن كان غائباً فليس له تصرف جائز شرعاً لا هبة ولا تمليكاً. وكذلك يزعمون بأن ثوبه

---

(١) فى الأصل حشيش وكذلك فى جميع النسخ والصواب ما أثبتناه.
(٢) رواه أبو نعيم (٢ / ٣١٥).
(٣) رواه مسلم (١٠١٧) والنسائى (٥/٧٥) وعبد الرزاق (٢١٠٢٥) والطيالسى (٩٣) وأحمد (٣٦١/٤، ٣٦٢) والحاكم (١ / ٤١٠).
(٤) أخرجه البخارى (٣١٣٦، ٤٢٣٣) ومسلم (٢٥٠٢) وأبو داود (٢٧٢٥).

كان كالشئ الذى يقع من الإنسان ولا يدرى به فلا يجوز لأحد أن يتملكه وإن كان رماه فى حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغنى لم يتملكه لأن التملك لا يكون إلا بعقد شرعى والرمى ليس بعقد: ثم نقدر أنه ملك للمغنى فما وجه تصرف الباقين فيه. ثم إذا تصرفوا فيه خرقوه خرقاً وذلك لا يجوز لوجهين:

أحدهما: أنه تصرف فيما لا يملكونه.

والثانى: أنه إضاعة للمال. ثم ما وجه إسهام من لم يحضر، فأما حديث أبى موسى فقال العلماء منهم الخطابى يحتمل أن يكون رسول اللهﷺ أجازه عن رضى ممن شهد الواقعة أو من الخمس الذى هو حقه. وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقة لمن جاء. وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بأرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام (البحيرة والسائبة والوصيلة والحام) قال ابن طاهر أجمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها أن ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ.

واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه: الغنيمة لمن شهد الواقعة. وخالفهم شيخنا أبو إسماعيل الأنصارى فجعل الخرقة على ضربين. ما كان مجروحاً قسم على الجميع وما كان سليماً دفع إلى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل؟ قالوا: سلمة بن الأكوع : قال له سلبه أجمع[1] فالقتل إنما وجد من جهة القوّال فالسلب له.

قال المصنف رحمه الله: انظروا إخوانى عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذى لا يساوى إجماعهم بعرة فإن مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقاً أو سليماً ولا يجوز لغيره التصرف فيه: ثم إن سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوه ما رمى به ثم ينبغى أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصارى لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغى أن يكون المجروح للمغنى دون الصحيح وكل أقوالهم فى هذا مُحال وهذيان.

وقد حكى لى أبو عبد الله التكريتى الصوفى عن أبى الفتوح الأسفراينى وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر فى جمع كثير فى رباط وهناك المخاد والقضبان

---

(١) رواه البخارى (٣٠٥١) بنحوه ، ومسلم (١٧٥٤) مطولاً وأحمد (٤ / ٥٠) وأبو داود (٢٦٥٤).

ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس، قال التكريتى إنه رقص يوماً فى خف له ثم ذكر أن الرقص فى الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفا كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقتسموه خرقا.

قال ابن طاهر: والدليل على أن الذى يطرح الخرقة لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن فى صدقتك.

قال المصنف: انظر إلى بُعد هذا الرجل عن فهم معانى الأحاديث فإن الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها.

فصـــل

وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقاً وتفريقها فقد بينا أنه إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغنى لم يملكه بنفس الرمى حتى يملكه إياه فإذا ملكه إياه فما وجه تصرف الغير فيه. ولقد شهدت بعض فقهائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق ينتفع بها وليس هذا بتفريط فقلت: وهل التفريط إلا هذا، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقاً فى بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفاً فباعه بخمسة دنانير فقلت له: إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر.

وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسى فإنه قال: يباح لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فإن الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعاً ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعى فنظر إلى انتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة فان المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب قرامل[1] لانتفع بها ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف غير أن الشرع يتلمح الفوائد العامة ويسمى ما نقص منه للانتفاع إتلافاً ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة إلى المكسور وليس العجب من تلبيس إبليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبى حنيفة والشافعى ومالك وأحمد رضوان اللهّ عليهم أجمعين.

---

(١) القرامل: ما وصلت به المرأة شعرها من الصوف أو الشعر وغيره.

فصل

ولقد أغربوا فيما ابتدعوا. وأقام لهم الأعذار من إلى هواهم مال. ولقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه باب السنة فى أخذ شئ من المستغفر، واحتج بحديث كعب بن مالك فى توبته: «**يجزئك الثلث**» ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها . واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبىﷺ أنه قال فى الزكاة «من منعها فأنا آخذها وشطر ماله»[1].

قال المصنف رحمه الله: قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الإنسان ماليس بواجب واجباً كفر .

ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافى الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه فى الإحرام ما كان له وجه. وأما حديث كعب بن مالك فإنه قال إن من توبتى أن انخلع من مالى، فقال رسول اللهﷺ: «يجزئك الثلث»[2] لا على سبيل الإلزام له، وإنما تبرع بذلك فأخذه منه وأين إلزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها عقوبة؟ من إلزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فإذا امتنع ضاعفوها وليس إليهم الإلزام إنما ينفرد بالإلزام الشرع وحده. وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج عليها حقاً.

---

(١) رواه البخارى (٣٠٩٨) ومسلم (٧١٦) وأبو داود (٢٧٥٦، ٢٧٦٤) والنسائي (٢ / ٥٣ _ ٥٥) والدارمى (١٦٥٨) وعبد الرزاق (٩٢٥٨) والطبرانى فى«الكبير» (١٩ / ٥٩ / ١٠٤)وأحمد(٣/ ٤٥٥)

(٢) رواه عبد الرزاق (٦٨٢٤) وأحمد (٥ / ٢ _٤) وأبو داود (١٥٦٠) والنسائى (٥ / ١٥_ ١٧_ ٢٥) وابن أبى شيبة (٣ / ١٢٢)والطبرانى فى «الكبير» (١٩/١٠_٤١١/٤١٠_٩٨٤_٩٨٥_٩٨٦_٩٨٧)والدارمى (١٦٧٧) والبيهقى (٤ / ١٠٥_ ١١٦) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وإسناده حسن، وحسنه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (٧٩١).

ذكر تلبيس إبليس
على كثير من الصوفية فى صحبة الأحداث

قال المصنف: اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفه قد سدوا على أنفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصد الزهادة فأمالهم إبليس إليهم .

واعلم أن المتصوفة فى صحبة الأحداث على سبعة أقسام:

القسم الأول: أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد بن سليمان نا أبو على الحسين بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج قال: بلغنى أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساماً حل فيها بمعانى الربوبية ومنهم من قال هو حال فى المستحسنات.

وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا أن طائفة من الصوفية قالوا أنهم يرون الله عز وجل فى الدنيا وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ولم يأبوا كونه حالا فى الصورة الحسنة حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود.

القسم الثانى: قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم ، ويقصدون الفسق.

القسم الثالث: قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن. وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتاباً سماه (سنن الصوفية) فقال فى أواخر الكتاب: باب فى جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى الوجه الحسن، وذكر فيه ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال: «**اطلبوا الخير عند حسان الوجوه**» **وأنه قال**: «**ثلاثة تجلو البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء، والنظر إلى الوجه الحسن**».

قال المصنف رحمه الله: وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول الله ﷺ وأما الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن أحمد بن حمويه نا إبراهيم بن خزيم ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون

ثنا محمد بن عبد الرحمن بن المُجَبَّر [١] عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» [٢]..قال يحيى بن معين: محمد بن عبد الرحمن

---

(١) فى جميع النسخ ـ المخير ـ بالخاء وهو خطأ والصواب ما أثبتناه كما فى قضاء الحوائج لابن أبى الدنيا.

(٢) (**إسناده ضعيف جداً**). رواه ابن أبى الدنيا فى «قضاء الحوائج» (٥٢) والخطيب فى «تاريخه» (٢٩٦/١١) ومن طريقه ابن الجوزى فى «الموضوعات» (١٦٠/٢) والسهمى فى «تاريخ جرجان» (ص٣٨٥) ورواه ابن حبان فى «المجروجين» (٢ / ٣١٣) ومن طريقه ابن الجوزى فى «الموضوعات» (١٦٠/٢) من طريق الكديمى وهو كذاب. وروى ابن أبى الدنيا فى «قضاء الحوائج» (٥١) والبخارى فى «الكبير» (٥١/١/١) وأبو الشيخ فى « الأمثال » (٦٧) والبيهقى فى «الشعب» (٣٢٦٣،٣٢٦٤) وأبو يعلى (٤٧٥٩) عن جبرة بنت محمد عن أبيها عن عائشة. ورواه ابن عدى (٦٢٢/٢) وابن حبان فى «المجروحين» (٢٤٨/١) وابن الجوزى (١٦٢/٢) من طريق الحكم بن عبد الله بن سعد حدثنى الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عائشة، والحكم كذاب. ورواه العقيلى (١٢١/٢) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (١٦٢/٢) من طريق يزيد بن هارون قال أخبرنا شيخ من قريش عن الزهرى عن عروة . ورواه العقيلى (١٢١/٢) من طريق عامر بن سيار قال حدثنا سليمان بن أرقم عن الزهرى به ، فلعل المجهول فى الإسناد السابق هو سليمان هذا وهو متروك. ورواه ابن عدى (٢٢٢٦/٦) من طريق محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ومحمد بن عبد الله متروك الحديث. ورواه العقيلى (١٣٩/٢) وابن عدى (١١٣٨/٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (١٥٦/٣) من طريق سليمان بن كراز ويقال كرات عن عمر بن صهبان عن محمد بن المنكدر عن جابر، وسليمان وشيخه ضعيفان. قال العقيلى: ليس فى هذا الباب عن النبى ﷺ شئ يثبت. ورواه الخطيب «تاريخ» (٢٢٦/٣) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (١٦١/٢) من طريق أبى بكرمحمد بن أحمد الطرازى حدثنا أبو سعيد العدوى حدثنا خراش حدثنا مولاى أنس ـ وهو مسلسل بالضعفاء والكذابين. ورواه ابن الجوزى في «الموضوعات» (١٦١/٢) من طريق عبد العظيم بن حبيب الفهرى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب عن الزهرى عن أنس. وإسناده ضعيف جداً. ورواه الطبرانى فى «الكبير» (١١١١٠/٨١/١١) من طريق عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس أراه رفعه قال: فذكره. قال الهيثمى فى «المجمع» (١٩٥/٨) فيه عبد الله بن خراش وثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ وضعفه غيره وبقيه رجاله ثقات. قلت: ابن خراش قال البخارى: منكر الحديث، وقال الساجى: كان يضع الحديث ورواه الخطيب فى «التاريخ» (١٨٥/٤) ومن طريقه ابن الجوزى (١٦٣/٢) من طريق عيسى بن خشنام المدائنى حدثنا أحمد بن سلمة المدائنى حدثنا منصور بن عمار أخبرنا أبو حفص الأبار عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس به. وفيه متهمان عيسى بن خشنام وشيخه. ورواه الخطيب فى «التاريخ» (١١/٧) ومن طريقه ابن الجوزى (١٥٩/٢) وفيه مجهول ومتهم. ورواه الخطيب فى «التاريخ» (٤٣/١١، ١٥٣/١٣) من طريق طلحه بن عمرو عن عطاء به وطلحه متروك. ورواه العقيلى (٣٤٠/٣) من طريق عصمة بن محمد وهو كذاب عن هشام بن عروة عن ابن عباس. ورواه ابن عدى (١١٦٧/٣) من طريق سليم بن مسلم المكى عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس به ـ وسليم جهمى خبيث لا يساوى حديثه شيئاً . ورواه ابن أبى الدنيا فى «قضاء الحوائج» (٥٣) من طريق يزيد بن عبد الملك بن المغيرة عن عمران ابن أبى أنس عن أبى هريرة ـ ويزيد منكر الحديث. ورواه ابن أبى الدنيا فى «قضاء الحوائج» (٥٤) من طريق مصعب بن سلام حدثنا أبو الفضل ابن عبد الله القرشى حدثنا عمرو بن دينار رفع إلى الرسول ﷺ بلفظ: «اطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه ...» الحديث. وهو مع إرساله ضعيف الإسناد لضعف مصعب بن سلام والله أعلم.

ليس بشئ . قال المصنف قلت: وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلى لا يثبت عن النبى عليه السلام فى هذا شئ.

وأما الحديث الآخر فأنبأنا أبو منصور بن خيرون نا أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبى نا أبو بكر محمد بن أحمد بن هرون نا أحمد بن عمر بن عبيد الزنجانى(١) قال سمعت أبا البخترى وهب بن وهب يقول: كنت أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه فقال: أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليك. قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترمينى بما ليس فىّ. وأما إدمان النظر إليه فإن جعفراً الصادق ثنا عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث يزدن فى قوة النظر: النظر إلى الخضرة، وإلى الماء الجارى، وإلى الوجه الحسن» (٢)

قال المصنف رحمه الله: هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء فى أبى البخترى انه كذاب وضاع، وأحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين، ثم قد كان ينبغى لأبى عبد الرحمن السلمى إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فأما إطلاقه ففيه سوء ظن. وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتابا فى جواز النظر إلى المرد.

قال المصنف رحمه الله: قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر إليه ومتى ادعى الإنسان أنه لا تثور شهوته عند النظر إلى الأمرد المستحسن فهو كاذب وإنما أبيح على الإطلاق لئلا يقع الحرج فى كثرة المخالطة

---

(١) فى تاريخ بغداد (٢٨٦/٤) «الريحانى» كما فى الكتاب، لكن فى كتاب الموضوعات للمصنف «الزنجانى» وكذلك فى اللآلى المصنوعة للسيوطى ولهذا الاختلاف لم ينقل الذهبى فى الميزان (١٢٤/١) هذا اللقب واكتفى على الاسم الثلاثى وليس على عادته وأما الحافظ فى «اللسان» (٢٣٦/١) فنقل الاسم الثلاثى ثم قال: وروى عنه أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون شيخ الحاكم وقال فيه الريحانى أى أن الحافظ كان يشك فى هذا اللقب لذلك لم يجزم به، وابن الجوزى مرة ذكر أنه «الزنجانى» فى الموضوعات ومرة «الريحانى» كما فى الكتاب وأظن هذا الشك إنما هو من ابن الجوزى فى الأصل وتتابع عليه نقلة الكتاب والحديث والراجح عندى والله أعلم كلام الخطيب فى «التاريخ» أنه الريحانى.

(٢) رواه الخطيب فى «التاريخ» (٢٨٦/٤) ومن طريقه ابن الجوزى فى «الموضوعات » (١٦٣/١) والحاكم من طريق أحمد بن عمر بن عبيد الريحانى. وإسناده موضوع ـ فإن أحمد بن عمر مجهول ووهب كذاب. وروى القضاعى (٢٨٩) وأبو نعيم (٢٠١/٣ـ ٢٠٢) عن جابر بلفظ: «النظر إلى الخضرة يزيد فى البصر والنظر إلى المرأة الحسناء يزيد فى البصر» وهو خبر باطل كما قال الذهبى فى «الميزان» (٦٢٧/٣). وله أكثر من رواية راجعها فى «اللآلى» (١ / ١١٦ ـ ١١٧).

بالمنع فإذا وقع الإلحاح فى النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى. قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أمرد فاتهموه.

القسم الرابع: قوم يقولون نحن لا ننظر نَظَرَ شهوة وإنما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم، فإن الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن أبناء جنسه فى الطبع، ادعى المحال وقد كشفنا هذا فى أول كلامنا فى السماع.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد الأبرى قالت بإسناد مرفوع إلى محمد بن جعفر الصوفى قال: قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبد الله بن الزبير الحنفى(١) قال كنت جالساً مع أبى النضر الغنوى وكان من المبرزين العابدين فنظر إلى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه، فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع ألا وقفت علىّ أروى من النظر إليك، فوقف قليلاً ثم ذهب ليمضى، فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد ألاما وقفت، فوقف ساعة، فأقبل يُصْعد النظر إليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ساعة فنظر إليه طويلاً ثم ذهب ليمضى، فقال: سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير إلا وقفت فأقبل ينظر إليه ثم أطرق رأسه إلى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكى، فقال: قد ذكرنى هذا بنظرى إليه وجهاً جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى أعدائه وموالاتى لأوليائه حتى أصير إلى ما أردته من نظرى إلى وجهه الكريم وبهائه العظيم. ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحبسنى فى النار ما دامت السموات والأرض ثم غشى عليه.

وحدثنا محمد بن عبد الله الفزارى قال سمعت خيراً النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفى فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر إليه نظراً أنكرته فقلت له: بعد أن قام إنك محرم فى شهر حرام فى بلد حرام فى مشعر حرام. وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون. فقال لى تقول هذا ياشهوانى القلب والطرف ألم تعلم أنه قد منعنى من الوقوع فى شرك إبليس ثلاث فقلت وما هى قال سر الإيمان وعفة الإسلام وأعظمها

(١) فى النسخه المحققه ـ الخفى ـ والصواب ما أثبتناه من بعض النسخ .

الحياء من الله تعالى أن يطلع عليّ وأنا جاثم على منكر نهاني عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا.[١]

قال المصنف رحمه الله: قلت انظروا إلى جهل الأحمق الأول ورمزه إلى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه، وإلى حماقة هذا الثانى الذى ظن أن المعصية هى الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم. ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التى تُكذبها شهوة النظر .

وقد حدثنى بعض العلماء أن صبياً أمرد حكى له قال: قال لى فلان الصوفى وهو يحبنى: يابُنى لله[٢] فيك إقبال والتفات حيث جعل حاجتى إليك. وحكى أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالى وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر إلى الورد تارة. وإلى الأمرد تارة. فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا. فقال: أى والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد.

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه فى رقعة إنك تحب غلامك التركى فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال المصنف رحمه الله **قلت:** إنى لا أعجب من فعل هذا الرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الإنكار عليه ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس.

وأخبرنا أبو القاسم الحريرى أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال : بلغنى عن هذه الطائفة التى تسمع السماع أنها تضيف إليه النظر إلى وجه الأمرد وربما زينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى وتزعم أنها تقصد به الازدياد فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية فى متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١] وقال: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٥] فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه، وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية فإذا استوفت

---

(١) رواه أبو نعيم (١٠ / ١٥٥).
(٢) فى النسخة المحققة ـ يابنى الله ـ والصواب ما أثبتناه.

منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المُرْد، ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا إلى سماع ونظر. قال أبو الطيب وقد أخبر بعضهم فى شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع فقال:

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا ... على طيب السماع إلى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى ... فأسكرت النفوس بغير راح
فلم نر فيهم إلا نشاوى ... سروراً والسرور هناك صاحى
إذا لبى أخو اللذات فيه ... منادى اللهو حى على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً ... أرقناها لألحاظ ملاح

قال فإذا كان السماع تأثيره فى قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدى السماع نفعاً أو يفيد فائدة؟ قال ابن عقيل: قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشيء. فإن الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص . وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[النور:٣٠] وقال: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ فلم يحل النظر إلا على صور، لا ميل للنفس إليها ولا حظ فيها بل عبرة لا يمازحها شهوة ولا تعتريها لذة، فأما صور الشهوات فإنها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغى أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة. ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماماً ولا مؤذناً. كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه. وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين.

القسم الخامس: قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة، وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات، وقد كان قدماؤهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أنشدنا أبو على الروزبارى .

أنـزه فى روض المحـاسـن مقـلتى وأمـنع نفسـى أن تنـال محرمـاً
وأحمل من ثقـل الهوى ما لو أنه على الجبل الصلد الأصم تهدماً

قال المصنف رحمه الله: وسيأتى حديث يوسف بن الحسين وقوله: عاهدت ربى أن لا أصحب حدثاً مائة مرة ففسخها(١) علىَّ قوام القدود وغنج العيون.

أخبرتنا شهدة الكاتبة بإسناد عن أبى المختار الضبى قال: حدثنى أبى قال قلت لأبى الكميث الأندلسى وكان جوالاً فى أرض الله حدثنى بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلاً منهم يقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فاذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى علىّ سليماً لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذى أضمره بقلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم يقول يا ليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام، ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت سمعتك تقول: إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتنى قلت نعم، قال فوالله يا أخى إنى لأدرای من قلبى ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقاً بالمغفرة له، فقلت وما الذى يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله، وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى قال أبو حمزة الصوفى رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويله فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلداً وعظماً من الضنا والكمد فقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجل الله عز وجل أن يصيبه معى طرفة عين أبداً وصاننى عن نجاسة الفسوق فى خلول صحبتى له وخلواتى معه فى الليل والنهار.

---

(١) فى النسخة المحققه : ففسحنا والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

قال المصنف رحمه الله: هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس فى صدها عن الفاحشة فإن صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذى ينبغى أن يخلو فيه القلب بما ينفع به فى الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فإن الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع فى غيضة متشاغله عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحة إن لم يهلك.

مجاهدة النفس

فصـــل

فى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد.

أخبرتنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى قال: قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية وقد رأيته يماشى غلاماً وضيئاً مدة ثم فارقه، فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلاً وإليه مائلاً. فقال والله لقد فارقته عن غير قُلِيّ ولا ملل. قلت ولم فعلت ذلك؟ قال: رأيت قلبى يدعونى إلى أمر إذا خلوت به وقَرِب منى لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيها لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن.

التوبـة وإطالـة البـكاء

فصـــل

ومنهم من تاب وأطال البكاء عن إطلاق نظره. وأخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى بإسناد عن عبيد الله. قال سمعت أخى أبا عبد الله محمد بن محمد يقول: سمعت خيراً النساج يقول: كنت مع أمية بن الصامت الصوفى إذ نظر إلى غلام فقرأ

﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ ثم قال: وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك الله فما أعظم ما امتحننى به من نظرى إلى هذا الغلام ما شبهت نظرى إليه إلا بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما ابقت ولا تركت ثم قال. استغفر الله من بلاء جنته عيناى على قلبى. لقد خفت ألا أنجو من معرته ولا أتخلص من إثمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا. ثم بكى حتى كاد يقضى نحبه فسمعته يقول فى بكائه ياطرف لأشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء.

المرض من شدة المحبة

فصل

ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة، أخبرتنا شهدة الكاتبة بإسناد عن أبى حمزة الصوفى قال: كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن فى بعض الأسواق فبلى به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحباً وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشى خطوة فأتيته يوماً لأعوده. فقلت ياأبا محمد ما قصتك وما هذا الأمر الذى بلغ بك ما أرى، فقال: أمور امتحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لى بها طاقة، ورب ذنب يستصغره الإنسان هو عند الله أعظم من كبير، وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الأسقام ثم بكى، قلت ما يبكيك؟ قال أخاف أن يطول فى النار شقائى فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال.

قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقى وكان من خيار عباد الله، إلى غلام جميل فغشى عليه، فَحُمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لا يقوم عليهما زماناً طويلاً فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لا يخبرنا بقصته ولا سبب مرضه، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائداً فهش إليه وتحرك وضحك فى وجهه واستبشر برؤيته فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوماً أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك، فسألنى أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل، فقلت للشيخ، وما الذى تكره من ذلك، فقال، لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع علىَّ من الشيطان محنة فتجرى بينى وبينه معصية فأكون من الخاسرين.

قتل النفس خوف الوقوع فى المعصية

وفيهم من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه. حدثنى أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى قال: كان ببلاد فارس صوفى كبير فابتلى بحدث فلم يملك نفسه أن دعته إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى: ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾[البقرة:٥٤] فغرق فى البحر.

قال المصنف رحمه الله: انظر إلى إبليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد وإلى إدمان النظر إليه إلى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام: «عفى لأمتى عما حدثت به نفوسها»[١] ثم إنه ندم على همته والندم توبة[٢] فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ ونحن نهينا عنه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾[النساء:٢٩] فلقد أتى بكبيرة عظيمة، وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[٣].

---

(١) روى البخارى (٢٥٢٨، ٥٢٦٩، ٦٦٦٤) ومسلم (١٢٧) وأبو داود (٢٢٠٩) والترمذى (١١٩٣) والنسائى (٦ / ١٥٦ ـ ١٥٧) وابن ماجه (٢٠٤٠، ٢٠٤٤) والقضاعى (١١١٤، ١١١٥) والطيالسى (٢٤٥٩) وابن حبان (٦ / ٢٧٠) وأبو نعيم (٢ / ٢٥٩ ـ ٦ / ٢٨٢ ـ ٧ / ٢٦١) عن أبى هريرة مرفوعاً «إن الله تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»

(٢) رواه أحمد (١ / ٣٧٦ ـ٤٢٣ ـ٤٣٣) وابن ماجه (٤٢٥٢) والحاكم (٤ / ٢٤٣) والحميدى (١٠٥) والقضاعى (١٣، ١٤) وابن حبان (٦١٢) والبخارى «تاريخ» (٢ / ١ / ٣٧٤) والطبرانى «صغير» (٨٠) وأبو نعيم (٨ / ٢٥١، ٣١٢) والخطيب «تاريخ» (٩ / ٤٠٥) وفى «الجامع لآداب الشيخ والسامع» (٢ / ١٠٧) والطيالسى (٣٨١) والبيهقى (١٠ / ١٥٤) والبغوى (١٣٠٧)وله شاهد من = = حديث أبى هريرة رواه الطبرانى فى «الصغير» (١٨٦).
وشاهد ثان من حديث أنس رواه ابن حبان (٦١٣) والحاكم (٤ / ٢٤٣) والبزار (٣٢٣٩).
وثالث من حديث عائشة رواه أحمد (٦ / ٢٦٤).
ورابع من حديث وائل بن حجر رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٢ / ٤١)
وخامس من حديث أبو سعيد الانصارى رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٣٠٦)
وأبو نعيم (١٠ / ٣٩٨) بنحوه .وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٦٨٠٢، ٦٨٠٣).

(٣) أخرجه البخارى (٥٧٧٨) ومسلم (١٧٥) وعبدالرزاق (١٩٧١٦) والطيالسى (٢٤١٦) والبغوى (٢٥٣٥) وأحمد (٢ / ٢٥٤، ٤٨٨).

فصل

وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه. بلغنى عن بعض الصوفية أنه كان فى رباط عندنا ببغداد ومعه صبى فى البيت الذى هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفى إلى الصبى ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكى فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبى فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبى يبكى فجلس الصوفى يبكى ويقول له بالله عليك إلا ما أقدتنى به، فقال الآن قد عفوت عنك: فقام الصوفى إلى قبر الصبى فجعل يبكى عليه ثم لم يزل يحج عن الصبى ويهدى له الثواب.

مقاربة الفتنة والوقوع فيها

ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة، والحديث بإسناد عن إدريس بن إدريس قال: حضرت بمصر قوماً من الصوفية. ولهم غلام أمرد يغنيهم قال: فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال: يا هذا قل لا إله إلا الله، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله.

القسم السادس: قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبى ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فيلبس إبليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لا عن قصد فيثير فى القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم إلى أقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا.(١)

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته.

القسم السابع: قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك.

والحديث بإسناد عن الرازى يقول: قال يوسف بن الحسين: كل ما رأيتمونى أفعله

---

(١) العابد الذى ضحك عليه الشيطان كما جاء فى أول هذا الكتاب .

فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن. ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا ففسخها علىَّ حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألنى الله معهم عن معصية. وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعراً.

إنّ ورد الخُدود و الحدق النجـــل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداغ فى ظاهر الخدّ وما فى الصدور من رمان
تركتنى بين الغوانى صريعاً فلهذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا الرجل قد فضح نفسه فى شئ ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف فى حمل النفس على المشاق؟ ثم ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية. فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه ؟!!

والحديث بإسناد عن محمد بن عمر أنه قال: حكى لى عن أبى مسلم الخشوعى(١) أنه نظر إلى غلام جميل فأطال. ثم قال سبحان الله ما أهجم طرفى عن مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالأمر الذى قد حذر منه لقد نظرت إلى هذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ولقد تركنى نظرى هذا وأنا أستحى من الله تعالى وإن غفر لى ثم صعق.

وبإسناد عن أبى بكر محمد بن عيد يقول: سمعت أبا الحسين النورى يقول: رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصّرارة، وتمشون فى الطرقات فقال أحسنت الحشر بالعلم.(٢)

---

(١)فى النسخة المحققة الخمشوعى بزيادة ميم والتصحيح من بقية النسخ .
(٢)رواه أبو نعيم (١٠ / ٢٥٤).

فائـــدة العلـــم

فصـــل

وكل من فاته العلم تخبط فإن حصل له وفاته العلم به كان أشد تخبيطاً. ومن استعمل أدب الشرع في قوله عز وجل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[النور:٣٠]. سلم في البداية بما صعب أمره في النهاية، وقد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك.

والحديث بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجالسوا أبناء الملوك؛ فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجواري العواتق»[١]. والحديث بإسناده عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك؛ فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى»[٢].

والحديث بإسناد عن الشعبي قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال: «كانت خطيئة داود عليه السلام النظر»[٣]وعن أبي هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ «**أن يحدّ الرجل النظر إلى الغلام الأمرد**»[٤]. وقال عمر بن الخطاب: ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد. وبإسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى.

وبإسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السري قال: كان يقال لا يبيت الرجل في بيت مع المرد.

---

(١) **(موضوع)** ـ رواه الخطيب في «التاريخ» (١٩٨/٥) وابن الجوزي في «العلل» (١٢٨٥) وفي ذم الهوى (ص١٠٥)وهو موضوع كما قال الذهبي في«الميزان»(٢٤٦/٣)والشوكاني في«الفوائد المجموعة»(٦٠٧).

(٢)رواه ابن عدي (٦٦/٥)وابن الجوزي في «العلل» (١٢٨٤)وهو موضوع كما قال الشوكاني في«الفوائد» (٦٠٧).

(٣) **(موضوع)** ـ رواه الديلمي وفيه مجاهيل وضعفاء غير الانقطاع كما قال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣١٣) وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الورع» (٢ / ١٦٢) موقوفاً وإسناده ضعيف والموقوف أولى كما قال الشيخ الألباني ..

(٤) **(موضوع)** ـ رواه ابن عدي (٧ / ٩٦) من طريق صالح بن زياد السوسي ثنا خطاب بن سيار الحراني ثنا بقية عن الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ والوزاع متروك الحديث.

وبإسناد عن عبد العزيز بن أبى السائب عن أبيه قال: لأنا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء. وعن أبى على الروزبارى قال: سمعت جنيداً يقول جاء رجل إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له من هذا، قال، ابنى فقال أحمد لا تجئ به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ وفى رواية الخطيب فقيل له أيد الله الشيخ إنه رجل مستور وابنه أفضل منه فقال أحمد الذى قصدنا إليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم.

وبإسناد عن أبى بكر المروزى قال: جاء حسن البزاز إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أبا على لا تمش مع هذا الغلام فى طريق فقال له إنه ابن اختى، قال وإن كان، لا يهلك الناس فيك.

وبإسناد عن شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الأحداث وبإسناد عن فتح الموصلى أنه قال، صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى لهم اتقى معاشرة الأحداث.

وبإسناد عن الحلبى أنه يقول نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال له ياهذا ابق على جاهك عند الله فإنك لا تزال ذا جاه ما دمت له معظماً.

وبإسناد عن أبى منصور عبد القادر بن طاهر يقول من صحب الأحداث وقع فى الإحداث. وعن أبى عبد الرحمن السلمى، قال: قال مظفر القرميسينى من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة أداه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة؟.

الإعراض عن المرد

فصل

وقد كان السلف يبالغون فى الإعراض عن المرد. وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره[1] والحديث بإسناد عن عطاء بن مسلم قال كان سفيان لا يدع أمرداً يجالسه. وروى إبراهيم بن هانئ عن يحيى بن معين قال ما طمع أمرد بصحبتى. ولأحمد بن حنبل قال فى طريق.

---

(١) لم أجده ، ولا شك عندى فى كذبه ، فليس هذا من أخلاق النبى ﷺ.

وبإسناد عن أبى يعقوب. قال كنا مع أبى نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت: يا شيخ أين مكان باب حرب. فقال لها هذا الباب الذى يقال له باب حرب، ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه: فسأله فقال يا شيخ أين مكان باب حرب؟ فأطرق الشيخ رأسه. فرد عليه الغلام السؤال وأغمض[1] عينيه فقلنا للغلام تعال إيش تريد؟ فقال: باب حرب. فقلنا له ها هو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه. فقال: نعم يروى عن سفيان الثورى أنه قال: مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسى من شيطانيه.

وبإسناد عن عبد الله بن المبارك يقول: دخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال: أخرجوه أخرجوه. فإنى أرى مع كل امرأة شيطاناً. ومع كل غلام بضعة عشرة شيطاناً وبإسناد عن محمد بن أحمد بن أبى القسم. قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال أنه ما رفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه. فقال له: قم من حذائى فأجلسه من خلفه. وبإسناد عن أبى إمامة قال: وكنا عند شيخ يقرئ فبقى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبى وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام، وكره أن يخلو مع هذا الغلام. وباسناد عن أبى الروزبارى قال: قال لى أبو العباس أحمد المؤدب يا أبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الأنس بالأحداث فقلت له يا سيدى أنت بهم أعرف، وقد تصحبهم السلامة لى فى كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيماناً منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التى تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط.

صحبة الأحداث

فصل

وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التى يصيد بها الصوفية، أخبرنا ابن ناصر عن أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قال يوسف بن الحسين: «نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتوا، ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة

(١)فى جميع النسخ غمض عينيه والصواب أغمض.

الأضداد وإرفاق النسوان »[١]. وباسناد عن ابن الفرج الرستمى الصوفى يقول رأيت إبليس فى النوم فقلت له ـ كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك إلينا طريق فقال كيف رأيت ما اشتملت به قلوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الأحداث؟.

وبإسناد عن ابن سعيد الخراز يقول رأيت إبليس فى النوم يمرغنى ناحية فقلت، تعال، فقال إيش أعمل بكم، أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس، قلت ما هو؟ قال: الدنيا، فلما ولى التفت إلى فقال غير أن فيكم لطيفة، قلت وما هى؟ قال: صحبة الأحداث. قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية.

عقوبة النظر إلى المردان

فصل

فى عقوبة النظر إلى المردان، عن أبى عبد اللّه بن الجلاء قال: كنت أنظر إلى غلام نصرانى حسن الوجه فمر بى أبو عبد اللّه البلخى. فقال إيش وقوفك فقلت. يا عم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار. فضرب بيده بين كتفى. وقال: لتجدن غبها ولو بعد حين. قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن.

وبإسناد عن أبى الأديان وقال كنت مع أستاذى وأبى بكر الدقاق فمر حدث فنظرت إليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر إليه فقال يا بنى لتجدن غبه ولو بعد حين. فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله. وعن أبى بكر الكتانى قال رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت ما فعل اللّه بك قال عرض علىّ سيئاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم. ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت إنى أستحى أن أقر فقال إنى غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مر بى غلام حسن الوجه فنظرت إليه. وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبى عبد اللّه الزراد أنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل اللّه بك؟ قال: غفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحداً فاستحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى. فقيل له ما الذنب فقال نظرت إلى شخص جميل.

---

(١) رواه أبو نعيم (١٠ / ٢٤٠) .

وقد بلغنا عن أبي يعقوب الطبرى أنه قال كان معى شاب حسن الوجه يخدمنى فجاءنى إنسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات إلى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة فى المنام فقال ياأبا يعقوب لم لم تنهه وأشار إلى البغدادى عن النظر إلى الأحداث فوعزتى إنى لا أشغل بالأحداث إلا من باعدته عن قربى. قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا للبغدادى فصاح صيحة ومات فغسلناه ودفناه، واشتغل عليه قلبى فرأيته بعد شهر فى النوم فقلت له ما فعل الله بك؟ قال: وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عنى[١].

قلت إنما مددت النفس يسيراً فى هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الأكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق بإطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر فى كتابنا المسمى بذم الهوى. ففيه غاية المراد من جميع ذلك.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز فى الأموال

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى بإسناد عن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص[٢] وبإسناد عن ذى النون المصرى أنه قال: سافرت سنين وما صح لى التوكل إلا وقتاً واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لى نفسى إن حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل.[٣]

أخبرنا محمد قال: سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى. فأعطى التوكل حقه ثم قال استحييت أن أجيبك وعندى شئ[٤] وذكر أبو نصر السراج فى كتاب «اللمع» قال جاء رجل إلى عبد الله بن الجلاء[٥] فسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فأخرج

---

(١) هذه الحكاية فى غاية البطلان ، فان رؤية الله فى الدنيا محال.
(٢) رواه أبو نعيم (٩ / ٢٥٦) وهذا ينافى التوكل الصحيح.
(٣) إن هذه الحكايات تخالف العقل والنقل غير أنها وهذا ينافى التوكل الصحيح.
(٤) رواه أبو نعيم (١٠ / ٢٢٤).
(٥) فى كل النسخ كما هو مذكور وفى «الحلية» (١٠ / ٣١٤) اسمه أبو عبد الله الجلاء.

إليهم صرة فيها أربعة دوانق فقال اشتروا بهذه شيئاً. ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له فى ذلك فقال: استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانق.

وقال سهل بن عبد الله من طعن فى الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان.(١)

قال المصنف **قلت:** قلة العلم أوجبت هذا التخليط، ولو عرفوا ما هية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد. وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن فى التعلق بالأسباب ولا ادخار المال. فقد قال تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ [النساء:٥] أى قواماً لأبدانكم وقال ﷺ: «نعم المال الصالح مع الرجل الصالح»(٢) وقال ﷺ: «إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»(٣) واعلم أن الذى أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر، فقال ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١] وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً﴾ [الدخان:٢٣]

وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين(٤) وشاور طبيبين «**واختفى فى الغار**»(٥) وقال «من يحرسنى الليلة»(٦) وأمر بغلق الباب.

وفى الصحيحين من حديث جابر أن النبى ﷺ قال: «اغلق بابك»(٧) وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافى الاحتراز.

---

(١) رواه أبو نعيم (١٠ / ١٩٥).
(٢) صحيح وقد تقدم.
(٣) صحيح وقد تقدم.
(٤) **(حسن)** - رواه أحمد (٣ / ٤٤٩) وأبو داود (٢٥٩٠) وابن ماجه (٢٨٠٦) والترمذى فى «الشمائل» (٩٠) وحسنه الألبانى فى «الشمائل» ثم قال: ومعنى ظاهر بينهما أى جمع بينهما وليس إحداهما فوق الأخرى كأنه جعل إحداهما ظهارة والأخرى بطانه، ولبس الدرعين يدل على الاهتمام فى التوقى فى الحرب وليساعد ذلك على الإقدام وعدم الاكتراث بالعدو.
(٥) حديث الغار - رواه البخارى (٣٩٠٥، ٣٩٠٦) عن عائشة رضى الله عنها مطولاً.
(٦) **(صحيح)** - رواه أحمد (١ / ٣٩١) وأبو داود (٤٤٧) والطبرانى (١٠٣٤٩) و (١٠٥٤٨، ١٠٥٤٩) والبزار (١ / ٤٠٩) والبيهقى (٢ / ٧) عن ابن مسعود وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح أبى داود».
(٧) رواه البخارى (٥٦٢٣، ٣٣٠٤) ومسلم (٢٠١٢) وأبو داود (٣٧٣١، ٣٧٣٢) والترمذى (١٨١٢) وابن ماجه (٣٤١٠) والحميدى (١٢٧٣) وابن خزيمه (١٣١) وابن حبان (١٢٧١ - ١٢٧٢) والبغوى (٣٠٥٧، ٣٠٥٨) وأحمد (٣ / ٣٠٦ - ٣٠٥).

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى نا عبد الله بن يحيى الموصلى ونصر بن أحمد قالا: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا أبو بكر القرشى، ثنى أبو جعفر الصيرفى، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا المغيرة بن أبى قرة السدوسى، قال سمعت أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول: جاء رجل إلى النبى ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقتها وتوكلت على الله قال: «اعقلها وتوكل»(١).

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بن على الأزجى، نا إبراهيم بن محمد بن جعفر، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، ثنا أبو بكر الخلال، أخبرنى حرب بن إسماعيل الكرمانى، ثنى عبد الرحمن بن محمد بن سلام، ثنا الحسين بن زياد المروزى، قال سمعت سفيان بن عيينة يقول: تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به. قال ابن عقيل: يظن أقوام أن الاحتياط والاحتراز ينافى التوكل. وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضى من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز واستفراغ الوسع فى التحفظ.فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩]. ﴿فإذا عزمت فتوكل علي الله﴾ فلو كان التعليق بالاحتياط قادحاً فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ وهل المشاورة إلا استفادة الرأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع فى الاحتياط بأن يَكِلْهُ إلى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملاً فى نفس الصلاة وهى أخص العبادات . فقال: ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾[النساء:١٠٢] وبين علة ذلك بقوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾[النساء:١٠٢] ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم . لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة. قال عليه الصلاة والسلام: **«اعقلها وتوكل»** ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ فى خير الأحوال وهى حالة الصلاة. وقد ذهب

---

(١) **(حسن)** – رواه الترمذى (٢٥١٧) وأبو نعيم (٨ / ٣٩٠) والبيهقى فى «الشعب» (١١٦١) وأبو الشيخ فى «الأمثال» (٤٢) وابن أبى الدنيا فى «التوكل» (١٢) من طريق المغيرة بن أبى قرة وهو مستور فالإسناد ضعيف لكن له شاهد من حديث عمرو بن أمية.
رواه ابن حبان (٧٣١) والحاكم (٣ / ٦٢٣) والقضاعى (٦٣٣) والبيهقى فى «الشعب» (١١٥٨–١١٥٩–١١٦٠). وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٤٣٠٨).

الشافعي رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله: ﴿ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [النساء:١٠٢] فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فإن موسى عليه السلام لما قيل له ﴿ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص:٢٠] خرج. ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضى الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل في باب الاحتياط: ﴿ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ ﴾ [يوسف:٥] وقال: ﴿ لا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ ﴾ [يوسف:٦٧] وقال: ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ وهذا لأن الحركة للذب عن النفس استعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمه المتعددة يريد إظهار وداعته فلا وجه لتعطيل ما أودع اعتماداً على ما جاد به. لكن يجب استعمال ما عندك ثم أطلب ما عنده وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب وخلق للآدمى عقلاً يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالأبنية والدروع ومن عطل نعمة الله بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعاً أو مرضاً.

ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغى أن تكون أعضاء المتوكل فى الكسب وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى. لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة. فمنعه عطاء فى المعنى. وكم زين للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا فى غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزماً. ومتى وضعت أسباب فاهملت كان ذلك جهلاً بحكمة الواضع. مثل الطعام سبباً للشبع والماء للرى والدواء للمرض. فإذا ترك الإنسان ذلك إهواناً بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سبباً فإذا لم تتناوله كان إهواناً لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب وما هذا إلاّ بمثابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلى صلاة الاستسقاء طلباً للمطر فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعاً ولا عقلاً.

قال المصنف رحمه الله: فإن قال قائل كيف أحترز مع القدر؟ قيل له: وكيف لا تحترز مع الأوامر من المقدر؟ فالذى قدر هو الذى أمر. وقد قال تعالى: ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ أنبأنا إسماعيل بن أحمد، نا عاصم بن الحسين، نا ابن بشران، ثنا أبو صفوان، نا أبو بكر القرشي، ثنى شريح بن يونس، نا على بن ثابت، عن خطاب بن

القاسم، عن أبى عثمان قال: كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه إبليس فقال أنت الذى تزعم أن كل شئ بقضاء وقدر؟ قال نعم. قال فألق نفسك من الجبل وقل قدر علىّ. فقال: يالعين! اللّه يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا اللّه تعالى.

فصل

وفى معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم فى ترك الأسباب أنه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب. أخبر نا محمد بن أبى القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول: سمعت سهل بن عبد اللّه التسترى يقول: من طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان ومن طعن على الكسب فقط طعن على السنة (١).

أخبرنا محمد بن ناصر، نا أحمد بن على بن خلف، نا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت محمد بن عبد اللّه الرازى يقول: سأل رجل أبا عبد اللّه بن سالم وأنا أسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل؟ فقال التوكل حال رسول اللّه ﷺ والكسب سنة رسول اللّه ﷺ وإنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التى هى فقال التوكل حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلاّ كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول اللّه أبيح طلب المعاش فى الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله.(٢)

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبى قال: سمعت محمد بن الحسين قال: سمعت أبا القاسم الرازى يقول: سمعت يوسف بن الحسين قال: إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجئ منه شئ .

قال المصنف رحمه اللّه: قلت هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافى

---

(١) رواه أبو نعيم (١٠ / ١٩٥).
(٢) رواه أبو نعيم (١٠ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

حركة الجوارح ولوكان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح، وزكريا نجارين، وإدريس خياطاً وإبراهيم ولوط زارعين، وصالح تاجراً، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات اللّه عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ: «كنت أرعى غنماً لأهل مكة بالقراريط»[١] فلما أغناه اللّه عزّ وجلّ بما فرض له من الفيء لم يحتج إلى الكسب. وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان اللّه تعالى عليهم بزازين وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين وكذلك أبو حنيفة. وكان سعد بن أبي وقاص يبرى النبل، وكان عثمان بن طلحة خياطاً. وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر، نا أبو محمد الجوهري، نا ابن حياة، نا أبو الحسن ابن معروف، نا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد، نا مسلم بن إبراهيم، نا هشام الدستوائي، قال: حدثنا عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر رضي اللّه عنه أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا: أين تريد؟ فقال: السوق قالا تصنع ماذا؟ وقد وليت أمور المسلمين قال: فمن أين أُطعمُ عيالي؟[٢] قال ابن سعد وأخبرنا ابن عبد اللّه بن يونس، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين. فقال زيدوني فإني لي عيالاً وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة.[٣]

قال المصنف رحمه اللّه: قلت: لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي؟ لقالوا قد أشركت، ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة لقالوا ليس بمتوكل، ولا موقن، وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى إلى الدنيا مستجدياً ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له. وإما الجلوس في الرباط في هيئة

---

(١) رواه البخاري (٢٢٦٢) وابن ماجه (٢١٤٩) والبغوي (٢١٨٥) عن أبي هريرة بلفظ: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط».
ورواه أحمد (١ / ٣٧٩) عن ابن مسعود بلفظ «كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط».
(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣ / ١٣٧) وفيه انقطاع.
(٣) رواه ابن سعد (٣ / ١٣٨).

المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو طالب العشارى، نا محمد ابن عبد الرحمن المخلص، نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى، ثنا أبو بكر بن عبيد، قال: حُدثتُ عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام، عن إبراهيم بن أدهم قال: كان سعيد ابن المسيَب يقول: من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف فى السؤال .(١)

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا: نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت جدى إسماعيل بن نجيدى يقول: كان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل.

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا محمد بن على بن الفتح، نا محمد بن عبد الرحمن المخلص، نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى، نا أبو بكر بن عبيد القرشى، نا عبيد بن الجعد نا المسعودى، عن خوات التيمى قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يامعشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.(٢)

أخبرنا ابن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهرى، وأبو الخير القزوينى قالوا: نا أبو عمر بن حياة، نا محمد بن خلف، ثنا أبو جعفر اليمانى، نا أبو الحسن المداينى، عن محمد بن عاصم قال: بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا. قال: سقط من عينى.(٣)

---

(١) رواه البيهقى فى «الشعب» (١١٦٧) .
(٢) أخرجه البيهقى فى «الشعب» (١١٦٣) وابن عبد البر فى «العلم» (ص٢٩٩) وإسناده حسن وأخرجه أبو نعيم (٦ / ٣٨٢) نحوه عن سفيان الثورى.
ونسبه ابن كثير فى «مسند الفاروق» (١ / ٣٤١) إلى ابن أبى الدنيا.
(٣) (مرسل) .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد، نا عمر بن عبد الله النقال، نا أبو الحسين بن بشران، نا عثمان بن أحمد الدقاق، نا حنبل، ثنى أبو عبد الله، نا معاذ بن هشام، ثنى أبى، عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى بحر الشام منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، نا جعفر بن أحمد السراج، نا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل الضراب، نا أبى، نا أحمد بن مروان المالكى، نا أبو القاسم بن الختلى، سألت أحمد بن حنبل وقلت: ما تقول فى رجل جلس فى بيته أو فى مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «جعل الله رزقى تحت ظل رمحى»[1] وحديث الآخر فى ذكر الطير تغدو خماصاً فذكر أنها تغدوا فى طلب الرزق[2] . قال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾[المزمل: ٢٠] وقال: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٨] وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ولنا القدوة بهم. وقد ذكرنا فيما مضى عن أحمد أن رجلا قال له: أريد الحج على التوكل فقال له فأخرج فى غير القافلة. قال لا: قال فعلى جراب الناس توكلت؟!

أخبرنا ابن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بن على الأزجى، نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الناجى، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، نا أبو بكر أحمد ابن محمد الخلال، نا أبو بكر المروزى قال: قلت لأبى عبد الله هؤلاء المتوكلة يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل. فقال هذا قول ردئ أليس قد قال الله تعالى: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾[الجمعة: ٩] ثم قال إذا قال لا أعمل وجئ إليه بشئ قد عمل واكتسب. لأى شئ يقبله من غيره؟ .

قال الخلال: وأخبرنا عبد الله بن أحمد قال: سألت أبى عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال: ينبغى للناس كلهم أن يتوكلو على الله. ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب. هذا قول إنسان أحمق.

---

(١) **(حسن)** - رواه البخارى تعليقاً (٣ / ٢٣٠) ورواه ابن المبارك (١٠٥) عن طاووس مرسلاً، ووصله أحمد (٢ / ٥٠ - ٩٢) وابن أبى شيبة (٥ / ٣١٣) والطحاوى «مشكل» (١ / ٨٨) والبيهقى فى «الشعب» (١١٥٤) وعبد بن حميد (٨٤٨) وحسنه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (١٢٦٩).

(٢) **(صحيح)** - رواه أحمد (١/٣٠-٥٢) والترمذى (٢٤٤٧) وابن المبارك فى «الزهد» (٥٥٩) وابن ماجه (٤١٦٤) والطيالسى (١١) وأحمد فى «الزهد» (ص١٨) وابن حبان (٧١٩) والحاكم (٣١٨/٤) وأبو نعيم (٦٩/١٠) وابن أبى الدنيا فى التوكل (١) .وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٣١٠) .

قال الخلال: وأخبرني محمد بن على قال ثنا صالح أنه سأل أباه يعنى أحمد بن حنبل عن التوكل فقال: التوكل حسن ولكن ينبغى أن يكتسب ويعمل حتى يغنى نفسه وعياله ولا يترك العمل. قال: وسئل أبى وأنا شاهد. عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال: هؤلاء مبتدعون.

قال الخلال: وأخبرنا المروزى أنه قال لأبى عبد الله أن ابن عيينة كان يقول: هم مبتدعة. فقال أبو عبد الله: هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا.

وقال الخلال وأخبرنا المروزى قال: سألت أبا عبد الله عن رجل جلس فى بيته وقال اجلس واصبر واقعد فى البيت ولا أطلع على ذلك أحداً فقال: لو خرج فاحترف كان أحب إلىّ فإذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه إلى غير هذا قلت: إلى أى شئ يخرجه؟ قال: يخرجه إلى أن يكون يتوقع أن يُرسل إليه قال الخلال: وحدثنا أبو بكر المروزى قال: سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله أحمد بن حنبل إنى فى كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك. وقال لرجل آخر اعمل وتصدق بالفضل على قرابتك. وقال أحمد بن حنبل قد أمرتهم يعنى أولاده أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة.

قال الخلال: وأخبرنى محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول: ما أحسن الاستغناء عن الناس.

وقال الخلال وأخبرنى يعقوب بن يوسف المطوعى قال: سمعت أبا بكر بن جناد يقول: الجصاصى قال سمعت أحمد بن جنبل يقول: أحب الدراهم إلىّ درهم من تجارة وأكرهها عندى الذى من صلة الإخوان.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وكان إبراهيم بن أدهم يحصد. وسلمان الخواص يلقط، وحذيفة المرعشى يضرب اللبن، وقال ابن عقيل: التسبب لا يقدح فى التوكل لأن تعاطى رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص فى الدين. و لما قيل لموسى عليه السلام ﴿إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[القصص:٢٠] خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجر نفسه ثمان سنين(*). وقال الله تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[الملك:١٥] وهذا لأن الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى فاستعمل ما عندك ثم أطلب ما عنده. وقد

(*) قلت: قد صح أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عن أى الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما. أى عشر سنين.

يطلب الإنسان من ربه وينسى ما له عنده من الذخائر فإذا تأخر عنه ما يطلبه يسخط. فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فإذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له. لو بعت عقارك؟ قال كيف أفرط فى عقارى وأسقط جاهى عند الناس وإنما يفعل هذه الحماقات العادات وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين. إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم أنه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم. وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنيئ النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذى أودعه الله إيثاراً للكسل أو لاسم يتزين به بين الجهال فإن الله تعالى قد يحرم الانسان المال و يرزقه جوهراً يتسبب به إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه.

فصـــل

وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة. منها أنهم قالوا لابد من أن يصل إلينا رزقنا و هذا فى غاية القبح فإن الإنسان لو ترك الطاعة وقال لا أقدر بطاعتى أن أغير ما قضى الله علىَّ فإن كنت من أهل الجنة فأنا إلى الجنة، أو من أهل النار فأنا من أهل النار. قلنا له هذا يرد الأوامر كلها ولو صح لأحدٍ ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول ما فعلت إلا ما قضى على. ومعلوم أننا مطالبون بالأمر لا بالقدر. ومنها أنهم يقولون أين الحلال حتى نطلب؟ وهذا قول جاهل لأن الحلال لا ينقطع أبداً لقولهﷺ: «الحلال بين والحرام بين»[(١)] ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع فى تناوله، وإنما قولهم هذا احتجاج للكسل. ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاه، مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد، نا عبد العزيز بن على، نا ابن جهضم، نا على بن محمد السيروانى قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول: طلبت الحلال فى كل شئ حتى طلبته فى صيد السمك فأخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فألقيت الشص فخرجت سمكة فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية فخرجت لى سمكة فأنا أطرحها ثالثة إذا من ورائى لطمة لا أدرى من يد من هى ولا رأيت أحداً وسمعت قائلا يقول أنت لم تصب رزقاً فى شئ إلا أن تعمد إلى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت.[(٢)]

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) قلت: أين هذا الجهل من قوله ﷺ عندما سئل عن البحر: فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته؟.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم عبد الكريم القشيرى ثنا أبى قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمى قال سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت إلخ ما تقدم.

قال المصنف رحمه الله **قلت:** وهذه القصة إن صحت فإن فى الروايتين بعض من يتهم فإن اللاطم إبليس وهو الذى هتف به لأن الله تعالى أباح الصيد، فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمد إلى من يذكرنا فتقتله؟ وهو الذى أباح له قتله كسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما يقيم قوى الأبدان لأنه لا يقيمها إلا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر إلى الجهل ما يصنع وإلى إبليس كيف يفعل؟

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت، نا عبد العزيز بن على الأزجى، ثنا على بن عبد الله الهمدانى، ثنا محمد بن جعفر، ثنا أحمد بن عبد الله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول: قيل لفتح الموصلى أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئاً إلا وتطعمه لعيالك، فلم تصد وتبيع ذلك للناس، فقال أخاف أن اصطاد مطيعاً لله تعالى فى جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض.

قال المصنف رحمه الله **قلت:** إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلى فهو من التعلل البارد، المخالف للشرع والعقل، لأن الله تعالى أباح الكسب وندب إليه فإذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص، كان حديثاً فارغاً لأنه لا يجوز لنا إذاً أن نبيع الخبز لليهود والنصارى .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التداوى

قال المصنف رحمه الله: لا يختلف العلماء أن التداوى مباح، وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه. وقد ذكرنا كلام الناس في هذا وبينا بما اخترناه في كتابنا «لقط المنافع في الطب». والمقصود ههنا أنا نقول إذا ثبت أن التداوى مباح بالإجماع مندوب إليه عند بعض العلماء فلا يلتفت إلى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل لأن الإجماع على أنه لا يخرج من التوكل وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه تداوى وأمر بالتداوى[(١)] ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل.

وفي الصحيح من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «رخص إذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر»[(٢)] قال ابن جرير الطبرى: وفي هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعُبّاد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به في جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع. وفي إطلاق النبي ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم. وإن ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرجه فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء «لأن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء إلا الموت»[(٣)] وجعل أسباباً لدفع الأدواء كما جعل الأكل سبباً لدفع الجوع. وقد كان قادراً أن يحيى خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى .

---

(١) رواه البخارى (٥٦٧٨) وابن ماجه (٣٤٣٩) وابن أبى شيبة (١/٨) والقضاعى (٧١٠) ورواه أحمد (٣٧٧/١، ٤١٣، ٤٥٣) عن ابن مسعود بلفظ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل دواءً» ورواه أحمد (٢٧٨/٤) وأبو داود (٣٨٥٥) والترمذى (٢٠٣٨) عن أسامةبن شريك ورواه مسلم (٢٢٠٤) وأحمد (٣٣٥/٣) عن جابر بلفظ. «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل».

(٢) أخرجه مسلم (١٢٠٤) وأبو داود (١٨٣٨) والترمذى (٩٥٢).

(٣) **(صحيح)** - رواه الحاكم (٤ / ٤٠١) عن أبى سعيد مرفوعاً: « إن الله لم ينزل داءً أو لم يخلق داءً إلا أنزل أو خلق له دواءً علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام قالوا يارسول الله وما السام؟ قال: الموت» وإسناده ضعيف لكن لهَ شاهد من حديث أسامة بن شريك وابن مسعود وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٦٥٠).

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية
فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف: كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعُزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبد إلا أن عُزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة، ولا جماعة، ولا عيادة مريض، ولا شهود جنازة ولا قيام بحق. وإنما هى عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين، وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل فى جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم. وعمومهم اعتزل فى الأربطة ففاتهم السعى إلى المساجد وتوطنوا على فُراش الرحة وتركوا الكسب.

وقد قال أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة فى مكان مظلم، وقال فإن لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جبته أو يتدثر بكساء، أو إزار. ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية.

قال المصنف رحمه الله **قلت:** انظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق، وأن الذى يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل فى المطعم، فإنه يغلب عليه الماليخوليا. وقد يسلم الإنسان فى مثل هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء، لأن فى الدماغ ثلاث قوى: قوة يكون بها التخيل، وقوة يكون بها الفكرة، وقوة يكون بها الذكر، وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكر البطن الأوسط من بطون الدماغ، وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك، نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب، نا أبو عبد الرحمن السلمى، قال سمعت أبا بكر البجلى يقول: سمعت أبا عثمان بن الآدمى قال: كان أبو عبيد التسترى إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طينى باب البيت والق إلىّ كل ليلة من الكوة رغيفاً فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفاً فى الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتهيأ لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر.

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية عندى بعيدة عن الصحة من وجهين:

أحدهما: بقاء الآدمى شهراً لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح.

والثانى: ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهى واجبة لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا فى التلبيس بقية.

قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقى، ثنا الحاكم أبو عبد الله النيسابورى، وسمعت أبا الحسن البوشنجي الصوفى غير مرة يعاتب فى ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول: إن كانت البركة فى الجماعة فإن السلامة فى العزلة.

النهى عن الانفراد

فصل

وقد جاء النهى عن الانفراد الموجب للعبد عن العلم والجهاد للعدو.

أخبرنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، قال حدثنى أبى، ثنا أبو المغيرة، ثنا معان بن رفاعة، ثنى على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سرية من سراياه قال: فمر رجل بغار فيه شئ من ماء قال: فحدث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغار فيقوته ما كان فيه وفيه شئ من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال: لو أنى أتيت نبى الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لى فعلت وإلا لم أفعل فأتاه فقال يا نبى الله إنى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل فحدثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا. قال: فقال نبى الله ﷺ: «إنى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة».(١)

---

(١) إسناده ضعيف لضعف على بن يزيد الألهانى.
وقد رواه أحمد (٥ / ٢٦٦) من طريقه.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية
فى التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله: إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللا وقد كانوا يجتهدون فى ستر ما يظهر منهم من ذلك. وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل. ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم. فقد روى عن على رضى الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب. ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح فى المباح فينبغى أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكى ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعى أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه.

وقد كان فى الخائفين من حَمَلَهُ الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى موسى قال: «**كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء**»(١) وفى هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾[ق:٦] وقال: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[يونس:١٠١] وفى هذا رد على المتصوفين، فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء. وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم فى باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة. فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره.

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلانى نا القاضى أبو العلاء الواسطى، نا أبو نصر أحمد بن محمد، نا أبو الخير أحمد بن محمد البزار، ثنا البخارى، ثنا إسحاق، ثنا محمد بن المفضل، ثنا الوليد بن جميع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين

(١) رواه مسلم (٢٥٣١) وأحمد (٤ / ٣٩٩) مطولاً.

وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شئ من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد، نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب، نا أبى، ثنا أحمد بن مروان، ثنا إبراهيم الحربى، ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبد الله القرشى عن أبيه قال: نظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له: يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق.

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار، نا على بن أحمد الملطى، ثنا أحمد بن محمد بن يوسف، ثنا ابن صفوان، نا أبو بكر القرشى، ثنى يعقوب بن إسماعيل قال: قال عبد الله: أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه.

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد، نا الحسن بن على التميمى، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا أسود بن عامر، نا أبو بكر عن عاصم بن كليب الجرمى قال: لقى أبى عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشى وكان إذا مشى يمشى جنب الحائط متخشعاً هكذا. وأمال أبو بكر عنقه شيئاً فقال أبى مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط: أما والله إن عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهورى الصوت.أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا أبو محمد الجوهرى، نا ابن حياة، نا أبو الحسن ابن معروف، ثنا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبى خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتياناً يقصرون فى المشى ويتكلمون رويداً فقالت ما هذا؟ قالوا: نُسّاك. قالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع و هو الناسك حقاً.(١)

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع. وقد ذكرنا عن أيوب السختيانى أنه كان فى ثوبه بعض الطول ليستر حاله. وكان سفيان الثورى يقول لا أعتد بما ظهر من عملى، وقال لصاحب له ورآه يصلى ما أجرأك تصلى والناس يرونك.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣ / ٢٢٠) والطبرى فى «التاريخ» (٤ / ٢١٢).

قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف، نا ابن المذهب، نا القطيعى، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبو عبد الله يعنى السلمى، ثنا بقية عن محمد بن زياد قال: مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك.(١)

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت، نا الجوهرى، ثنا محمد بن العباس، ثنا محمد بن القاسم الأنبارى، ثنا الحارث بن محمد، ثنا يحيى بن أيوب، ثنا شعيب بن حرب، ثنا الحسين بن عمار(٢) قال رجل فى مجلس الحسن بن عمارة آه قال: فجعل يتبصره ويقول من هذا؟ حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به.(٣)

أخبرنا إسماعيل بن أحمد المقرى نا أحمد بن أحمد الحداد، ثنا أبو نعيم الحافظ، نا أبو عبد الله محمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب، ثنا أبو حاتم، ثنا حرملة قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول:

ودع الـذين إذا أتـوك تنسـكـوا وإذا خـلوا فهـم ذئاب خراف (٤) (٥)

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت، نا أبو عمر الحسن بن عثمان الواعظ، نا جعفر بن محمد الواسطى، نا الحسين بن عبد الله الأبزارى قال سمعت إبراهيم بن سعيد يقول: كنت واقفاً على رأس المأمون فقال لى يا إبراهيم: قلت لبيك قال: عشرة من أعمال البر لا يصعد إلى الله والله لا يقبل منها شئ. قلت ما هى يا أمير المؤمنين؟ فقال: بكاء إبراهيم على المنبر، وخشوع عبد الرحمن بن إسحاق، وتقشف ابن سماعة، وصلاة خيعوية بالليل، وصلاة عباس الضحى، وصيام ابن السندى الأثنين والخميس، وحديث أبى رجاء، وقصص الحاجبى، وصدقة حفصوية وكتاب الشامى ليعلى بن قريش.

---

(١) إسناده صحيح لولا عنعنه بقية.
(٢) الحسين بن عمارة مستور انظر «الجرح» (٣ / ٦١).
(٣) الحسن بن عمارة متروك ـ فى الحلية عبد الله بن محمد بن جعفر .
(٤) فى النسخة الأصلية خفاف والتصحيح من الحلية.
(٥) رواه أبو نعيم (٩ / ١٥٤).

ذكر تلبيس إبليس
على الصوفية في ترك النكاح

قال المصنف: لنكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء. ومذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب فى وجود الولد قال عليه الصلاة والسلام «تناكحوا تناسلوا»[(١)] قال رسول اللهﷺ: «النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى».[(٢)]

أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا الجوهرى، نا أبو عمر بن حياة، نا أحمد بن معروف، ثنا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد، نا سليمان بن داود الطيالسى، نا إبراهيم بن سعد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص قال: لقد رد رسول اللهﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له فى ذلك لاختصينا.[(٣)]

قال ابن سعد: وأخبرنا ابن عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن نفراً من أصحاب رسول اللهﷺ سألوا أزواج النبى عليه السلام عن عمله فى السر فأخبروهم فقال بعضهم: لا آكل اللحم! وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم، لا أنام الليل على فراش. وقال بعضهم أصوم ولا أُفْطِر، فحمد الله النبى عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ثم قال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى ».[(٤)]

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٠٣٩١) مرسلاً، وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٢٤٨٣).
وقد صح بلفظ: «تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» رواه أبو داود (٢٠٥٠) والنسائى (٦٥/٦، ٦٦) والطبرانى فى الكبير» (٥٠٨/٢١٩/٢٠) وابن حبان (٤٠٥٦، ٤٠٥٧) والحاكم (١٦٢/٢) والبيهقي (٨١/٧) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦٢/٣) عن معقل بن يسار وإسناده حسن. وله شاهد من حديث أنس ـ رواه أحمد (١٥٨/٣، ٢٤٥) وابن منصور فى «سننه» (٤٩٠) وابن حبان (٤٠٢٨)والبيهقى (٨١/٧ـ٨٢)والبيهقى فى «الشعب» (٥٠٩٩)وأبو نعيم (٢١٩/٤)وشاهد آخر من حديث ابن عمر ـرواه الخطيب فى «تاريخه» (٣٧٧/١٢)وشاهد من حديث ابن مسعود رواه ابن عدى (٣٧٢/٢) .والحديث صحيح وصححه الشيخ الألبانى فى«الإرواء» (١٧٨٤)و«صحيح الجامع» (٢٩٤٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخارى (٥٠٧٣، ٥٠٧٤) ومسلم (١٤٠٢) والترمذى (١٠٨٣) وابن ماجه (١٨٤٨) وأحمد (١٧٥/١ـ ١٧٦) والبيهقى فى «السنن» (٧٩/٧) و «الشعب» (٥٠٩٨).

(٤) رواه البخارى (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) والبيهقى سنن (٧٧/٧) والشعب (٥٠٩٣) وعبد الرزاق (١٠٣٧٨) وأحمد (٣١/٣، ٢٥٩، ٢٥٨).

قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانة عن عطاء بن السايب عن سعيد ابن عبيد قال: قال ابن عباس رضى الله عنه: « إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء»[١] قال ابن سعد وأخبرنا بن عبد الله بن قيس ثنا مندل[٢] عن أبي رجاء الجزرى عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال: قال شداد بن أوس زوجونى فإن رسول اللهﷺ أوصانى أن لا ألقى الله عزباً[٣]

وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا عبد الرزاق، نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبى ذر قال: دخل على رسول اللهﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمى الهلالى فقال له النبىﷺ : «يا عكاف هل لك من زوجة؟ قال: لا. قال:ولا جارية؟ قال: لا. قال:وأنت موسر بخير قال: وأنا موسر قال:أنت إذاً من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم إن سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم فما للشياطين من سلاح أبلغ فى الصالحين من ترك النساء».[٤]

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنى أبى، ثنى أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة قال: «لعن رسول اللهﷺ مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال. والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتى يقلن ذلك»[٥]

---

(١) أخرجه البخارى (٥٠٦٩) وابن منصور فى «سننه» (٤٩٤) بلفظ
قال لى ياسعيد وهو ابن جبير تزوج فإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء.

(٢) فى النسخه المحققة «ميذل» والصواب ما أثبتناه.

(٣) إسناده فيه نكاره، فإن مندل بن على العنزى ضعيف، وأبو رجاء وهو محرز بن عبد الله الجزرى صدوق يدلس. وعثمان بن خالد، قال الذهبى فى «الميزان» (٣٣/٣) عن محمد بن خثيم عن شداد بن أوس بخبر منكر لا يعرف من هو وعنه شيخ لين.

(٤) (إسناده ضعيف جداً). فيه رجل لم يسم ومحمد بن راشد ضعيف. ورواه أحمد (١٦٣/٥، ١٦٤) وعبد الرزاق (١٠٣٨٧) من طريق محمد بن راشد به ولعل المجهول هو ـ فقد رواه الطبرانى فى «الكبير» (٨٥/١٨ـ٨٦ رقم ١٥٨) وابن حبان فى «المجروحين» (٣٠٧/٢ـ ٣٠٨) والبيهقى فى «الشعب» (٥٠٩٤) عن مكحول عن غضيف عن عطية بن يسر المازنى قال .....» وإسناده مع ضعفه مضطرب. وقد ذكره الحافظ فى «الإصابة» (٤٨٨/٢ـ ٤٨٩) وقال: والطرق المذكورة كلها لا تخلوا من ضعف واضطراب . وأورده الهيثمى فى «المجمع» (٢٥١/٤) وقد رواه أبو يعلى والطبرانى وفيه معاويه بن يحيى الصدفى وهو ضعيف، وقال أيضاً: رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات، والحديث أورده السيوطى فى «اللآلى» (١٦٦/٢).

(٥) (ضعيف) ـ رواه أحمد (٢ / ٨٧٧ ـ ٢٨٩) والعقيلى (٢ / ٢٣٢) والبخارى فى التاريخ (٤ / ٣٦٢) والبيهقى «شعب» (٤٤٠٠) وضعفه الشيخ الألبانى فى «الضعيفة» (١١١٤).

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال: نا أبو بكر الخياط، نا أبو الفتح بن أبى الفوارس، نا أحمد بن جعفر الجيلى، ثنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شئ النبى عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال: لوكان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله. لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شئ وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبى عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق. ويعقوب عليه السلام فى حزنه قد تزوج وولد له. والنبى عليه الصلاة والسلام قال: «حبب إلىّ النساء»[1]..قلت فإن إبراهيم بن أدهم يحكى عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بى وقال وقعنا فى بنيات الطريق انظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال: لبكاء الصبى بين يدى أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا أنىّ يلحق المتعبد المتعزب المتزوج.

نقد مسالك الصوفية فى تركهم النكاح

فصـــل

وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فَقُدَماؤهم تركوا ذلك تشاغلاً بالتعبد ورأوا النكاح شاغلاً عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وإن لم يكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وفى بضع أحدكم صدقة» **قالوا يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال**: أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ **قالوا: نعم**. **قال**: وكذلك إذا وضعها فى الحلال

---

(١) **(صحيح)** - رواه أحمد (٣ / ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥) والنسائى (٧ / ٦٢) والحاكم (٢ / ١٦٠) وابن أبى عاصم فى «الزهد» (٢٣٤) وابن سعد (١ / ٣٩٨) والبيهقى (٧ / ٧٨) عن أنس بلفظ «حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة».

كان له أجر . ثم قال: أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير» (١) ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب. وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىﷺ أنه قال: « دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار أنفقته فى الصدقة ودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار الذى أنفقته على عيالك»(٢) . ومنهم من قال النكاح يوجب الميل إلى الدنيا فروينا عن أبى سليمان الدارانى أنه قال: إذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا(٣)

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث «والملائكة تضع أجنحتها لطلب العلم »(٤) ؟ وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل الله؟ وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول: «تناكحوا تناسلوا»(٥)فما أرى هذه الأوضاع إلا على خلاف الشرع. فأما جماعة من متأخرى الصوفية فإنهم تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى إذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا.

قال أبو حامد ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فإنه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠، ١٠٠٦) وأبو داود (٥٢٤٣، ٥٢٤٤) وابن حبان (٨٣٨) والبيهقى (١/١٨٨) والبغوى (١٦٤٢) وأحمد (٥ / ١٦٧ ـ ١٦٨) والزياده له من رواية أبى ذر الغفارى وليس ما ذكره المؤلف فقد رواه البخارى (٨٤٣ ـ ٦٣٢٩) ومسلم (٥٩٥) عن أبى هريرة من غير قوله «وفى بضع أحدكم صدقة» ولأن الحديث أصله واحد وهو «أن الفقراء ذهبوا إلى رسول اللهﷺ وقالوا : إن أهل الدثور ذهبوا ..» الحديث . فقد اختلط على المؤلف، فلم ترد لفظه وفى بضع أحدكم» فى حديث أبى هريرة والله أعلم .

(٢) رواه مسلم (٩٩٥) وأحمد (٢ / ٤٧٣) والبيهقى (٧/٤٦٧) ورواه مسلم (٩٩٤) والترمذى (١٩٦٦) وابن ماجه (٢٧٦٠) وابن حبان ٤٢٢٨) والبيهقى (٤/١٧٨ـ٧/٤٦٦) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٧٤٨) عن ثوبان بلفظ «أفضل الدينار دينار انفقه الرجل على عياله .... » .

(٣) هذا كلام مردود، لأن معناه أن الرسولﷺ والصحابة الكرام ركنوا إلى الدنيا مع أنهم أعبد من هؤلاء وأعلم

(٤) طرف من حديث صحيح طويل رواه أحمد (٥/١٩٦) وأبو داود (٣٦٤١ـ٣٦٤٢) والترمذى (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) والدارمى (٣٤٢) وابن حبان (٨٨) عن أبى الدرداء مرفوعاً « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً من طرق الجنة فإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ...» الحديث وهو فى «صحيح الجامع» (٦٢٩٧) .

(٥) سبق تخريجه.

قال المصنف رحمه الله: وإني لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فإنه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم:٢١] وفي الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال له: «هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك»(١). وما كان بالذي ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى. أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه و يسابق عائشة رضي الله عنها أكان خارجاً عن الأنس بالله (٢). هذه كلها جهالات بالعلم .

محاذير ترك النكاح

فصل

واعلم أنه إذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المرض بحبس الماء فإن المرء إذا طال احتقانه تصاعد إلى الدماغ منه منيه (٣). قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي. أعرف قوماً كانوا كثيري المنى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض الماليخوليا. (٤) وقلت شهواتهم وهضمهم قال: ورأيت رجلا ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار أن أكل القليل لم يستمرئه وتقايأه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً.

النوع الثاني: الفرار إلى المتروك فإن منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جوعاً فلامسوا النساء ولابسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك في زمن الصبر.

النوع الثالث: الانحراف إلى صحبة الصبيان فإن قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد. (٥)

---

(١)(٢) سبق تخريجه.
(٣) لعل هناك سقط مقدر ب (الذى منه منيته) فهذا الذى يدل عليه السياق.
(٤) لعله المرض المشهور المسمى «المناخوليا» وهو الهوس وقلة التدبير وذهاب العقل.
(٥) جمع أمرد وهو الفتى الجميل الذى ليس له لحية.

فصل

وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا إنا لا ننكح شهوة فإن أرادوا أن الأغلب فى طلب النكاح إرادة السنة جاز وإن زعموا أنه لا شهوة لهم فى نفس النكاح فمحال ظاهر.

فصل

وقد حمل الجهل أقواماً فجبُّوا(١) . أنفسهم وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى وهذه غاية الحماقة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة وخلقها لتكون سبباً للتناسل والذى يجبُّ نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم.

ذكر تلبيس إبليس
على الصوفية فى ترك طلب الأولاد

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد ابن عبد الله، ثنا إسحاق بن أحمد، ثنا إبراهيم بن يوسف، ثنا أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان الدارانى يقول الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وإن أراد أن يتعبد شغله(٢)

قال المصنف رحمه الله **قلت:** وهذا غلط عظيم وبيانه أنه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا إتصال دوامها إلى أن ينقضى أجلها وكان الآدمى غير ممتد البقاء فيها إلاّ إلى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله فحثه على سببه فى ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ [النور:٣٢] وقول الرسولﷺ : «تناكحوا تناسلوا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة»(٣) وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد. فقال تعالى

---

(١) جبوا قطعوا ومعناه: قطعوا العضو التناسلى.
(٢) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٩ / ٢٦٤).
(٣) سبق تخريجه.

حكاية عنهم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[آل عمران:٣٨] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[إبراهيم:٤٠] إلى غير ذلك من الآيات. وتسبب الصالحون إلى وجودهم ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعى وأحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة. وقد جاءت الأخبار بإثابة المباضعة والإنفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعراض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحُرِمَ أجراً جسيماً ومن فعل ذلك فإنما يطلب الراحة.

أخبرنا عمر بن ظفر نا، جعفر بن أحمد بن السراج، نا أبو القاسم الأزجى، ثنا ابن جَهْضَم، ثنا الخلدى قال سمعت الجنيد يقول: الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام.

قال المصنف رحمه الله: وهذا غلط فإن تسمية المباح عقوبة لا يحسن لأنه لا يباح شئ ثم يكون ما تجدد منه عقوبة ولا يندب إلى شئ إلا وحاصله مثوبة.

ذكـر تلبيـس إبليـس
على الصوفيـة فى الأسـفار والسـياحة

قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً ويدعى بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه فى ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية؟ وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله ﷺ.

وأما السياحة والخروج لا إلى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺ عن السعى فى الأرض فى غير أرب حاجة.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا المبارك بن عبد الجبار، نا إبراهيم ابن عمر البرمكى، نا ابن حياة، نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى قال: سمعت أبا محمد بن قتيبة يقول: ثنى محمد بن عبيد، عن معاوية، عن عمرو، عن أبى إسحاق، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مسلم، عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال: «لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة فى الإسلام»[1] قال ابن قتيبة الزمام فى الأنف والخزام حلقة من شعر يجعل

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٥٨٦٠) وأبو داود فى مراسيله (١٧٤) عن طاووس مرسلاً.

في أحد جانبى المنخرين. وأرادﷺ ما كان عباد بنى إسرائيل يفعلونه من خزم التراقى وزم الأنوف والتبتل وترك النكاح والسياحة مفارقة الأمصار والذهاب فى الأرض.

وروى أبو داود في سننه من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله إئذن لى فى السياحة فقال النبىﷺ :«إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله»

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مظنون أنه قال يارسول الله: إن نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الأرض. فقال النبىﷺ له:«مهلا ياعثمان فإن سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة» [٢] وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانئ عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب إليك أو المقيم فى الأمصار قال: ما السياحة من الإسلام فى شئ ولا من فعل النبيين ولا الصالحين.

نقد مسالك الصوفية فى السياحة

فصـــل

وأما الخروج على الوحدة فقد« **نهى رسول اللهﷺ أن يسافر الرجل وحده**»[٣]

فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد، نا أحمد بن على بن ثابت، نا محمد بن الطيب الصباغ، نا أحمد بن سليمان النجاد، ثنا يحيى بن جعفر بن أبى طالب، ثنا على بن عاصم، ثنا عبد الرحمن بن يزيد، ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبىﷺ قال:«الراكب شيطان والإثنان شيطانان والثلاثة ركب».[٤]

أخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن على، تا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة قال:«لعن رسول اللهﷺ راكب الفلاة وحده».[٥]

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٨٧) والحاكم (٢ / ٧٣) وعنه البيهقى (٩ / ١٦١) وفى «الشعب» (٣٩٢٢) والطبرانى فى «الكبير» (٧٧٠٨ ـ ٧٧٦٠). وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢٠٨٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٢ / ٩١) عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «نهى عن الوحدة: أن يبيت الرجل وحده، أو يسافر وحده». وقال فى «المجمع» (٨ / ١٠٤) رجاله رجال الصحيح، وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٦٠).

(٤) **(حسن)** ـ رواه أحمد (١٨٦/٢ـ٢١٤) وأبو داود (٢٦٠٧) والترمذى (١٦٧٤) ومالك (٣٥/٩٧٨/٢) والحاكم (٢ / ١٠٢) والبيهقى (٥ / ٢٦٧). وحسنه الألبانى فى «الصحيحة» رقم (٦٢).

(٥) **(إسناده ضعيف)** ـ فيه طيب بن محمد قال الذهبى فى «الميزان» (٢ / ٣٤٦) لا يكاد يعرف وله ما ينكر، والراوى عنه مدلس قد عنعنه.

المشـى فى الليـل

فصـــل

وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة. وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك.

وأخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا محمد بن عبيد، ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبداً».(١)

قال عبد الله وحدثنى أبى، ثنا محمد ابن أبى عدى،ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم،عن عطاء بن يسار،عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقلو الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبث فى خلقه ما شاء».(٢)

قال المصنف رحمه الله: وفيهم من جعل دأبه السفر، والسفر لا يراد لنفسه قال النبى ﷺ: «السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله»(٣) فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد.

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم، ثنا أبى، قال سمعت محمد بن أبى الطيب العكى يقول: سمعت أبا الحسن المصرى يقول: سمعت أبا حمزة الخراسانى يقول: كنت قد بقيت محرماً فى عباء أسافر كل سنة الف فرسخ تطلع الشمس علىّ وتغرب كلما أحللت أحرمت.

---

(١) رواه البخارى (٢٩٩٨) والترمذى (١٦٧٣) والدارمى (٢٦٧٩) وابن ماجه (٣٧٦٨) وابن خزيمة (٢٥٦٩) وابن حبان (٢٦٩٣) والبيهقى فى «السنن» (٥ / ٢٥٧) وفى «الشعب» (٤٤٠١) وأحمد (٨٦/٢، ٢٤، ٦٠، ١٣٠).

(٢) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٣ / ٣٠٦) وابن خزيمة (٢٥٥٩) والبخارى فى « الأدب المفرد » (١٢٣٣) وأبو داود (٥١٠٤) وابن حبان (١٩٩٦) موارد ـ والحاكم (١ / ٤٤٥) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٥١٨).

(٣) رواه مالك (٢ / ٩٨٠ / ٣٩) والبخارى (١٨٠٤، ٣٠٠١، ٥٤٢٩) ومسلم (١٩٢٧) والدارمى (٢٦٧٠) وابن ماجه (٢٨٨٢) وعبد الرزاق (٩٢٥٥) والقضاعى (٢٢٥) وأبو الشيخ فى «الأمثال» (٢٠٥) والخطيب فى «التاريخ» (٢ / ٥٣، ٥٤ـ ٧ / ٢٨٤) وأبو نعيم (٦ / ٣٤٤) والطبرانى فى «الصغير» (٦١٣) والبيهقى (٥ / ٢٥٩).

ذكر تلبيسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد

قال المصنف رحمه الله: قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا فى جهلة القوم، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طرق الصواب . والأخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة .

أنبأنا محمد بن عبد الملك، نا أبو بكر، نا رضوان بن محمد الدينورى، ثنا طاهر بن عبد الله، ثنا الفضل بن الفضل الكندى، ثنى أبو بكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطى، ثنا محمد بن السفاح، عن على بن سهل المصرى قال: أخبرنى فتح الموصلى، قال: خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير فقلت ياعجبا بادية بيداء وأرض قفراء، وغلام صغير فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يابنى إنك غلام صغير لم تجر عليك الأحكام، قال ياعم قد مات من كان أصغر سناً منى فقلت وسع خطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل. فقال ياعم علىّ المشى وعلى الله البلاغ، أما قرأت قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت:٦٩]. فقلت له: مالى لا أرى معك لا زاداً ولا راحلة. فقال ياعم: زادى يقينى وراحلتى رجائى. قلت: سألتك عن الخبز والماء قال ياعم أخبرنى لو أن أخاً من إخوانك أو صديقاً من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاماً فتأكله فى منزله. فقلت أزودك فقال: إليك عنى يابطال هو يطعمنا ويسقينا قال فتح. فما رأيت صغيراً أشد توكلا منه ولا رأيت كبيراً أشد زهداً منه.

قال المصنف رحمه الله: بمثل هذه الحكاية تفسد الأمور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير إذا كان الصغير قد فعل هذا فأنا أحق بفعله منه. وليس العجب من الصبى بل من الذى لقيه كيف لم يعرفه إن هذا الذى يفعله منكر؟ وإن الذى استدعاك أمرك بالتزود من ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار؟

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على الحافظ، نا أبو نعيم الأصفهانى، قال: سمعت محمد بن الحسين بن على اليقطنى[1] يقول: حضرت أبا عبد الله الجلاء

---

(١) فى جميع النسخ اليعيظى بالظاء ـ والصواب «اليقطينى» والتصحيح من الحلية .

وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون فيموتون فى البرارى؟ فقال: هذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل.[١]

أخبرنا ابن ناصر، أنبأنا أحمد بن على بن خلف، نا أبو عبد الرحمن السلمى، قال: سمعت أبا الحسين الفارسى، يقول: سمعت أحمد بن على يقول: قال رجل لأبى عبد الله بن الجلاء: ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد؟ قال: هذا من فعل رجال الله، قال: فإن مات؟ قال: الدية على القاتل.

قال المصنف رحمه الله: قلت: هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لا خلاف بين فقهاء الإسلام أنه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وإن من فعل ذلك فمات بالجوع فإنه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار وكذلك إذا تعرض بما غالبه العطب فإن الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى ولو لم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله فى قوله: ﴿وتزودوا﴾.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبى صادق، نا ابن باكويه، قال: سمعت أبا أحمد الكبير يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال: خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع والعطش ما أسقط من أسنانى ثمانية وانتثر شعرى كله.

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا قد حكى عن نفسه ما ظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لا حق به.

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أحمد بن على بن ثابت، نا عبد الكريم بن هوازن قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت محمد بن عبد الله الواعظ .

وأخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبى صادق، نا أبو عبد الله بن باكويه، واللفظ له ثنا أبو الفضل يوسف بن على البلخى، ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة الصوفى، قال: إنى لأستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان[٢] وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زاداً تزودته .

---

(١) رواه أبو نعيم (١٠ / ٣١٤) .
(٢) فى النسخة المحققة شعبان .

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الأسباب. ولو كان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود لما خرج إلى الغار قد خرج من التوكل. وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتاً. وأهل الكهف حين خرجوا فاستصبحوا دراهم واستخفوا ما معهم وإنما خفى على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد. فقال لا يجوز دخول المفازة بغير زاد إلا بشرطين:

أحدهما: أن يكون الإنسان قد راض(١) نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام أسبوعاً ونحوه.

والثاني: أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من أن يلقاه آدمي بعد أسبوع أو ينتهي إلى حلة أو حشيش يرجى به وقوته.

قال المصنف رحمه الله قلت: أقبح ما في هذا القول أنه صدر من فقيه، فإنه قد لا يلقى أحداً وقد يضل، وقد يمرض، فلا يصلح له الحشيش، وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعاً، وقد يموت ولا يقابله أحد. ثم قد ذكرنا ما جاء في الوحدة، ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص، والاجتزاء بحشيش وأي فضيلة في هذا الحال حتى يخاطر فيها بالنفس. وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف؟ وكأن هؤلاء القوم يجزمون على الله سبحانه هل يرزقهم في البادية. ومن طلب الطعام في البرية فقد طلب ما لم تجر به العادة. ألا ترى أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها أوحى الله إلى موسى أن ﴿اهبطوا مصراً﴾ وذلك لأن الذي طلبوه في الأمصار. فهؤلاء القوم على غاية الخطأ في مخالفة الشرع والعقل، والعمل بموافقات النفس.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا المبارك بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجي، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، نا الحسن بن أحمد الكرماني، ثنا أبو بكر، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون

---

(١) أي ذللها.

ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾[1] [البقرة:١٩٧].

أخبرنا أبو المعمر الأنصارى، نا يحيى بن عبد الوهاب بن منده، نا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحيم، نا محمد بن حسان، ثنا أبو بكر أحمد بن هارون البرديجي[2] ثنا عبد الله بن الأزهر، ثنا أسباط، ثنا محمد بن موسى الجرجانى قال: سألت محمد بن كثير الصنعانى عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا ينتعلون ولا يلبسون الخفاف، فقال سألتنى عن أولاد الشياطين ولم تسألنى عن الزهاد. فقلت له: فأى شئ الزهد. قال: التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبى ﷺ.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بن على الأزجى، نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجى، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، نا أحمد بن الحسين بن حسان، أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكاراً شديداً وقال: أف، أف، لا، لا، ومد. بها صوته إلا بزاد ورفقاء قافلة.

قال الخلال: **وقال أبو بكر المروزى:** وجاء رجل إلى أبى عبد الله فقال: رجل يريد سفراً أيما أحب إليك يحمل معه زاداً أو يتوكل. فقال له أبو عبد الله: يحمل معه زاداً ويتوكل حتى لا يتشرف للناس.

قال الخلال: وأخبرنى إبراهيم بن الخليل أن أحمد بن نصر حدثهم، أن رجلا سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل إلى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئاً، قال: لا يعجبنى. فمن أين يأكل؟ قال: فيتوكل فيعطيه الناس قال: فإذا لم يعطوه أليس يتشرف لهم حتى يعطوه لا يعجبنى هذا. لم يبلغنى أن أحداً من أصحاب النبى ﷺ والتابعين فعل هذا.

قال الخلال: وأخبرنا محمد بن على السمسار أن محمد بن موسى بن مسيس حدثهم أبا عبد الله سأله رجل فقال أحج بلا زاد؟ فقال: لا، اعمل واحترف. [وأخرج

(١) أخرجه البخارى (١٥٢٣) وأبو داود (١٧٣٠) والنسائى (تفسير) (٥٣) والبيهقى (٤ / ٣٣٢) وابن جرير (٢ / ١٦٢) والواحدى فى «الوسيط» (١ / ٢٩٤) وفى «أسباب النزول» (ص ٤٢).

(٢) هو أحمد بن هارون بن روح البرديجي البرذعي نزيل بغداد كما قال الحافظ فى «السير» وكان فى النسخه المحققه وجميع النسخ المردنجى.

النبى ﷺ زود أصحابه](١) فقال: فهؤلاء الذين يُعرفون ويحجون بلا زادٍ هم على الخطأ. قال: نعم هم على الخطأ.

قال الخلال: وأخبرنى محمد بن أحمد بن جامع الرازى قال: سمعت الحسين الرازى قال: شهدت أحمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان فقال له يأبا عبد الله معى درهم أحج بهذا الدرهم؟ فقال له أحمد: اذهب إلى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حباً واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج. قال يأبا عبد الله أما ترى مكاسب الناس قال أحمد لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب فى هذا يريد أن يفسد على الناس معايشهم، قال يأبا عبد الله أنا متوكل. قال: فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس، قال: كذبت إذن لست بمتوكل، فادخل وحدك وإلا فأنت متوكل على جراب الناس.

سياق ما جرى للصوفية فى أسفارهم وسياحاتهم من الأفعال المخالفة للشرع

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، نا محمد بن عبد الباقى، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم، ثنى أبو بدر الخياط الصوفى، قال: سمعت أبا حمزة يقول: سافرت سفرة على التوكل فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم فى عينى إذ وقعت فى بئر فرأيتنى قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينما أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه: نجوز ونترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة، فقال الآخر: فما نصنع قال: فبدرت نفسى أن أناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا. فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شئ فجعلاه على رأسها غطوها به، فقالت لى نفسى: أمنت طمها(٢) ولكن حصلت فيها مسجوناً. فمكث يومى وليلتى فلما كان الغد نادانى شئ يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديداً فمددت

---

(١) فى كل النسخ كما هو مذكور وهذا لا يستقيم مع السياق الصحيح فلعل الجمله: «وخرج النبى ﷺ وزود أصحابه».

(٢) طمها أى: ردمها.

يدى فوقعت على شئ خشن فتمسكت به فعلاها وطرحنى فوق الأرض فإذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسى من ذلك ما يلحق من مثله فهتف بى هاتف وهو يقول: يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف.(١)

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبى نصر الحميدى، نا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستانى، ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت محمد بن حسن المخرمى سمعت ابن المالكى يقول: قال أبو حمزة الخراسانى: حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث فقلت: لا والله لا أستغيث، فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر: تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وبارية فهممت فقلت إلى من هو أقرب إليك منهما، وسكت حتى طموا رأس البئر فإذا بشئ قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجليه وكان يقول فى همهمة له تعلق بى فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فإذا هو سبع فهتف بى هاتف وهو يقول: ياأبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف.

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أحمد بن على بن ثابت، نا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى، قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول: سمعت أبا عبد الله بن نعيم يحكى عن أبى حمزة الصوفى الدمشقى أنه لما خرج من البئر أنشد يقول:

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى ... فأغنيتنى بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لى بالغيب حتى كأننى ... تبشرنى بالغيب إنك فى الكف
أراك وَبى من هيبتى لك وحشة ... وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتُحيى محباً أنت فى الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف(٢)

قال المصنف رحمه الله **قلت:** اختلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمى: هو أبو حمزة الخراسانى، وكان من أقران الجنيد، وقد ذكرنا فى رواية أخرى أنه دمشقى.

---

(١) رواه أبو نعيم (١٠ / ٣٢٠ ـ ٣٢١) والخطيب فى «التاريخ» (١ / ٣٩٠).
(٢) رواه الخطيب (١ / ٣٩١).

وقال أبو نعيم الحافظ: هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب فى «تاريخه» وذكر له هذه الحكاية، وأيهم كان فهو مخطئ فى فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته، على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر،كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله، وقوله: لا أستغيث، كقول القائل: لا آكل الطعام ولا أشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا، فإن الله تعالى وضع الأشياء على حكمة، فوضع للآدمى يداً يدافع بها، ولساناً ينطق به وعقلا يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح، وجعل الأغذية والأدوية لمصلحة الآدميين، فمن أعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد إليه، فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع. فإن قال جاهل: فكيف احترز مع أمر القدر؟ قلنا: وكيف لا يحترز مع أمر المقدر؟ وقد قال الله تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[النساء:١٠٢] وقد اختفى النبى ﷺ فى الغار وقال لسراقة: «اخف عنا»[(١)] واستأجر دليلا إلى المدينة ولم يقل أخرج على التوكل وما زال ببدنه مع الأسباب وبقلبه مع المسبب. وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم.

وقول أبى حمزة فنوديت من باطنى، هذا من حديث النفس الجاهلة التى قد استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالأسباب لأن الشرع لا يطلب من الإنسان ما نهاه عنه، وهلا نافره باطنه فى مَدِّيَدِه وتعليقه بذلك المتدلى إليه، وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب الذى يسميه التوكل، لأنه أى فرق بين قوله أنا فى البئر وبين تمسكه بما تدلى عليه، لا بل هذا آكد لأن الفعل آكد من القول فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب. فإن قال: هذا بعثه الله لى. قلنا: والذى جاز على البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه، فإنه لو استغاث كان مستعملا للأسباب التى خلقها الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يستمعها وإنما بسكوته عطل الأسباب التى خلقها الله تعالى له، ودفع الحكمة، فصح لومه على ترك السبب. وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع.

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، ثنا عبد العزيز بن أبى الحسن، قال: سمعت على بن عبد الله بن جهضم المكى يقول: ثنا الخلدى

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البخارى (٣٣٠٦) وأحمد (٤ / ١٧٦) .

قال: قال الجنيد قال لى [محمد السمين](١) كنت فى طريق الكوفة بقرب الصحراء التى بين قباء والصخرة [ببريقيا](٢). والطريق منقطع، فرأيت على الطريق جملاً قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض، فلما أن رأيتهم كأن نفسى اضطربت، وكانوا على قارعة الطريق فقالت لى نفسى: تميل يميناً أو شمالاً، فأبيت عليها إلا أن آخذ على قارعة الطريق، فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم، ثم رجعت إلى نفسى لأنظر كيف! فإذا هى الروع معى، قائم، فأبيت أن أبرح وهذه صفتى [فقعدت بينهم، ثم نظرت بعد قعودى، فإذا الروع معى، فأبيت أن أبرح [وهذه صفتى] فوضعت جنبى، فنمت مضطجعاً، فتغشانى النوم، فنمت وأنا على تلك الهيئة، والسباع فى المكان الذى كانوا عليه، فمضى بى وقت وأنا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شئ، وإذا الذى كنت أجده قد زال عنى فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت.(٣)

قال المصنف رحمه الله **قلت:** فهذا الرجل قد خالف الشرع فى تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه.

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه»(٤) وقال ﷺ: «وفرّ من المجذوم فرارك من الأسد»(٥) **ومر عليه الصلاة والسلام**

---

(١) فى جميع النسخ محمد بن السمين والتصويب من التاريخ والزيادة التى بين القوسين ليست عنده.

(٢) فى جميع النسخ [بين قباء] والتصويب من التاريخ.

(٣) رواه الخطيب فى «التاريخ» (٥ / ٣٤٨).

(٤) رواه البخارى (٥٧٢٨، ٦٩٧٣) ومسلم (٢٢١٨) وأبو داود (٣١٣) والطيالسى (٦٣٠) وأحمد (١/١٧٥ _ ١٧٨).

(٥) أخرجه البخارى تعليقاً (٥٧٠٧) ووصله أبو نعيم (١ / ٢٥٠) وابن خزيمة وهو بلفظ «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ... الحديث» وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٧٨٣). والجزء الأول منه رواه مسلم وأحمد (٣ / ٢٩٣_ ٣١٢). بلفظ «لا عدوى ولا طيرة ولا عول». ورواه مسلم والطحاوى (٢/٣٧٨) وأحمد (٣ / ٤٤٩ _٤٥٠) بلفظ: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة». ورواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد (٢ / ٢٦٧) والطحاوى فى «المعانى» (٢ / ٣٧٨) عن أبى هريرة بلفظ «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة» فقال أعرابى ما بال الإبل تكون فى الرَّمْل كأنها الظباء فيخالطها بعير أجرب فيجربها؟ قال: فمن أعدى الأول؟.ورواه ابن وهب (١٠٦) والبخارى «تاريخ» (١/١/١٥٥_٤٦٠) والخطيب «تاريخ» (٢ / ٣٠٧) بلفظ «لا عدوى ولا هامة ولا صفر، واتقوا المجزوم كما يتقى الأسد» وحسنه الألبانى فى «الصحيحة» (٧٨٠).

بحائط مائل فأسرع»[١] وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج. وهذا شئ ما سلم منه موسى ـ عليه السلام ـ فإنه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً. فإن صح ما ذكره وهو بعيد عن الصحة لأن طباع الآدمين تتساوى. فمن قال لا أخاف السبع بطبعى كذبناه كما لو قال: أنا لا أشتهى النظر إلى المستحسن. وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاماً للهلاك لظنه أن هذا هو التوكل، وهذا خطأ لأنه لو كان هذا هو التوكل ما نهى عن مقاربة ما يخاف شره. ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع إذا شبع لا يفترس. ولقد كان أبو تراب النخشبى من كبار القوم فلقيته السباع البرية فنهشته فمات. ثم لا ينكر أن يكوْن الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعامى الذى إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قوى، وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية! وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول! وعلى لبسه ﷺ الدرع فى غزواته كلها وقت الحرب حتى قال عليه الصلاة والسلام فى غزوة الخندق: «ليس لنبى أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال»[٢] وعلى حالة أبى بكر رضى الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء أذى الحيات. وهيهات أن تعلو مرتبة هذا المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل.

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز، نا أبو بكر الخطيب، نا إسماعيل بن أحمد الجبرى[٣] نا محمد بن الحسين السلمى[٤] قال: سمعت محمد بن الحسين[٥] البغدادى يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى قال سمعت مؤملا المغازلى[٦] يقول: كنت

---

(١) **(ضعيف منكر)** ـ أخرجه أحمد (٣٥٦/٢) من طريق أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن إسحق عن سعيد عن أبى هريرة أن النبى ﷺ مر بجدار أو حائط مائل فأسرع المشى فقيل له فقال: «إنى أكره موت الفوات» وإسناده ضعيف والخبر منكر، إبراهيم بن إسحق ضعيف وذكره الذهبى فى «الميزان» (١٩/١) ذكر الخبر وقال: منكر وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣١٨/٢) إسناده ضعيف، وضعفه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) ذكره البخارى (٣٥١/١٣) فى كتاب الاعتصام معلقاً، ورواه الدارمى (٢١٥٩) وابن سعد (٤٥/٢) وأحمد (٣٥/٣) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١١٠٠) وأصله فى الصحيحين من رواية أبى موسى. وروى نحوه أحمد (٢٧١/١) عن ابن عباس وسنده حسن كما قال الشيخ الألبانى وراجع فتح البارى (٣٥٥/١٢ـ ٣٥٦).

(٣) فى جميع النسخ ـ الجبرى ـ وفى تاريخ بغداد الحيرى.

(٤) فى جميع النسخ السلمى وفى تاريخ بغداد النيسابورى وفى «الحلية» موسى.

(٥) فى جميع النسخ الحسين وفى التاريخ والحلية الحسن.

(٦) فى جميع النسخ المعانى وفى التاريخ والحلية المغازلى.

أصحب محمد السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل، فبينا نحن فى برية نسير إذ زأر السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهى وهممت أن أبادر فأفر فضبطنى وقال ياوؤمل! التوكل ها هنا ليس فى المسجد الجامع.(١)

قال المصنف رحمه الله: قلت: لا أشك فى أن التوكل يظهر أثره فى المتوكل عند الشدائد. ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فإنه لا يجوز.

أخبرنا عمر بن ظفر، نا ابن السراج، نا عبد العزيز بن على الأزجى، نا ابن جَهْضَم، ثنا إبراهيم بن أحمد بن على العطار، قال له الخواص: حدثنى بعض المشايخ أنه قيل لعلى الرازى. ما لنا لا نراك مع أبى طالب الجرجانى. قال: خرجنا فى سياحة فنمنا فى موضع فيه سباع فلما نظر إلىّ رآنى لم أنم طردنى. وقال: لا تصحبنى بعد هذا اليوم.

قال المصنف رحمه الله: لقد تعدى هذا الرجل، إذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه وليس ذلك فى قدرته ولا فى وسعه، ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل.

أخبرنا ابن ظفر، نا ابن السراج، نا الأزجى، ثنا بن جَهْضم، قال سمعت الخلدى يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: سمعت حسناً أخا سنان يقول: كنت أسلك طريق مكة فتدخل فى رجلى الشوكة فيمنعنى ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلى فأدلك رجلى على الأرض وأمش !!! .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد، أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى، نا سهل بن على الحساب، نا عبد الله بن على السراج، قال: سمعت أحمد بن على الوجدى يقول: حج الدينورى اثنتى عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل فى رجله شوك يمسح رجله فى الأرض ويمشى ولا يطأطئ إلى الأرض من صحة توكله !!! .

قال المصنف رحمه الله: قلت: انظروا إلى ما يصنع الجهل بأهله وليس من طاعة الله تعالى أن يقطع الإنسان تلك البادية حافياً لأنه يؤذى نفسه غاية الأذى، ولا مكشوف الرأس، وأى قربة تحصل بهذا، ولولا وجوب كشف الرأس فى مُدة الإحرام لم

(١) رواه الخطيب فى «التاريخ» (٥ / ٣٤٨ ـ٣٤٩) وأبو نعيم (١٠ / ٣٣٧).

يكن لكشفه معنى. فمن ذا الذى أمره ألا يخرج الشوك من رجله؟ وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك، كان قد أعان على نفسه وهل دلك الرجل بالأرض إلا دفع بعض شر الشوك؟ فهلا دفع الباقى بالإخراج.

وأين التوكل من هذه الأفعال المخالفة للعقل والشرع؟ لأنهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها. ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر فى إحرامه أن يخرق حرمة الإحرام ويلبس ويغطى رأسه ويفدى. ولقد سمعت أبا عبيد يقول: إنى لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى فى الظل.

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر الخطيب، ثنا عبد العزيز بن أبى الحسن القرميسينى، قال: سمعت على بن عبد الله بن جهضم، قال: سمعت أبا بكر الرقى يقول: حدثنى أبو بكر الزقاق[1] قال: خرجت فى وسط السنة إلى مكة وأنا حدث السن فى وسطى نصف جل[2] وعلى كتفى نصف جل، فرمدت عينى فى الطريق وكنت أمسح دموعى بالجل، فأقرح الجل الموضع، فكان يخرج الدم مع الدموع، فمن شدة الإرادة وقوة سرورى بحالى لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عينى فى تلك الحجة وكانت الشمس إذا أثرت فى بدنى، فقبلت يدى ووضعتها على عينى سروراً منى بالبلاء.[3]

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا [أحمد][4] بن أحمد الحداد، نا أبو نعيم الحافظ، قال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبى عمران، يقول: سمعت محمد بن داود الرقى يقول: سمعت أبا بكر الزقاق يقول: كان سبب ذهاب بصرى أنى خرجت فى وسط السنة أريد مكة وفى وسطى نصف جل وعلى وسطى نصف جل فرمدت إحدى عينى فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عيني.[5]

---

(١) فى جميع النسخ الدقاق والتصويب من «الحلية».
(٢) جل: أى نصف المتاع.
(٣) رواه أبو نعيم (١٠ / ٣٤٤).
(٤) فى جميع النسخ أحمد، ومرة يذكر أحمد ومرة حمد، والصواب أنه حمد بن أحمد وهو ابن مهران، الشيخ العالم الثقة، أبو الفضل الأصبهانى الحدّاد، أخو أبى على الحدّاد. «سير» (١٩/ ٢٠).
(٥) رواه أبو نعيم (٣٤٤/١٠). بفرد عين لعل معناها: بعين واحدة

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا أبو محمد التميمى، نا عبد الرحمن السلمى، قال: سمعت أبا بكر الرازى يقول: قلت لأبى بكر الزقاق: وكان [بفرد عين][١] ماسبب ذهاب عينك قال:كنت أدخل البادية علي التوكل فجعلت علي نفسى أن لا آكل لأهل المنازل شيئا تورعاً فسالت إحدى عينى علي خدى من الجوع.

قال المصنف رحمة الله: إذا سمع مبتدئ حالة هذا الرجل ظن أن هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفرة التى افتخر فيها فنوناً من المعاصى والمخالفات منها خروجه في تنصيف السنة علي الوحدة، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولباسه الجل، ومسح عينيه به وظنه أن ذلك يقربه إلي الله تعالى، وإنما يتقرب إلي الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكفّ عنه، فلو أن إنساناً قال أريد أن أضرب نفسى بعصا لأنها عصت أتقرب بذلك إلي الله كان عاصيا. وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لأنه إنما يفرح بالبلاء إذا كان بغير تسبب منه لنفسه، فلو أن إنسانا كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية في الحماقة، ثم تركه السؤال وقت الاضطرار، وحمله علي النفس في شدة المجاعة حتي سالت عينه، ثم يسمى هذا تورعاً [حماقات زهاد أكبرها الجهل][٢]والبعد عن العلم.

وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا سليمان بن أحمد، ثنا محمد بن العباس بن أيوب الأصفهانى، ثنا عبد الرحمن بن يوسف الرقى، ثنا مطرف ابن مازن، عن سفيان الثورى، قال: من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار.[٣]

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى كلام الفقهاء ماأحسنه، ووجهه أنّ الله تعالى - قد جعل للجائع مكنة التسبب، فإذا عدم الأسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التي هي كسب مثله في تلك الحال فإذا تركه فقد فرط في حق نفسه التي هى وديعة عنده فاستحق العقاب.

وقد روى لنا في ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا.

---

(١) برواه أبو نعيم (٣٤٤/١٠) فرد عين لعل معناها: بعين واحدة.
(٢) السياق هكذا فى جميع النسخ ولعله غير تام ولعل المعنى: [بل هى حماقات زهاد سببها الجهل] .
(٣) رواه أبو نعيم (٦٦/٦).

فأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، ثنا حمد بن أحمد الحداد، ثنا أبو نعيم قال: سمعت أبا أحمد القلانسي يقول: قال أبو علي الروزباري يحكي عن أبي بكر الزقاق(١).. قال: استضفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء. فنظرت إليها فقلعت عيني التي نظرت بها إليها. وقلت مثلك من نظر لله. (٢)

قال المصنف رحمه الله قلت: فانظروا الي جهل هذا المسكين بالشريعة والبعد عنها لأنه إن كان نظر إليها عن غير تعمد فلا إثم عليه، وإن تعمد فقد أتى صغيرة، قد كان يكفيه منها الندم. فضم إليها كبيرة وهي قلع عينه ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قربة إلي الله سبحانه ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطوه إلي الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بني إسرائيل أنه نظر إلي امرأة فقلع عينه وتلك مع بعد صحتها ربما جازت في شريعتهم، فأما شريعتنا فقد حرمت هذا، وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس. وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا.

أخبرنا أبوبكر بن حبيب العامري، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه، قال: أخبرني أبو الحسن علي بن أحمد البصري غلام شعوانة قال أخبرتني شعوانة أنه كان في جيرانها امرأة صالحة فخرج ذات يوم إلي السوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها إلي باب دارها. فقالت له المرأة أي شئ تريد مني قال فتنت بك فقالت: ما الذي استحسنت مني؟ قال: عيناك. فدخلت إلي دارها فقلعت عينيها وخرجت إلي خلف الباب ورمت بها إليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك.

قال المصنف رحمه الله: فانظروا إخواني كيف يتلاعب إبليس بالجهلة؟ فإن ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هي بكبيرة ثم ظنت أنها فعلت طاعة وكان ينبغي أنها لا تكلم رجلا أجنبياً. وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذي النون المصري وغيره أنه قال لقيت امرأة في البرية فقلت لها وقالت لي وهذا لايحل له. وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة.

---

(١) في جميع النسخ الدقاق والتصويب من الحلية.
(٢) رواه أبو نعيم (٣٤٤/١٠) .

فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحى، نا محمد بن على بن عمر، نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى، نا أبو سعيد محمد بن أحمد بن يوسف، ثنى سكر، ثنى محمد بن يعقوب العرجى، قال: سمعت ذى النون يقول: رأيت امرأة بنحو أرض البهجة فناديتها فقالت وما للرجال أن يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشئ.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، نا أحمد بن على بن ثابت، ثنا عبد العزيز الأزجى، ثنا علي بن عبد الله الهمدانى، ثنى على بن إسماعيل الطلاء[1] ثنى[2] محمد بن الهيثم قال: قال لى أبو جعفر الحداد: دخلت البادية بعض السنين علي التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا آكل فيها شيئا وضعفت عن المشى فبقيت أياماً أخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت علي وجهى وغشى عليّ وغلب عليّ من القمل شئ مارأيت مثله ولا سمعت به فبينا أنا كذلك إذ مر بى ركب فرأوني علي تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركنى في الرمضاء وسار، فمر بى ركب فحملونى إلى حيهم وأنا مغلوب فطرحونى ناحية فجاءتنى امرأة فجلست علي رأسى وصبت اللبن في حلقى ففتحت عينى قليلا وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين؟ قالوا: جبل الشراة فحملونى إلى الشراة.[3]

قال المصنف رحمه الله: قلت لو يحكى أن رجلا من المجانين أنحل من السلسلة فأخذ سكينا وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق علي هذا، وإلا فانظروا الي حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافية.

أخبرنا أحمد بن ناصر، نا أحمد بن على بن خلف، نا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت أبا بكر الدارى يقول: سمعت أبا الحسين الريحانى يقول: سمعت إبراهيم الخواصى يقول: رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوما علي سبب في البرية فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب. قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر إلي هذا الحد وأن أطيق بفضيلة.

---

(١) فى جميع النسخ «الطلائى»والصواب الطلاء.
(٢) سقطت من هذه النسخة.
(٣) رواه الخطيب فى «التاريخ» (٤١٢/٤ـ٤١٣).

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب، نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، قال: سمعت جدى إسماعيل بن نجيد يقول: دخل إبراهيم الهروى مع شبة البرية. فقال ياشبه أطرح مامعك من العلائق قال: فطرحتها كلها وأبقيت ديناراً، فخطا خطوات ثم قال: اطرح كل ما معك لا تشغل سرى قال: فأخرجت الدينار ودفعته إليه فطرحه ثم خطا خطوات وقال: اطرح ما معك. قلت ليس معى شئ قال بعد سرى مشتغل، ثم ذكرت أن معى دستجه شسوع(١)فقلت ليس معى إلا هذه. قال فأخذها فطرحها ثم قال امشى فمشينا فما احتجت إلى شبع في البادية إلا وجدته مطروحا بين يدى فقال لى كذا من عامل الله بالصدق!! .

قال المصنف رحمه الله **قلت:** كل هذه الأفعال خطأ، ورمى المال حرام، والعجب ممن يرمى ما يملكه ويأخذ ما لايدرى من أين هو؟ وهل يحل له أخذه أم لا؟

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا ابن باكويه قال: سمعت نصر بن أبى نصر العطار، يقول: سمعت على بن محمد المصرى، قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولى ثم فكرت في نفسى أنى شكيت وأنى توكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن حملت إليها فحفرت لنفسى في الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلي صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عالياً يا أهل المرحلة إن لله ولياً حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فأخرجونى وحملونى إلي المرحلة .

قال المصنف رحمه الله **قلت:** لقد تنطع هذا الرجل على طبعه،فأراد منه مالم يوضع عليه لأن طبع ابن آدم أن يهش إلي مايحب، ولا لوم على العطشان إذا هش إلي الماء ولا على الجائع إذا هش إلي الطعام فكذلك كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبي ﷺ: «إذا قدم من سفر فلاحت له المدينة أسرع السير حبا للوطن»(٢)ولما خرج من مكة تلفت إليها شوقا. وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة إذا أخرجونا من مكة ويقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلـــة ... بواد وحولـــى إذخـــر وجلـــيل(٣)

(١) الدستجه! دسته، وشسوع جمع شسع وهو أسفل النع.
(٢) رواه البخارى (١٨٠٢/١٨٨٦)عن أنس قال:كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته وإن كانت دابةً حركها ـ حركها من حبها.
(٣) روى البخارى (١٨٨٩) عن عائشة .
«...وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفعُ عقرته يقول ألا ليت شعري
وهل أَرِدَنْ يوماً مياه مجنّة ... وهل يبدونلى شامةٌ وطفيلُ

فنعوذ بالله من الإقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل. ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح. وأي شئ في هذا من التقرب إلي الله سبحانه إنما هو محض جهل.

أنبأنا ابن ناصر، نا جعفر بن أحمد السراج، نا عبد العزيز بن على بن أحمد، ثنا أبو الحسن على بن جهضم، ثنا بكر بن محمد، قال:كنت عند أبى الخير النيسابورى فبسطنى بمحادثته لى بذكر باديته إلى أن سألته عن سبب قطع يده. فقال: يد جنت فقطعت. ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك، فقال: سافرت حتى بلغت الأسكندرية[١] فأقمت بها اثنتى عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخاً فكنت أجيئ إليه من ليل إلى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطون وأزاحم الكلاب علي قمامة السفر وآكل من البردى فى الشتاء، فنوديت في سرى يا أبا الخير تزعم إنك لاتشارك الخلق في أقواتهم وتشير إلى التوكل وأنت في وسط القوم جالس فقلت: إلهى وسيدى وعزتك لامددت يدى إلي شئ مما تنبته الأرض حتى تكون الموصل إلى رزقى من حيث لا أكون فيه فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض وأتنفل ثم عجزت عن النافلة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض لاغير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى جالساً لاغير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت إن طرحت نفسى ذهب فرضى فلجأت إلي الله بسرى، وقلت: إلهى وسيدى افترضت عليّ فرضاً تسألنى عنه وقسمت لى رزقاً وضمنته لى فتفضل عليّ برزقى ولاتؤاخذنى بما عقدته معك فوعزتك لأجتهدت أن لا حللت عقداً عقدته معك فإذا بين يدى قرصان بينهما شئ فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل ثم طولبت بالمسير إلي الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت في الجامع قاصاً يذكر قصة زكريا والمنشار وأن الله تعالى أوحى إليه حين نشر فقال إن صعدت إلى منك أنّه[٢] لأمحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين.[٣] فقلت لقد كان زكريا صباراً إلهى وسيدى لئن ابتليتنى لأصبرن. وسرت حتى دخلت انطاكية فرآنى بعض إخوانى وعلم أني أريد الثغر فدفع إلى سيفا وترسا وحربة فدخلت الثغر وكنت حينئذ

---

(١) فى النسخة المحققة «اسندرية» والصواب من بقية النسخ.
(٢) من الأنين، وهو الألم
(٣) قصة باطلة لا تصح .

أحتشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو. فجعلت مقامى في غابة أكون فيها بالنهار، وأخرج بالليل إلي شاطئ البحر فأغرز الحربة علي الساحل وأسند الترس إليها محراباً وأتقلد سيفى وأصلى إلى الغداة فإذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة فكنت فيها نهارى أجمع فبدوت في بعض الأيام فعثرت بشجرة فاستحسنت ثمرها ونسيت عقدى مع الله وقسمى به إنى لا أمد يدى إلى شئ مما تنبت الأرض فمددت يدى فأخذت بعض الثمرة فبينما أنا أمضغها ذكرت العقد فرميت بها من فيَّ وجلست ويدى على رأسى فدار بى فرسان وقالوا لي قم فأخرجونى إلى الساحل فإذا أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخدتم وافترقت الخيل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود معى سيف وترس وحربة فلما قدمت إلى الأمير قال إيش أنت قلت: عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا، قال: بل هو رئيسكم وإنما تفدونه بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلاً رجلاً ويقطع يده ورجله حتى انتهى إلىّ فقال تقدم مد يدك فمددتها فقطعت ثم قال مد رجلك فمددتها ورفعت رأسى إلى السماء وقلت إلهى وسيدى يدى جنت ورجلى إيش عملت فإذا بفارس قد وقف علي الحلقة ورمى بنفسه إلي الأرض وصاح إيش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء علي الغبراء. هذا رجل صالح يعرف بأبى الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدى المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بى يقبل صدرى ويبكى ويقول سألتك بالله أن تجعلنى في حل. فقلت قد جعلتك فى حل من أول ماقطعتها هذه يد قد جنت فقطعت.

قال المصنف رحمه الله: فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل؟ وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن مافعله حرام عليه وليس لإبليس عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل.

أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا ابن باكويه قال: سمعت الحسين بن أحمد الفارسى، قال: سمعت محمد بن داود الدينورى يقول: سمعت ابن حديق يقول: دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم فعقد أنه لايأكل فيها شيئا إلا حتى يفتح فمه ويوضع فى فيه [1] إلاّ ما يأكل فقال لأصحابه: تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لايأكل فيها شيئا، فلما كان فى اليوم العاشر، جاء إليه إنسان فوضع بين يديه شيئا

---

(١) أى فمه.

يؤكل فقال: كل فلم يجبه فقال له ثلاثاً فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها إلى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فأخرج مفتاحاً كان معه فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة فى فمه فأكل ثم قال له إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار إلي أصحابه.

أنبأنا محمد بن أبى طاهر، نا على بن المحسن التنوخى عن أبيه، ثنى محمد بن [هلال](١) بن عبد الله، ثنى القاضى أحمد بن سيار. قال حدثنى رجل من الصوفية قال صحبت شيخا من الصوفية أنا وجماعة فى سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته، فقال الشيخ وحلف على إيماناً عظيمة لا ذقت مأكولا، أو يبعث لى بجام(٢). فالوذج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف عليّ. قال: وكنا نمشى فى الصحراء فقالت له الجماعة ألا إنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتهينا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شئ ففارقته الجماعة غيرى، فطرح نفسه في مسجد القرية مستسلماً للموت ضعيفاً. فأقمت عليه فلما كان فى ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف. إذا بباب المسجد قد فتح، وإذا بجارية سوداء معها طبق مغطى فلما رأتنا قالت: أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له: كل فقال: لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل، فقال كل معى فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ماخبرك وخبر هذا الجام؟ فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية، وهو رجل حاد، طلب منا منذ ساعة فالوذخ فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم ! فعاد فاستعجل فقلنا نعم، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو فى داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب، فخرجنا نطلب في المساجد رجلا غريباً فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضرباً إلى أن يأكل لئلا تطلق سيدتى من زوجها، قال: فقال الشيخ: كيف تراه إذا أراد أن يرزق ؟!! .

قال المصنف رحمه الله: بما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة ومافعله الرجل من أقبح القبيح فإنه يجرب على الله، ويتألى عليه، ويحمل على نفسه من الجوع مالا يجوز

(١) فى بعض النسخ بلال ولعل الصواب هلال وإن كنت لم أعثر لهما على ترجمة.
(٢) اناء ـ فالوذج نوع من الحلوى.

له وهذا لايجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك رديئاً لأنه يعتقد أنه قد أُكرم وإن ذلك منزلة. وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فإنها إن صحت دلت على جهل بالعلم، وفعل [لما لايجوز][(١)] لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعام ولم يبلعه فإنه تسبب[(٢)]. وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع؟ ثم أى قربة فى هذا الفعل البارد؟ وما أظن غالبه إلا من الماليخوليا.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أحمد بن علي بن المحسن، قال حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى قال: قال لى جعفر الخلدى: وقفت بعرفة ستاً وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب. فقلت لأبى إسحق: وأى شئ أراد بقوله - على المذهب - فقال يصعد إلى قنطرة الناشرية فينفض كميه حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسير.[(٣)]

قال المصنف رحمه الله: وهذا مخالف للشرع فإن الله تعالى يقول:﴿وتزودوا﴾. ورسول الله ﷺ قد تزود، ولا يمكن أن يقال إن هذا الآدمى لايحتاج إلى شئ في مدة أشهر، فإن احتاج ولم يتزود فعطب[(٤)] أثم، وإن سأل الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال.

وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر، قال: أخبرنى أبى، عن بعض الصوفية، أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم: من صحبتم؟ فقالوا: حاج من اليمن فقال: أوه التصوف قد صار إلي هذا أو التوكل قد ذهب. أنتم ماجئتم علي الطريقة والتصوف، وإنما جئتم من مائدة اليمن إلي مائدة الحرم، ثم قال: وحق الأحباب والفتيان، لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هذا الطريق نخرج إلي زيارة قبر النبى ﷺ على التجريد ونتعاهد بيننا أن لا نلتفت إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم، فجئنا إلى

(١) فى أكثر النسخ وفعل لما يجوز والاستدراك من نسخة بيروت
(٢) هذا سياق غير تام ولعل هناك سقط، وهو موجود فى جميع النسخ، ومقتضى السياق: فإنه تسبب فى هلاك نفسه.
(٣) أى على مذهب أهل الخبل من المتصوفة.
(٤) أى مرض مرضاً شديداً.

النبيﷺ ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشئ فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحذائنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول: لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشئ حتى ندخل الحرم، فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة.

قلت: اسمعوا إخوانى إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلي أخذ صدقات الناس؟ ثم ظنهم أن مافعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب. ومن عجب مابلغنى عنهم فى أسفارهم ماأخبرنا به محمد بن أبى القاسم البغدادى، نا أبو محمد التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: بلغنى أن أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلاً [١] أحرم فى كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان في حجته الأخيرة رأى كلباً في البادية يلهث عطشاً، فقال: من يشترى حجة بشربة ماء، قال: فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لى من حجى لأن النبيﷺ قال: «في كل ذات كبد حراء أجر» [٢].

أخبرنا عبد الأول بن عيسى، نا ابن أبى الكوفانى، ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن مورى الحبوسانى، نا أبو نصر عبد الله بن على الطوسى المعروف بابن السراج قال: سمعت الوجهى يقول: سمعت أبا على الروزبارى يقول: كان في البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوفى فربما كانت تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان أبو الحسين يصعد تلا[٣]. فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحى فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عندهم معونة، قلت: وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليتنزه العاقل فى مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لأوامر الشرع، وليت شعرى كيف يصنع من يخرج منهم ولا شئ معه بالوضوء والصلاة وإن تخرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل؟ وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر.

فأخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر الخطيب، نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا العباس البغدادى

---

(١) أى على قدمه.

(٢) رواه البخارى (٢٣٦٣ ـ ٢٤٦٦) ومسلم (٢٢٤٤) وأبو داود (٢٥٥٠) ومالك (٢/٢٢٣ـ٢٢٤) وعبد الرزاق (١٩٦٩٢) والطبرانى فى «الكبير» (٦٥٨٧ـ٦٥٩٨ـ٦٦٠٠) والقضاعى (١١٢ـ١١٣ـ١١٤) وابن حبان (٨٦٠) عن أبى هريرة.

(٣) أى جبلاً.

يقول: سمعت الفرغاني يقول: كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل يدقق فيه وكان لايفارقه إبره وخيوط وركوة ومقراض فقيل له ياأبا إسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شيء، فقال: مثل هذا لاينقض التوكل لأن الله تعالى فرض علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرق ثوبه وإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا أبرة ولا خيوط فاتهمه في صلاته.

ذكــر تلبيــس إبليــس
على الصوفيــة إذا قدمــوا مــن الســفر

قال المصنف رحمه الله قلت: من مذهب القوم أن المسافر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فإذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم علي الشيخ ثم سلم على الجماعة وهذا ماابتدعه متأخرهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان علي طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفال فإنه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ماغسلت وجهي بعد أو لعل الأطفال علموه من هؤلاء المبتدعين.

أخبرنا ابن الحصين، نا أبو علي بن المذهب، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن همام بن منبه، ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليسلم الصغير علي الكبير والمار علي القاعد والقليل علي الكثير» (١) أخرجاه في الصحيحين ومن مذهب القوم تغميز القادم من السفر مساء.

أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه. قال: «باب السنة في تغميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه» واحتج بحديث عمر رضي الله عنه دخلت على النبي ﷺ وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت ماشأنك يارسول الله قال: «إن الناقة قد اقتحمتني».(٢)

---

(١) رواه البخاري (٦٢٣١، ٦٢٣٢، ٦٢٣٣، ٦٢٣٤) ومسلم (٢١٦٠) وأحمد (٣١٤/٢).

(٢) رواه الطبراني في «الصغير» (٢٢٦) والخطيب في «التاريخ» (٢١٠/٦) والبزار(٣٠٣٣) ـ قال الهيثمي (٩٦/٥) رواه الطبراني في الأوسط والبزار وقال رجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن زيد ابن أسلم وقد وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه ابن معين. أما عبد الله بن زيد صدوق فيه لين.
لكن تابعه هشام بن سعد لكنه صدوق له أوهام روى له مسلم فيكون الحديث حسن إن شاء الله.

قال المصنف رحمه الله: انظروا إخوانى إلى فقه هذا المحتج فإنه كان ينبغى أن يقول: باب «السنة فى تغميز من رمت به ناقته»، وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم ومن أين له أنه كان فى سفر وأنه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبى ﷺ كما اتفق لأجل ألم ظهره سنة لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره، ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم. قال ابن طاهر: باب «اتخاذهم العتيرة للقادم» واحتج بحديث عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ سافر سفراً فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى رده أن تضرب في بيت عائشة رضى الله عنها بدف فلما رجع فقال النبى ﷺ «إن كنت نذرت فاضربى».[1]

قال المصنف رحمه الله: قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفى فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر ؟!! .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا مات لهم ميت

له في ذلك تلبيسان:

الأول: أنهم يقولون لايبكى على هالك ومن بكى على هالك، خرج عن طريق أهل المعارف قال ابن عقيل: وهذه دعوى تزيد على الشرع فهى حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع فهى إنحراف عن المزاج المعتدل فينبغى أن يطالب لها بالعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبى كريم فقال: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ وقال: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف:٨٤]. وبكى رسول الله ﷺ عند موت ولده وقال «إن العين لتدمع»[2] قال: «واكرباه» [3]وقالت فاطمة رضى الله عنها

---

[1] **(حسن)** ـ رواه أحمد (٣٥٣/٥ـ٣٥٦) وأبو داود (٣٦٩٠) والترمذى (٣٦٩٠) وابن حبان (١١٩٧) موارد والبيهقى (٧٧/١٠) وحسنه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٦٠٩).

[2] أخرجه البخارى (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) وأبو داود (٣١٢٦).

[3] جزء من حديث موضوع ـ رواه أبو نعيم (٧٣/٣ـ٧٩) وابن الجوزى (٢٩٥/١ـ٣٠١) من طريق عبد المنعم بن إدريس بن سنان وهو كذاب كما قال الذهبى فى «الميزان» (٦٦٨/٢). وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣٠/٩): رواه الطبرانى وفيه عبد المنعم المذكور وهو كذاب. وقال ابن الجوزى : حديث موضوع محال كافأ الله من وضعه وقبح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط والكلام الذى لا يليق.

واكرب أبتاه فلم ينكر (١) وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متمماً يندب أخاه ويقول:

وكنا كندمانى جزيمـــة حقبـــة من الدهر حتى قيل لن يتصـــدعا

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليتنى كنت أقول الشعر فأندب أخى زيداً فقال متمم لو مات أخى كما مات أخوك مارثيته، وكان مالك مات على الكفر وزيد قتل شهيداً فقال عمر: ماعزانى أحد فى أخى كمثل تعزيتك، ثم لا تزال الإبل الغليظة الأكباد تحن إلى مآلفها من الأعطان والأشخاص، وترغوا للفصلان، وحمام الطير ترجع. وكل مأخوذ من البلاء فلابد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو إلى الجماد به أقرب. وقد أبان النبى عليه الصلاة والسلام عن العيب فى الخروج عن سمت الطبع فقال للذى قال: لم أقبل أحداً من ولدى - وكان له عشرة من الولد - فقال: «**أو أملك لك إن نزع الله الرحمة من قلبك**» (٢) وجعل يلتفت إلي مكة لما خرج، فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع، جاهل يطالب بجهل. وقد قنع الشرع منا أن لانلطم خداً ولا نشق جيباً فأما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك .

التلبيس الثاني: أنهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون: نفرح للميت إذ وصل إلى ربه، والتلبيس في هذا عليهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعاماً لاشتغالهم بالمصيبة عن إعداد الطعام لأنفسهم وليس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه إلي غيرهم والأصل في اتخاذ الطعام لأجل الميت. ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العورجى قال: أخبرنا الجراحى، ثنا المحبوبى، ثنا الترمذى، ثنا أحمد بن منيع وعلى بن حجر قالا: حدثنا سفيان بن عيينة،عن جعفر بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعى جعفر فقال النبى ﷺ : «اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنه قد جاءهم مايشغلهم» (٣). قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) رواه البخارى (٤٤٦٢) وعبد بن حميد (١٣٦٤) وابن ماجه (١٦٣٠) والدارمى (٨٧) والنسائى (١٣/٤) وأحمد (١٩٧/٣) عن أنس.

(٢) أخرجه البخارى (٥٩٩٨) ومسلم (٢٣١٧) وابن ماجه (٣٦٦٥) وأحمد (٥٦/٦).

(٣) حسن - رواه أحمد (٢٠٥/١) وأبو داود (٣١٣٢) والترمذى (٩٩٨) وابن ماجه (١٦١٠) وعبد الرزاق (٦٦٦٥، ٦٦٦٦) والحاكم (٣٧٢/١) والبيهقى (٨٩/٢) وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح ماجه (١٣٠٦).

والثانى: أنهم يفرحون للميت ويقولون: وصل إلى ربه ولا وجه للفرح لأنا لانتيقن أنه غفر له ومايؤمنا أن نفرح له وهو في المعذبين. وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه لقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك. أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر، نا ابن عين، ثنا الفربرى، ثنا البخارى، ثنا أبو اليمانى، نا شعيب عن الزهرى، ثنى خارجة بن زيد الأنصارى عن أم العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السايب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى ﷺ «وما يدريك أن الله أكرمه».(١)

والثالث: أنهم يرقصون ويلعبون في تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التي يؤثر عندها الفراق. ثم إن كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وإن كان معذباً فأين أثر الحزن؟!

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء. وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب.

أحدها: أنه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى، نا حمد بن أحمد الحداد، نا أبو نعيم الأصفهانى، ثنا أبو حامد بن حيان، ثنا أبو الحسن البغدادى، ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول: أسس التصوف على الكسل. وبيان ماقاله الشافعى أن مقصود النفس إما الولايات وإما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لايحصل. والصوفية قد تعجلوا الولايات فإنهم يرون بعين الزهد، واستجلاب الدنيا فإنها إليهم سريعة.

(١) رواه البخارى (٢٦٨٧، ٣٩٢٩، ٧٠٠٣) وأحمد (٦/٤٣٦).

أخبرنا عبد الحق، نا المبارك بن عبد الجبار، نا أبو الفرج الطناجيرى، ثنا أبو حفص بن شاهين قال: ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا إن علومنا بلا واسطة وإنما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد.

والثاني: أنه قنع قوم منهم باليسير منه، ففاتهم الفضل الكثير فى كثرته، فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا، وأن للنفس في ذلك لذة. وكشف هذا التلبيس إنه ما من مقام عال إلا وله فضيلة وفيه مخاطرة فإن الإمارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة، وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك في جوار الورد، فينبغى أن تُطلب الفضائل، ويتقى مافي ضمنها من الآفات. فأما ما فى الطبع من حب الرياسة: فإنه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة، كما وضع حب النكاح ليحصل الولد، وبالعلم يتقوم قصد العالم، كما قال يزيد بن هرون: طلبنا العلم لغير اللّه فأبى إلاّ أن يكون للهّ. ومعناه أنه دلنا على الإخلاص ومن طالب نفسه بقطع مافى طبعه لم يمكنه.

والثالث: أنه أوهم قوما منهم: أن المقصود العمل، وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ثم إن العالم وإن قصر سير عمله، فإنه على الجادة، والعابد بغير علم على غير الطريق.

والرابع : أنه أرى(١) . خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى أن أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول: حدثنى قلبى عن ربى.

وكان الشبلى يقول:

إذا طالبونى بعلم الورق ... برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم «الظاهر» وسموا هواجس النفوس «العلم الباطن» واحتجوا له بما أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، نا الحسين بن علي الطناجيرى، نا أبو حفص بن شاهين، ثنا على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عنبسة العسكرى، ثنى دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعانى، قال: سمعت يحيى بن الحسين [بن الحسن](٢)

---

(١) أى إبليس.

(٢) فى جميع النسخ الحسين والصواب من الضعيفة للألبانى.

بن زيد بن على قال سمعت يحيى بن عبد الله بن حسين، عن يحيى بن زيد بن على، عن أبيه عن جده عن الحسن بن على عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى ﷺ أنه قال: «علم الباطن سر من سر ـ الله عز وجل ـ وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه»(١).

قال المصنف رحمه الله **قلت:** وهذا حديث لا أصل له عن النبى ﷺ. وفى إسناده مجاهيل لايعرفون.

أنبأنا محمد بن ناصر، نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى، نا أبو على عبد الله بن إبراهيم النيسابورى، ثنا أبو الحسن على بن عبد الله بن جهضم، ثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن، ثنا على بن جعفر، عن أبى موسى قال: كان فى ناحية أبى يزيد رجل فقيه، عالم تلك الناحية، فقصد أبا يزيد وقال له: قد حكى لى عنك عجايب. فقال أبو يزيد: ومالم تسمع من عجايبى أكثر. فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من؟ ومن أين؟ ومن من؟ فقال أبو يزيد: علمى من عطاء الله تعالى. ومن حيث قال ﷺ: «من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم »(٢). ومن حيث قال ﷺ: «العلم علمان: علم ظاهر وهو حجة الله تعالي علي خلقه، وعلم باطن وهو العلم النافع»(٣). وعلمك ياشيخ نقل من لسان عن لسان التعليم، وعلمى من الله إلهام من عنده، فقال له الشيخ علمى عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل. فقال له أبو يزيد: يا شيخ!!.

كان للنبى ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال: نعم. ولكن أريد أن يصح لى علمك الذى تقول هو من عند الله، قال: نعم أبينه لك قدر مايستقر في قلبك معرفته. ثم قال: ياشيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليماً وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً. وأن حلم الأنبياء وحى. قال: نعم قال: أما علمت أن كلام

---

(١) **(موضوع)** ـ ذكره ابن عراق فى تنزيه الشريعة (١/٢٨٠) وقال: رواه ابن الجوزى فى «الواهيات» (١/٧٤) من حديث على بن أبى طالب وقال: لا يصح وعامة رواته لا يعرفون وأخرجه الديلمى فى «الفردوس» (٣٩٢٢) وقال الذهبى فى «التلخيص» هذا باطل، وأورده الألبانى فى «الضعيفة» (١٢٢٧).

(٢) **(موضوع)** ـ أخرجه أبو نعيم (١٠/١٤ـ١٥) وهو فى «الضعيفة» (٤٢٢).

(٣) رواه الدارمى (٣٦٤) وابن عبد البر «جامع بيان العلم» (ص٢٧٠) عن الحسن موقوفاً ورواه الخطيب فى «التاريخ» (٤/٣٤٦) وابن الجوزى فى «العلل» (٨٨) من طريق يحيى بن يمان عن هشام عن الحسن عن جابر مرفوعاً وإسناده ضعيف ورواه ابن عبد البر (ص٢٧٠) وابن الجوزى (٨٩) وإسناده موضوع. والحديث فى «ضعيف الجامع» (٣٨٨٢).

الصديقين والأولياء بإلهام منه، وفوائده من قلوبهم، حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة، ومما يؤكد ماقلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى فى التابوت فألقته وألهم الخضر فى السفينة والغلام والحائط قوله موسى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:٨٢] وكما قال أبو بكر لعائشة رضى الله عنهما: إن ابنة خارجة حاملة ببنت: وألهم عمر رضى الله عنه فنادى ياسارية الجبل(١).

أنبأنا ابن ناصر أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن سبتية يقول: حضرت مجلس أبى يزيد والناس يقولون فلان لقى فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقى فلاناً. فقال أبو يزيد: مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذي لا يموت.

قال المصنف رحمه الله: هذا الفقه فى الحكاية الأولى من قلة العلم، إذ لو كان عالما لعلم أن الإلهام للشئ لا ينافى العلم، ولا يتسع به عنه، ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشئ كما قال النبى ﷺ: «إن في الأمم محدثين وإن يكن في أمتى فعمر»(٢). والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم مايخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه، وأما الخضر فقد قيل أنه نبى(٣). ولاينكر للأنبياء الإطلاع بالوحى على العواقب وليس الإلهام من العلم فى شئ إنما هو ثمرة العلم والتقوى، فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد، فأما أن يترك العلم ويقول إنه يعتمد علي الإلهام والخواطر فليس هذا بشئ إذ لولا العلم النقلى ماعرفنا مايقع فى النفس، أمن الإلهام للخير، أو الوسوسة من الشيطان.

واعلم أن العلم الإلهامى الملقى فى القلوب لا يكفى عن العلم المنقول، كما أن العلوم العقلية لاتكفى عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا

---

(١) (إسناده حسن) ـ أخرجه اللالكائى فى «السنة» (٢٥٣٧، ٢٥٣٨) وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص٢١٠) وابن عساكر والبيهقى والخطيب فى «رواةمالك» وابن الأعرابى فى «كرمات الأولياء» وحسنه الحافظ ابن كثير فى «البداية» (١٣١/٧) والألبانى فى «الصحيحة» (١٠١/٣/١١١٠) والمشكاة (٥٩٥٤).

(٢) رواه مسلم (٢٣٩٨) والترمذى (٣٦٩٣) وابن أبى عاصم (١٢٦٢) والحميدى (٢٥٣) وأحمد (٥٥/٦) واللالكائى (٢٤٨٦) عن عائشة.

ورواه البخارى (٣٩/٧) والترمذى (٣٨٧٣) وابن أبى عاصم (١٢٦١) عن أبى هريرة.

(٣) الراجح أنه نبى ـ وقد ذكرنا الأدلة على ذلك فى رسالتنا ـ فوائد رحلة موسى يسر الله طبعها.

ينوب هذا عن هذا. وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت. أصلح ماينسب إليه هذا القائل أنه ما يدرى مافى ضمن هذا القول وإلا فهذا طعن على الشريعة.

أنبأنا ابن حصين نا ابن المذهب، نا أبو حفص بن شاهين، قال: من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة. قال: وما كان المتقدمون فى التصوف إلا رؤوساً فى القرآن والفقه والحديث والتفسير، ولكن هؤلاء أحبوا البطالة.

وقال أبو حامد الطوسى اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون. بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه فى زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولايزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهى إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ .

قال المصنف رحمه الله قلت:عزيز عليّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لايخفى قبحه فإنه على الحقيقة: طى لبساط الشريعة التى حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم. وعلى هذا المذهب، فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ما سلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولا. وعلى ماقد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولايكون عندها من العلم مايطرد ذلك فيلعب بها إبليس أي ملعب، فيريها الوسوسة محادثة، ومناجاة، ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لابما ينافيه، فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان فى التخيلات أمور ينهى الشرع عنها، فلا يستفاد من صاحب الشرع شئ ينسب إلى ما نهى عنه، كما لا يستباح الرخص فى سفر قد نهى عنه، ثم لاتنافى بين العلم والرياضة، بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها، وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم، والعلم بعيد عنهم، فتارة يفعلون الفعل المنهي عنه، وتارة يؤثرون ماغيره أولي منه وإنما كان يفتي في هذه الحوادث العلم، وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان.

أنبأنا ابن ناصر عن أبى على بن البنا قال: كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب، والرسول حجاب ليس إلا عبد رب، فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات، واختفى مخافة القتل.

أنبأنا محمد بن عبد الملك، نا أحمد بن على بن ثابت، نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الجبائى، ثنا أحمد بن سليمان النجاد، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، ثنا هشام بن يونس، ثنا المحاربى، عن بكر بن حنش، عن ضرار بن عمرو، قال إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب، فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه، وخالفوا السنة، فهلكوا فوالله الذى لا إله غيره ماعمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

نقد مسالك الصوفيــة فى تركهم الاشتغال بالعلــم

فصـــل

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وهذا جهل من قائله، لأن الشريعة كلها حقائق. فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة. وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى إعراضهم عن ظواهر الشرع. وعن أبى الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول: سمعت أبا الحسن بن سالم يقول: جاء رجل إلي سهل بن عبد الله وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئا ينفعنى الله به. فقال اكتب، إن استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل: قال يا أبا محمد أفدنى فائدة. فقال: الدنيا كلها جهل إلا ماكان علماً، والعلم كله حجة إلا ماكان عملا، والعمل كله موقوف إلا ماكان منه على الكتاب والسنة وتقوم السنة على التقوى[1] وعن سهل بن عبد الله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق. وعن سهل ابن عبد الله أنه قال مامن طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلام أربعين صباحاً. وعن أبى بكر الزقاق قال. سمعت أبا سعيد الخراز يقول: كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل.

---

(١) رواه أبو نعيم (١٠/١٩٤).

وعن أبي بكر الزقاق أنه قال: كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر.

قال المصنف رحمه الله: وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء فقال: من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يخالف الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان. وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسما وقالوا المراد منها الحقيقة،قال وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شئ واقع في النفس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع.

ذكـر تلبيس إبليس على جماعـة من القوم في دفنهم كتب العلم وإلقائها في المـاء

قال المصنف رحمه الله: قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم، ثم لبس عليهم إبليس وقال: ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم.

فقد روى أن أحمد بن أبي الحواري رمى كتبه في البحر، وقال: نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال. ولقد طلب أحمد بن أبي الحواري الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها. وقال: ياعلم لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافاً بحقك ولكني كنت أطلبك لأهتدي بك إلى ربي فلما اهتديت بك استغنيت عنك.

أخبرنا أبوبكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبي صادق، نا ابن باكويه، قال: سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول: سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال: أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبوالحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وأنه كان يتصوف ويرمي بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب. ولقد أخبرت أنه رمى بجملة من سماعاته القديمة في دجلة. فأول ماسمع على أبي العباس الأصم وطبقته وكتب الكثير.

أنبأنا زاهر بن طاهر، نا أحمد بن الحسين البيهقى قال: سمعت أبا عمرو بن أبى جعفر يقول: سمعت أبا طاهر الجنايدى يقول: لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله فى دجلة ويقول قد أديته.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا أحمد بن على بن خلف، نا أبو عبد الرحمن السلمى، قال سمعت أبا نصر الطوسى يقول: سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون – ورث أبوعبد الله المقرئ عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال: فسألت أبا عبد الله عن ذلك فقال: أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لى شئ أرجع إليه. وكان اجتهادى أن أزهد فى الكتب وماجمعت من العلم والحديث أشد علىّ من الخروج إلى مكة والتقطع فى الأسفار والخروج عن ملكى.

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أحمد بن على بن ثابت، نا إسماعيل الحيرى، ثنا محمد ابن الحسين السلمى، قال: سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادى يقول: سمعت الشبلى يقول: أعرف من لم يدخل فى هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه، وأغرق في هذه الدجلة سبعين قمطرا مكتوباً بخطه، وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية، يعنى بذلك نفسه.

قال المصنف رحمه الله: قد سبق القول بأن العلم نور وإن إبليس يحسن للإنسان إطفاء النور ليتمكن منه فى الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل. ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده، حسن لهم دفن الكتب وإتلافها، وهذا فعل قبيح محظور، وجهل بالمقصود بالكتب، وبيان هذا: أن أصل العلوم القرآن والسنة، فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث، فأما القرآن فإن رسول اللهﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأثبتها، وكانوا يكتبونها فى العسب والحجارة وعظام الكتف، ثم جمع القرآن بعده فى المصحف أبو بكر صوناً عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شئ.

وأما السنة. فإن النبىﷺ قصر الناس فى بداية الإسلام على القرآن وقال: «لاتكتبوا عنى سوى القرآن»[1] فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم في

(١) رواه مسلم (٣٠٠٤) والدارمى (٤٥٠) وأحمد (١٢/٣، ٢١، ٣٩، ٥٦) وابن عبد البر فى «العلم» (ص١٠٧)

الكتابة[١]. فروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال: ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبى عليه الصلاة والسلام وقال ضمه إليك.فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئا بما حدثنيه رسول الله ﷺ[٢]وفى رواية أنه قال: «استعن على حفظك بيمينك» يعنى بالكتابة[٣]. وروى عنه ﷺ عبد الله بن عمرو أنه قال: «قيدوا العلم» فقلت يا رسول الله وما تقييده.قال: الكتابة[٤]. وروى عنه أيضاً رافع بن خديج قال: قلنا يارسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال: «اكتبوا ولاحرج»[٥].

قال المصنف رحمه الله: واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺوحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا.

وقد قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني»[٦]وقال: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها

---

[١] أحاديث الأمر بالكتابة هى الراجح وراجع كتاب سنن الدارمى (١/١٣٦ـ١٤٠) وجامع بيان العلم (ص١١٧ : ١٢٨) وغيرهما. وقد روى البخارى ومسلم قصة أبى شاة.

[٢] أخرجه البخارى (١١٩) ومسلم (٢٤٩٢) والترمذى (٣٨٣٥) وأحمد (٢/٣٣٤).

[٣] رواه الترمذى (٢٦٦٦) والخطيب فى «الجامع» (٥٠٤) من طريق الخليل بن مرة عن يحيى بن أبى صالح عن أبى هريرة ـ وقال الترمذى إسناده ليس بذلك القائم وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: الخليل بن مرة منكر الحديث. ورواه الطبرانى فى «الأوسط» عن أنس وقال الهيثمى فى «المجمع» (١/١٥٢) وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف. ورواه الدارمى (٤٨٥) عن ابن عمر لكن فيه رجل لم يسم.

[٤] **ورد موقوفاً ومرفوعاً**

أما الموقوف ـ رواه الدارمى (٤٩١) والحاكم (١ / ١٠٦) وابن عبد البر (ص١٢٢) عن أنس موقوفاً. ورواه الدارمى (٤٩٧) والحاكم (١ / ١٠٦) عن عمر وصححه الذهبى. ورواه الدارمى (٤٩٨) عن ابن عمر موقوفاً.

أما المرفوع ـ فقد رواه الحاكم (١/١٠٦) وابن عبد البر (ص١٢٢) والخطيب فى «الجامع» (٤٤١) وفى «تقييد العلم» (ص٦٨) وإسناده ضعيف فإن مؤمل بن عبد الله ضعيف. ورواه الخطيب فى «الجامع» (٤٤٢) والتاريخ (١٠/٤٦) وقيد العلم (ص٧٠). والرامهرمزى في «المحدث الفاصل» (٣١٨ ـ ٣٢٧) عن عمر بن سليمان عن عبد الله بن المثنى عن عمه عن ثمامة عن أنس مرفوعاً وإسناده ضعيف لضعف عبد الحميد ولكن رواه القضاعى (٦٣٧) من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبه عن عمه عن ابن شهاب عن أنس.ورواه ابن عدى (٢/٣٨٤) عن حفص بن عمر بن أبى العطاف عن أبى الزناد عن الأعرج عن ابن عباس مرفوعاً، وحفص منكر الحديث. فالحديث بمجموع طريقه قوى، وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٢٠٢٦).

[٥] رواه الطبرانى فى «الكبير» (٤/٢٧٦/٤٤١٠) وإسناده ضعيف.

[٦] أخرجه البخارى (٣٤٦١) والترمذى (٢٦٦٩) والدارمى (٥٤٢) والقضاعى (٦٦٢) والخطيب (١٣/١٥٧) وأبو نعيم (٦/٧٨) وأحمد (٢/١٥٩ ـ ٢٠٢ ـ ٢١٤) عن ابن عمرو.

فأداها كما سمعها»[١] وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان. وقد كان أحمد بن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له: امله علينا. فيقول لابل من الكتاب.

وقد قال على بن المدينى: أمرنى سيدى أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب. فإذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقاها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من هنا، وصححوا ماصح، وزيفوا مالم يصح، وجرحوّا الرواة وعدلوا، وهذبوا السنن، وصنفوا، ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله فى حادثة، فما عوندت الشريعة بمثل هذا.

فهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد إلى نبيهم وإنما هذه خصيصة لهذه الأمة. وقد روينا عن الإمام أحمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب فى طلب الحديث أنه قال لابنه ماكتبت عن فلان؟ فذكر له أن النبى عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى»[٢]. فقال الإمام أحمد ابن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغنى وهذا قوله مع إكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب وإذا كتب غسل، افترى إذا غسلت الكتب ودفنت على من يعتمد فى الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

(١) أخرجه أحمد (١٨٣/٥) وأبو داود (٣٦٦٠) والترمذى (٢٦٥٦) والدارمى (٢٢٩) وابن ماجه (٤١٠٥) وابن أبى عاصم (٩٤) والطبرانى فى «الكبير» (٤٩٢٥) والطحاوى «مشكل» (٢٣٢/٢) وابن حبان (٧٢) موارد، والبيهقى فى «الشعب» (١٦٠٦)وفى «الآداب» (١١٨٩) وفى «الأربعين» (ص١٠) وفى الصحيحة (٤٠٤) صححه الشيخ الألبانى عن زيد بن ثابت ـ وله شاهد من حديث ابن مسعود وأنس وجبير بن مطعم قال العلائى فى «جامع التحصيل» (٥١) وله طرق كثيرة عن جماعات من الصحابة منهم ابن مسعود وجبير بن مطعم وزيد بن ثابت، والنعمان بن بشير وأبو سعيد الخدرى وعبد الله بن عمر وأنس وابن عباس وعائشة وأبو هريرة وأبو أمامة وأبى كعب وجابر بن عبد الله وربيعة بن عثمان وغيرهم.

(٢) روى البخارى عن جابر أنه قال كان النبى ﷺ إذا خرج إلى المصلى خالف الطريق. وروى ابن ماجه عن أبى رافع كان يخرج إلى العيدين ماشياً ويصلى بغير أذان ولا إقامة ثم يرجع ماشياً فى طريق آخر راجع «صحيح الجامع» (٤٩٣٣) والإرواء (٦٣٦).

فصــــل

قال المصنف رحمه الله: ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل، أو قد اختلط الحق بالباطل. فإن كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها وإن كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً فى إتلافها فإن أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم.

وعلى هذا يحمل مايروى عن دفن الكتب عن سفيان الثورى وإن كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالاً، وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فإن قال تشغلنى عن العبادة. قيل له جوابك من ثلاثة أوجه :

أحدها: أنك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات.

والثاني: أن اليقظة التى وقعت لك لاتدوم، فكأني بك وقد ندمت على مافعلت بعد الفوات. واعلم أن القلوب لاتبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج إلى جلاء وجلاؤها النظر فى كتب العلم.

وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط.

والثالث: أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها، والغنى عن هذه الكتب، فهلا وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل إلى مقامك، أو وقفتها على المنتفعين بها أو بعتها وتصدقت بثمنها، أما إتلافها فلا يحل بحال.

وقد روى المروزى عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه فقال ما يعجبنى أن يدفن العلم.

وأنبأنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قال: أنبأنا أحمد ابن علىّ بن ثابت نا عبيد الله بن عبد العزيز البرادعى، نا محمد بن عبد الله السحير ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن النحاس قال: سمعت المروزى يقول: سمعت أحمد بن أحمد ابن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في إنكارهم من تشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله: لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظان أن العلم هو ما يقع فى النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم: العلم الباطن، نهواً عن التشاغل بالغلم الظاهر.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على، نا على بن أبى على البصرى، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى قال: سمعت جعفراً الخلدى يقول: لو تركنى الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا لقد مضيت إلى عباس الدورى وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقينى بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال: إيش هذا معك. فأريته إياه فقال: ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق. ثم خرق الأوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد إلى عباس.

قال المصنف رحمه الله: وبلغنى عن أبى سعيد الكندى قال: كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لايعلمون، فسقطت الدواة يوما من كمى فقال لى بعض الصوفية استر عورتك .

أخبرنا محمد بن ناصر، نا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى، نا أبو بكر الخطيب، نا أبو الفتح بن أبى الفوارس، نا الحسين بن أحمد الصفار قال: كان بيدى محبرة فقال لى الشبلى غيب سوادك عنى يكفينى سواد قلبى.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه، قال سمعت عبد الله العزال المذكر قال سمعت على بن مهدى يقول : وقفت ببغداد على حلقة الشبلى فنظر إلىّ ومعى محبرة فأنشأ يقول:

تسربلت للحرب ثوب الغرق ... وجبت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الغوى ... وعنك نطقت لدى من نطق
إذا خاطبونى بعلم الورق ... برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله قلت: من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه ويكرهه، فالمنع منه معاداة لله ولشرعه، ولكن الناهين عن ذلك ماتفطنوا لما فعلوا.

أخبرنا ابن حبيب، قال: نا ابن أبى صادق، نا ابن باكويه قال: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: اشتغلوا بتعلم العلم ولايغرنكم كلام الصوفية فإنى كنت أخبئ محبرتى فى جيب مرقعتى والكاغد فى حزة سراويلى وكنت أذهب خفية إلى أهل العلم فإذا علموا بى خاصمونى. وقالوا لاتفلح، ثم احتاجوا إلىّ بعد ذلك. وقد كان الإمام أحمد ابن حنبل يرى المحابر بأيدى طلبة العلم فيقول: هذه سرج الإسلام. وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل إلى متى يا أبا عبد الله، فقال: المحبرة إلى المقبرة[1] قال فى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[2] فقال أحمد: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من هم.[3] وقال أيضاً: إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون. وقيل له إن رجلا قال فى أصحاب الحديث إنهم كانوا قوم سوء فقال أحمد: هو زنديق[4] وقد قال الإمام الشافعى رحمه الله: إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ[5]. وقال يوسف بن أسباط: بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض.[6]

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر الخطيب، ثنا عبد العزيز بن على، ثنا ابن جهضم، ثنا محمد بن جعفر، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق، قال: رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى مناد. الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فأتانى ملك فتأملته

---

(١) سبق تخرجه.
(٢) راجع كتاب إيقاظ الهمة فى «العلم» (ص٢٧٦ : ٢٨٤). للمحقق
(٣) أخرجه الحاكم فى «معرفة علوم الحديث» (ص٣) بسند صحيح كما قال الحافظ فى «الفتح» (٢٥٠/١٣) والخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (٢٥) وهذا قول البخارى أيضاً فى كتاب «الاعتصام» باب «قول النبى ﷺ لا تزال طائفة» بلفظ «هم أهل العلم». ورواه الخطيب (ص٢٧). وأخرجه الخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» عن على بن زياده المدينى وراجع الفتح (١١٤/١).
(٤) رواه الخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (ص٧٤).
(٥) رواه الخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (ص٤٦).
(٦) رواه الخطيب فى «شرف أصحاب الحديث» (ص٥٩) عن إبراهيم بن أدهم.

فإذا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله. فقلت أين النبى ﷺ فقال مشغول بنصب الموائد لإخوانه الصوفية، فقلت وأنا من الصوفية فقيل نعم. ولكن شغلك كثرة الحديث.

قال المصنف رحمه الله: معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم. وفى إسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله. وأما ابن مسروق فأخبرنى القزاز نا أبو بكر الخطيب، حدثنى على بن محمد بن نصر، قال: سمعت حمزة بن يوسف قال سمعت الدارقطنى يقول: أبو العباس بن مسروق ليس بالقوى يأتى بالمعضلات .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في كلامهم فى العلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام فى العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الأغاليط القبيحة منهم، فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن، وتارة فى الحديث، وتارة فى الفقه، وغير ذلك، ويسوقون العلوم إلى مقتضى علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قُوَّام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين.

ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلى، قال سمعت جعفر بن محمد الخلدى قال حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ**﴾[الأعلى:٦] فقال الجنيد لا تنس العمل به، وسأله عن قوله تعالى: ﴿**وَدَرَسُوا مَا فِيهِ**﴾ فقال له الجنيد: تركوا العمل به، فقال: لا يفضض الله فاك. قلت[١] أما قوله — لا تنس العمل به — فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر. لأنه فسره على أنه نهى، وليس كذلك إنما هو خبر لا نهى، وتقديره — فما تنس — إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره علي خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله: ﴿**وَدَرَسُوا مَا فِيهِ**﴾[الأعراف:١٦٩]

(١) الكلام للمؤلف .

إنما هو من الدرس، الذى هو التلاوة، من قوله عز وجل: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]. لا من دروس الشيء الذى هو إهلاكه.

أخبرنا محمد بن عبد الباقى، نا حمد بن أحمد، ثنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أحمد ابن محمد بن مقسم يقول: حضرت أبا بكر الشبلى. وسئل عن قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]. فقال: لمن كان لله قلبه.

وأخبرنا عمر بن ظفر، نا جعفر بن أحمد، نا عبد العزيز بن على، نا ابن جهضم، ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله: ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [طه:٤٠]. قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا.

قال المصنف رحمه الله: وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكليم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه. وجعل محبته تفتن غاية فى القباحة.

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أحمد بن على الحافظ، نا أبو حازم عمر بن إبراهيم العبدرى، قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى، يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: فى قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٩]. فقال الروح النظر إلى وجه الله عز وجل. والريحان الاستماع لكلامه. وجنة نعيم: هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل. قلت: هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا يحل، نحو مجلدين سماها «حقائق التفسير» فقال فى فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك وإلا حرمت لطائف ما بعد.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل: وقال فى قول الإنسان ﴿آمين﴾ أى قاصدون نحوك.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة. وقال فى قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ﴾ [البقرة:٨٥]. قال قال أبوعثمان: غرقى فى الذنوب. وقال الواسطى: غرقى فى رؤية أفعالهم. وقال الجنيد: أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق. قلت: وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا

أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم [قلبتموهم] [١]. وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح. وقال محمد بن على: ﴿يحب التوابين﴾[التوبة:٤]. من توبتهم وقال النورى [٢]: ﴿يقبض ويبصط﴾[البقرة:٢٤٥]. أى يقبضك بإياه ويبسطك لإياه. وقال فى قوله: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ أى من هواجس نفسه ووساوس الشيطان. وهذا غاية فى القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه: الأمر، وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه. وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل إلى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس وذكر فى قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾[النساء:٣١]. قال أبو تراب: هى الدعاوى الفاسدة ﴿والجار ذي القربى﴾[النساء:٣٦]. قال سهل: هو القلب ﴿والجار الجنب﴾ النفس ﴿وابن السبيل﴾ الجوارح. وقال فى قوله: ﴿وهم بها﴾. قال أبو بكر الوراق: الهمان لها ويوسف ما هم بها. قلت: هذا خلاف لصريح القرآن وقوله: ﴿ما هذا بشرا﴾[يوسف:٣١]. قال محمد بن على ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة. وقال الزنجانى الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم. وقال فى قوله: ﴿فلله المكر جميعا﴾[الرعد:٤٢]. قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلا إليه بحال. أو للحدث اقتران مع القدم .

قال المصنف رحمه الله: ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب. ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك. وقال فى قوله ﴿لعمرك﴾ أى بعمارتك سرك بمشاهدتنا. قلت: وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع فى كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهذيان. وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية، فمن أراد أن يعرف جنس ما فى الكتاب فهذا أنموذجة. ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب. وذكر أبو نصر السراج فى كتاب «اللمع» قال: للصوفية استنباط، منها قوله: ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾[يوسف:١٠٨] قال الواسطى: معناه: لا أرى نفسى. وقال الشبلى: لو اطلعت على الكل مما سوانا لوليت منهم فراراً إلينا. قلت: هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف. وهذا السراج يسمى هذه الأقوال فى كتابه مستنبطات. وقد ذكر أبو حامد

---

[١] فى جميع النسخ هكذا ولعل الصواب قتلتموهم لأنه يتفق مع السياق.

[٢] ليس النووى السنى الشافعى رحمه الله وإنما ـ أحمد بن محمد المعروف بالنورى راجع الحلية (٢٤٩/١٠).

الطوسي في كتاب «ذم المال» في قوله عز وجل: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥]. قال: إنما عنى الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام، وإنما عنى بعبادته حبه والاعتزاز به .

قال المصنف رحمه الله: وهذا شيء لم يقله أحد من المفسرين، وقد قال شعيب ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾[آل عمران:١٩٠]. ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور في حقه الإشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم، فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام.

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق، نا المبارك بن عبد الجبار، نا الحسين بن على الطناجيرى، نا أبو حفص بن شاهين، قال: وقد تكلمت طائفة من الصوفية فى نفس القرآن بما لا يجوز فقالت فى قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [الأعراف:٨٩]. فقال هم لآيات لى، فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولى الألباب وهذا تبديل للقرآن وقالوا: ﴿ولسليمان الريح﴾ قالوا: ولى سليمان.

وأخبرنا ابن ناصر، نا أحمد بن على بن خلف، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: قال أبو حمزة الخراساني: قد يقطع بأقوام فى الجنة فيقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[الحاقة:٢٤]. فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه.

قال المصنف رحمه الله: انظروا وفقكم الله إلي هذه الحماقة وتسمية المنعم به مكراً، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى. وعلى مقتضى قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل. فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الألفاظ القباح. وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعقله من معنى المكر. وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين؟ وإنى لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى تفسير القرآن إلى ما هذا حده؟

وقد أخبرنا علي بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن محمد قالوا: حدثنا عبد الصمد بن المأمون، نا علي بن عمر الحربي، ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، ثنا بشر بن الوليد، ثنا سهيل أخو حزم، ثنا أبو عمران الجوني، عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ».(١)

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي، نا أبو بكر بن حمدان، ثنا عبد الله ابن أحمد ثني أبي، ثنا وكيع عن الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».(٢)

قال المصنف رحمه الله: وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إني لأقشعر من ذكرها لكني أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا أبو عبد الله ابن باكويه قال: أخبرنا أبو عبد الله ابن خفيف قال سمعت رويماً يقول: اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه الليلة وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا فقالوا: نتكلم في المحبة فإنها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو.

وكان في القوم عمرو بن عثمان المكي فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب فأخذه وحمله إليهم وقال: يا قوم اسكنوا فإن هذا جوابكم. انظروا ما في هذه الرسالة فإذا فيها مكتوب مكار وكلكم تدعون حبه وأحرم البعض وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم.

قال المصنف رحمه الله قلت: هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به، وإن صحت، فإن شيطاناً ألقى ذلك الرق، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من الله بظنونهم الفاسدة. وقد بينا أن معنى المكر منه، المجازاة على المكر، فأما أن يقال عنه مكار ففوق الجهل وفوق الحماقة.

---

(١) (ضعيف) ـ رواه الطبراني في «الكبير» (١٦٧٢/١٦٣/٢) والطبري في «التفسير» (٨٠) وأبو داود (٣٦٥٢) والترمذي (٤٠٢٤) والبغوي (١٢٠) من طريق سهيل بن حزم عن أبي عمران الجونيه، وسهيل ضعيف وهو في «ضعيف الجامع» (٥٧٤٨).

(٢) (ضعيف) ـ رواه أحمد (١ / ٢٣٣ ـ ٢٦٩) والترمذي (٢٩٥١) والطبري في «تفسيره» (٧٣ـ٧٤ـ٧٥ـ٧٦ـ٧٧) والبغوي (١١٩).
وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٤٩).

وقد أخبرنا ابن ظفر، نا ابن الأزجى، ثنا ابن جهضم، ثنا الخلدى قال: سمعت رويما يقول: إن الله غيب أشياء فى أشياء غيب مكره فى علمه. وغيب خداعه فى لطفه، وغيب عقوباته فى باب كراماته. قلت: وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا أبو الفضل السهلكى، قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالى يقول: قال الحسن بن علويه: خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل إلى نهر جيحون إلتقى له حافتا النهر. فقال سيدى. إيش هذا المكر الخفى. وعزتك ما عبدتك لهذا ثم رجع ولم يعبر. قال السهلكى. وسمعت محمد بن أحمد المذكر يذكر أن أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بواباً وصارت الجنة عليه وبالا.

قلت: وهذه جرأة عظيمة فى إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التى هى نهاية المطالب وبالاً وإذا كانت وبالا للعارفين فكيف تكون لغيرهم؟ وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم.(١)

أخبرنا ابن حبيب، نا ابن أبى صادق، نا ابن باكويه، ثنا أبو الفرج الوريانى، ثنا أحمد بن الحسن بن محمد، ثنى محمد بن جعفر الوراق، ثنا أحمد بن العباس المهلبى قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول: العارفون فى زيارة الله تعالى فى الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وأنىّ شاءت. وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها أبداً فقيل له كيف ذلك؟ قال: إذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقاً ما فيه شراء ولا بيع، إلا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق لم يرجع إلى زيارة الله أبداً، قال: وقال أبو يزيد: فى الدنيا يخدعك بالسوق وفى الآخرة يخدعك بالسوق فأنت أبداً عبد السوق.

قال المصنف رحمه الله: تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل قبيح وإنما يجعل لهم السوق ثواباً لا خديعة فإذا أذن لهم فى أخذ ما فى السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة. ومن أين له أن من اختار شيئاً من ذلك السوق لم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبداً؟ نعوذ بالله من هذا التخليط والتحكم فى العلم والأخبار عن هذه المغيبات التى لا يعلمها إلا نبى،فمن أين له علمها؟ وكيف يكون؟كما قال أبو هريرة راوى الحديث لسعيد بن المسيب: جمعنى

---

(١) وصف هؤلاء الملاحدة بقلة العلم شى أقل من يجب أن يوصفوا به

الله وإياك فى سوق الجنة أفتراه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل، لكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط، وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هى ثمرات علمه، فمن كان عالماً كانت خواطره صحيحة، لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلاً فثمرات الجهل كلها حظه، ورأيت بخط ابن عقيل: جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ما هؤلاء حتى تعذبهم؟كف عظام جرت عليهم القضايا، أعف عنهم .

قال المصنف رحمه الله: وهذا قلة علم وهو أن قوله - كف عظام- احتقار للآدمى فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام: وقوله - جرت عليهم القضايا - فكذلك جرى على فرعون، وقوله، اعف عنهم، جهل بالشريعة لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به، لمن مات كافراً فلو قبلت شفاعته فى كافر، لقبل سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه فى أبيه، ومحمدﷺ فى أمه فنعوذ بالله من قلة العلم.[١]

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، نا أبو بكر أحمد بن أبى نصر الكوفانى، ثنا أبومحمد الحسن بن محمد بن قورى الحوبيانى، نا أبو نصر عبد الله بن على الطوسى المعروف بالسراج، قال:كان ابن سالم يقول: عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود. فقال: معذورين. ومر بقبر المسلمين. فقال مغرورين.

قال المصنف رحمه الله: وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ما سبق لهم من الشقاوة. من غير فعل كان موجوداً فى الأزل وأن الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر.

قال المصنف رحمه الله: وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره.

ومن كلامهم فى الحديث وغيره:

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر الخطيب، نا الأزهرى، نا أحمد بن إبراهيم بن الحسن، ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل، قال: جاء أبو تراب النخشبى إلى أبى فجعل

---

(١) قلت: بل هو والله كفر محض، كيف طابت نفسه أن يتلفظ بهذا الكفر ويشارك الله فى حكمه ويصدر له الأوامر بالعفو عمن كفر وألحد، نعوذ بالله من ذلك.

أبى يقول: فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب. يا شيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبى إليه وقال له: ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة.

أنبأنا يحيى بن على المدبر، نا أحمد بن على بن ثابت، نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عبد اللّه النيسابورى، يقول: سمعت أبا الحسن على بن محمد البخارى، يقول: سمعت محمد بن الفضل العباسى يقول: كنا عند عبد الرحمن بن أبى حاتم وهو يقرأ علينا كتاب «الجرح والتعديل» فقال أظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة. فقال له يوسف بن الحسين: استحييت إليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم فى الجنة منذ مائة سنة أو مائتى سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض. فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفى هذا الكتاب لم أصنفه. قلت عفا اللّه عن ابن أبى حاتم فإنه لو كان فقيهاً لرد عليه كما رد الإمام أحمد على أبى تراب. ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل؟ ثم كون القوم فى الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم، وتسمية ذلك غيبة حديث سوء، ثم من لا يدرى الجرح والتعديل، كيف هو يزكى كلامه؟ وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عن مثل هذا.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا ابن باكويه قال: سمعت عبد اللّه ابن يزيد الأردبيلى يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: من عرف اللّه أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله. قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم .

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون، نا أحمد بن الحسن الشاهد، قال: قرئ علي محمد بن الحسن الأهوازى وأنا أسمع أبا بكر الديف الصوفى، وقال سمعت الشبلى وقد سأله شاب، يا أبا بكر لم تقول اللّه ولا تقول لا إله إلا اللّه، فقال الشبلى: استحى أن أوجه إثباتاً بعد نفى. فقال الشاب أريد حجة أقوى من هذه. فقال أخشى أنى أؤخذ فى كلمة الوجود[1]. ولا أصل إلى كلمة الإقرار .

(١) أى يموت قبل الإثبات

قال المصنف رحمه الله: انظروا إلى هذا العلم الدقيق فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لا إله إلا الله ويحث عليها. وفى الصحيحين عنه أنه كان يقول: فى دبر صلاة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»(١). وكان يقول إذا قام لصلاة الليل «**لا إله إلا أنت**»(٢). وذكر الثواب العظيم لمن يقول لا إله إلا الله فانظروا إلى هذا التعاطى على الشريعة واختيار ما لم يختره رسول الله ﷺ.

أخبرنا محمد بن عبد الباقى، ثنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل، نا سهل بن على الحساب، نا عبد الله بن على السراج، قال: بلغنى أن أبا الحسن النورى شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال: إن الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل، ويأخذ عليه الأجرة، ولولاها ما أذن، فلذلك قلت طعنه سم الموت. والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فإنه قد قال: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾[الإسراء:٤٤]

قال المصنف رحمه الله: انظروا إخوانى عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف!!

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا ابن باكويه، ثنا أبو يعقوب الخراط، نا النورى، أنه رأى رجلاً قابضاً على لحية نفسه قال فقلت له نح يدك عن لحية الله! فرفع ذلك إلى الخليفة فطُلبتُ وأُخذت فلما دخلت عليه قال بلغنى أنه نبح كلب فقلت لبيك، ونادى المؤذن فقلت طعنة قال: نعم قال الله عز وجل: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ فقلت: لبيك لأنه ذكر الله. فأما المؤذن فإنه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى، غافل عن الله تعالى، قال: وقولك للرجل. نح يدك عن لحية الله. قلت نعم. أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخرة له.

قلت عدم العلم أوقع هؤلاء فى هذا التخبيط وما الذى أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

---

(١) أخرجه البخارى (٨٤٤ ـ٦٣٣٠ ـ٦٤٧٣ ـ٧٢٩٢) ومسلم (٥٩٣) وأبو داود (١٥٠٥) والنسائى (٣/ ٧٠ ـ٧١) وابن خزيمة (٧٤٢) وابن السنى (١١٤) وأحمد (٤/ ٢٤٥ ـ٢٤٧ ـ٢٥٠ ـ٢٥١ ـ٢٥٤) عن معاوية.

(٢) رواه البخارى (١١٢٠ ـ٣٦١٧ ـ٧٣٨٥ ـ٧٤٤٢ ـ٧٤٩٩) ومسلم (٧٦٩) وابن ماجه (١٣٥٥ـ١٣٥٦) والدارمى (١٤٨٦) وأحمد (١/ ٣٥٨ ـ٣٦٦) عن ابن عباس.

أخبرنا ابن حبيب، قال: ابن صادق، نا ابن باكويه، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال: سمعت الشبلى يقول: وقد سئل عن المعرفة. فقال: ويحك ما عرف الله من قال الله. والله لو عرفوه ما قالوه. قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البرادانى يقول سمعت الشبلى يقول يوماً لرجل يسأله. ما اسمك؟ قال آدم. قال ويلك. أتدرى ما صنع آدم؟ باع ربه بلقمه. ثم كان يقول: سبحان من عذرنى بالسوداء. قال ابن باكويه وسمعت بكران بن أحمد الجيلى يقول: كان للشبلى جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقال: بع مالك. واقض دينك، وطلق امرأتك. ففعل. فقال: أيتم أولادك بأن تؤيسهم من التعلق بك، فقال: قد فعلت، فجاء بكسر قد جمعها. فقال اطرحها بين يدى الفقراء وكل معهم.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم، نا أبى، قال: سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الحرفانى يقول: لا إله إلا الله، من داخل القلب محمد رسول الله من القرط. أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبى صادق، ثنا ابن باكويه قال أخبرنا أحمد ابن محمد الحلفاوى قال: رأى الشبلى فى الحمام غلاماً شاباً بلا مئزر فقال له: يا غلام ألا تغطى عورتك. فقال له: اسكت يا بطال: إن كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل. لأن الحق مشتغل بالحق، والباطل مشتغل بالباطل .

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبى طاهر، نا على بن المحسن التنوخى، عن أبيه، ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافى الفقيه، قال: حضرت بشيراز عند قاضيها أبى سعيد بشر ابن الحسن الداودى – وقد ارتفع إليه صوفى وصوفية – قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال إن عددهم ألوف فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضى فلما حضرا قالت له: أيها القاضى، إن هذا زوجى ويريد أن يطلقنى وليس له ذلك فإن رأيت أن تمنعه. قال: فأخذ القاضى أبو سعيد يتعجب – وحنق على مذاهب الصوفية – ثم قال لها: و[كيف ليس له ذلك][١] قالت: لأنه تزوج بى ومعناه قائم بى والآن هو يذكر أن معناه قد انقضى منى وأن معناى قائم فيه ما انقضى فيجب عليه أن

---

(١) بهذا السياق المعنى غير صحيح وإن كانت هذه الجملة فى جميع النسخ كما هى، والأولى أن يقال ! وكيف لا يكون له ذلك؟

يصير حتى ينقضى معناى منه كما انقضى معناه منى فقال لى أبو سعيد: كيف ترى هذا الفقه؟ ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق.

وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب «الأحياء» أن بعضهم قال: للربوبية سر لو أُظهر بطلت النبوة، وللنبوة سر لو كُشف لبطل العلم. وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام. قلت: فانظروا إخوانى إلى هذا التخليط القبيح، والادعاء على الشريعة أن ظاهرها يخالف باطنها. قال أبو حامد: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له: لو سألت الله أن يرده عليك فقال: اعتراضى عليه فيما يقضى أشد على من ذهاب ولدى.

قلت: لقد طال تعجبى من أبى حامد كيف يحكى هذه الأشياء فى معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدرى أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض.

وقال [أحمد الغزالى](١): دخل يهودى إلى أبى سعيد بن أبى الخير الصوفى. فقال له أريد أن أسلم على يديك فقال: لا ترد فاجتمع الناس وقالوا: يا شيخ تمنعه من الإسلام فقال له: [تريد بلابد](٢) قال: نعم. قال له برئت من نفسك ومالك قال: نعم قال: هذا الاسلام عندى احملوه الآن إلى الشيخ أبى حامد يعلّم لا للمنافقين. يعنى لا إله إلا الله قلت: وهذا الكلام أظهر عيبًا من أن يعاب فإنه فى غاية القبح. ومما يقارب هذه الحكاية فى دفع من أراد الإسلام.

ما أخبرنا به أبو منصور القزاز، نا أبو بكر بن ثابت، أخبرنى محمد بن أحمد بن يعقوب، نا محمد بن نعيم الضبى، قال: سمعت أبا على الحسين بن محمد بن أحمد الماسرخسى يحكى عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أهل النصارى ـ وعبد الله بن المبارك خارج فى هذه السنة للحج ـ وإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فإنه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن قلت: وهذه المحنة إنما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة وأعجب من هذا أبو سعيد الذى قال لليهودى ما قال لأنه يريد الإسلام.

---

(١) لعله أبو حامد الغزالى، وإن كان هذا مثبت فى جميع النسخ.
(٢) هذه الجملة لا يفهم فيها شئ وإن كانت محبته هكذا فى جميع النسخ.

وذكر أبو نصر السراج فى كتاب «اللمع» لمع المتصوفة قال: كان سهل بن عبد الله إذا مرض أحد من أصحابه يقول له: إذا أردت أن تشتكى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح إليه المؤمن ولا تقل أفرج فإنه اسم من أسماء الشيطان.

فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم نبهت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم.

وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن على المقرئ يقول: سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء الهروى يقول: سمعت عبد الرحمن بن محمد بن المظفر يقول: سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن الحسين السلامى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول: سمعت أيوب ابن سليمان يقول: سمعت محمد بن محمد بن إدريس الشافعى يقول: سمعت أبى يقول: صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منه إلا هذين الحرفين: الوقت سيف، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

ذكر تلبيس إبليس فى الشطح والدعاوى

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن العلم يورث الخوف، واحتقار النفس، وطول الصمت، وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبوبكر: ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن. وقال عمر عند موته الويل لعمر إن لم يغفر له، وقال ابن مسعود: ليتنى اذا مت لا أبعث، وقالت عائشة رضى الله عنها: ليتنى كنت نسياً منسياً. وقال سفيان الثورى لحماد بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلى.

قال المصنف رحمه الله: وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية. قال الله عز وجل ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:٢٨] وقالﷺ : «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية»(١) ولما بعد

---

(١) أخرجه البخارى (٥٠٦٣) والنسائى (٦٠/٦) وابن حبان (١٤، ٣١٧) والبيهقى (٧٧/٧) والبغوى (٩٦) وأحمد (٢٤١/٣، ٢٥٩، ٢٨٥) عن أنس بلفظ: «أن ثلاثة نفر سألوا أزواج النبىﷺ عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها...» الحديث . وقد روى هذه اللفظة وردت فى عدة أحاديث منها حديث عائشة. بلفظ «لا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا أمالك فى أسوة حسنة فوالله إنى لأخشاكم لله وأحفظكم لحدوده» رواه ابن حبان (٩) وعبد الرزاق (١٠٣٧٥) وأحمد (٢٢٦/٦) وإسناده حسن ورواه مسلم (١١٠٨) عن أم سلمة، والبخارى (٢٠) عن عائشة.

عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى، يقول: ثنا أبو بكر عمر بن يمن، ثنا أبو عمر الرهاوى، ثنا أحمد بن محمد الجزرى قال: سمعت أبا موسى الدئيلى يقول: سمعت أبا يزيد البسطامى يقول: وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم، فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد؟ فقال: إنى أعلم أن جهنم إذا رأتنى تخمد فأكون رحمة للخلق.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه ثنى إبراهيم ابن محمد ثنى حسن بن علويه نى طيفور بن عيسى ثنى أبو موسى الشبلى قال: سمعت أبا يزيد يقول: إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فاسأله أن يدخلنى النار فقيل له لم: قال حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه.

قال المصنف رحمه الله: هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فإنه عز وجل بالغ فى وصفها فقال: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[البقرة:٢٤]. وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً﴾[الفرقان:١٢]. إلى غير ذلك من الأيات.

وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر، نا ابن أعين، ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا إسماعيل ثنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن ناركم هذه - ما يوقد بنو آدم - جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم»**. قالوا له الصحابة والله إن كانت لكافية يا رسول الله. **«قال فإنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»** أخرجاه فى الصحيحين.(١) وفى إفراد مسلمَ من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال: **«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**.(٢)

أخبرنا محمد بن ناصر، نا جعفر بن أحمد نا أبو على التميمى، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنى أبى، ثنا بهز بن أسد، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا على

---

(١) أخرجه البخارى (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣) والترمذى (٢٥٨٩) والدارمى (٢٨٤٧) ومالك (١/٩٩٤/٢) وأحمد (٢٤٤/٢ ـ ٢٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) والترمذى (٢٥٧٣) والحاكم (٥٩٥/٤).

بن زيد، عن مطرف عن كعب قال: قال عمر ابن الخطاب: يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدرأت عملك مما ترى فأطرق عمر رضى الله عنه ملياً ثم أفاق قال: زدنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق، ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها.

فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال: زدنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مصطفى إلاخر جاثياً على ركبتيه ويقول رب نفسى نفسى لا أسألك اليوم غير نفسى.(١)

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد، نا حمد بن أحمد الحداد، ثنا أبو نعيم الحافظ، ثنا أبى، ثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغدادى، ثنا إبراهيم بن عبد الله الجنيد، ثنا عبد الله بن محمد بن عائشة، ثنا سالم الخواص، عن فرات بن السائب، عن زاذان قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والأخرين فى صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل ائتنى بجهنم فيأتى بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزغ كل امرئ إلى عمله حتى أن إبراهيم الخليل يقول [بخلتى](٢) لا أسألك إلا نفسى. ويقول موسى بمناجاتى لا أسألك إلا نفسى. وإن عيسى ليقول بما أكرمتنى لا أسألك إلا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتن(٣). قلت وقد روينا أن النبى ﷺ قال: «يا جبرائيل مالى أرى ميكائيل لا يضحك» فقال: ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لى عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله فيجعلنى فيها(٤) وبكى عبد الله بن رواحة يوماً فقالت: امرأته مالك تبكى قال أنبئت انى وارد ولم أنبأ أنى صادر.(٥)

---

(١) **(إسناده ضعيف)** لضعف على بن زيد. ورواه أبو نعيم (٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) من طريقه. ورواه أيضاً (٣٦٨/٥) وعبد الملك بن حبيب فى «وصف الفردوس» (٢١٤) ورواه ابن المبارك فى «الزهد» (٣٩٦) من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن عن رجل من بنى أسد به ـ وفيه رجل لم يسم.

(٢) أى بالخلة، لأنه خليل الله.

(٣) رواه أبو نعيم (٥/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) وزاذان صدوق يرسل.

(٤) **(ضعيف)** ـ رواه أحمد (٣/ ٢٢٤) وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ٣٨٥) وفيه إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهى ضعيفة وبقيه رجاله ثقات وهو فى «ضعيف الجامع» (٥٠٩٣).

(٥) رواه ابن المبارك (٣٠٩) وأحمد فى «الزهد» وأبو نعيم (١/ ١١٨).

قال المصنف رحمه الله: فإذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند هذا المدعى؟ ثم إنه يقطع لنفسه بما لا يدرى به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة إلا لقوم مخصوصين من الصحابة. وقد قال ﷺ: «من قال إنى في الجنة فهو فى النار» (١). وهذا محمد بن واسع يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون أين يذهب بى، يذهب بى والله الذى لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو عنى. (٢) قلت وهذا إن صح عن هذا المدعى فهذا غاية من تلبيس إبليس. وقد كان ابن عقيل يقول: قد حكى عن أبى يزيد أنه قال: وما النار؟ والله لئن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتى أو نحو هذا قال: ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فإن الأهوان للشيء ثمرة الجحد لأن من يؤمن بالجن يقشعر فى الظلمة ومن لا يؤمن لا ينزعج وربما قال يا جن خذوني. ومثل هذا القائل ينبغى أن يقرب إلى وجهه شمعة فإذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار.

أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى، قال: سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، قال: سمعت الحسن بن علوية يقول: سمعت طيفور الصغير يقول: سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول: سمعت أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى. ثم قال: حسبى من نفسى حسبى: قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوى لم يفهم لأنه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه «سبحانى» حكاية عن الله لا عن نفسه. وقد تأوله له الجنيد بشئ إن لم يرجع إلى ما قلته فليس بشئ. فأنبأنا ابن ناصر نا السهلكى، نا محمد بن القاسم الفارسى سمعت الحسن بن على المذكر سمعت جعفر الخلدى يقول: قيل للجنيد إن أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى أنا ربى الأعلى. فقال الجنيد: إن الرجل مستهلك فى شهود الجلال فنطق بما استهلكه، أذهله الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعته. قلت وهذا من الخرافات.

أنبأنا الحسن عن محمد بن الفضل الكرمانى، نا سهل بن على الخشاب، وأنبأنا أبو الوقت عبد الأول نا أحمد بن أبى نصر الكوفانى، نا الحسن بن محمد بن فوزى، نا عبد الله بن على السراج قال: سمعت أحمد بن سالم البصرى بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً: فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾[النازعات:٢٤]

---

(١) سبق تخرجه.
(٢) رواه أبو نعيم (٢/ ٣٤٨).

والرب يسمى به المخلوق يقال: رب الدار. وقال أبو يزيد سبحانى سبحانى لا يجوز إلا لله. فقلت قد صح عندك هذا عن أبى يزيد فقال قد قال ذلك. فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكى بأن الله يقول سبحانى لأنا لو سمعنا رجلاً يقول «لا إله إلا أنا» علمنا أنه يقرأ. وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن هذا فقالوا لا نعرف هذا.

أنبأنا ابن ناصر، نا أبو الفضل السهلكى قال: سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عامر بن أحمد قال سمعت الكتانى يقول حدثنى أبو موسى الديئلى قال سمعت أبا يزيد يقول:كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولى. قال الشيرازى: وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول سمعت طيفور الصغير يقول: سمعت أبا يزيد يقول: حججت أول حجة فرأيت البيت. وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت. وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت. قال الشيرازى وسمعت محمد بن دادويه يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت أبا موسى الديئلى يقول: سمعت أبا يزيد «وسئل عن اللوح المحفوظ» «قال : أنا اللوح المحفوظ» قال الشيرازى وسمعت المظفر بن عيسى المراغى يقول: سمعت ابن سيرين يقول: سمعت أبا موسى الديئلى يقول قلت لأبى يزيد بلغنى أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال: أنا أولئك الثلاثة فقلت:كيف؟ قال قلبى واحد. وهمى واحد. وروحى واحد. قلت وبلغنى أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل. قال وأنا ذلك الواحد ومثلى مثل بحر مصطلم لا أول له ولا آخر. قال السهلكى: وقرأ رجل عند أبى يزيد ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج:١٢]. فقال أبو يزيد وحياته إن بطشى أشد من بطشه. وقيل لأبى يزيد. بلغنا إنك من السبعة. قال: أناكل السبعة. وقيل له. إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمدﷺ فقال. والله إن لوائى أعظم من لواء محمد. لوائى من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين، وقال أبو يزيد: سبحانى سبحانى ما أعظم سلطانى ليس مثلى فى السماء يوجد ولا مثلى صفة فى الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا: نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا أحمد ابن أبى عمران، ثنا منصور بن عبد الله، قال سمعت أبى يقول: قيل لأبى يزيد إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال: أنا كل السبعة.

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكي قال: سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسي قال: سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخاري يقول سمعت أبا الحسين علي بن محمد الجرجاني يقول سمعت الحسن بن علي بن سلام يقول: دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت إليهم فقال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[طه:١٤]. فقالوا: جن أبو يزيد فتركوه.

قال الفارسي: وسمعت أبا بكر أحمد بن محمد النيسابوري قال: سمعت أبا بكر أحمد بن إسرائيل قال سمعت خالي علي ابن الحسين يقول: سمعت الحسن بن علي بن حياة يقول: سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد قال سمعت أبي يقول قال أبو يزيد: رفع بي مرة حتى قمت بين يديه فقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك. قلت: يا عزيزي وأنا أحب أن يروني. فقال: يا أبا يزيد إني أريد أريكهم. فقلت يا عزيزي إن كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك. قربني بوحدانيتك، وألبسني ربانيتك، وارفعني إلى أحديتك . حتى إذا رآني خلقك. قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بي ذلك وأقامني وزيني ورفعني. ثم قال اخرج إلى خلقي فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشي عليَّ فنادى ردوا حبيبي فإنه لا يصبر عني ساعة.

أنبأنا ابن ناصر نا السهلكي. قال: سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ. يقول: سمعت محمد بن محمد الفقيه يقول: سمعت أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت أبا موسى يقول: حكى عن أبي يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يرى الله تعالى. وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يراني.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبي صادق الحيري، ثنا أبو عبد الله بن باكويه، ثنا أبو الطيب بن الفرغاني قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: دخل عليَّ أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع أن يزيد البسطامي يقول: اللهم إن كان في سباق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري.

قال المصنف رحمه الله: أما ما تقدم من دعاويه فما يخفى قبحها. وأما هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه قال إن كان في سابق علمك وقد علمنا قطعاً أنه لا بد من تعذيب خلق بالنار وقد سمى الله عز وجل منهم خلقاً. كفرعون وأبي لهب فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين إن كان؟!

و الثاني:قوله تعظم خلقي فلو قال: لا دفع عن المؤمنين ولكنه قال: حتى لا تسع غيرى فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تَعاطٍ على رحمة الله عز وجل.

و الثالث:أن يكون جاهلا بقدر هذه النار أو واثقاً من نفسه بالصبر وكلا الأمرين معدوم عنده قلت: ثم قال والله لقد تكلمت أمس مع الخضر فى هذه المسألة: وكانت الملائكة يستحسنون قولى. والله عز وجل يسمع كلامى فلم يعب عليّ ولو عاب عليّ لأخرسنى. قلت لولا أن هذا الرجل قد نسب إلى التغير لكان ينبغى أن يرد عليه. وأين الخضر ومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله؟ وكم من قول معيب لم يعاجل صاحبه بالعقوبة؟ وقد بلغنى عن ميمون بن عبده قال: بلغنى عن سمنون المحب أنه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب أبياته التى قال فيها :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما ما شئت فامتحنى

فابتلى بحبس البول، فلم يقر له قرار، فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب وبيده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب.

قال المصنف رحمه الله:إنه ليقشعر جلدى من هذه أتراه على ما يتقاول وإنما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى، ولو عرفه لم يسأله إلا العافية. وقد قال من عرف الله كلّ لسانه.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا ابن باكويه قال: سمعت محمد بن داود الجوزجانى يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثنى الثقة عن أبى الحسين النورى وسألته فقال كذا كان. قال: كنا فى سميرية فى دجلة فقالوا لأبى الحسين أخرج لنا من دجله سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقيّ فحرك شفتيه. فإذا سمكة فيها ثلاث أرطال وثلاث أواقيّ ظهرت من الماء حتي وقعت في السميريه. فقيل لأبي الحسين: سألناك بالله إلا أخبرتنا بماذا دعوت فقال: قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أواقي لأغرقن نفسي في دجلة!!! .

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرنى عبد الصمد بن محمد الخطيب، ثنا الحسن بن الحسين الهمدانى قال: سمعت جعفراً الخلدى سمعت الجنيد يقول: سمعت النورى يقول:كنت بالرقة فجائنى المريدون الذين كانوا بها. وقالوا: نخرج ونصطاد السمك. فقالوا لى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص. فقلت لمولاى إن لم تخرج إلىَّ الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين بنفسى فى الفرات. فأخرجت سمكة فوزنتها فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان. قال الجنيد: فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك قال نعم.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا ابن باكويه، نا أبو يعقوب الخراط. قال قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شئ وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئاً. قال فبلغ ذلك الجنيد فقال:كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه.

أخبرنا ابن حبيب، نا بن أبى صادق، نا ابن باكوية، قال: سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول: سمعت الرقى يقول: سمعت على بن محمد بن أبان قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: أكبر ذنبى إليه معرفتى إياه!!.

قال المصنف رحمه الله: هذا إن حمل على معنى أنى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبى كما يعظم جرم من علم وعصى، وإلا فهو قبيح(١)

أخبرنا ابن حبيب، نا ابن أبى صادق، نا ابن باكويه، ثنى أحمد الحلفاى قال سمعت الشبلى يقول: أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى، نا سهل بن على الخشاب، وأخبرنا أبو الوقت نا أحمد بن أبى نصر، نا الحسن بن محمد بن فورى قالا نا عبد الله بن على السراج، قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد الهمدانى يقول: دخلت على الشبلى فلما قمت لأخرج كان يقول لى ولمن معى إلى أن خرجنا من الدار مروا أنا معكم حيث ماكنتم وأنتم فى رعايتى وكلائتى.

---

(١) رد المؤلف على هذا الكفر الصريح، لا يشفى عليلاً ولا يروى غليلاً، وكان الأولى أن يقول: لو صدر هذا منه حقاً، فقد كفر وألحد وتزندق.

نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى، نا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستانى، نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول: دخل قوم على الشبلى فى مرض موته الذى مات فيه. فقالوا كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول:

إن سلطان حبه قال لا أقبل الرشا

فسلوه فديته ما لقتلي تحرشا

قال ابن عقيل وقد حُكى عن الشبلى أنه قال: أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[الضحى:٥]. والله لارضى محمد ﷺ وفى النار من أمته أحد. ثم قال: إنَّ محمداً يشفع فى أمته وأشفع بعده فى النار حتى لايبقى فيها أحد. قال ابن عقيل: والدعوى الأولى على النبى ﷺ كاذبة فإن النبى ﷺ يرضى بعذاب الفجار. كيف؟ وقد لعن فى الخمر عشرة (١). فدعوى أنه لايرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع. ودعواه بأنه من أهل الشفاعة فى الكل، وأنه يزيد على محمد ﷺ،كفر، لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة بل يزيد على مقام المحمود وهو الشفاعة العظمى. قال ابن عقيل والذى يمكننى فى حق أهل البدع لسانى وقلبى ولو اتسعت قدرتى فى السيف لرويت الثرى من دماء خلق.(٢)

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد ثنا أبو طاهر محمد بن على العلاف، سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد الله العلقى صاحب أبا العباس بن عطاء يقول: قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأثنى عليه حتى ابتلاه. فسألت الله تعالى أن يبتلينى فما مضت الأيام والليالى حتى خرج من دارى نيف وعشرون ميتاً مارجع منهم أحد. قال وذهب ماله، وذهب عقله، وذهب ولده وأهله. فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها. وكان أول شئ قاله بعد صحوه من غلبته

حقاً أقول لقد كلفتنى شططا حملى هواك وصبرى إن ذا عجب

---

(١) **(صحيح)** ـ أخرجه الطحاوى «مشكل» (٤/ ٣٠٦) وأحمد (٢/ ٧١) والبيهقى (٨/ ٢٨٧) وابن عساكر (١٩/ ١/٥٣) عن ابن عمر وصححه الألبانى فى «الإرواء» (١٥٢٩).

(٢) قلت: هذا هو الرد الذى يروى الغليل .

قلت: قلة علم هذا الرجل أثمر أن سأل البلاء. وفى سؤال البلاء معنى التقاول وذاك من أقبح القبيح. والشطط ـ الجور ولايجوز أن ينسب إلى اللّه تعالى. وأحسن ماحمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت فى زمان التغيير(*).

أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف، نا محمد بن الحسين السلمى، سمعت أبا الحسن على بن إبراهيم الحصرى. يقول: دعونى وبلائى ألستم أولاد آدم الذى خلقه اللّه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأمره بأمره فخالفه، إذا كان أول [الدن دردى](١) .كيف يكون آخره. قال: وقال الحصرى كنت زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق.

قال المصنف رحمه اللّه قلت: أما القول الأول بأنه يتسلط على الأنبياء جرأة قبيحة وسوء أدب. وأما الثانى فمخالف لما أمر اللّه عز وجل به فإنه قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[النحل: ٩٨]

أخبرنا أبو بكر بن أبى طاهر، نا عباد بن إبراهيم النسفى، ثنا محمد بن الحسين السلمى، قال وجدت فى كتاب أبى بخطه سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينورى يقول: قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سموا الطبع زيادة، وسوء الأدب إخلاصاً، والخروج عن الحق شطحا، والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة، واتباع الهوى ابتلاء، والرجوع إلى الدنيا وصولا والسؤال عملا. وبذأ اللسان ملامة وما هذا طريق القوم.

وقال ابن عقيل: عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الأسماء مع حصول المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة(٢). أوقات. وقالوا فى المردان شب وفى المعشوقة أخت. وفى المحبة مريدة وفى الرقص والطرب وجد، وفى مناخ اللعهود والبطالة رباط. وهذا التغيير للأسماء لايباح.

---

(١) فى جميع النسخ كما هى مرسومه ولا معنى لها إلا إذا كانت محرفة ولعلها كما يدل السياق [إذا كان أول الدنيا ردئ، فكيف يكون آخره]

(٢) خنكر: ضرب بآلات اللهو والخيناكر بمعنى الزامر.

(*) إحسان ظن ليس هذا محله .

بيان جملة مروية على الصوفية من الأفعال المنكرة

قلت: قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة وإنما نذكر ههنا من أمهات الأفعال وعجائبها.

اخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد، أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى، نا أبو الحسن سهل بن على الخشاب، نا أبو نصر عبد الله بن على السراج، قال: ذكر عن أبى الكريتى ـ وكان أستاذ الجنيد ـ أنه أصابته جنابة. وكان عليه مرقعة تخينة. فجاء إلى شاطئ الدجلة والبرد شديد، فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج. وقال: عقدت أن لا أنزعها عن بدنى حتى تجف علىّ فلم تجف عليه شهراً.

أخبرنا عبد الله بن محمد القزاز، نا أحمد بن على بن ثابت، ثنا عبد العزيز بن على، ثنا على بن عبد الله الهمدانى، ثنا الخلدى، ثنى جنيد، قال سمعت أبا جعفر بن الكريتى يقول: أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت فى نفسى تأخراً وتقصيراً، وحدثتنى نفسى لو تركت حتى تصبح، ويسخن لك الماء، أو تدخل حماماً، وإلا اعبأ على نفسك. فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى فى طول عمرى. يجب له على حق لأجد المسارعة إليه. وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر. آليت لا أغتسل إلا فى نهر. وآليت لا اغتسلت إلا فى مرقعتى هذه. وآليت لا أعصرنها وآليت لأجففنها فى شمس أو كما قال: قلت قد سبق فى ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة لابن التكريتى وأنه وزن أحد كميها فكان فيه أحد عشر رطلاً وأنما ذكر هذا للناس ليبين أنى فعلت الحسن الجميل. وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل. وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى، لا العلماء، ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنوناً من التعذيب ـ إلقاؤها فى الماء البارد، وكونه فى مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد. ولعله قد بقى من مغابنه مالم يصل إليه الماء لكثافة هذه المرقعة، وبقاءها عليه مبتلة شهراً وذلك يمنعه لذة النوم. وكل هذا الفعل خطأ وإثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قال: أخبرنا حمد بن أحمد بن عبد الله الأصبهانى، قال: كانت أم على زوجة أحمد بن حضرويه قد أحلت زوجها أحمد من صداقها على أن يزور بها أبا يزيد البسطامى فحملها إليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها. فلما قال لها أحمد: رأيت منك عجباً. أسفرت عن وجهك بين يدى أبى يزيد. قالت: لأنى لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسى. وكلما نظرت إليك رجعت إلىّ حظوظ نفسى. فلما أراد أحمد الخروج من عند أبى يزيد قال له أوصنى. قال تعلم الفتوة من زوجتك.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبى صادق، نا بن باكويه سمعت أبا بكر الفازى «وفاز قرية بطرسوس» سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف ابن الحسين يقول: كان بين أحمد بن أبى الحوارى وبين أبى سليمان عقد أن لا يخالفه فى شئ يؤمره به، فجاءه يوماً وهو يتكلم فى المجلس فقال أن التنور قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له فى الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك. فقال أبو سليمان إلحقوه فإن بينى وبينه عقداً أن لايخالفنى فى شئ آمره به فقام وقاموا معه فجاؤا إلى التنور فوجدوه قاعداً فى وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش!!! .

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله النار معصية. وفى الصحيحين من حديث على رضي الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم فى شئ فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم أن يدخلوها فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبى ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا فرجعوا إلى النبى ﷺ فأخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ: «لو دخلتموها ماخرجتم منها أبداً إنما الطاعة فى المعروف».(١)

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز، نا أحمد بن على بن ثابت، نا أبو نعيم الحافظ أخبرنى الحسن بن جعفر بن على أخبرنى عبد الله بن إبراهيم الجريرى(٢). قال: قال

(١) أخرجه البخارى (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠) وأبو داود (٢٦٢٥) والبيهقى (٨/ ١٥٦) وأحمد (١/ ٨٢، ٩٤، ١٢٤).

(٢) فى النسخة المحققة الجزرى وكذلك فى جميع النسخ والتصويب من الحلية.

أبو الخير الديلمى[١]. كنت جالساً عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطينى المنديل الذى دفعته إليك قال نعم فدفعه إليها قالت كم الأجرة؟ قال درهمان، قالت مامعى الساعة شئ وأنا قد ترددت إليك مراراً فلم أراك وأنا آتيك به غداً إن شاء الله تعالى، فقال لها خير إن أتيتنى بهما ولم تجدينى فارمى بهما فى دجلة؟ فإنى إذا جئت أخذتهما فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لها خير هذا التفتيش فضول منك افعلى ما أمرتك به. قالت إن شاء الله فمرت المرأة قال أبو الحسين فجئت من الغد وكان خير غائباً وإذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة فى دجلة وإذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصت وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ وإذا بسرطان قد خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها. فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح به فى حياتى فأجبته إلى ذلك.[٢]

قال المصنف رحمه الله: صحة مثل هذا تبعد، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة. وفى الصحيح أن النبى ﷺ **«نهى عن إضاعة المال»**[٣]. ولا تلتفت إلى قول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفاً لشرعه.

أخبرنا أبومنصور القزاز، نا أبو بكر بن ثابت، نا أبو نعيم الحافظ سمعت أبا الفرج الورثانى[٤]. سمعت على بن عبد الرحيم يقول: دخلت على النورى ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره. فقال: طالبتنى نفسى بأكل الثمر فجعلت أدافعها فتأبى علىّ فخرْجت فاشتريت. فلما أن أكلت قلت لها قومى فصلى فأبت علىّ فقلت لله على أن قعدت إلى الأرض أربعين يوماً إلا فى التشهد فما قعدت[٥]. قلت من سمع هذا من الجهال يقول ماأحسن هذه المجاهدة ولايدرى أن هذا الفعل لايحل لأنه حمل على النفس مالا يجوز ومنعها حقها من الراحة وقد حكى أبوحامد الغزالى فى

---

(١) فى جميع النسخ الديْلى والتصويب من الحلية.
(٢) رواه أبو نعيم (١٠/ ٣٠٨).
(٣) سبق تخرجه.
(٤) فى جميع النسخ الوريانى بالياء، وفى الحلية بالثاء كما أثبتناه.
(٥) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١٠/ ٢٥١).

كتاب «الإحياء» قال كان بعض الشيوخ فى بداية إرادته يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه فى البحر إذا خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل. قال: وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس لعود نفسه الحلم قال: وكان آخر يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً.

قال المصنف رحمه الله: أعجب من جميع هؤلاء عندى أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها؟ وكيف ينكرها وقد أتى بها فى معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات. ينبغى للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدئ فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر حاجته أخذه وصرفه فى الخير وفرغ قلبه منه حتى لايلتفت إليه. وإن رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك. وإن رأى الغالب عليه البطالة استخدمه فى بيت المال وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان، وإن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم. وإن رآه عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره إن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً.

قلت: وإنى لأعجب من أبى حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التى تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل؟ فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً، وكيف يحل رمى المال فى البحر؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال. وهل يحل سب مسلم بلا سبب؟.

وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك؟ وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه؟ وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بآداء الحج؟ وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب؟ فما أرخص ماباع أبو حامد الغزالى الفقه بالتصوف.

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى، نا أبو على عبد الله بن إبراهيم النيسابورى، ثنا أبو الحسن على بن جهضم، ثنا أبو صالح الدامغانى، عن الحسن بن على الدامغانى، قال: كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبى يزيد لايفارقه. فقال له ذات يوم. يا أستاذ. أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبى من هذا الذى تذكره شيئا البتة. فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة

وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما آراك لاتجد من هذا العلم ذرة. قال ولم يا أستاذ؟ قال: لأنك محجوب بنفسك فقال له: أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال: نعم ولكنك لم تقبل قال: بلى أقبل واعمل ما تقول. قال أبو يزيد أذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وابرز بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة وأملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلا صوتك ياصبيان. من يصفعنى صفعة أعطيه جوزة وادخل إلى سوقك الذى تعظم فيه. فقال يا أبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا. فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك. قال وكيف؟ قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها. فقال يأبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلنى على غيره حتى أفعله. فقال أبو يزيد ابتدر هذا قبل كل شئ حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك مايصلح لك قال: لا أطيق هذا. قال: إنك لاتقبل.

قال المصنف رحمه الله: قلت ليس فى شرعنا بحمد الله من هذا شئ بل فيه تحريم ذلك والمنع منه.

وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام «ليس للمؤمن أن يذل نفسه»(١). ولقد فاتت الجمعة حذيفة فرأى الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين النقص فى قصة الصلاة. وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ: «من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»(٢).كل هذا للإبقاء على جاه النفس. ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحاً فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التى تطالب المبتدئ بما لايرضاه الشرع فينفر.

وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب «الإحياء» عن يحيى بن معاذ أنه قال: قلت لأبى يزيد هل سألت الله تعالى المعرفة يقال عزت عليه أن يعرفها سواه. فقلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى فى الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات

---

(١) **(إسناده صحيح)** ـ رواه الطبرانى فى «الكبير» (١٣٥٠٧) عن ابن عمر بلفظ: «لا ينبغى لمؤمن...» وقال الألبانى «الصحيحة» (١٧٢/٣) إسناده صحيح وأخرجه الترمذى (٢٢٥٤) وابن ماجه (٤١٠٦) وأحمد (٤٠٥/٥) عن حذيفة وصححه الألبانى بما سبق فى «الصحيحة» (٦١٣).

(٢) **(صحيح)** ـ رواه الحاكم (٤/٢٤٤ـ٢٨٣) والبيهقى (٣٣٠/٨) والعقيلى (٢٠٣) والطحاوى «مشكل» (٢٠/١) عن ابن عمر.
وله شاهد من حديث أبى هريرة ـ أخرجه الديلمى فى مسنده (٤٠/١/١) وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٦٦٣).

وهذا لايسمع أحداً من المسلمين جهله وإن تخايل له أن معرفته هى اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به.

وحكى أبو حامد: أن أبا تراب النخشبى قال لمريد له. لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة، قلت: وهذا فوق الجنون بدرجات(١)

وحكى أبو حامد الغزالى عن ابن الكريتى أنه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب فى قلبى فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتى وخرجت فجعلت أمشى قليلاً فلحقونى فنزعوا مرقعتى وأخذوا الثياب وصفعونى فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسى.

قال أبو حامد: فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون مافرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا فى الحمام. قلت سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذى لا يحل.

والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمى أصحابه أرباب أحوال، وأى حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع، ويرى المصلحة فى النهى عنه، وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى؟ وقد عدم فى الشريعة مايصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها وهذا من جنس ما تفعله الأمراء الجهلة من قطع من لايجب قطعه وقتل من لايجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون تلك الشريعة ماتفى بالسياسة.

وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه؟ لأن يقال عنه سارق وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله فى الأرض ولو أن رجلاً وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لايعلم هذا فاسق لكان عاصيا بذلك.

ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير إذنه؟ ثم فى نص مذهب أحمد والشافعى أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم، كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه.

---

(١) قلت : هذا فوق الكفر بدرجات.

فعجبى من هذا الفقيه المستلب من الفقه بالتصوف أكثر من تعجبى من هذا المستلب الثياب.

أخبرناأبو بكر بن حبيب، نا أبو سعيد بن أبى صادق، نا بن باكويه قال: سمعت محمد بن أحمد النجارى يقول: كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى يوماً من الأيام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله إلى بيته. قلت: واعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لايمكن، ولا هو مراد الشرع.

وقد ركز فى الطباع إن الإنسان لايحب أن يرى إلا متجملاً فى ثيابه وأنه يستحى من العرى وكشف الرأس. والشرع لاينكر عليه هذا. ومافعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والفعل فهو إسقاط مروءة لارياضة كما لو حمل نعليه على رأسه .

وقد جاء فى الحديث «**الأكل فى السوق دناءة**»[١]. فإن الله قد أكرم الآدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه. فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس. وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نُسْقُطْ من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين. وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها. فقيل له: لما لم تعزل. فقال بلغنى أن العزل مكروه فقيل له: ومابلغك أن الزنا حرام. وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الأرض.

أخبرناابن حبيب، نا ابن أبى صادق، نا بن باكويه قال سمعت أبا أحمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف، سمعت أبا الحسن المدينى، يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان فى إحدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فبينا أنا أمشى على شاطئ النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة فجمعتهم وقلت هذه لفقير. ومشيت قليلاً فسمعت همهمة وتخبيطاً فى الماء. فنظرت فإذا بأبى الحسن النورى قد ألقى نفسه فى الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء، فلما رأيته

---

[١] **(ضعيف جداً)** ـ رواه الطبرانى فى «الكبير» (٧٩٧٧)وقال الهيثمى فى «المجمع» (٢٤/٥) عمر بن موسى بن وجيه ضعيف.
ورواه عبد ابن حميد (١٤٤٤) عن أبى هريرة وفيه محمدِ بن الفرات ضعفه بعضهم وكذبه آخرون.
وأورده المصنف فى «الموضوعات» (٩٧/٣).

علمت أن الثياب له فنزلت إليه فنظر إلىّ، وقال يا أبا الحسن أما ترى ما يُعمل بى؟ قد أماتنى موتات وقال لى مالك منا إلا الذكر الذى لسائر الناس. وأخذ يبكى ويقول ترى ما يفعل بى. فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل. فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا: السباع تدخل القرية بالليل. وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين. فلما سمع النورى هذا الحديث قام فرمى بنفسه فى الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول: اين أنت ياسبع؟! فما شككنا أن الأسد قد أفترسه أو قد هلك فى أصول القصب. فلما كان قريب الصبح. جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ماقدرنا عليه فبقى أربعين يوماً لايمشى على رجليه. فسألته أى شئ كان ذلك الحال؟ قال: لما ذكروا السبع وجدت فى نفسى فزعاً فقلت لأطرحنك إلى ما تفزعين منه.

قلت: لا يخفي على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين. وكيف يجوز للإنسان أن يلقى نفسه فى ماء وطين؟ وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله: ترى مايفعل بى وما وجه هذا الانبساط وينبغى أن تجف الألسن فى أفواهها هيبة. ثم مالذى يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع. وهل يجوز فى الشرع أن يلقى الإنسان نفسه إلى سبع. أترى أراد منها أن يغير ماطبعت عليه من خوف السباع ليس هذا فى طوقها ولا طلبه الشرع منها. ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب، نا على بن أبى صادق، نا ابن باكويه، نا يعقوب الحواط، نا أبو أحمد المغازى قال: رأيت النورى وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول: من الخلق أوحشتنى، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى. ويقول مامعك إلا علم وذكر قال فقلت له إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم، أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى، نا سهل بن على الخشاب، نا عبد الله بن على السراج، قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول حمل أبو الحسين النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له. وجلس على قنطرة وجعل

يرمى واحداً وحداً منها إلى الماء ويقول: جئتى - تريدى أن تخدعينى منك بمثل هذا - قال السراج: فقال بعض الناس لو أنفقها فى سبيل الله كان خيراً له فقلت: إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب أن يرميها فى الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنتها كما قال الله عز وجل: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾[ص:٣٣] قلت: لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل. وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لايسلم إلا إلى رشيد، وجعله قواماً للآدمى، والعقل يشهد بأنه إنما خلق للمصالح. فإذا رمى به الأنسان فقد أفسد ماهو سبب صلاحه، وجهل حكمة الواضع، واعتذار السراج له أقبح من فعله. لأنه إن كان خاف فتنته فينبغى أن يرميه إلى فقير ويتخلص، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق، ويظن بذلك جواز الفساد، والفساد لا يجوز فى الشريعة، وإنما مسح بيده عليها وقال أنت فى سبيل الله وقد سبق بيان هذا، وقال أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال أبو جعفر الدراج، خرج أستاذى يوماً يتطهر فأخذت كتفه، ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلاً وبات لم يأكل شيئاً. فلما رجع قلت له، فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياع، فقال أخذته؟ رده، ثم قال لى بعد ذلك: خذه واشتر به شيئاً، فقلت له، بحق معبودك ما أمر هذه القطع فقال: لم يرزقنى الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصى أن تدفن معى فإذا كان يوم القيامة رددتها إلى الله وأقول هذا الذى أعطيتنى من الدنيا.

أخبرنا ابن حبيب، نا ابن أبى صادق، نا ابن باكويه، ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال، سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله **قلت:** لوعلم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل، ولو قدّرنا جوازها، فأين أنفة النفس من ذل الطلب؟

أخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن على التميمى، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن جنبل، ثنى أبى، ثنا إسماعيل، ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخى الزهرى عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال

المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم»[١] . قال أحمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ : «لأن يأخذ الرجل حبلا فيحتطب ثم يجئ فيضعه في السوق فيبيعه ثم يستغني به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[٢].

قلت: انفرد به البخاري، واتفقا على الذي قبله، وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي»[٣]- والمرة ـ القوة، وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل إذا أحكمت فتله. فمعنى المرة في الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التي يكون معها احتمال الكل والتعب. قال الشافعي رضي الله عنه: لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر بن ثابت، أنبأنا أبو سعد الماليني قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمي سمعت أبا الحسن يونس بن أبي بكر الشبلي يقول قام أبي ليلة فترك رجل فرد رجل على السطح والأخرى على الدار. فسمعته يقول لئن أطرفت لأرمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لي: يا بني ما سمعت الليلة ذاكراً لله عز وجل إلا ديكاً يساوي دانقين .

قال المصنف رحمه الله: هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان.

أحدهما: مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معيناً على نفسه ولا شك أنه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية.

---

(١) رواه البخاري (١٤٧٤) ومسلم (١٠٤٠)وعبد الرزاق (٢٠٠١٢) والنسائي (٩٤/٥) والطحاوي «مشكل» (٤٥٠/١) والبيهقي «شعب» (٣٥٣٣) وفي «السنن» (١٩٦/٤) وأحمد (١٥/٢ـ٨٨).

(٢) البخاري (١٤٧١ ، ٢٠٧٥ ، ٢٣٧٣) وابن ماجه (١٨٣٦) وأحمد (١٦٤/١ـ١٦٧) وأخرجه مالك (٩٩٨ـ٩٩٩) والبخاري (١٤٧٠ـ١٤٨٠ـ٢٠٧٤ـ٢٣٧٤) ومسلم (١٠٧/٧٢١/١) والترمذي (٦٨٠) والنسائي (٩٦/٥) والبيهقي في «الشعب» (٣٢٣٢) وفي «السنن» (١٩٥/٤) وأحمد (٣٠٠/٢) عن أبي هريرة.

(٣) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (١٩٢/٢ـ٣٨٩) وأبو داود (١٦٣٤) والترمذي (٦٥٢) وابن الجارود (٣٦٣) والدارمي (١٦٣٩) والنسائي (٩٩/٥) وابن ماجه (١٨٣٩) والقضاعي (٨٨٤) والحديث صححه الألباني في «الإرواء» (٨٧٧).

والثاني: أنه منع عينه حظها من النوم. وقد قال ﷺ: «**إن لجسدك عليك حقاً وإن لزوجتك عليك حقاً. وإن لعينك عليك حقا**»(١). وقال: «**إذا نعس أحدكم فليرقد**»(٢). ومر بحبل قد مدته زينب فإذا فترت أمسكت به فأمر بحله. وقال: «**ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليقعد**»(٣). وقد تقدمت هذه الأحاديث في كتابنا هذا.

أخبرنا محمد بن ناصر، نا أبو عبد الله الحميدى، نا أبو بكر الأردستاني، ثنا أبو عبد الرحمن السلمى، قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول: كنا نصحب أبا الحسن بن أبى بكر الشبلى ونحن أحداث، فأضافنا ليلة فقلنا بشرط أن لا تُدخل علينا أباك، فقال لا يدخل. فدخلنا داره فلما أكلنا إذا نحن بالشبلى وبين كل أصبعين من أصابعه شمعة ـ ثمان شموع ـ فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه، فقال يا سادة عدونى فيما بينكم طشت شموع، ثم قال أين غلامى أبو العباس فتقدم إليه فقال غننى الصوت الذى كنت تغنى:

ولما بلغ الحيرة حـــادى جـملى حـــارا
فقلت احطـط بها رحلــى ولا نحفل بمن ســـارا(٤)

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج.

أخبرنا ابن ناصر، ثنا هبة الله بن عبد الله الواسطى، نا أبو بكر أحمد بن على الحافظ، نا محمد بن أحمد بن أبى الفوارس، نا الحسين بن أحمد بن عبد الرحمن الصفار قال: خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق أشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول:

للنـــاس فطـــر وعيـــد إنـــى فريـــد وحيـــد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، نا أحمد بن على بن ثابت، نا التنوخى، ثنا أبو الحسن على بن محمد بن أبى صابر الدلال قال: وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن

---

(١) رواه البخارى (١٩٧٤ـ١٩٧٥ـ١٩٧٧ـ١١٥٣ـ٥١٩٩ـ٦١٣٤) ومسلم (١١٥٩) وأبو داود (٢٤٣٢).
(٢) رواه البخارى (٢١٢) ومسلم (٧٨٦) وأبو داود (١٣١٠).
(٣) رواه البخارى (١١٥٠) ومسلم (٧٨٦) وأحمد (١٠١/٣).
(٤) وهذه الحكاية ساقطة من بعض النسخ.

ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجهاً منه يعرف بابن مسلم فقال له: تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح فقال له في الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب في غاية الحسن تساوي جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلي:

طرحوا اللحم للبزاة[1] على ذروتي عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن[2]
لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل: من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع. لأنه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الإنسان إلا للافتتان به. وليس كذلك وإنما خلقه للاعتبار والامتحان فإن الشمس خُلقت لتضيء لا لتُعبد. وبإسناد عن أحمد بن محمد النهاوندي يقول: مات للشبلي ابن ولد كان اسمه علياً فجزّت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها فقيل له: يا أستاذ ما حملك على هذا فقال. جرت هذه شعرها على مفقود، ألا أحلق أنا لحيتي على موجود. وبإسناد عن عبد الله بن علي السراج قال: ربما كان الشبلي يلبس ثياباً مثمنة ثم ينزعها ويضعها فوق النار، قال : وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار وقال بعضهم: دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار قال السراج: إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله. قلت: اعتذار السراج عنه أعجب من فعله، قال السراج وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع إليهم شيئاً، وسمع قارئاً يقرأ «اخسئوا فيها» فقال ليتني كنت واحداً منهم، قلت وهذا الرجل ظن أن الذي يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهم كلام إهانة فأي شئ هذا حتى يُطلب، قال السراج.

وقال الشبلي يوماً في مجلسه إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفؤها، قلت، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبي يزيد وكلاها من إناء واحد. وبإسناد عن أبي علي الدقاق يقول: بلغني أن الشبلي اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم.

---

(١) البزاة: جمع البازي.
(٢) الرسن: الحبل.

قال المصنف رحمه الله: وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه إلى هذه الأحوال والأفعال.

وبإسناد عن أبى عبد الله الرازى قال: كسانى رجل صوفاً فرأيت على رأس الشبلى قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيتها فى نفسى، فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلىّ فتبعته، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلىّ فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقهما، قلت، وقد حكى أبو حامد الغزالى أن الشبلى أخذ خمسين ديناراً فرماها فى دجلة وقال، ما أعزك أحد إلا أذله الله، وأنا أتعجب من أبى حامد أكثر من تعجبى من الشبلى لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه؟ وبإسناد عن حسين بن عبد الله القزوينى قال: حدثنى من كان جالسا أنه قال: تعذر علىٍ قوتى يوماً ولحقنى ضرورة فرأيت قطعة ذهب مطروحة فى الطريق فأردت أخذها فقلت لُقَطَة فتركتها، ثم ذكرت الحديث الذى يروى «لو أن الدنيا كانت دماً عبيطاً لكان قوت المسلم منها حلالا»[(١)] فأخذتها وتركتها فى فمى ومشيت غير بعيد فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم، فقال له واحد، متى يجد العبد حقيقة الصدق، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فمى ورميتها .

قال المصنف رحمه الله: لا يختلف الفقهاء إن رميه إياها لا يجوز، والعجب أنه رماها بقول صبى لا يدرى ما قال، وقد حكى أبو حامد الغزالى أن شقيقا البلخى جاء إلى أبو القاسم الزاهد وفى طرف كسائه شئ مصرور فقال له أى شئ معك قال لوزات دفعها إلى أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً، فأغلق الباب فى وجهى ودخل.

---

(١) قال العجلونى من «كشف الخفاء» (٢١٠٨) بعد ما ذكره.
قال فى المقاصد: لا يعرف له إسناد، لكن معناه صحيح فإن الله لم يحرم على المؤمن ما يضطر إليه من غير معصية ـ وقال الزركشى: لا أصل له وتبعه فى الدرر وقال النجم هو كلام الفضيل بن عياض وذلك لأن المؤمن لا يأكل إلا عن ضرورة قلت: كلام الفضيل كما رواه أبو نعيم (٨٩/٨): لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالاً لا أحاسب بها فى الآخرة لكنت اقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه.

قال المصنف رحمه الله: انظروا إلى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لأن الإنسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشئ قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠] وقد أدخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة(١). وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وأدخر الباقى ولم ينكر عليه فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد.

وبإسناد أحمد بن إسحاق العمانى قال رأيت بالهند شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له يا صابر ما بلغ من صبرك قال إنى هويت النظر إلى زينة الدنيا فلم أحب أن أشتفى منها فغمضت عينى منذ ثمانين سنة فلم أفتحها، وقد حكى لنا عن آخر، أنه فقأ أحد عينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين إسراف قلت كان قصده أن ينظر إلى الدنيا بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول.

وقد حكى يوسف بن أيوب الهمدانى عن شيخه عبد الله الجونى أنه كان يقول هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت أخدم فى الخلاء فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه قالت لى نفسى أذهبت عمرك فى هذا فقلت أنت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس البئر ورميت نفسى فيها وجعلت أدخل النجاسة فى فمى، فجاؤا وأخرجونى وغسلونى. قلت: انظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة إنما حصلت بالقاء نفسه فى النجاسة وإدخالها فى فيه وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذا الذى فعله معصية توجب العقوبة، وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم.

وبإسناد عن محمد بن على الكتانى يقول دخل الحسين بن منصور مكة فى ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسى أخذنا منها قملة فوزناها فإذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت: انظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذيته من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من أعتقد هذا رياضته.

وبإسناد عن أبى عبد الله بن ملقح يقول: كان عندنا فقير صوفى فى الجامع فجاع مرة جوعاً شديداً فقال يا رب إما أن تطعمنى وإما أن ترمينى بشرف المسجد فجاء غراب

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٧) من حديث ابن عمر وقد سبق.

فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم، ويقول: إيش تبالى بقتل العالم، قلت: قتل الله هذا ولا أحياه فى مقابلته هذا الاستنباط، هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية. وبإسناد عن غلام خليل قال: رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول! أشهدكم على الله هو ذا يقتلني، وسقط ميتاً.

رأى بعض رجال الصوفية فى الملاَّنفية

فصـــل

وفى الصوفية قوم يسمون الملانفية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع، قال: وفى القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء. ولقد قال رسول الله ﷺ: «من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»[(١)]. وقال فى حق ما عز «هلا سترته بثوبك يا هذا»[(٢)]. واجتاز على رسول الله ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته فقال له: **«أنها صفية»**[(٣)]. وقد علم الناس التجافى عن ما يوجب سوء الظن فإن المؤمنين شهداء الله فى الأرض، وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن الناس به، وقد قدمنا هذه. وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إنى لمست امرأة وقبلتها، فقال تب إلى الله ولا تحدث أحداً بذلك. وجاء رجل إلى النبى ﷺ وقال إنى أتيت من أجنبية ما دون الزنا يا رسول الله قال: «ألم تصل معنا **قال بلى يا رسول الله قال** ألم تعلم أن الصلاتين تكفر ما بينهما»[(٤)]. وقال رجل لبعض الصحابة إنى فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك، فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **(ضعيف)** ـ رواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٢/٢٠١ـ٢٠٢/٥٣٠ـ٥٣١) والنسائى فى «الكبرى» والحاكم (٤/٣٦٣) وأبو داود (٤٣٧٧) وأحمد (٥/٢١٧) وعبد الرزاق (١٣٣٤٢) والبيهقى (٨/٣٣٠ـ٣٣١) وضعفه الشيخ الألبانى.

(٣) رواه البخارى (٢٠٣٥ـ٢٠٣٨ـ٢٠٣٩ـ٣٢٨١ـ٦٢١٩ـ٧١٧١) ومسلم (٢١٧٥) وأبو داود (٢٤٧٠) وأحمد (٦/٣٣٧).

(٤) أخرجه البخارى (٦٨٢٣) ومسلم (٢٧٦٤) عن أنس.

من انْدَسَّ فى الصوفيـة من أهـل الإباحـة

فصـــل

وقد اندس فى الصوفية أهل الإباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى، ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء مُحال، وهؤلاء لما أرادو إمراح أنفسهم فى شهواتها لم يجدوا شيئاً يحقنون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم فى الباطن كفرة وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله.

والقسم الثاني: قوم يقرون بالإسلام إلا أنهم ينقسمون قسمين:

القسم الأول: يقلدون فى أفعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل، ولا شبهة، فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه(١)

القسم الثالث: قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها. والأصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر فى مذاهب الناس لبس عليهم إبليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن ينال بالعلم وإنما الظفر به رزق يساق إلى العبد لا بالطلب فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العلم فصاروا يبغضون اسم العلم كما يبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمرو يقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فإن أنكر عليم عالم قالوا لأتباعهم هذا موافق لنا فى الباطن وإنما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول فإن جد فى خلافهم قالوا: هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود ثم عملوا على شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم علم، فقد بطل إنكارهم العلم، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهى ست شبهات:

---

(١) لم يذكر المؤلف القسم الثانى ولعله سقط من الأصل فتتابع السقط فى جميع النسخ ولم أعثر على هذا السقط .

الشبهة الأولى: أنهم قالوا إذا كانت الأمور مقدرة فى القدم وأن أقواماً خصوا بالسعادة، وأقواما بالشقاوة، والسعيد لا يشقى، والشقى لا يسعد والأعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة، وقد سبقنا وجود الأعمال فلا وجه لاتعاب النفس فى عمل ولا نكفها عن ملذوذ، لأن المكتوب فى القدر واقع لا محالة .

والجواب عن هذه الشبهة، أن يقال لهم هذا رد لجميع الشرائع وإبطال لجميع أحكام الكتب وتبكيت للأنبياء كلهم فيما جاءوا به لأنه إذا قال فى القرآن ﴿أن أقيموا الصلاة﴾ قال القائل: لماذا إن كنت سعيداً فمصيرى إلى السعادة وإن كنت شقياً فمصيرى إلى الشقاوة فما تنفعنى إقامة الصلاة وكذلك إذا قال: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾يقول القائل: لماذا أمنع نفسى ملذوذها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما، وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾[النازعات:١٨] مثل هذا الكلام ثم يترقى إلى الخالق فيقول، ما فائدة إرسالك الرسل وسيجزى ما قدرته. وما يفضى إلى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على أصحابه حين قالوا ألا نتكل، فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[1] واعلم أن للآدمى كسباً هو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب، فإذا خالف تبين لنا أن الله عز وجل قضى فى السابق بأن يخالفه وإنما يعاقبه على خلافه لا على قضائه. ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر، وإنما ردهم الرسول عن ملاحظة القدر إلى العمل لأن الأمر والنهى حال ظاهر، والمقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف ما لانعلمه من المقضى وقول «فكل ميسر لما خلق له»[2] إشارة إلى أسباب القدر، فإنه من قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه، ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قبله، وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح، ومن لم يقض له بولد لم ييسر له.

الشبهة الثانية: أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغنٍ عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغى أن نتعب أنفسنا فى غير فائدة.

---

(١) رواه البخارى (٤٩٤٥، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٥٥١، ٧٥٥٢) ومسلم (٦٤٧) وأبو داود (٤٦٩٤) وابن حبان (٣٣٥) وأحمد (١٢٩، ١٤٠، ١٣٣) عن على بن أبى طالب ورواه مسلم (٢٦٤٨) وابن حبان (٣٣٦) عن جابر ورواه أحمد (٣/٢٩٢ـ٢٩٣) ومسلم (٢٦٤٨) والبغوى (١٤).

(٢) سبق تخريجه

وجواب هذه الشبهة أن نجيب أولا ـ

بالجواب الأول: ونقول هذا رد على الشرع فيما أمربه فكأنا قلنا للرسول وللمرسل لا فائدة فيما أمرتنا به ثم نتكلم عن الشبهة فنقول: من يتوهم أن الله عز وجل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جل جلاله لأنه مقدس عن الأعراض والأغراض ومن انتفاع أو ضرر وإنما نفع الأعمال تعود على أنفسنا كما قال عز وجل: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت:٦] ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر:١٨] وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما أن للبدن مصالح من الأغذية ومضار، فللنفس مصالح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل، فالشرع كالطبيب، فهو أعرف بما يأمر به من المصالح، هذا مذهب من علل، وأكثر العلماء قالوا أفعاله لا تعلل.

وجواب آخر: وهو أنه إذا كان غنياً عن أعمالنا كان غنياً عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته، فكذلك أوجب طاعته، فينبغي أن تنظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره.

الشبهة الثالثة: قالوا: قد ثبت سعة رحمه الله سبحانه وتعالى وهى لا تعجز عنا، فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها.

فالجواب كالجواب الأول، لأن هذا القول يتضمن إطراح ما جاء به الرسل من الوعيد وتهوين ما شددت فى التحذير منه فى ذلك، وبالغت فى ذكر عقابه ومما يكشف التلبيس فى هذا أن الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويأخذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة؟ فالخليل يقول يوم القيامة نفسى نفسى، والكليم يقول نفسى نفسى، وهذا عمر رضى الله عنه يقول الويل لعمر إن لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها، فمن أسبابها التوبة من الزلل، كما أن من رجا أن يحصد زرع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٨]. يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق، وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد، وقد قال عليه الصلاة والسلام «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى»(١) وقد قال

---

(١) **(ضعيف)** ـ رواه أحمد (١٢٤/٤)، والترمذى (٢٥٧٧) وابن ماجه (٤٢٦٠) وابن المبارك فى «الزهد» (١٧١) والقضاعى (١٨٥) والطبرانى فى «الكبير» (٧١٤١، ٧١٤٣) والصغير (٣٦/٢) والحاكم (٥٧/١، ٣٢٥/٤) والبيهقى فى «الآداب» (٢٤٠/٢) وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٤٣١٠) والحديث عن شداد بن أوس.

معروف الكرخي: رجاؤك لرحمة من لاتطيعه خذلان وحمق. واعلم أنه ليس فى الأفعال التى تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه، إنما فى أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من أخذانه وانتقامه فإن من قطع أشرف عضو بربع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غداً هكذا .

الشبهة الرابعة: أن قوماً منهم، وقع لهم أن المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا مالنا نتعب أنفسنا فى أمر لا يحصل لبشر فتركوا العمل.

وكشف هذا التلبيس أنهم ظنوا أن المراد قمع ما فى البواطن من الصفات البشرية، مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مراد الشرع، ولا يتصور إزالة ما فى الطبع بالرياضة، وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الإنسان، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل. ولولا الغضب لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يؤذيه، وكذلك حب المال مركوز فى الطباع لأنه يوصل إلى الشهوات، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك، وردها إلى الاعتدال فيه، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى، وإنما تنتهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الإنسان إلى نهيها، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ [آل عمران:١٣٤]. وما قال: والفاقدين الغيظ، والكظم: رد الغيظ يقال كظم البعير على جرته إذا ردها فى حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال، وإنما المقصود بالرياضة كسر شرة شهوة النفس، والغضب لا إزالة أصلها، والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام، يتناول ما يصلحه، ويكف عما يؤذيه، وعادم الرياضة كالصبى الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالى بما جنى .

الشبهة الخامسة: إن قوما منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا: لا نبالى الآن ما عملنا، وإنما الأوامر والنواهى رسوم للعوام، ولو تجوهروا لسقطت عنهم. قالوا: وحاصل النبوة ترجع إلى الحكمة والمصلحة، والمراد منها ضبط العوام، ولسنا من العوام فندخل فى حجر التكليف، لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة، وهؤلاء قد رأوا أن من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم، حتى إنهم قالوا أن رتبة الكمال لا تحصل

إلا لمن رأى أهله مع النبى، فلم يقشعر جلده، فإن أقشعر جلده فهو ملتفت إلى حظ نفسه، ولم يكمل بعد، إذ لو كمل لماتت نفسه، فسموا الغيرة نفساً وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخانيث،كمال الإيمان.

وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه إلى الريوندية كانوا يستحلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة إلى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته.

وكشف هذه الشبهة أنه مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل إلى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فإن هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير، ويركد، فأقل شئ يحركه كالمدرة تقع فى الماء الذى تحته حمأة وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجرى بسفينة النفس، والعقل مداد، ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر، ومن ادعى تغير طبعه كذب، ومن قال إنى لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق، كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل؟ والهوى يقودهم، وقد رأينا أقواما منهم يصافحون النساء وقد كان رسول الله وهو المعصوم **«لايصافح المرأة»**[(١)].
وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء، ويخلون بهن، ثم يدعون السلامة، وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة، وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة، والنظر الممنوع منه وأين الخلاص من جولان الفكر الردئ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لو خلا عظمان نخران لهمّ أحدهما بالآخر، يشير إلى الشيخ والعجوز. وبإسناد عن ابن شاهين قال: ومن الصوفية قوماً أباحوا الفروج بادعاء الأخوة فيقول أحدهم للمرأة تؤاخينى على ترك الاعتراض فيما بيننا، قلت وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم فى كتاب رياضة النفوس قال: روى لنا أن سهل بن على المروزى كان يقول لامرأة أخيه وهى معه فى الدار استترى منى زماناً ثم قال لها كونى كيف شئت قال الترمذى: وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت، أما موت الشهوة هذا لا يتصور

---

(١) **(صحيح)** - رواه مالك (٢/٩٨٢/٢) وأحمد (٣٥٧/٦) والترمذى وابن ماجه (٢٨٧٤) والحميدى (٣٤١) بلفظ:
«إنى لا أصافح النساء وإنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة» عن أميمة بنت رقية.
«كان لا يصافح النساء فى البيعة».
وحسنه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٥٣٠).

مع حياة الآدمى وإنما يضعف والإنسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهى اللمس والنظر، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه، أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام، وقد أخبرنا ابن ناصر بإسناد عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: قيل لأبى النصراباذى أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن، فقال ما دامت الأشباح قائمة فإن الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به، ولن يجترئ على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات، وقد قال أبو على الروزبارى وسئل عمن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال فقال: قد وصل ولكن إلى سقر. وبإسناد عن الجريرى يقول: سمعت أبا القاسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد: أن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال، وهذه عندى عظيمة، والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا، وأن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها لأنه أوكد فى معرفتى به وأقوى فى حالى.

وبإسناد عن أبى محمد المرتعش يقول: سمعت أبا الحسين النورى يقول: من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعى، فلا تقربنه ومن رأيته يدعى حالة باطنة، لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر، فاتهمه على دينه.

الشبهة السادسة: أن أقواماً بالغوا فى الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا أنهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصلنا، فما يضرنا شئ، ومن وصل إلى الكعبة انقطع عن السير، فتركوا الأعمال إلا أنهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية فى المعرفة والوجد والشوق، وجوابهم هو جواب الذين قبلهم.

قال ابن عقيل: اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل، وبعدوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة. فمنهم من عبد سواه تعظيما له عن العبادة، وجعلوا تلك وسائل على زعمهم، ومنهم من وحد إلا أنه أسقط العبادات وقال: هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف، وهذا نوع شرك لأن الله عز وجل لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد وجو عال،

وبعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لذعها، وقال لأهل المعرفة ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران:٢٨]. وعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضى الأنس بالأمثال ووضع الجهات والأمكنة والأبنية والحجارة للإنساك والاستقبال فأبان عن حقائق الإيمان به فقال: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ [البقرة:١٧٧]. وقال: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا ﴾ [الحج:٣٧]. فعلم أن المعول على المقاصد، ولا يكفى مجرد المعارف من غير امتثال، كما تعول عليه الملحدة الباطنية، وشطاح الصوفية.

وبإسناد عن أبى القاسم بن على بن المحسن التنوخى، عن أبيه قال: أخبرنى جماعة من أهل العلم أن بشراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق. فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال: فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات، وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمهن غيرهن. فلما فرغوا من دفنه، دخل ابن خفيف وخواص أصحابه، وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت: قد تعزيت. فقال لها ههنا غير؟! فقالت لا غير، قال: فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم، وتعذيبها بعذاب الهموم، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقى الأنوار، وتصفو الأرواح ويقع الإخلافات وتنزل البركات. قال فقلن النساء إذا شئت. قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم، فلما كان سحر خرجوا. قال المحسن: قوله ههنا غير. أى ههنا غير موافق المذهب. فقالت: لا غير ـ أى: ليس مخالف، وقوله نترك الامتزاج كناية عن الممازجة فى الوطء، وقوله: لتلتقي الأنوار، عندهم، أن فى كل جسم نوراً إلهياً. وقوله: الإخلافات أى يكون لكنّ خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن. قال المحسن: وهذا عندى عظيم ولولا أن جماعة يخبرونى يبعدون عن الكذب ما حكيته لعظمه عندى، واستبعاد مثله أن يجرى فى دار الإسلام، قال: وبلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا.

ذم ابن عقيل للصوفية وحكايته أفعالهم:

نقد مسالك الصوفية فى تأويلاتهم

فصل

ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والأقوال ما لايحل، مثل ما قد ذكرنا، ثم تشبه بهم من ليس منهم، وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا وكان الصالح منهم نادراً، ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشائخهم.

وبإسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبى قال: كنا عند مالك فذكرت له صوفيين فى بلادنا فقلت له: يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا. قال ويحك ومسلمين هم؟! قال: فضحك حتى استلقى قال: فقال لى بعض جلسائه: يا هذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعى يقول: لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتى الظهر حتى يصير أحمق. وعنه أيضاً أنه قال: مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله إليه أبداً وأنشد الشافعى:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب خرافا

وبإسناد عن حاتم قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى. قال: قال أبو سليمان: ما رأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً، عبد الله بن مرزوق. قال وأنا أرق لهم.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: مارأيت صوفياً عاقلاً إلا إدريس الخولانى. قال السلمى: هو مصرى من قدماء مشايخهم قبل ذى النون.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى: يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلاً إلا مسلم الخواص.

وبإسناد عن أحمد بن أبى الحوارى يقول: حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً يقول: مازلنا نعرف الصوفية بالحُمّاق إلا أنهم يستترون بالحديث.

وبإسناد عن سفيان عن عاصم يقول: قال لى وكيع لما تركت حديث هشام؟ قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً. فقالوا: إن لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتهم. قال: إن فيهم حمقاً.

وبإسناد عن يحيى بن يحيى قال: الخوارج أحب إلىّ من الصوفية.

وبإسناد عن يحيى بن معاذ يقول: اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس، العلماء الغافلين، والفقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

وقد ذكرنا فى أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب. أن الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ما كان يتكلم به وبيسطام على أبى يزيد وأخرجوه، وأخرجوا أبا سليمان الدارانى. وهرب من أيديهم أحمد بن أبى الحوارى وسهل التسترى. وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة، ويهجرون عليها تمسكا بالسنة، ولقد حدثنى أبو الفتح بن السامرى. قال: جلس الفقهاء فى بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات، فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذانى الفقيه متوكئاً على يدى حتى وقف بباب الرباط وقال: يعز علىّ لو رآنى بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط. قلت: على هذا كان أشياخنا.

فأما فى زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم. قال ابن عقيل: نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات فى المساجد،فلا هى مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش، وبدنوا أنفسهم بدن البهائم، للأكل والشرب والرقص والغناء، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميعاً والمشاوذ.(١)بألوان مخصوصة أوقع فى نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون بألوان الحرير.

واستمالوا النسوة والمردان(٢). بتصنع الصور واللباس، فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن، ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبى الأموال،كالعداد والأجناد وأرباب المكوس، ويستصحبون المردان فى السماعات يجلبونهم فى الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه، ويسمون

---

(١) المشوذ والمشواذ: العمامة.

(٢) جمع أمرد ــ الغلمان الذين ليس لهم لحى.

الطرب وجداً، والدعوة وقتاً، واقتسام ثياب الناس حكما، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى، يقولون أنها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق. ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادى، وعند حضور المخدة مجاب، إعتقاداً منهم أنه قربة، وهذا كفر أيضاً لأن من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً، والناس بين تحريمه وكراهيته، ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم فإن عولوا إلى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه. فحد من حل رسن ذلك الشيخ، وانحطاطه فى سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً، وفى الأفعال المعلومة كونها فى الشريعة فسقاً. فإن قبّل أمرداً قيل رحمة، وإن خلا بأجنبية قيل بنته، وقد لبست الخرقة، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير رضا مالكه قيل حكم الخرقة.

وليس لنا شيخ نسلم إليه حاله، إذ ليس لنا شيخ غير داخل فى التكليف، وأن المجانين والصبيان يضرب على أيديهم، وكذلك البهائم. والضرب بدل من الخطاب، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حاله، لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه. وقد قال: إن اعوججت فقومونى. ولم يقل فسلموا إلىّ. ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه؟ فهذا عمر يقول: **«ما بالنا نقصر وقد أمنا»**(١).. وآخر يقول: **«تنهانا عن الوصال وتواصل»**(٢) ؟ وآخر يقول: **«أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ»**(٣) ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠]. ويقول موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف:١٥٥] وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف:٥٤]. ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم

---

(١) رواه مسلم (٦٨٦) وأبو داود (١١٩٩) والترمذى (٣٠٣٤) والنسائى وابن ماجه (١٠٦٥) والدارمى (١٥٠٥) وأحمد (٢٥/١ ـ ٣٦) عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب قال تعالى ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ فقد أمن الناس قال عجبت مما عجبت منه فقال رسول الله ﷺ صدقه تصدق الله عليكم فاقبلوها.

(٢) روى البخارى (١٩٦٦) ومسلم (١١٠٣) والترمذى (٧٧٨) ومالك (٣٩/٣٠١/١) والدارمى (١٧٠٣) عن أبى هريرة مرفوعاً «إياكم والوصال مرتين قالوا فإنك تواصل قال: إنى لست مثلكم إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى».
وروى نحوه البخارى (١٩٦١) والترمذى (٧٧٨) عن أنس. ورواه البخارى (١٩٦٣) وأبو داود (٢٣٦١) وأحمد (٨/٣ ـ ٣٠ ـ ٥٧) عن أبى سعيد.

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) وأبو داود (١٩٠٥) والنسائى (١٤٣/٥ ـ ١٤٤) وابن ماجه (٣٠٧٤) والدارمى (١٨٥٠) عن جابر مطولاً.

يضره ما فعل. وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهى إليها العارف إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون فى الصغائر. فالله الله فى الإصغاء إلى هؤلاء الفُرّغ الخالين من الإثبات. وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع. ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاؤا بوضع أهل الخلاعة.

فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة. وهذا قبيح، لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق. فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشياطين. وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع. وإن سمعوا أحداً يروى حديثاً قالوا مساكين، أخذوا علمهم ميتاً عن ميت. وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت فمن قال: حدثنى أبى عن جدى قلت: حدثنى قلبى عن ربى، فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار وأنفقت عليهم لأجلها الأموال. لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة فى ثمن الدواء صعبة، والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات. وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة، لأن الفقهاء يخطرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم. والحق يثقل كما تثقل الزكاة. وما أخف البذل على المغنيات، وإعطاء الشعراء على المدائح. وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث، وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر «بشئ سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم» سموه السماع والوجد، والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام، كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة فى اللبس وطيبة فى العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع، ولذلك خفوا على القلوب، ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنات.

قال ابن عقيل: فإن قال قائل: هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق، قال فقلت لهم: لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش، والذى وصفتهم به رهبانية النصرانية، ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة، والخداع، وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان؟ فإذا لم يكن للقوم قدم فى العلم ولا طريقة فبماذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال.

واعلم أن حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة، ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين، فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهيمات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال، ويهدمون قوانين الأديان، يحبون البطالات، وسماع الأصوات وما كان السلف كذلك، بل كانوا فى باب العقائد عبيد تسليم، وفى باب الآخر أرباب جد. قال: ونصيحتى إلى إخوانى أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين، ولا تصغى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين، بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة، وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك، وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل: والمتكلمون عندى خير من الصوفية، لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه، فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات. فإذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا: أخذوا علمهم ميتاً عن ميت. فقد طعنوا فى النبوات وعولوا على الواقع. ومتى أُزرى على طريق، سقط الأخذ به. ومن قال حدثنى قلبى عن ربى فقد صرح أنه غنى عن الرسول، ومن صرح بذلك فقد كفر. فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة، ومن رأيناه يزرى على النقل علمنا أنه قد عطل أمر الشرع. وما يؤمن هذا القائل: حدثنى قلبى عن ربى أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين، فقد قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾[الأنعام:١٢١]. وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم، وعول على ما يلقى فى قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوساوس، وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطراً. قال: والخوارج على الشريعة كثير، إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين[١]. عن الشريعة حفظاً لأصلها، وبالفقهاء لمعانيها، وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع.

قال ابن عقيل: والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية، قال وأنا أقول وخراب دينه، لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الأجانب فإذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين، فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص

(١) الذابين: المدافعين.

بشخص، ومال طبع إلى طبع، وتتغير المرأة على زوجها، فإن طابت نفس الزوج سمى بالديوث[١]. وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة، والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع. ويقال: تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته. ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ، حتى قالوا هذا من مقامات الرجال، وجرت على هذه السنون، وبرد حكم الكتاب والسنة فى القلوب. هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقداً مجيداً متلمحاً فقيهاً.

أنشدنا أبو على عبيد الله الزاغونى قال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى، وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبرى قالا: أنشدنا أبو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية.

تأملت أخبار المدعين ... بين الموالي وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب ... يروقك منظره من بعيد
فناديت يا قوم من تعبدون؟ ... فكل أشار بقدر الوجود
فبعضٌ أشار إلي نفسه ... وأقسم ما فوقها من مزيد
وبعضٌ إلي خرقة رُقّعت ... وبعضٌ إلي ركوة من جلود
وآخر يعبد أهواء ... وما عابد للهوي بالرشيد
ومجتهدٌ وقته ربه ... فإن فات بات بليل عنيد
وذو كلف باستماع السماع ... بين البسط وبين النشيد
يئن إذا أومضت رنة ... ويزرأ منها زئير الأسود
يخرق خلقاته عامداً ... ليعتاض[٢] منها بثوب جديد
ويرمي بهيكله في السعير ... لقلع الثريد بولع العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان إخواننا ذا المزيد
يخبطهم بفنون الجنون ... وما للمجانين غير القيود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال ... وما عرفوه بغير الجحود

---

(١) الديوث هو الذى لا يغار على عرضه كما ورد فى الحديث الصحيح: لا يدخل الجنة ديوث.
(٢) ليعتاض ـ أى يستبدل.

ولـولا الوفــاء لأهـل الـوفــاء سلقـتـهـم بلســان حـديد
فـمـا بالـي يطالبني بـالوصـال من لـيس يعـلم مـا في الصـدور
أضـن بودي ويسـخـو بـه وقـد كنت أسـخـو به لـلودود
ولكـن إذا لم أجـد صـبـاحـاً يسـر صـديقي ويشـجـو الحـسـود
عـطـفـت بـودي منـي إليـه فـغـاب نحـوسي وآب السـعـود
فـمـا بال قـومي عـلي جـهـلهم بعـز الفـريـد وأنس الوحـيـد
إذا أبصـرونـي بكوا رحـمـة ونيـران أحـقـادهم في وقـود
لأنـي بـعـدت عـن المدّعـين ولو صـدقـوا كنت غيـر البعـيـد

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، نا أبا الحسين بن عبد الجبار الصيرفى، نا أبو عبد الله محمد بن على الصورى، قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبى قال أنشدنا الحسن بن على بن سيار :

رأيت قـومـاً عليـهـم سـمـة الخـيـر بحـمل الركـاء مُبـتـهلة
اعـتـزلوا الناس في جـوامـعـهم سـألت عنهم فـقـيل مُـتكلَة
صـوفـيـة للقـضـاء صـابرة سـاكنةٌ تحت حكمـة بزلـة
فـقلـت إذ ذاك هؤلاء هـم النـاس ومـن دون هـؤلاء رزلـة
فـلم أزل خـادمـاً لهـم زمنـاً حـتي تبـينتُ أنـهم سـفـلة
إن أكلـوا كـان أكلـهم سـرفـاً أو لبـسـوا كـان شـهـرة مُـثلة
سل شـيـخـهم والكـبيـر محـتـبراً عن فـرضـه لا تخـاله عـقـلة
واسـأل عن وصـف شـادن [1] غنج مـدلل لا تـراه قـد جـهـلة
علمـهم بينـهم إذا جـلسـوا كـعـلم راعي الرعـاع والـرذلة
والوهـم والحـال والحـقـيـقـة والبـرهان والعكس عـندهم مُـثلة
قـد لبسـوا الصـوف كي يرَوا صلحاً وهم شـرار الذبـاب والحـفـلة
وجـانبـوا الكسـب والمعـاش لكي يسـتـأصلوا النـاس شـرها أكـلة

---

(١) الغزال القوى.

وليس من عــفــة ولا دعــة — لكن تعـجـيل راحــة العطلة
فـقل لمن مـال باخـتـداعـهم — إلـيـهم تب فـإنهم بطلة
واسـتـغـفـر الله من كـلامـهم — ولا تعـاود لـعِـشْـرَةِ الجـهـلة

قال الصورى وأنشدى بعض شيوخنا :

أهل التـصـوف قـد مـضـوا — صـار التـصـوف مـخـرقـة
صـار التـصـوف صـيـحـة — وتـواجـده ومطـبـقـة
كـذبتك نـفـسـك ليس ذا — سنن الطريق الملحـقـة
حـتي تكـون بـعين من — منه العـيـود المحـدقـة
تجـري عـليك صـروفـه — وهـمـوم سـرك مـطـرقـة

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزى لأبى العلاء المعرى:

زعـمـوا بأنهم صـفـوا لمليكهم — كـذبوك مـا صـافـوا ولكن صـافـوا
شـجـر الخـلاف قلـوبهم ويح لهـا — غـرضي خلاف الحق لا الصـفصـاف

أنشدنا ابن ناصر أبو بكز قال أنشدنا أبو إسحاق الشيرازى الفقيه لبعضهم:

أري جـيل التـصـوف شـر جـيل — فـقل لـهـم وأهـون بالحـلـول
أقـال الله حـين عـشـقـمـوه — كلوا أكـل البـهـائم وارقـصـو لي

الباب الحادي عشر

في ذكر تلبيس إبليس

على المتدينين بما يشبه الكرامات

قد بينا فيما تقدم أن إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه، وكلما كثر العلم قل تمكنه منه، ومن العباد من يرى ضوءاً أو نوراً في السماء فإن كان رمضان قال: رأيت ليلة القدر، وإن كان في غيره قال قد فتحت لي أبواب السماء. وقد يتفق له الشئ الذى يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان إتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس. والعاقل لا يساكن شيئاً من هذا ولوكان كرامة.

وقد ذكرنا فى «باب الزهاد» عن مالك بن دينار، وحبيب العجمى، أنهما قالا: إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز، ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى قال: ثنا محمد بن المبارك، ثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن حسان قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبى الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ فى التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال: فكتب إلى أبيه يا أبتاه أعجل علىّ فإنى قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال: فزاده أبوه غياً وكتب إليه. يا بنى أقبل على ما أمرت به إن اللهّ يقول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[الشعراء:٢٢٢] ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به وكان يجيئ إلى أهل المساجد رجلا رجلا، فيذكر له أمره، ويأخذ عليهم العهود والمواثيق إن هو رأى رضى قبل وإلا كتم عليه: وكان يريهم الأعاجيب كان يأتى إلى رخامة فى المسجد فينقرها بيده فتسبح. وكان يطعمهم فاكهة الصيف فى الشتاء ويقول: أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجالا على خيل، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم بن مخيمرة فقال له إنى نبى فقال له القاسم كذبت يا عدو اللّه فقال له أبو إدريس: بئس ما صنعت، إذ لم

تلن له حتى تأخذه، الآن يفر، وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره. فبعث عبد الملك فى طلبه فلم يقدر عليه. وخرج عبد الملك حتى نزل العنيبرة فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه، وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى، وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه، وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ فى التحميد وأخبره بأمره وأنه نبى مبعوث مرسل. فقال: إن كلامك لحسن ولكن لى فى هذا نظر. قال فانظر. فخرج البصرى ثم عاد إليه، فرد عليه كلامه، فقال إن كلامك لحسن وقد وقع فى قلبى وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم. فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد الدخول فأقبل البصرى يتردد إليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به. ثم قال له: أتأذن لى فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك بها. قال: فأذن له فخرج مسرعاً إلى عبد الملك وهو بالصنيبرة فلما دنا من سرادقه صاح النصيحة النصيحة. فقال أهل العسكر: وما نصيحتك؟ قال نصيحة لأمير المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال: وما نصيحتك؟ قال: أخلنى، لا يكن عندك أحد، فأخرج من فى البيت، وقال له ادننى قال: ادن فدنا، وعبد الملك على السرير قال: ما عندك؟ قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو؟ قال: يا أمير المؤمنين ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه، وقص عليه قصته وكيف صنع به؟ فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا فمرنى بما شئت. قال: يا أمير المؤمنين ابعث معى قوماً لا يفهمون الكلام فأمر بأربعين رجلا من فرغانة فقال: انطلقوا مع هذا فما أمركم به من شئ فأطيعوه، قال: وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلاناً هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به. فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال مرنى بما شئت. فقال: اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وأدفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فإذا قلت. أسرجوا أسرجوا جميعاً فرتبهم فى أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب أستأذن لى على نبى الله قال فى هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح. قال أعلمه أنى ما رجعت إلا شوقاً إليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب. قال: ثم صاح البصرى أسرجوا الشموع فأسرجت حتى كانت كأنها

النهار ثم قال من مر بكم فاضبطوه كائناً من كان. دخل هو إلى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث هيهات تريدون تقتلون نبى الله قد رفع إلى السماء ـ قال فطلبه فى شق قد هيأه سرباً فأدخل البصرى يده فى ذلك السرب فإذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه فبينما هم يسيرون به على البريد إذ قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله. فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك أنت، وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون: الأنبياء لا يجوز فيهم السلاح. فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى إليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله. قال الوليد: بلغنى أن خالد ابن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال لو حضرتك ما أمرتك بقتله. قال ولم، قال إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه.

وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال لما حمل الحارث على البريد وجعلت فى عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ:٥٠] فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله، ويعلموه أن هذا من الشيطان، فأبى أن يقبل منهم فصلب. وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت فتكلم الناس وقالوا ما ينبغى لمثل هذا أن يقتل، ثم أتاه حرسه برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه. وسمعت من قال: قال عبد الملك للذى ضربه بالحربة لما انثنت أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه، فذكر الله ثم طعنه فأنفذها .

المفترين بمـا يشبه الكرامـات

فصـــل

وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات

فقـد روينا بإسناد عن حسن عن أبى عمـران قال: قال لى فرقد: يا أبا عمـران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتى، وهى ستة دراهم، وقد أهل الهلال وليست عندى فدعوت، فبينما أنا أمشى على شط الفرات إذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فإذا هى ستة لا تزيد ولا تنقص. فقال: تصدق بها فإنها ليست لك. قلت: أبو عمران هو إبراهيم النخعى فقيه أهل الكوفة. فانظروا إلى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم. وكيف أخبره إنها لقطة ولم يلتفت إلى ما يشبه الكرامة. وإنما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار. وكأنه إنما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها.

وبإسناد عن إبراهيم الخراسانى أنه قال احتجت يوماً إلى الوضوء فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت. قلت: فى هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فإن صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولكن قل علمه فاستعمله.(١)

وإن ظن أنه كرامة، والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعاً إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان. وذكر محمد بن أبى الفضل الهمدانى المؤرخ قال حدثنى أبى، قال: كان السرمقانى المقرى يقرأ على ابن العلاف وكان يأوى إلى المسجد بدرب الزعفرانى، واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم فى وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه، وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم إلى غلام بالقرب إلى المسجد الذى يأتى إليه السرمقانى أن يعمل لبابه مفتاحاً، من غير أن يعلمه، ففعل وتقدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكراً ففعل الغلام ذلك، وكان يحمله على الدوام.

(١) قلت: وأين هذا السواك الذى من فضة.

فأتى السرمقانى فى أول يوم فرأى ذلك مطروحاً فى القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب. وقال فى نفسه: هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لا أتحدث به فإن من شرط الكرامة كتمانها وأنشدني:

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا

فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه. فأخذ يوارى ولا يصرح، ويكنى ولا يفصح. ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذى يجده فى المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه. فقال له ابن العلاف: يجب أن تدعو لابن المسلمة فإنه هو الذى فعل ذلك. فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار.

تحذير العقلاء بما يشبه الكرامات

فصل

ولما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس، حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبيسه.

روينا بإسناد عن أبى الطيب يقول: سمعت زهرون يقول: كلمنى الطير وذاك أنى كنت في البادية فتهت، فرأيت طائراً أبيض فقال لى يا زهرون أنت تائه. فقلت: يا شيطان غرغيرى. فقال لى: أنت تائه. فقلت: يا شيطان غر غيرى. فوثب فى الثالثة وصار على كتفى. وقال: ما أنا بشيطان أنت تائه أُرسلت إليك ثم غاب عنى.

وبإسناد عن محمد بن عبد الله القرشى، قال حدثنى محمد بن يحيى بن عمرو قال حدثتنى زلفى قالت: قلت لرابعة العدوية يا عمة لم لا تأذنين للناس يدخلون عليك قالت: وما أرجو من الناس إن أتونى حكوا عنى ما لم أفعل. قال القرشى: وزادنى غير أبى حاتم. أنها قالت: يبلغنى أنهم يقولون إنى أجد الدراهم تحت مصلاى، ويطبخ لى القدر بغير نار. ولو رأيت مثل هذا فزعت منه. قالت: فقلت لها: إن الناس يكثرون فيك القول. يقولون: إن رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب. فهل تجدين شيئاً فيه. قالت: يا ابنة أخى لو وجدت فى منزلى شيئاً ما مسسته ولا وضعت يدى عليه. قال القرشى:

وحدثنى محمد بن إدريس قال: قال محمد بن عمرو وحدثنى زلفى عن رابعة إنها أصبحت يوماً صائمة فى يوم بارد، قالت فنازعتنى نفسى إلى شئ من الطعام السخن أفطر عليه، وكان عندى شحم فقلت: لو كان عندى بصل أو كراث عالجته فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب فى منقاره بصلة. فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان.

وبالإسناد عن محمد بن يزيد. قال كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه. وقال: قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان.

وبالإسناد عن أبى عثمان النيسابورى يقول: خرجنا جماعة مع أستاذنا أبى حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور فجلسنا فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأيل[1] قد نزل من الجبل حتى برك بين يدى الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديداً. فلما سكن سألناه فقلت يا أستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا، فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك. فقال: نعم رأيت اجتماعكم حولى وقد طابت قلوبكم فوقع فى قلبى لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها. فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدى فخيل لى أنى مثل فرعون الذى سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه. قلت فما يؤمننى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حظ لى فى الدنيا وأبقى فى الآخرة فقيراً لا شئ لى. فهذا الذى أزعجنى.

الحكايات الموضوعة فى الكرامات

وقد لبس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات فى كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم، والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل، فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل.

أخبرنا محمد بن ناصر، أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال نا محمد بن محمد الحافظ قال نا عبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد بن عبد الله بن الحسن الآدمى قال حدثنى أبى قال: قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل: كذا فى الرواية والصواب قال عمرو بن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا من الأولياء فى

(١) الأيل: التيس الجبلى.

طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد فى أصل جبل، وإذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة. وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل. فأقام فى المسجد إلى المغرب فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلاً عليهم المُسوح وفى أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذنّ أحدهم وأقام الصلاة، وتقدم فصلى بهم. فلما فرغ من صلاته تقدم إلى الشجرة، فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف. قال وبت على فاقتى، فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت يا قوم أنا أخوكم فى الإسلام. وبى فاقة شديدة فلا كلمتمونى، ولا واسيتمونى فقال رئيسهم إنا لا نكلم محجوباً بما معه، فامض واطرح ما معك وراء هذا الجبل فى الوادى، وارجع إلينا حتى تنال ما نال، قال فرقيت الجبل فلم تسمح نفسى برمى ما معى، فدفنته ورجعت. فقال لى: رميت ما معك. قلت نعم قال: فرأيت شيئاً قلت: لا، قال ما رميت شيئاً إذن فارجع فارم به فى الوادى فرجعت ففعلت. فإذا قد غشينى مثل الدرع نور الولاية، فرجعت فإذا فى الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش، ولم ألبث دون المضى إلى مكة فإذا أنا بالأربعين بين زمزم والمقام فأقبلوا إلىّ بأجمعهم يسألونى عن حالى ويسلمون علىّ. فقلت: قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخراً كما أغناكم الله عن كلامى أولا فما فىّ لغير الله موضع.

قال المصنف رحمه الله: عمرو بن واصل ضعفه ابن أبى حاتم. والآدمى وأبوه مجهولان. ويدل على أنها حكاية موضوعة قولهم اطرح ما معك لأن الأولياء لا يخالفون الشرع، والشرع قد نهى عن إضاعة المال. وقوله غشينى نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها الجهال الذين لا بصيرة لهم.

أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكى قال: سمعت محمد بن على الواعظ. قال: وفيما أفادنى بعض الصوفية حاكياً عن الجنيد قال: قال: أبو موسى الديبلى، دخلت إلى أبى يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لى تعالى ثم قال إن رجلا سألنى عن الحياء فتكلمت عليه بشئ من علم الحياء، فدار دوراناً حتى صار كذا كما ترى، وذاب، قال الجنيد: وقال أحمد بن حضرويه، بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصاً فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم

يبق منه شيء، قلت: وهذه من النحالة القبيحة التى وضعوها الجهال، ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنوها شيئاً لكان الإضراب عن ذكرها أولى.

أنبأنا أبو بكر بن حبيب، قال نا ابن أبى صادق، قال ثنا ابن باكويه، قال ثنا أبو حنيفة البغدادى، قال ثنا عبد العزيز البغدادى،قال كنت أنظر فى حكايات الصوفية فصعدت يوماً السطح فسمعت قائلا يقول: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[الأعراف:١٩٦] فالتفت فلم أر شيئاً فطرحت نفسى من السطح فوقفت فى الهواء.

قال المصنف رحمه الله:هذا كذب محال، لا يشك فيه عاقل، فلو قدرنا صحته فإن طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى عنه فقد قال تعالى: ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[البقرة:١٩٥]. فكيف يكون صالحاً وهو يخالف ربه؟! وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم، وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه للشيطان لما قال له الق نفسك. قال إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه.

مسالك الصوفية فى الشطح والدعاوى: مخاريق الحلاج وابن الشباس

وقد اندس فى الصوفية أقوام، وتشبهوا بهم، وشطحوا فى الكرامات، وادعائها، وأظهروا للعوام مخاريق، صادوا بها قلوبهم، وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئاً من الخبز والشواء والحلوى فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فإذا أصبح قال لأصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشى والناس معه فإذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك نشتهى الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوى عنهم إلى ذلك المكان فيصلى ركعتين ويأتيهم بذلك. وكان يمد يده إلى الهواء ويطرح الذهب فى أيدى الناس ويمخرق. وقد قال له بعض الحاضرين يوماً هذه الدراهم معروفة ولكن أؤمن بك إذا أعطيتنى درهماً عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق إلى وقت صلبه (١).

---

(١)أى مات مصلوباً لقبح فعله وفساد عقيدته.

حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت، نا عبد الله بن أحمد بن عمار الصيرفى، ثنا أبو عمرو بن حيوة. قال: لما أخرج حسين الحلاج للقتل مضيت فى جملة الناس فلم أزل أزاحم حتى رأيته فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا فإنى عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً. وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحاً. وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئاً من اعتقاده وتخليطه وبينا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره. وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق، ويقعد فى التنور و يظهر أن هذا كرامة.

قال ابن عقيل: وكان ابن الشباس و أبوه قبله لهم طيور سوابق، وأصدقاء فى جميع البلاد، فينزل بهم قوم فيرفع طائراً فى الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستعمله من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك إليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم، ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك، فيقول الساعة تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال، ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعى على أنه يعلم الغيب. قال: وما كان يفعله أنه يأخذ طير عصفور ويشد فى رجله تلفكا، ويجعل فى التلفك بطاقة صغيرة ويشد فى رجل حمامة تلفكا ويشد فى طرف التلفك كتاباً أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلاماً له فى السطح والحمامة بيد آخر، فيه ما فى تلك البطاقة الصغيرة، ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر فى الهواء فيروح الحمام إلى تلك القرية فيأخذه صديقه الذى هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادى يا بارش، كأنه يخاطب شيطاناً اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد فى إصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذى فى يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عياناً من غير أن يرون التلفك فإذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبر ما فى القرية التى هؤلاء منها، ثم يكتب كتاباً إلى دهقان تلك القرية، فيشد به تلفكا ويجعله فى رجل عصفور كما قدمنا، ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده فى رجل طير حمام

فيروح إلى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجئ ذلك فيخبرهم فلا يشكون فى ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا فى قلوب العوام.

قال ابن عقيل: وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم إلى التلاعب بالدين فأى بقاء للشريعة مع هذا الحال. قلت: وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى أبا الحسن واسم الشباس على بن الحسين بن محمد البغدادى توفى بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة.

وكانت مذاهبهم تخفى على الناس، إلا أن الأغلب أنهم كانوا من الشيعة الإمامية والغلاة الباطنية، وقد ذكرت فى التاريخ عن ابن الشباس أن بعض أصحابه اكتشفت له نار بخيانته وزخارفه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها بعض أصحابه من الشيعة الإمامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث به عنه أنه قال: حضرنا يوماً عنده فأخرج جدياً مشوياً فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقاً ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جدياً حياً يرعى حشيشاً ولم نر للنار أثراً ولا للرماد ولا للعظام خبراً.

قال فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضى إلى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب فإذا أراد إزالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده وينفتح السرداب وإذ أراد أن يظهر النار أعاد الطبق إلى فم السرداب فترى للناس.

قال المصنف رحمه الله: وقد رأينا فى زماننا من يشير إلى الملائكة ويقول: هؤلاء ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم تقدموا إلى وأخذ رجل فى زمامنا إبريقاً جديداً فترك فيه عسلا فتشرب فى الخزف طعم العسل واستصحب الإبريق فى سفره فكان إذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل وما فى هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف فى الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان.

الباب الثاني عشر
في ذكر تلبيس إبليس
على العوام

قد بينا أن إبليس إنما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل، وقد أفتن فيما فتن به العوام وحضر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته وإنما نذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق، فمن ذلك أنه يأتي إلى العامى فيحمله على التفكر فى ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك.

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله»[1]. قال أبو هريرة: فوالله إنى لجالس يوماً إذ قال لى رجل من أهل العراق هذا الله خلقنا فمن خلق الله. قال أبو هريرة: فجعلت أصبعى فى أذنى ثم صحت ـ صدق رسول الله ـ الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.[2]

وبإسناد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول: من خلقك، فيقول: الله، فيقول من خلق السموات والأرض، فيقول الله: فيقول من خلق الله؟ فاذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله».[3]

قال المصنف رحمه الله: وإنما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه ما رأى شيئاً إلا مفعولا. وليقل لهذا العامى ألست تعلم أنه خلق الزمان لا فى الزمان، والمكان لا فى المكان فإذا كانت هذه الأرض وما فيها، لا فى مكان ولا تحتها شئ وحسك ينفر من هذا لأنه ما ألفَ شيئاً إلا فى مكانٍ فلا يُطلب بالحس من لا يُعرف بالحس. وشاور

---

(١)، (٣) رواه أحمد (٦ / ٢٥٨) وابن السنى (٢٠١) عن عائشة وهو صحيح بشواهده راجع «الصحيحة» (١١٦) وأصل الحديث فى «الصحيحين» نحوه من رواية أبى هريرة. وعن أنس بلفظ «لن يبرح الناس حتى..» الحديث رواه البخارى (٧٢٩٦).

(٢) قول أبى هريرة: صدق رسول الله ـ فذكره. جزء من حديث رواه أبو داود (٤٧٣٢) وابن السنى (٦٢١) وصححه الألبانى برقم (١١٨). وقوله «فوالله إنى لجالس ...» رواه أحمد (٢ / ٣٨٧) وفى إسناده عمر بن أبى سلمة وهو ضعيف لكن الحديث السابق يشهد له.

عقلك فإنه سليم المشاورة. وتارة يلبس إبليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه. وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقاتل فى أمر لا يعرف حقيقته.

فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضى الله عنه. ومنهم من يخص علياً. وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى فى هذا بين أهل الكوخ وأهل باب البصرة على مر السنين من القتل وإحراق المحال ما يطول ذكره وترى كثيراً ممن يخاصم فى هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلى بريئان منهم. وقد يحس العامى فى نفسه نوع فهم فيسول له إبليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب؟ ومنهم من يقول لمَ ضَيَّقَ رزق المتقى وأوسع على العاصى. ومنهم طائفة تشكر على النعم فإذا جاء البلاء اعترض وكفر. ومنهم من يقول أى حكمة فى هدم هذه الأجساد يعذبها بالفناء بعد بنائها. ومنهم من يستبعد البعث. ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده أو يبتلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى. وربما غلب فاجر نصرانى مؤمناً فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب. ولماذا نصلى إذا كان الأمر كذلك؟! وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم أن الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض.

تلبيسه عليهم فى التفكير
فى ذات الله تعالى من حيث هى
فصل

ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء، فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم. وقد كان ابن عقيل يقول: قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها علىّ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك فى علمك ليس هذا من شغلك هذا، وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته، والذى أنا فيه من الأمور أمر عقلى فإذا أفتيته لم يقبل.

مخالفتهم العلماء وتقديمهم المتزهدين على العلماء

فصـــل

ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه، خصوصاً إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولون، أين هذا من فلان العالم؟ ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد، لا يأكل عنبة ولا رطبة ولا يتزوج قط، جهلاً منهم بفضل العلم على الزاهد، و إيثاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفى السبايا، ويأكل لحم الدجاج، ويحب الحلوى والعسل، لم يعظم فى صدورهم.

تلبيسه عليهم فى قدحهم العلماء

فصـــل

ومن تلبيسه عليهم قدحهم العلماء بتناول المباحات، وذلك من أقبح الجهل. وأكثر ميلهم إلى الغرباء، فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته، فيميلون إلى الغريب ولعله من الباطنية. وإنما ينبغي تسليم النفوس إلى من خبرت معرفته قال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[النساء:٦] ومنّ الله سبحانه في إرسال محمد ﷺ إلى الخلق بأنهم يعرفون حاله فقال عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[آل عمران:١٦٤] وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾[الأنعام:٣٠]

تعظيم المتزهدين

فصـــل

وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبول دعاويهم وإن خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها. فترى المتنمس يقول للعامي: أنت فعلت بالأمس كذا وسيجرى عليك كذا فيصدقه. و يقول: هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر. ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أموراً لا تحل، كمؤاخاة النساء، والخلوة بهن، ولا ينكرون ذلك تسليماً لهم أحوالهم .

إطلاق النفس في المعاصي

فصل

ومن تلبيسه على العوام إطلاقهم أنفسهم في المعاصي، فإذا وبخوا، تكلموا كلام الزنادقة. فمنهم من يقول: لا أترك نقداً لنسيئة[١] ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم، وإنما يخير بين النقد والنسيئة المباحين، فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل، فإذا عوتب قال: الشهوة نقد والعافية نسيئة. ثم لو عملوا حقيقة الإيمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف. ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير. ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا إذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم في العذاب الذي هو الخسران المبين الذي لا يتلافى. ومنهم من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء، وهذا الذي أهلك عامة المذنبين. قال أبو عمرو بن العلاء: بلغني أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدراً فقال له: لما تقذف المحصنات. فقال: أخبروني لو أذنبت إلى ولديَّ ما أذنبته إلى ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفاني في تنور مملوءاً جمراً. قالوا لا، إنما كانا يرحمانك. قال: فأني أوثق برحمة ربي منهما. قلت: وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم .

وبإسناد عن عباد قال الأصمعي: كنت مع أبي نواس بمكة فإذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الأسود. فقال لي أبو نواس. والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود. فقلت: ويلك اتق الله عز وجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال: ما منه بد. ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر أبو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا أنظر فقلت ويلك أفي حرم الله عز وجل، فقال دع ذا عنك فإن ربي رحيم ثم أنشد يقول:

وعاشقان التف خداهما ... عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما ... كأنما كانا على موعد

---

(١) النسيئة، وعد الآخرة، والنقد، وعد الدنيا أو نعيمها.

قلت: انظروا إلى هذه الجرأة التى نظر فيها إلى الرحمة ونسى شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة. وقد ذكرنا فى أول الكتاب هذا أن رجلاً زنى بامرأة فى الكعبة فمسخا حجرين.

ولقد دخلوا على أبى نواس فى مرض موته، فقالوا له تب إلى اللّه عز وجل: فقال إياى تخوفون: حدثنى حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لكل نبى شفاعة وإنى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (١) أفترى لا أكون أنا منهم .

قال المصنف رحمه اللّه: وخطأ هذا الرجل من وجهين.

أحدهما: أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب.

والثانى: أنه نسى أن الرحمة إنما تكون لتائب كما قال عز وجل: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾[طه:٨٣]. وقال: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[الأعراف:١٥٦] وهذا التلبيس هو الذى هلك عامة العوام وقد كشفناه فى ذكر أهل الإباحة.

فصــــل

ومن العوام من يقول: هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود، فلان يفعل كذا، وفلان يفعل كذا، فأمرى أنا قريب، وكشف هذا التلبيس، أن الجاهل والعالم فى باب التكليف سواء، فغلبة الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل. وبعضهم يقول: ما قدر ذنبى حتى أعاقب؟ ومن أنا حتى أؤاخذ؟ وذنبى لا يضره وطاعتى لا تنفعه، وعفوه أعظم من جرمى كما قال قائلهم:

---

(١) فى الحديث خلط، فقد وقع فى حديثين
الأول: «لكل نبى شفاعة وإنى ...» رواه البخارى ومسلم وأحمد (٢ / ٤٣٠) عن أبى هريرة بلفظ: «لكل نبى دعوة دعا بها فى أمته، فاستجيب له وإنى أريد إن شاء الله ادّخر دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة».
وعندهم أيضاً بلفظ: «لكل نبى دعوة قد دعا بها فى أمته وإنى خبأتِ دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة».
ومن افراد مسلم له «وإنى خبأت شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً» أما قوله «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» فقد رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان عن جابر. والطبرانى عن ابن عباس والخطيب عن ابن عمر وكعب بن عجزة. وأحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان عن أنس وراجع «صحيح الجامع» (٣٧١٤).

من أنا عند الله حتى إذا أذنبت لا يغفر لى ذنبى

وهذه حماقة عظيمة، كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضداً أو نداً. ثم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا فى مقام معاند، وسمع، ابن عقيل رحمه الله رجلا يقول: من أنا حتى يعاقبنى الله؟ فقال له: أنت الذى لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس﴾ خطاباً لك. ومنهم من يقول: سأتوب وأصلح، وكم من ساكن الأمل من أبله، فاختطفه الموت قبله، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب. وربما لم تتهيأ التوبة، وربما لم تصح، وربما لم تقبل، ثم لو قبلت بقى الحياء من الجناية أبداً. فمرارة خاطر المعصية حتى تذهب، أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل. ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلج عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه. وبإسناد عن الحسن أنه قال: إذا نظر إليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فنعاك، وإذا رآك مداوماً على طاعة الله ملك ورفضك، وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

الغرور بالنسب

فصل

ومن تلبيسه عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول: أنا من أولاد أبو بكر. وهذا يقول: أنا من أولاد على. وهذا يقول: أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين أو يقول: أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين.

أحدهما:أن يقولون: من أحب إنساناً أحب أولاده وأهله.

و الثانى:أن هؤلاء : لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم، وكلا الأمرين غلط، أما المحبة فليس محبة الله عز وجل كمحبة الآدمين، وإنما يحب من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بآبائهم، ولو كانت محبة الأب تسرى لسرى إلى البعض أيضاً. وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨] ولما أراد نوح حمل ابنه فى السفينة قيل له ﴿إنه ليس من أهلك﴾ ولم يشفع إبراهيم فى أبيه ولا نبينا فى أمه وقد قال ﷺ لفاطمة رضى الله

عنها: «لا أغنى عنك من الله شيئاً»[١] ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه.

إعتمادهم على خُلة خير ولا يبالى بما فعل بعدها

فصل

ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير، ولا يبالى بما فعل بعدها. فمنهم من يقول: أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير، ثم لا يتحاشى عن المعاصى. وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض، والكف عن المعاصى فرض آخر، فلا يكفى أحدهما عن صاحبه. وكذلك تقول الروافض: نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت، وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى. ومنهم من يقول أنا ألازم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عنى، وجوابه كجواب الاول .

تلبيسه على العيارين فى أخذ أموال الناس

فصل

ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين فى أخذ أموال الناس فإنهم يسمون بالفتيان ويقولون: الفتى لا يزنى، ولا يكذب، ويحفظ الحرم، ولا يهتك ستر امرأة، ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس وينسون تقَلّى الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة.

وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب، و يجعلون إلباس السراويل للداخل فى مذهبهم كإلباس الصوفية للمريد المرقعة، وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة وزر لا تصح، ولاربما كانت من محرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة. وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب.

---

[١] رواه البخارى (٢٧٥٣ ، ٣٥٢٧ ، ٤٧٧١) ومسلم (٢٠٦) والترمذى (٣١٨٤ ـ ٣١٨٥) وأحمد (٢ / ٣٣٣ ، ٣٥٠ ، ٣٩٩).

وبإسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول: كنت كثيراً أسمع والدى أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم؟ فقال أبو الهيثم الحداد: لما مددت يدى إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى: تعرفنى قلت لا، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب فى ديون أمير المؤمنين أنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين، قلت: أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد، وكان يضرب المثل بصبره.

وقال له المتوكلَ ما بلغ من جلدك، قال املأ لى جرابى عقارب، ثم أدخل يدى فيه، وإنه ليؤلمنى ما يؤلمك، وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط، ولو وضعت فى فمى خرقة وأنا أضرب لا حترقت من حرارة ما يخرج من جوفى، ولكننى وطنت نفسى على الصبر، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل. فقال أحب الرياسة. فقال المتوكل نحن خليديه. وقال الفتح أنا خليدى. وقال رجل لخالد يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب. فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم، وقال داود بن على: لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه فمضيت إليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم إليتيه من الضرب، وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون: ضرب فلان. وفعل بفلان كذا. فقال لهم: لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم .

قال المصنف رحمه الله: فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر؟ ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر، والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم.

الاعتماد على النافلة وإضاعة الفريضة

فصـــل

ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض. مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموماً سابق الإمام. ومنهم من لا يحضر فى أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب.(١) ومنهم من يتعبد ويبكى وهو مصر على الفواحش لا يتركها. فإن قيل له قال: سيئة وحسنة والله غفور رحيم، وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح ورأيت رجلاً منهم قد حفظ القرآن وتزهد، ثم حب نفسه، و هذا من أفحش الفواحش.

حضـور مجـالس الذكـر

فصـــل

وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك، ظناً منهم أن المقصود إنما هو العمل، وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة فى الحجة عليه. وإنى لأعرف خلقاً يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة فى الربا والغش فى البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه ما يلابس من الذنوب.

وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنهم. وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم. وأقام قوماً منهم للتفرج فيما يسمعون وأهملوا العمل به.

---

(١) لقد رأيت منهم من لا يصلى وعند كسوف الشمس صلوا، وربما أكثرهم لا يحافظون على الصلاة، وعند دخول رمضان يزاحمون الناس فى المساجد!

أصحـاب الأمـوال

فصـــل

وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه .

أحدها: من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا في أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى إن جمهور معاملاتهم خارجة عن الإجماع وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام ».[١]

و الثاني: من جهة البخل بها، فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلا إتكالاً على العفو. ومنهم من يخرج بعضا ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه. ومنهم من يحتال لإسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحول ثم يسترده. ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوباً يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوي دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص.

ومنهم من يخرج الردئ مكان الجيد، ومنهم من يعطي الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهي على الحقيقة أجره، ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغي فيقول له إبليس ما بقي عليك، فيمنعه أن يتنفل بصدقة حباً للمال فيفوته أجر المتصدقين، ويكون المال رزق غيره .

وبإسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال: أول ما ضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينه وسرته وقال بك أطغى وبك أكفر. رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدني. وعن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريدة فإذا أعياه اضطجع في ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئاً.

و الثالث: من حيث التكثير بالأموال فإن الغني يرى نفسه خيراً من الفقير، وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها، كما قال الشاعر:

---

[١] رواه البخاري (٢٠٨٣) والنسائي (٢٤/٧) والبغوي (٢٠٣٣) وأحمد (٢/٤٣٥، ٤٥٢، ٥٠٥).

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الأنفس وليس الفضل فى الحال

والرابع: فى إنفاقها فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف، تارة فى البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان، وزخرفة البيوت، وعمل الصور. وتارة فى اللبس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء، وتارة فى المطاعم الخارجة إلى السرف. وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسؤول عن جميع ذلك.

وبإسناد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ياابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل حتى تسأل عن أربع، عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقته» (١).

ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على ما بنى ولو كان عمله لله عز وجل لأكتفى بعلمه سبحانه وتعالى، ولو كلف أن يبنى حائطاً من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل.

ومن هذا الجنس إخراجهم الشمع فى رمضان فى الأنوار طلباً للسمعة، ومساجدهم طوال السنة مظلمة لأن إخراجهم قليلا من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى إخراج شمعة فى رمضان، ولقد كان إغناء الفقراء بثمن الشمع أولى، ولربما خرجت الأضواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير أن الرياء يعمل عمله. وقد كان أحمد بن حنبل يخرج إلى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى.

ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير.

---

(١) رواه أبو نعيم (٧٣/٨) والخطيب (٤٤/٨) من طريق الحسين بن داود ثنا شقيق بن إبراهيم ثنا أبو هاشم الأيلي عن أنس. قال الخطيب : الحسين بن داود غير ثقه فإنه روى نسخةً عن يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أكثرها موضوع . وذكره الذهبى فى «الميزان» (١ / ٥٣٤) وذكر الحديث المذكور . والحديث أخرجه الترمذى (٢٤١٧) وأبو يعلى (٢٥٤/٢) والطبرانى فى «الكبير» (١/٤٨/١) والصغير (٦٤٨) وابن عدى (٣٥٣/٢) والخطيب (٤٤٠/١٢) عن ابن مسعود بلفظ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم». وله شاهد من حديث أبى برزة. رواه الدارمى وأبو يعلى وأبو نعيم. والحديث صححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٩٤٦) و«صحيح الجامع» (٧٢٩٩ ـ ٧٣٠٠).

وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف، فيكون فى الدينار قيراطان، ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلاناً ديناراً وبالعكس من هذا، كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير ديناراً ثقيلاً يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير فى سر فإذا رأى قرطاساً صغيراً ظنه قطعة فإذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فإذا فتحه ظنه قليل الوزن فإذا رآه ثقيلاً ظنه يقارب الدينار فإذا وزنه فرآه زائداً على الدينار اشتد فرحه، فالثواب يتضاعف للمعطى عند كل مرتبة.

ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وبإسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة»(١).

ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا أن يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى. وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الصدقة. على ذى الرحم الكاشح» (٢).

قال المصنف رحمه الله: وإنما قبلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فإن من تصدق على ذى قرابة بحبه فقد اتفق على هواه. ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة.

---

(١) **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٤ / ١٧ ـ ٢١٤) والترمذى (٦٥٨) والنسائى (٥ / ٩٢) وابن ماجه (١٨٤٤) والدارمى (١٦٨٠، ١٦٨٧) وابن خزيمة (٢٣٨٥) وابن أبى شيبة (٣ / ١١٠) والطبرانى فى «الكبير» (٦ / ٣٣٨ ـ ٣٣٩ / ٦٢١٠، ٦٢١١، ٦٢١٢) والحميدى (٢ / ٣٦٣) وابن حبان (٣٣٣٣) والحاكم (١ / ٤٠٧) والبيهقى (٣١٥٣) فى الشعب والسنن (٧ / ٢٧) عن سليمان بن عامر، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٣٨٥٨).

(٢) **(صحيح)** ـ رواه الحميدى (٣٢٨) وابن خزيمة (٢٣٨٦) والطبرانى فى «الكبير» (٢٥/٨٠/٢٠٤) والحاكم (١/٤٠١)والبيهقى فى «الشعب» (٣١٥٤) والسنن (٧/٧) عن أم كلثوم بنت عقبة. وله شاهد من حديث حكيم بن حزام . رواه أحمد (٣/٤٠٢) والدارمى (١٦٧٩) والطبرانى فى «الكبير» (٣/٢٢٦/٣١٢٦) . وشاهد آخر من حديث أبى أيوب . رواه أحمد (٥/٤١٦) والطبرانى فى «الكبير» (٤/١٦٥/٣٩٢٣). وصححه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (٨٩٢).

وقد روى عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» [١] وبإسناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال تصدق به على نفسك. قال عندى دينار آخر قال تصدق به على زوجتك. قال عندى دينار آخر قال تصدق به على ولدك. قال عندى دينار آخر قال تصدق به على خادمك. قال عندى آخر قال أنت أبصر به» [٢]

ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه إبليس بأن الحج قربة وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس. قال رجل لبشر الحافى: اعددت ألفى درهم للحج. فقال: احججت؟ قال: نعم، قال: اقض دين مدين قال: ما تميل نفسى إلا إلى الحج قال: مرادك أن تركب وتجئ ويقال فلان حاجى، ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويرمى الثياب على المغنى. ويلبس عليه إبليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم، وقد بينا أن ذلك أن مما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر فى ذلك قربة، وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعاً للعادة. ومنهم من يجوز فى وصيته ويحرم الوارث، ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به. وبإسناد عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حاف عند الوصية قذف فى الوباء والوباء واد فى جهنم» [٣] وعن الأعمش عن خيثمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يقول ما غلبنى عليه ابن آدم فلن يغلبنى على ثلاث آمره بأخذ المال من غير حقه وآمره بإنفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه». [٤]

---

(١) رواه البخارى (١٤٢٦) ومسلم (١٠٣٤) وأبو داود (١٦٤٨) والنسائى (٦٩/٥) والدارمى (١٦٥١) والطبرانى فى «الكبير» (٢١٢٠/٢٢٤/٣) عن أبى هريرة.

(٢) **(حسن)** - رواه البخارى فى «الأدب المفرد» (١٩٧) وأحمد (٤٧١-٢٥١/٢) وأبو داود (١٦٩١) وابن حبان (٤٢١٩) وابن جرير فى تفسيره (٣٦٦/٢) والبيهقى فى «الشعب» (٣١٤٨) وحسنه الألبانى فى «الإرواء» (٨٩٥).

(٣) روى نحوه الديلمى فى «الفردوس» (٥٥١٧) وهو ضعيف جداً وروى أبو داود (٢٨٦٧) عن أبى هريرة بلفظ: «إن الرجل ليعمل - والمرأة - بطاعه الله ستين سنه ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار» ورواه الترمذى (٢٢١٥) وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف أبى داود» (٦١٤) وضعيف الجامع (١٤٥٧). ورواه ابن ماجه (٢٧٠٤) بلفظ «... سبعين سنة فإذا وصى حاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ...» وضعفه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (١٤٥٨).

(٤) **(إسناده منقطع)** - رواه ابن المبارك فى «الزهد» (٥٤٧) والطبرانى فى «الكبير» (٢٨٨/١٣٦/١) من طريق الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه مرفوعاً وقال الهيثمى فى «المجمع» (٢٤٥/١٠) إسناده حسن!

قلت: كيف يكون حسناً وفيه انقطاع؟. قال يحيى بن معين أن أبا سلمة لم يسمع من أبيه، وراجع «المراسيل» (ص ٢٥٥) لابن أبى حاتم.

تلبيسه على الفقراء

فصل

وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فإن أضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فإنما يستكثر من نار جهنم. أخبرنا ابن الحصين بإسناده عن محمد بن فضيل، عن عمارة، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل منه أوليستكثر»[(١)] وإن لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئاً وكان مقصوده بإظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رآى. وإن كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق ففى ضمن بخله الشكوى من الله.

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلا باذئ الهيئة فقال: «هل لك من مال؟ قال نعم. قال فلتر نعمة الله عليك»[(٢)]. وإن كان فقيراً محقاً فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجمل فقد كان فى السلف من يحمل مفتاحاً يوهم أن له داراً ولا يبيت إلا فى المساجد.

فصل

ومن تلبيس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيراً من الغنى إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه وهذا غلط وإن الخيرية ليست بالوجود والعدم وإنما هى بأمر وراء ذلك.

---

(١) رواه مسلم (١٠٤١) وابن ماجه (١٨٣٨) والقضاعى (٥٢٥) وأحمد (٢٣١/٢).

(٢) سبق تخريجه .

تلبيس إبليس على جمهور العوام

فصل

وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات، وذلك من أكثر أسباب هلاكهم. فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة، فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه، ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ. ومن هذا تقليد اليهود والنصارى، والجاهلية أسلافهم، وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة، فترى لرجل يعيش سنين يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون، ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات، ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك، هواناً بالدين، ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد، ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد قبل الإمام ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه فى ركن فإذا رفع قبله فقد خالفه فى ركنين فبطلت صلاته، وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام، وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شئ وذاك أمر لا يحمله الإمام فتكون صلاته باطلة. وربما يترك أحدهم فريضة، وزاد فى نافلة. وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب، وربما كان فى يده خاتم قد حصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء، ولا يصل الماء إلى ما تحته، فلا يصح وضوؤه، وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة، ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيهاً فى رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة. وقل أن يبيعوا شيئاً إلا وفيه غش ويغطيه عيب. والجلاء يغطى عيوب الذهب الردئ حتى أن المرأة تضع الغزل فى الأنداء، وتنديه ليثقل وزنه.[1]

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى فى صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام، ويغتاب الناس، وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر فى العادة لأن فى العادة استبشاع الفطر. ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيقول معى عشرون ديناراً لا أملك غيرها فإن أنفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها داراً وآكل أجرة الدار ظناً منه إن هذا الأمر قريب.

---

(١) أى تضعه فى الندا.

ومنهم من يرهن الدار على شئ ويؤدى ويقول هذا موضع ضرورة، وربما كانت له داراً أخرى، وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار، ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو أنه يستعمل الخزف مكان الصفر. ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف، وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر فقل أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوباً أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم، وكم من دار لهم ليس فيها مصحف. وفى الصحيح عن النبىﷺ أنه سأل عن الكهان فقال: « ليسوا بشئ ». فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشئ يكون حقاً. فقال رسول اللهﷺ : «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فينقرها فى أذن وليه نقر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة».(١)

وفى صحيح مسلم عن النبىﷺ أنه قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»(٢) . وروى أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمدﷺ»(٣) ومن جريانهم مع العادات كثرة الأيمان الحانثة التى أكثرها ظهاروهم لا يعلمون فأكثر قولهم فى الإيمان حرام علىَّ إن بعت، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب، وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه فى وقت كالخطيب يوم الجمعة، ومن عاداتهم إهمال إنكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب، ومن عاداتهم أن يبنى الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة، وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته، وقد أثم بكونه كان سبباً لأذى المسلمين، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر، وفيهم من إذا دخل بمئزر رمى به على فخذه، فيرى جوانب إليتيه ويسلم نفسه إلى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبة، ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر. ومن عادتهم ترك

---

(١) رواه البخارى (٣٢١٠ ـ ٥٧٦٢ ـ ٦٢١٣ ـ ٧٥٦١٩) ومسلم (٢٢٢٨) عن عائشة.
(٢) رواه مسلم (٢٢٣٠) وأحمد (٤ / ٦٨) والبيهقى (٨ / ١٣٨) عن صفية .
(٣) (صحيح) ـ رواه أحمد (٢ / ٤٠٨، ٤٢٩، ٤٧٦) وأبو داود (٣٩٠٤) والترمذى (١٣٥) وابن ماجه (٦٣٩) والحاكم (١ / ٨) والبغوى وصححه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (٢٠٠٦).

القيام بحق الزوجة، وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها ويظن الزوج أنه قد تخلص بما قد اسقطته عنه. وقد يميل الرجل إلى إحدى زوجتيه دون الأخرى فيجور فى القسم متهاوناً بذلك ظناً أن الأمر فيه قريب. فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من كانت له امرأتان يميل إلى أحديهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر إحدى شقيه ساقطاً أو مائلا»[١]. ومن عادتهم إثبات الفلس عند الحاكم، ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس أنه قد سقطت عنه بذلك الحقوق، وقد يؤسر ولا يؤدى حقاً. ومنهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلس إلا وقد جمع مالاً من أموال المعاملين فأضر به ينفقه فى مدة استتاره، وعنده إن الأمر فى ذلك قريب. ومما جروا فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتشبط فى العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل، مثل أن يحد النجار الفأس، والشقاق المنشار، ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله.

وقد يفوت أكثرهم الصلاة، ويقول أنا فى إجارة رجل، ولا يدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الإجارة. وقلة نصحهم فى أعمالهم كثيرة، ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت، وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة، ينبغى أن يكون وسطاً. ويدفنون معه جملة من الثياب، وهذا حرام، لأنه إضاعة للمال، ويقيمون النوح على الميت، وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[٢] ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء. وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية»[٣] وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه، لا بل ربما أنكروا ترك شق الثوب، وقالوا ما أثرت عنده

---

[١] **(صحيح)** ـ رواه أحمد (٢/ ٣٤٧ـ٤٧١) وأبو داود (٢١٣٣) والترمذى (١١٤١) والنسائى (٦٣/٧) وابن ماجه (١٩٦٩) والدارمى (٢٢٠٦) والحاكم (٢ / ١٨٦) والبيهقى (٧ / ٢٩٧) عن عائشة رضى الله عنها وصححه الشيخ الألبانى .

[٢] رواه أحمد (٥ / ٣٤٢ ـ٣٤٣) ومسلم (٩٣٤) وعبد الرزاق (٦٦٨٦) والطبرانى فى «الكبير» (٣٤٢٥) وابن حبان (٣١٤٣) والحاكم (١ / ٣٨٣) والبيهقى (٤ / ٦٣).

[٣] رواه البخارى (١٢٩٤، ١٢٩٧، ٣٥١٩) ومسلم (١٠٣) والترمذى (٩٩٩) والنسائى (٤ / ٢٠) وابن ماجه (١٥٨٤) وابن الجارود (٥١٦) وابن حبان (١٠٣) والبيهقى (٤ / ٦٣ـ ٦٤) والبغوى (١٥٣٣) عن ابن مسعود بلفظ : «ليس منا من لطم الخدود ....» الحديث .

المصيبة. ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب، ويبقون على ذلك شهراً أو سنة، وربما لم يناموا هذه المدة فى سطح. ومن عاداتهم زيارة المقابر فى ليلة النصف من شعبان وإيقاد الدار عندها، وأخذ تراب القبر المعظم. قال ابن عقيل: لما [ضاقت][1] التكاليف على الجهال، والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال وهم كفار عندى بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليفها وخطاب الموتى بالألواح، وكتب الرقاع فيها يا مولاى أفعل بى كذا وكذا، وأخذ التراب تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى، ولا تجد فى هؤلاء من يحقق مسألة فى زكاة فيسأل عن حكم يلزمه. والويل عندهم لمن لم يُقبِّل مشهد الكهف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأمونية يوم الأربعاء، ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلى. ولم يكن معها نياحة. ولم يعقد على أبيه أزجاً بالجص والآجر، ولم يشق ثوبه إلى ذيله، ولم يرق ماء الورد على القبر و يدفن معه ثيابه.

تلبيس إبليس على النساء

فصل

وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جداً، وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها، وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبيس إبليس عليهن، فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلى العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهى لا تعلم، وفيهن من يؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها و دخول الحمام .

وقد تؤخر غسل الجنابة فى الليل إلى أن تطلع الشمس. فإذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر وتقول ما دخل إلىّ إلا القيمة. وربما قالت أنا وأختى وأمى وجاريتى وهن نساء مثلى فممن أستتر وهذا كله حرام. فإن تأخير الغسل بغير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة ما بين سرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأمها إلا أن تكون البنت صغيرة فإذا بلغت سبع سنين استترت و استتر منها.

(١) سقطت من جميع النسخ، واستدركتها من السياق.

وقد تصلى المرأة قاعدة وهى تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة. وقد تحتج بنجاسة فى ثوبها من بول طفلها وهى تقدر على غسله، ولو أرادت الخروج إلى الطريق لتهيأت واستعارت،وإنما هان عندها أمر الصلاة، وقد لاتعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل.

وقد ينكشف من الحُرة ما يبطل صلاتها وتستهين به. وقد تستهين المرأة بإسقاط الحبل ولا تدرى أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً.

وقد تستهين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل، فإنه يجب عليها أن تتوب وتؤدى دينه إلى ورثته وهى غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه أو عشر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فإن لم تجد صامت شهرين متتابعين.

وقد تسيىء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادى وما بيننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت فى معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية. ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة. وفيهن من تلازم القبور وتحد لا على الزوج.

وقد صح عن رسول اللّهﷺ أنه قال:«لا يحل لامرأة تؤمن باللّه ورسوله أن تحد على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»(١) ومنهم من يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية، وهى منهية عنه لما روى أبو هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ :«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح»(٢). أخرجاه فى الصحيحين وقد تفرط المرأة فى مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رضاه. وقد تعطى من ينجم لها بالحصى ويسحر ومن تعمل لها نخسة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام، وقد تستجيز ثقب آذان الأطفال وهو حراماً فإن أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ الصوفى وتصافحه فصارت من بنات المنبر فخرجت إلى عجائب، وينبغى أن تكف عنان العلم اقتصاراً على هذه النبذة فإن هذا الأمر يطول ولو بسطنا النبذ المذكورة فى هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من رددنا عليه بالأحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات، وإنما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير وقد اقتنعنا فى ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطى رده لأن الأمر فيه ظاهر واللّه يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنة وكرمه.

---

(١) أخرجه البخارى (١٢٨٠، ١٢٨١) ومسلم (١٤٨٦، ١٤٨٧) عن أم حبيبة. وأخرجه البخارى (١٢٨٢, ٥٣٣٥) عن زينب بنت جحش. ورواه مسلم (١٤٩٠) وعبد بن حميد (١٥٣٢) والنسائى (١٨٩/٦) وابن ماجه (٢٠٨٦) وأحمد (٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) عن عائشة.

(٢) رواه البخارى (٢٣٧٠) ومسلم (١٤٣٦) وأبو داود (٢١٤١) والدارمى (٢٢٢٨) وأحمد (٤٣٩/٢ـ٤٨٠) عن أبى هريرة.

الباب الثالث عشر
في ذكر تلبيس إبليس
على جميع الناس بطول الأمل

قال المصنف رحمه الله: كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول: لا تعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويُمَنيه الإنابة كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهى … وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوَّفه، وكم ساعٍ إلى فضيلة ثبطه. فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أو انتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت. ولا يزال يحبب الكسل، ويسوف العمل، ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم، والحزم تدارك الوقت وترك التسوف، والإعراض عن الأمل فإن المخوف لا يؤمن، والفوات لا يبعث، وسبب كل تقصير فى خير، أو ميل أن شر طول الأمل فإن الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والإقبال على الخير إلا أنه يعد نفسه بذلك، ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيراً فاتراً ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عملا ضعيفاً ومن صوّر الموت عاجلا جد، وقد قال ﷺ: «**صل صلاة مودع**»(١).

وقال بعض السلف: أنذركم «سوف» فإنها أكبر جنود إبليس. ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمثل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهباً للرحيل: وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهراً،

(١) **(صحيح)** ـ رواه القضاعى (٩٥٢) والبخارى «تاريخ» (٦ / ٢١٦) والطبرانى «أوسط» (٤٥٨٨) والبيهقى «زهد» (١ / ٢ / ٦٢) عن ابن عمر قال أتى رجل النبى ﷺ فقال يارسول الله حدثنى حديثاً واجعله موجزاً فقال له النبى ﷺ: صلِّ صلاة مودع، كأنك تراه ـ فإن كنت لا تراه ...» وله شاهد صحح به الحديث الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٩١٤).

فضرب بوق الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واغتبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم، ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فإذا كان فى الطبع حب التوانى وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما فى الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن أفتر فى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن نسأل اللّه عز وجل، السلامة من كيد العدو، وفتن الشيطان، وشر النفوس، والدنيا، إنه قريب مجيب، جعلنا اللّه من أولئك المؤمنين.

تم والحمد للّه أولا و آخراً

❁❁❁❁❁❁

الفهـــرس

طبعت بمطابع دار الحرمين بالقاهرة